

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام

الوسطية في الإسلام

مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها

رسالة لنيل درجة الماجستير

إعداد: فريد محمد صاوي عبد القادر
إشراف: الدكتور يوسف محي الدين أبو هلال
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة والإعلام

١٤١٠ هـ - ١٤١١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

اللهم إنني أحمدهم حمد مقرر بنعمك التي شملت الصغير والكبير، والمطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وأستغفرك اللهم استغفار معترف بعظم ذنوبه، وأستغفرك اللهم استغفار طامع بوسع رحمتك التي وسعت كل شيء، وألجأ إليك إلهي لجوء الضعيف المذنب المقصر إلى كنف رب رحيم غفور، وأعوذ بك اللهم من قول لا ينفع، ومن عمل لا يُرفع، ومن قلب لا يخشع، وأعوذ بك اللهم من قول يعقبه الندم، أو عمل تزل به القدم.

والملاة والسلام على خير من وطئ الثرى، واستقبلت السماء، نبينا محمد وعلى آله الأطهار، وصحابته الميامين الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان وإصلاح إلى يوم الدين ..

أما بعد : فقد فاز من فاز بتقوى الله تعالى ومراقبته وطاعته (يأئبها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون). (١)

(يأئبها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبنت منهن رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا). (٢)

(يأئبها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما). (٣)

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، آية ١ .

(٣) سورة الأحزاب، آية ٧٠-٧١ .

١ - الدراسات السابقة :

لقد ركزت الدراسات السابقة حول موضوع (الوسطية) على مفهوم التوسط بين أمرين، حتى أنّ بعض تلك الدراسات اعتبرت من (وسطية) الأمة التوسط الجغرافي من حيث الموقع على الكرة الأرضية، والتوسط المناخي من حيث الحرارة والبرودة، وغزارة الأمطار وقلتها..

فكانت فكرة التوسط بين أمرين مسيطرة على الأذهان والعقول أثناء البحث لإظهار وسطية الإسلام، مع التعبير عن هذه الوسطية بالخيرية، فكانت هذه الدراسات تخطئ أثناء البحث بين ملاسبات صحيحة، ونتائج غير صحيحة.

فالإسلام - مثلا - في القضايا الاقتصادية عندهم وسط، وهو أفضل النظريات صلاحا للبشرية، وهذا صحيح، ولكن من أين كان هذا الاستنتاج عندهم؟ من كون النظريات الاقتصادية المتواجدة على الساحة الآن هي: الرأسمالية التي تعطي الملكية الفردية حرية مطلقة دون قيود، والشيوعية التي لا تعترف بالملكية الفردية، والإسلام وسط بين هذا وذاك.

ولكن هذا الاستنتاج يعني أمرين:

١ - إمّا أن بقاء النظرية الرأسمالية والنظرية الشيوعية أبدية على الأرض، وذلك لاحتفاظ الإسلام بموقعه الوسط بين النظريتين لتكون ممثلة للوسط، وهذا لا يمكن أن يجزم به أحد، بل الواقع المشاهد أن النظرية الشيوعية آخذة في التراجع والزوال مقابل قوة إقدام وانتشار الرأسمالية.

٢ - وإمّا أن نقول بأن وسطية الأمة الإسلامية وسطية مؤقتة، وأنها مرهونة ببقاء النظريتين، وأن مع زوال إحدى النظريتين تزول وسطية الأمة في الجانب المالي، لأنها في تلك الحالة لا تقابل إلا نظرية واحدة لا يمكن لغة اعتبارها وسطا في الموضوع.

ولا أعتقد أن أحدا من الباحثين في الموضوع يقول ذلك.

فالدراسات السابقة إذن تناولت الموضوع من مفهوم: التوسط بين أمرين، ومن هذه الدراسات:

(١) العقيدة الواسطية: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية - عليه الرحمة والرضوان - حيث بين في رسالته هذه أن أهل السنة والجماعة وسط بين فرق الإسلام في أمور ومباحث العقيدة، فقال في ص ١٦: ". بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين الرافضة والخوارج".

وقد تناول شيخ الإسلام الموضوع من نفس المنطلق في كثير من مؤلفاته، ومجموع الفتاوى مليء بمثل كلامه الذي أورده في العقيدة الواسطية.

(٢) إغاثة اللهفان من مفايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، وقد تطرق للموضوع في ج ١ ص ١٨٢ من نفس المنطلق، مع بيانه أن الوسط هو الخيار والعدل، ولكنه لم يفصل في الأمر، ولعله قد تابع شيخه شيخ الإسلام - رحمه الله - في ذلك.

(٣) الخصائص العامة للإسلام: للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، حيث تناول في الفصل الرابع (١٢٧-١٥٦) الواسطية على أساس أنها إحدى الخصائص العامة للإسلام، وبين بأنه يعبر عنها كذلك بـ "التوازن"، وقال في ص ١٢٧: "ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما

بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبصيت لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويصيف عليه.

مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية، والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير، وما شابهها، ومعنى التوازن بينها: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطى حقه "بالقسط"، أو "بالقسطاس المستقيم"، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إفسار".

ففضيلة الشيخ صرح بمقصوده من الوسطية، وأنها تمثل التوازن.

والباحث يرى أن في الأمر تداخلا حيث أن التوازن يمثل جانبا من جوانب الوسطية وميزة من مميزاتهما، وأن الدلالة اللغوية للوسطية بمعنى التوسط بين شيئين مفهوم ضيق قاصر لا يعطي الاصطلاح - أي الوسطية - حقه من الدلالة، ولا يوفيه ما يحمل من مضامين.

ولقد تناول فضيلة الشيخ مصطلح (الوسطية) بعد ذلك، وبين أن الوسطية تعنى العدالة، وأنها تعني الاستقامة، وأنها دليل الخيرية، ولكن دون أن يكون لهذا الذي قاله أي أثر في تحديد مفهوم مصطلح (الوسطية) لدى الشارع سبحانه وتعالى.

فحدث بسبب ذلك، وبسبب المفهوم المسبق في الذهن للوسطية نوع من اللبس

والتداخل بين نقاط صحيحة تمام الصحة وأخرى غير صحيحة.

ثم تناول فضيلة الشيخ مظاهر الوسطية في الجانب العقدي، والشعائري،

والأخلاقي، والتشريعي، من منطلق ما حدده من مفهوم للوسطية.

فكان البحث في كثير من جزئياته وتفصيله موفقا وناجما، ولكن كان مكمنا

الخطأ - الذي أعطى البحث إطاراً يخالف الباحث فيه فضيلة الشيخ - هو المنطلق والأساس والقاعدة التي قام البحث عليها، وهي نقطة المفهوم والدلالة لاصطلاح (الوسطية).

٤) منهج التربية الإسلامية: للأستاذ محمد قطب، حيث انطلق من مفهوم التوسط بين أمرين، واعتبر أن الوسطية هي التوازن، واعتبره أحد خصائص المنهج الإسلامي فقال في ج ١ ص ٢٨: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) (١): "وسطاً في كل شيء، متوازنين في كل ما تقومون به من نشاط".

ثم قال في ص ٢٨: "فهو جهد جامد يستغرق حياة الإنسان كلها، ويشمل كل لحظة من لحظات هذه الحياة، جهد التوفيق بين الضرورات القاهرة والأشواق الطاغية، جهد التوفيق بين ما يجب أن يكون وما يمكن أن يكون، جهد التوفيق بين مطالب الفرد الواحد المتعددة المتعارضة وبين مطالب المجموع، جهد التوفيق بين العمل للعاجلة والعمل للأجلة، جهد التوفيق بين هذه اللحظة وهذا الفرد، وهذا الجيل، وبين جميع اللحظات وجميع الأفراد وجميع الأجيال ... جهد جامد يستغرق كل طاقة الحياة!".

فالأستاذ محمد قطب ينطلق من منطلق التوسط بين شيئين، ويربط بين الوسطية والتوازن وأنها شيء واحد، بينما يرى الباحث في بحثه بأن التوازن ميزة من مميزات الوسطية الإسلامية.

٥) خصائص الشريعة الإسلامية، للدكتور عمر سليمان الأشقر، حيث تناول في الخصيصة رقم (١٤) ص (٨٦-٩٠) موضوع: الوسطية والاعتدال، وانطلق من مفهوم

(١) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

التوسط بين شيئين، وكان مما قاله في ص ٨٦ : "من المعضلات التي لم ينجح المشرعون من البشر في حلها التطرف في التشريع، فبعض القوانين تجنح إلى أقصى اليسار، وبعض آخر يجنح إلى أقصى اليمين، وقلما يوفق واضعوا القوانين إلى التوسط والاعتدال، والتوسط والاعتدال ليسا بالأمر الميسور".

ثم قال في ص ٨٧ : "وإذا نظرت إلى الشريعة الإسلامية وسطا في كل أحكامها، فأحكامها بين الغالي والجافي، وسأضرب لهذا مثلا واحدا في نظامين سائدين في العالم اليوم، وهما النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، وسأبين كيف تطرف كل منهما في موضوع الملكية، وكيف أخذت الشريعة الإسلامية بالتوسط والاعتدال".

ثم أخذ الحديث عن النظامين وإيضاح توسط الإسلام بينهما.

فكان منطلق الدكتور/ عمر الأشقر، هو نفس منطلق من سبق، رغم أنه ذكر أن الوسط عند العرب تعني الخيار، وأنهم إذا أطلقوها على شخص أرادوا الرفعة في حسبه، ولكن لعله - والله أعلم - لتمكّن المفهوم السائد في الذهن انطلق إلى البحث في نفس المسار، مع وضوح مفهوم العرب لهذا الاصطلاح.

٦) وسطية الإسلام وأمنه في ضوء الفقه الحضاري: لعمر بهاء الدين الأميري، وقد تناول الموضوع كذلك من منطلق التوسط بين شيئين، حتى أنه اعتبر من وسطية الأمة الإسلامية التوسط الجغرافي في المناخ فقال في ص ٥٨: "وقد كان من تدبير الله الحكيم العليم في هذه الأمة أن جعل "وسطيتها" في كل مجال:

فهي في موطن الرسالة الأولى، وفي ساحتها الحضارية المشعة المتراامية الأطراف - من بعد - في مناخ محتمل، وجو مسعف، لا في مناطق بركانية زلزالية، ولا لاطية استوائية، ولا متجمدة قطبية حيث تقعد قساوة الطبيعة بالإنسان عن الحركة والنشاط والإعمار الحضاري".

واعتبر من وسطية الأمة كذلك التوسط الجغرافي في الموقع، فقال في ص ٥٨:
"وهي وسط في موقعها الجغرافي المهم، حيث كانت مهابط الوحي، أرض الإسلام ومهد
الأمة الإسلامية الأولى، ملتقى الجهات، ومجمع القارات .. واليابسة التي تحفها
مسالك المواصلات المائية إلى جل العالم...، فهي الوسط بين الشمال والجنوب،
والشرق والغرب، وهي مركز الوصل بين أفريقيا وآسيا، وطرف ممتد من أوروبا، وهي
الرباط البري بين الطرق المائية...".

(٧) مستقبل الحضارة، ليوسف كمال، حيث تناول الوسطية في الفصل الأول من
الباب الثالث (١٢٢-١٢٣)، وهي الدراسة الوحيدة التي تميزت عن غيرها، فقد
تناول المؤلف الموضوع بشيء من التعمق، وجاء بأقوال غير المسلمين في معنى
الوسط، فذكر قول أرسطو ص ١٢٦: إن الوسط بالنسبة إلى شيء ما هو النقطة التي
على بعدين متساويين من كلا الطرفين ... ثم ذكر قول أرسطو في ص ١٢٧:
"فالفضيلة نوع وسط ما دام الوسط هو الغرض الذي نطلبه بلا انقطاع".

ثم بيّن مفهومه للوسطية، فقال في ص ١٢٧: أما الوسطية في الإسلام فهي حدود
لمنهج الحركة في طريق مستقيم إلى هدف، بعيد عن انحرافات في سبل شتى تؤدي
للضلال.

فاقترق الكاتب عن الآخرين في مفهومه للوسطية، وقد بيّن خلال الفصل كثيرا
من جوانب الوسطية، إلا أنه قد لازم عرضه فكرة التوسط بين أمرين.

فعندما تكلم في المبحث الثاني حول (دراسات وسطية) ذكر العناوين
التالية: النظرية والتطبيق، الثبات والتغير، المثالية والواقعية، الروح
والمادة، العبادة والمعاملة، الفرد والمجتمع، السلبية والإيجابية، ثم في
المبحث الثالث (نماذج وسطية) ص ١٥٨، ذكر الجانب الاجتماعي، والجانب السياسي،

والجانب الاقتصادي، وكان تناوله للموضوع من جانب توضيح طرفي الانحراف وأن الإسلام وسط بينهما.

وإنني أرى بأن هذه الدراسة قيّمة قد تناولت الوسطية بصورة مختلفة عن الدراسات السابقة، ووضعت تعريفاً للوسطية، إلا أن الانطلاق من المفهوم الشائع - وهو التوسط بين أمرين - كان واضحاً في مباحث الدراسة وأمثلة البحث، رغم أن المؤلف بيّن وقال في ص ١٢٧ : .. فهناك فضائل ليست وسيطية كالصدق الذي يقابله الكذب.

٢ - أهمية الموضوع :

لقد كثر الكلام حول موضوع الوسطية حتى أصبح اصطلاحاً مألوفاً على الألسن، يتناوله الكتاب في الجرائد والمجلات، ويتناوله الخطباء في الخطب، ويتناوله المؤلفون في مؤلفاتهم، ويتناوله المحاضرون في محاضراتهم ودروسهم، وأصبح اصطلاحاً شائعاً في الأوساط الفكرية الإسلامية، فقد أنزل المولى عز وجل نصاً قرآنياً صريحاً في الدلالة على وسطية الأمة الإسلامية، وهو قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً). البقرة ١٤٣ .

ولكنني - رغم كل ما سبق - لم أجد مؤلفاً خاصاً بالموضوع يتناوله تناولاً

علمياً دقيقاً، ويحيط بكل ما يتعلق به من دقائق وتفصيل.

من هذا المنطلق تكونت لديّ قناعة تامة بأن موضوع (الوسطية) جدير

بالدراسة في رسالة مستقلة، وقد اخترت دراسة الموضوع من وجهة النظر الإسلامية

من واقع دراستي وتخصصي العلمي الإسلامي.

٣ - الجديد في الدراسة :

لقد افترق الباحث في بحثه هذا عن السابقين في : المنطلق والمفهوم لأصل الموضوع، حيث اعتبر السابقون أن (الوسطية) تعني التوسط بين أمرين، والباحث توصل إلى أن (الوسطية) تعني العدالة والخيرية، وأنها تمثل القمة في كل صالح، ولكنه اتفق معهم في كثير من جزئيات البحث وتفاصيل الموضوع.

٤ - خطّة البحث :

أما الرسالة فقد شملت على مقدمة وبابين، ثم الخاتمة والفهارس:

- المقدمة، وقد تناولت النقاط التالية:

(١) عرض لأهم الدراسات السابقة حول الموضوع ونقدها.

وقد بين الباحث في هذه النقطة أهم الدراسات السابقة، وما يراه من نقد لها، وركّز على أن النقد الرئيسي للدراسات السابقة هو الخطأ في المفهوم والانطلاق في الدراسة وفق تصور خاطئ.

(٢) أهمية الموضوع، حيث وضح الباحث حسب وجهة نظره الأهمية التي دعت إلى دراسة الموضوع، رغم أنه موضوع قد كثر الحديث فيه.

(٣) الجديد في الدراسة، حيث بين الباحث الجديد في بحثه ودراسته، والإضافات التي أضافها على الدراسات السابقة.

(٤) خطّة البحث .

(٥) منهج البحث، وبيّن الباحث المنهج الذي اختاره لبحثه، وهو المنهج

التاريخي، ثم ذكر خطة رسالته.

الباب الأول

الوسطية، مفهومها وضوابطها ومظاهرها ومميزاتها

وينقسم إلى ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : مفهوم الوسطية وضوابطها .

ويحتوي على مبحثين:

- المبحث الأول : مفهوم الوسطية .

ويمثل هذا المبحث نقطة الانطلاق في البحث، حيث قام الباحث للتوصل إلى

تعريف محدد لمفهوم الوسطية .

- المبحث الثاني: ضوابط الوسطية :

وقد تم فيه وضع الضوابط الشرعية والمعايير التي تقيّد الوسطية، ولا

تجعلها رهنا للمزاج الشخصي والتوجه الفردي .

- الفصل الثاني : مظاهر الوسطية :

وهذا الفصل من أوسع فصول الرسالة، حيث قام الباحث فيه باستجلية مظاهر

الوسطية الإسلامية في جميع نواحي الحياة، وينقسم إلى المباحث الآتية:

. المبحث الأول : الجانب العقدي .

. المبحث الثاني : الجانب العبادي .

. المبحث الثالث : الجانب التشريعي .

. المبحث الرابع : الجانب الأخلاقي .

- الفصل الثالث : مميزات الوسطية :

وقد قام الباحث في هذا الفصل بتوضيح أهم ما تميزت بها الوسطية الإسلامية

من مميزات واتصفت بها من مواصفات .

الباب الثاني

الانحراف عن الوسطية في حياة المسلمين، أسبابه وعلاجه

وينقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أسباب التفريط :

وقد قام الباحث في هذا الفصل بدراسة الأسباب التي قادت قطاعات كبيرة من المسلمين إلى الانحراف عن وسطية الأمة الإسلامية، وذلك بالتقصير في الالتزام بالوسطية .

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول : الأسباب الداخلية .

المبحث الثاني: الأسباب الخارجية.

الفصل الثاني : أسباب الإفراط:

وقد قام الباحث في هذا الفصل بدراسة الأسباب التي أدت إلى الغلو والزيادة، وتجاوز الوسطية الإسلامية وما شرعه الله تعالى لأمة الإسلام، وذلك في إطار المسلمين.

وينقسم هذا الفصل أيضا إلى مبحثين :

المبحث الأول : الأسباب الداخلية .

المبحث الثاني: الأسباب الخارجية.

الفصل الثالث : علاج الانحراف :

وهو الفصل الأخير في الرسالة، وقد قام الباحث فيه بتحديد النقاط والخطوات العملية التي يرى في اتباعها علاجا للانحراف عن الوسطية الإسلامية، والتي يرى في اتباعها كذلك حفاظا على وسطية الأمة الإسلامية، وحفاظا على الأمة من الوقوع في الانحراف.

الخاتمة :

وقد تناول فيها الباحث النقاط الآتية :

- ١ - أهم النتائج التي توصل إليها في بحثه .
- ٢ - توصيات الباحث ومقترحاته المتعلقة بموضوع الرسالة .

الفهارس :

وقد شملت الفهارس التالية :

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الفرق والأديان والمذاهب .
- ٥ - فهرس الأبيات الشعرية .
- ٦ - فهرس المراجع .
- ٧ - فهرس الموضوعات .

٥ - منهج البحث :

- (١) لقد اختار الباحث المنهج التاريخي التحليلي لموضوع بحثه، حيث تناول الموضوع من الوجهة الإسلامية القائمة على النصوص الواردة والآثار المنقولة، والأبحاث المذكورة في كتب أهل العلم، وكان دور الباحث هو سبر الكتب بحثاً عن النصوص ومحاولة ربطها ببعض، وتحليلها .
- (٢) اعتمد الباحث في رسالته على كتب التفسير القديمة، وشروح الحديث، وكان مصدره في تفهم النصوص هو هذه الكتب الأصلية .

٣) حرص الباحث حرصاً كبيراً على ألا يعتمد إلا على نص صحيح الشبوت عنه

صلى الله عليه وسلم، وكان هذا منهجه في الجانب الحديثي:

أ - الاعتماد على الصحيحين.

ب - اعتماد تصحيح الشيخ الألباني لبقية الكتب الستة.

مع اعتماد تصحيح وتحسين الإمام الترمذي لأحاديث كتابه في كثير من

الأحيان.

ج - اعتماد تصحيح الشيخ أحمد شاکر لأحاديث مسند الإمام أحمد في الأجزاء

المحققة، والاعتماد على تصحيح الهيثمى في مجمع الزوائد لبقية الأجزاء، وإن لم

يجد فعلى حكم الشيخ البنا في الفتح الرباني.

د - اعتماد حكم الهيثمى في مجمع الزوائد على معجم الطبراني (الكبير،

والأوسط، والمغير)، وعلى مسند البزار وأبي يعلى.

هـ - الاعتماد على تصحيح شعيب الأرنؤوط لصحيح ابن حبان.

و - الاعتماد على تصحيح الدكتور عبد العلي عبدالحميد حامد، لأحاديث شعب

الإيمان للبيهقي.

ز - إذا وجدت حديثاً مرفوعاً ولم أجد الحكم عليه، ووجدته موقوفاً، فإنني

اعتمدت الموقوف.

وهكذا كان الحرص على ألا يعتمد إلا على حديث صحيح، إلا في النادر الذي لم

أجد فيه حكماً لأحد من الأئمة - قدر الاطلاع - لأحاديث لها شواهد ومتابعات أخرى

صحيحة، وهذه الأحاديث التي ثبتت في البحث دون ذكر تصحيحه لا تتعدى أماع

اليد.

٤) وكان الحرص قدر الامكان على ألا تطول الفصول والمباحث، وذلك بتجنب كثير من التفاصيل والجزئيات.

٥) وقد أرفقت البحث بفهارس تفصيلية تعين القارئ أثناء الاطلاع.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور/ يوسف محيي الدين أبو هلاله - المشرف على الرسالة - على ما بذله من جهد في متابعة الرسالة، وعلى ما بذله من نصائح وآراء سديدة كان لها الأثر الكبير في إخراج الرسالة بصورتها النهائية، فله مني الشكر والامتنان، وأدعو الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى فضيلة الدكتور/ فضل الهي ظهير، الذي تفضل مشكورا بمتابعتي أثناء إعداد خطة البحث.

كما أتوجه بالشكر لجامعة الإمام ممثلة في كلية الدعوة والإعلام والقائمين عليها.

وفي النهاية أتوجه بالشكر إلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث، بعمل أو بنصيحة أو بتشجيع، وأتوجه بالشكر والامتنان إلى جميع من لهم عليّ فضل في وجهتي هذه في الحياة، من الذين أرشدوني إلى طريق الحق..

فإلى أولئك جميعا الحب والاحترام والتقدير..

وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

الباب الأول

الوسطية، مفهومها وروابطها ومظاهرها ومميزاتها

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مفهوم الوسطية وروابطها

الفصل الثاني: مظاهر الوسطية

الفصل الثالث: مميزات الوسطية

الفصل الأول

مفهوم الوسطية وروابطها

وفيه بحثان :

البحث الأول : مفهوم الوسطية

البحث الثاني : روابط الوسطية

* تهييد :

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

الأول : مفهوم الوسطية .

ويقوم الباحث في هذا المبحث بدراسة موارد هذه اللفظة في بطون كتب اللغة العربية، للوصول إلى تحديد دقيق لمعناها عند العرب، ثم بتتبع النصوص الشرعية من قرآن كريم، وحديث شريف، للتوصل لمعنى دقيق لمصطلح (الوسطية)، بعد المقارنة والجمع بين دلالة اللغة العربية ودلالة النصوص الشرعية.

وتكمن أهمية هذا المبحث في أن ما بعده متوقف عليه، وهذا في الواقع يعطي هذا المبحث أهمية كبرى بين سائر مباحث الرسالة .

الثاني : ضوابط الوسطية :

في كل قضية يتناولها الفكر البشري، يبقى باب الاختلاف وتنوع الآراء وتعددها مفتوحاً، بل أمراً حتمياً، لتمايز القدرات الذهنية بين بني البشر، واختلاف مشاربهم، وتنوع سبل تفكيرهم.

وقضيتنا موضوع البحث لا تخرج من هذا الإطار، لذا كان من اللازم دراسة الموضوع للتوصل إلى ضوابط، تكون كالمعيار في توضيح حدود الموضوع، وكالميزان في قياس الأمر للحكم بعد ذلك على الموضوع المطروح - أيًا كان هذا الموضوع المطروح - بالوسطية أو عدمها .

فكانت الأهمية ملازمة لهذا المبحث، من حيث خطورته في موضوع البحث، لكونه

المعيار والقانون الذي في ضوئه يتم الحكم على الأمور بالوسطية أو الانحراف.

المبحث الأول

مفهوم الوسطية

المطلب الأول : الدلالة اللغوية

* أصل المعنى اللغوي :

"وسط الشيء: ما بين طرفيه؛ قال :

إذا رحلت فاجعلوني وَسَطًا إِنِّي كَبِيرٌ لَا أَطِيقُ الْعُدَا

أي: اجعلوني وسطا لكم ترفقون بي وتحفظونني، فإنني أخاف إذا كنت وحدي متقدما لكم أو متأخرا عنكم أن تفرط دابتي أو ناقتي فتصرعني" (١)، وتقول: "جلس وسط الدار. وضرب وسطه وأوساطهم. وهو أوسط أولاده، ووسطى بناته. ووسط القوم وتوسطهم: حصل في وسطهم" (٢)، و"أوسطت القوم، ووسطتهم، وتوسطتهم، بمعنى واحد إذا دخلت وسطهم. قال تعالى: (فوسطن به جمعا) (٣)". (٤) "أي دخلن في وسط

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ٩٢٣/٣، إعداد وتمنييف: يوسف خياط ونديم مرعشلي. دار لسان العرب - بيروت .

(٢) أساس البلاغة، تأليف جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ٥٠٥/٢، طبع: دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م .

(٣) سورة العاديات، الآية ٥ .

(٤) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٢٨٢هـ - ٣٧٠هـ) ص ٢٧، تحقيق أ. أحمد عبدالعليم البردونى. مراجعة: أ. علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ص ٢٧ .

جمع، أي خلق كثير من الكفار" (١)، "وَوَسَطَ فلان جماعة من الناس، وهو يَسِطُهُمْ إذا مار في وَسْطِهِمْ" (٢)، و"وَسَطْتُ القومَ أَسْطُهُمْ وَسَطًا وَسِطَةً أَي تَوَسَّطْتُهُمْ. قال الراجز:
وقد وَسَطْتُ مالكا وحنظلا" (٣)

"وَوَسَّوْطُ الشمس: تَوَسَّطَهَا السماء" (٤)

و"وَسَطُ الشيء ما له طرفان متساويا القدر، ويقال ذلك في الكمية المتملة كالجسم الواحد إذا قلت وَسَطُهُ صلب، وضربت وَسَطَ رأسه بفتح السين. وَوَسَطُ بالسكون يقال في الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين نحو وَسَطُ القوم" (٥)، وقد وردت بالفتح (وَسَط) عند الإمام الترمذي من حديث نِيَارِ بْنِ مُكْرِمِ الأَسْلَمِيِّ (٦) - رضي الله

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٢هـ) والتتمة وهي الجزء التاسع والثاني من عمل تلميذه: الشيخ عطية محمد سالم ٤٤٠/٩، طبعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ م.

(٢) كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) ٢٧٩/٧، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي.

(٣) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري (٢٢٢-٣٩٢هـ) ١١٦٧/٣ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا.

(٤) لسان العرب ٩٢٤/٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ص ٥٢٢، تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة - بيروت.

(٦) نِيَارِ بْنِ مُكْرِمِ الأَسْلَمِيِّ. قال البخاري: روى عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعن عثمان. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: له صحبة، وكذا قال ابن =

عنه - قال: لما نزلت (المّ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)(١) ... خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة: (المّ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينك، زعم صاحبك أنّ الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتهن

= حبان: له صحبة، ثم أعاده في التابعين. وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين وأنكر أن يكون له صحبة. وقال: سمع من أبي بكر. وقد روى حديث مرأنة أبي بكر الصديق مع قريش في غلبة الروم، وله حديث آخر.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن محمد بن محمد بن علي الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى المعروف بابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ) ٢٥٩/٦ رقم ٨٨٢٨، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

وهو أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان، وهم: حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، وأبو جهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم. وقال مالك بن أنس: إنّ جدّه مالك بن عامر كان خامسهم. روى عنه عروة بن الزبير، وابنه عبدالله بن نيار.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر، القسم الرابع من ١٥١٤ رقم ٢٦٤٧ تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر مطبعة نهضة مصر - القاهرة.

(١) سورة الروم، الآية ١-٤ .

أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرّهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسمّ بيننا وبينك وسطا ننتهي إليه، قال: فسموا بينهم ست سنين.. (١)

"وقد يراد به ما يكتنف من جوانبه، ولو من غير تساو". (٢)

* ويقال تارة لما له طرف حسن وآخر سيء :

والوسط "تارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم" (٣) كما في حديث عبدالله بن معاوية الغاضري (٤) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث مَنْ فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَعَلِمَ

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ) ٢/٢٩٩ رقم ٧٥٢ تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط. الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

رواه الترمذي في السنن، كتاب التفسير، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠هـ) ٢/٣٣٤ .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي ٥/٢٤٠ .

(٤) عبدالله بن معاوية الغاضري، شامي له صحبة، روى عنه جبير بن نفير.

انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر ٣/٩٩٥ رقم ١٦٦٣ .

وانظر: الإصابة لابن حجر ٤/١٣١ رقم ٤٩٥٦ .

أنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة (١) عليه كل عام، ولم يعط الهرمة (٢)، ولا الدرنة (٣) ولا المريضة، ولا الشرط (٤) اللثيمة، ولكن من وَسَطِ أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره". (٥)

* ويقال تارة أخرى لما له طرفان مذمومان وهو الغالب :

"وتارة يقال لما له طرفان مذمومان" (٦)، وهو الغالب والأكثر "فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه بالتعري منه والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعدا

(١) "الرَّفْدُ، بالكسر: العطاء والملة. والرَّفْدُ: بالفتح: المصدر. رَفَدَهُ يَرْفُدُهُ رَفْدًا: أعطاه، ورَفَدَهُ وأَرَفَدَهُ: أعانته. والاسم منها الرَّفْدُ. وترافدوا: أعان بعضهم بعضا. والمَرْفَدُ والمُرْفَدُ: المعونة". لسان العرب (١/١١٩٥).

(٢) الهرمة: الكبيرة في السن. والهرم: أقصى الكبر. انظر: لسان العرب ٧٩٩/٣.

(٣) الدرنة: الوسخ. وفي حديث الزكاة: ولم يعط الهرمة ولا الدرنة أي: الجرباء، وأصله من الوسخ. انظر: لسان العرب (١/٩٢٤).

(٤) الشرط: رذال المال وشراره. لسان العرب (٢/٢٩٨).

واللثيم: الدنيء الأمل الشحيح النفس. لسان العرب (٢/٣٢٧).

وقد يراد به البهيمة الهزيلة الشحيحة.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (١/٢٣٢). رواه أبو داود.

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٥٢٢.

ازداد منه تعريفاً، وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما، وهو غاية البعد عنهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف بقدر الإمكان". (١)

★ الوسط اسم في الأمل ويأتي صفة :

والوسط بفتح السين "اسم لما بين طرفي الشيء، وهو منه كقبولك: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار، ومنه المثل: يرتعي وسطاً ويربض حجرةً، أي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير، فإذا أصابهم شر اعتزلهم وربص حجرةً أي ناحية منعزلاً عنهم" (٢)، و"قد يأتي صفة وإن كان أصله أن يكون اسماً من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب" (٣)، "فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة". (٤)

★ مفهوم الوسط عند العرب :

وعلى ضوء ذلك استقرر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة الوسط أرادوا في

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري

ابن الأثير (٥٤٤-٦٠٦هـ) ١٨٤/٥، تحقيق: محمود محمد الطناحي، الطبعة

الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م دار الفكر.

(٢) لسان العرب ٩٢٣/٢ .

(٣) المرجع السابق ٩٢٣/٣ .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي ٢٤٠/٥ .

المجاز معاني الخير والعدل والنّصفه والجّودة والرّفعة والمكانة العلية (١)،
والعرب تصف فاضل النسب بأنّه "وسط في قومه" (٢)، ويقال فلان وسط الحساب في
قومه، أي: متوسط الحساب إذا أرادوا بذلك الرّفعة في حسيه "وفلان من واسطة
قومه، أي من أعيانهم" (٣)، وهو من أوسط قومه أي من خيارهم وأشرفهم، فالعرب
"تصف فاضل النسب بأنّه من أوسط قومه" (٤)، "وهو وسيط فيهم أي: أوسطهم نسبا
وأرفعهم مطلا". (٥)

قال زهير (٦):

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)

١٠٨/٦، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ - القاهرة.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(٢٢٤-٣١٠هـ) ١٤١/٢ تحقيق: محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر. الطبعة

الثانية، دار المعارف بمصر.

(٣) كتاب جمهرة اللغة لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١هـ)

٢٩/٢، الطبعة الأولى (١٣٤٥هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية

بجيد آباد الدكن.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٢٦/١٣ .

(٥) القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي ٣٩١/٢ الطبعة الثالثة ١٣٥٢هـ

- ١٩٢٣ م .

(٦) هو زهير بن أبي سلمى، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وإنما

اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، =

هُمُ وَسَطُ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ (١)

= وهم: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة الذبياني. عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام. فاذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها. قال: زهير أشعر أهلها. انظر: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (٣٥٦هـ) ٢٨٨/١٠، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، مصور عن طبعة دار الكتب. دار احياء التراث العربي.

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ١٤٢/٣، تحقيق محمود محمد شاکر، وأحمد محمد شاکر.

والبيت لا يوجد في ديوان زهير.

العطلب الثاني المفهوم الاصطلاحي

في حديث البخاري قال أبو سعيد الخدري (١) رضي الله عنه: "... ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) (٢)، قال: والوسط: العدل". (٣)

وقال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). (٤)

والمفهوم الاصطلاحي بطبيعة الحال لا يمكن أن ينسلخ عن أصل الدلالة اللغوية

(١) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. مشهور بكنيته، استصغر يوم أحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، وروى عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الكثير، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم. وهو مكثر من الحديث، وكان من أفقه أصحابه. وقال الخطيب: كان من أفاضل الصحابة. وقيل في سنة وفاته عدة أقوال، فقيل: مات سنة أربع وسبعين، وقيل أربع وستين، وقيل ثلاث وستين، وقيل خمس وستين. انظر: الإصابة لابن حجر ٨٥/٢ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

(٣) صحيح الامام البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٤/١٧، مراجعة طه عبدالرؤف سعد، محمد مصطفى محمد الهواري، السيد محمد عبدالمعطي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٤) سورة آل عمران، آية ١١٠ .

التي تعني التوسط بين عدة أمور، ولا تضاد بين الاثنين، وهو ما رجحه ابن حجر في تعليقه على الطبري في قوله: "وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين" (١) فقال شيخ الإسلام ابن حجر: "لا يلزم من كون الوسط في الآية صالحا لمعنى التوسط أن لا يكون أريد به معناه الآخر، كما نص عليه الحديث، فلا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه نص الآية" (٢)، وإن كانت الدلالة الاصطلاحية تحمل معنى زائدا على مجرد المفهوم اللغوي.

ولكي يتضح لنا مفهوم الوسطية في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) (٣) من الضروري أن نتناول بعض القضايا رفعا للبس يخشى وقوعه في الموضوع، فنقول:

١ - هل المقصود بالوسطية مرونة الأمة، بحيث لا تصطمم بالأفكار والمبادئ

الأخرى عند الالتقاء بها، بل قابليتها للأخذ والعطاء والتنازل عن جزء مما

عندها لأجل تنازل الطرف الآخر والالتقاء عند نقطة وسط ترضي جميع الأطراف؟

لنتأمل هذا السؤال، ثم لندقق النظر في كتاب الله تعالى ليتضح الأمر.

القرآن الكريم واضح وصريح في إنكار هذا المسلك وعدم إقراره إياه، إنه

(١) جامع البيان للطبري ١٤٢/٣ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لشيخ الإسلام أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن

علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ) ٢٤/١٧، مراجعة

وتعليق: طه عبدالرؤف سعد، مصطفى محمد الهواري، السيد محمد عبدالمعطي.

نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٣) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

ليكرر وبقوة: وجوب تبليغ كامل الرسالة وعدم التنازل عن أي جزء منه، يقول تعالى: (فلا تطع المكذّبين . وادّوا لو تدهن فيدهنون)(١)، والمداهنة: "عبارة عن المداراة والملاينة"(٢)، وهو ما حذر المولى - عز وجل - رسوله أن يفعله، وإن كان غرضه - صلى الله عليه وسلم - انتشار الدعوة وتبليغ الرسالة، (ولولا أن ثبتتْكَ لقد كدتَ تركن إليهم شيئاً قليلاً)(٣)، وهو الذي كُلف بتبليغ ما أرسله الله به وعدم الملاينة والمداراة فيه (يأيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين)(٤).

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم، وهو القائل في خطبته في حجة الوداع مخاطباً جموع المسلمين "وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها(٥) إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات"(٦).

(١) سورة القلم، آية ٨، ٩ .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٧٣ .

(٣) سورة الاسراء، آية ٧٤ .

(٤) سورة المائدة، آية ٦٧ .

(٥) أصله من النَّكَّتْ بِالْحَمَى، وَنَكَّتِ الْأَرْضَ بِالْقَضِيبِ، وَهُوَ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهَا بِطَرَفِهِ،

فَعَلَ الْمَنْكَرَ الْمَهْمُومَ. النهاية في غريب الحديث ١١٣/٥ .

(٦) صحيح الإمام مسلم مع شرح الإمام النووي ١٨٤/٨، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ -

١٩٧٢م، دار احياء التراث العربي - بيروت .

وقال تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...). (١)

وقد أنكر تعالى على اليهود عملهم ببعض ما في الكتاب وترك بعضه، فقال تعالى: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالإلثم والعدوان وإن يأتوكم أسرى تفتدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون). (٢)

وأنكر عليهم كذلك كتمان بعض ما في الكتاب (إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (٣).

وقد اكتمل الدين ووجب التبليغ من بعده - صلى الله عليه وسلم - بكل الدين (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديننا...) (٤)، (كتب أنزل إليك فلا يكن في صدق حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون). (٥)

(١) سورة الكهف، آية ٢٩ .

(٢) سورة البقرة، آية ٨٥ .

(٣) سورة البقرة، آية ١٧٤ .

(٤) سورة المائدة، آية ٣ .

(٥) سورة الأعراف، آية ٣،٢ .

فشبهة (الوسطية) بمفهوم المرونة والمداراة والمداهنة في الدين غير

مقبولة.

٢ - إذن هل المقصود (بالوسطية) النظر بدقة في قضية من القضايا والوقوف

على جميع أطراف الموضوع ووجهات النظر فيها، ومحاولة إيجاد نقطة متوسطة بين

الجميع والتمسك بها؟

وهذا يعني أنّ الأطراف المتعددة هي الأمل وهي التي تتحكم في نقطة الوسط،

لأنّه على ضوءها تحدد نقطة الوسط الممثلة (للوسطية).

والحق تبارك وتعالى بيّن لنا في محكم التنزيل أنّّه جعل دينه وشرعه

الميزان الذي توزن به جميع الأفكار والآراء والأعمال، بل تؤمّد الذين "يجادلون

المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدّوهم عما سلكوه من طريق الهدى" (١)،

(والذين يحتاجون في الله من بعد ما استجيب له حاجتهم داخلة عند ربهم وعليهم

غضب ولهم عذاب شديد. الله الذي أنزل الكتب بالحق والميزان وما يدريك لعل

الساعة قريب) (٢)، وهو القائل سبحانه: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا

معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط...). (٣)

فشرع الله هو الميزان الذي به يتحقق العدل والإنصاف وينعدم الظلم

والظغيان، وحكمه هو العدل الذي يرفع الخلاف، (كان الناس أمة واحدة فبعث

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٧٠٠-٧٧٤هـ)، ١٨٤/٧، تحقيق محمد

أحمد عاشور وآخرين. طبعة دار الشعب - القاهرة .

(٢) سورة الشورى، آية ١٦، ١٧ .

(٣) سورة الحديد، آية ٢٥ .

الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه..(١)، (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أرتك الله ولا تكن للخائنين خصيما). (٢)

وكتاب الله تعالى حبله المتين، من تمسك به نجا، ومن تركه ضل، قال عليه الصلاة والسلام: "أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا اله الا الله، وأني رسول الله؟" قالوا: نعم. قال: فإنّ هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنّكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا" (٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: "القرآن مُشَفَّعٌ، ومَاجِلٌ (٤) مُصَدَّقٌ، من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار". (٥)

وعلى ذلك فلو تتبعنا آراء البشر وتوجهاتهم للوصول إلى معرفة (الوسط)

(١) سورة البقرة، آية ٢١٣ .

(٢) سورة النساء، آية ١٠٥ .

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تأليف الإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) ٣٢٩/١ رقم ١٢٢، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٢٩هـ)، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م مؤسسة الرسالة.

قال المحقق : إسناده حسن على شرط مسلم.

(٤) أي مدافع ومجادل، "من المِجال، بالكسر، وهو الكيد، وقيل: المكر، وقيل: القوة والشدة". انظر: النهاية ٣٠٣/٤ .

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢٣١/١ رقم ١٢٤، قال المحقق : إسناده جيد.

لكانت الأهواء هي الأصل وشرع الله تبعا، وهذا هو محض الخسران، (ولو اتّبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم عن ذكرهم معرضون)(١)، ومنطق الإيمان يوحى للإنسان باتباع هديه - صلى الله عليه وسلم - وهو المخاطب من ربه (إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل)(٢)، (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروا أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون). (٣)

وهذا الكتاب هو الذي يقود الناس نحو النور ويحمل في طياته سعادة البشرية وصلاتها (آلر كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ). (٤)

وبانتفاء تلك الشبهات، فما هي إذن الدلالة الإصطلاحية لمفهوم الوسطية ؟

(١) سورة المؤمنون، آية ٧١ .

(٢) سورة الزمر، آية ٤١ .

(٣) سورة المائدة، آية ٤٨-٥٠ .

(٤) سورة إبراهيم، آية ١ .

مفهوم الوسطية لا يمكن أن يحدد التحديد الصحيح إلا من خلال نصوص الشرع وما دلّت عليه اللغة العربية.

وبتقضي النصوص ذات العلاقة بالموضوع يتضح لنا عدة أمور:

أولاً : الوسطية تعني العدالة والخيرية :

بدلالة الحديث الذي يرويه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه أنه قال: "ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) (١) قال: والوسط: العدل" (٢)، وفي رواية أخرى: "قال: عدلاً" (٣).

وقال تعالى: (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون) (٤) قال الرازي: "يعني أعدلهم وأفضلهم" (٥).

واستقرت اللغة العربية على أنّ الوسطية تعني العدالة والخيرية. (٦)

ودل على الخيرية قول الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...) (٧).

(١) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

(٢) صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٤/١٧ .

(٣) المصدر السابق ٨٤/٣٠ .

(٤) سورة القلم، آية ٢٨ .

(٥) التفسير الكبير للإمام الرازي ٩٠/٣٠، الطبعة الأولى.

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة ١٠٨/٦، وانظر: معجم متن اللغة ٧٥٣/٥ .

(٧) سورة آل عمران، آية ١١٠ .

"فالوسط: العدل والخيار"(١)، و"الخيار من الناس عدولهم".(٢)

ثانياً : الوسطية مرتبطة بالصراط المستقيم :

قال تعالى: (سيقول السفهاء من الناس ما ولّٰهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا ...) (٣)، أي: "كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد - عليه السلام - وبما جاءكم به من عند الله، فخصمناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم ومليته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصمناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطا(٤)، فالشار إليه بقوله تعالى: (وكذلك)، هو "الهدف المدلول عليه بقوله: (يهدي من يشاء)(٥) وهو قوله: (إلى صراط مستقيم)، والتقدير: جعلناكم أمة وسطا مثل ما هديناكم.(٦)

-
- (١) تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ٤/٢، الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- (٢) جامع البيان للإمام الطبري ١٤٢/٣ .
- (٣) سورة البقرة، آية ١٤٢، ١٤٣ .
- (٤) جامع البيان عن تأويل القرآن للإمام الطبري ١٤١/٣ .
- (٥) الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أحمد بن يوسف، المعروف بالسّمين الحلبي ١٥٠/٢، تحقيق أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م دار القلم - دمشق.
- (٦) المرجع السابق .

وعن "جابر(١) بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فخطّ خطّا، وخطّ خطّين عن يمينه، وخطّ خطّين عن يساره، ثم وضع يده في الخطّ الأوسط، فقال: "هذا سبيل الله"، ثم تلا هذه الآية (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (٢). (٣)

وقد جاء في تحديد معنى الصراط حديث النّوّاس(٤) بن سمعان الأنصاري، عن

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي. أحد المكثريين عن النبي صلى الله عليه وسلم، من حفاظ السنن. وله ولأبيه صحبة. وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة. كف بصره في آخر عمره. وتوفي بالمدينة سنة أربع وسبعين، وقيل ثمان وسبعين، وقيل سبع وسبعين. وقد أوصى ألا يصلي عليه الحجاج. وصلى عليه أبتان بن عثمان وهو أمير المدينة.

انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢١٩/١ رقم ٢٨٦ .

والإصابة لابن حجر ٢٢٢/١ رقم ١٠٢٢ .

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٣ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٧/١ رقم ١١، وقال: صحيح. الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م - المكتب الاسلامي - نشر مكتب التربية لدول الخليج.

(٤) النّوّاس بن سمعان بن خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة الكلابي، معدود في الشاميين. يقال: إن أباه سمعان بن خالد، وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - فدعا له رسول الله - صلى الله عليه وسلم =

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى كَنَفِي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يدعو يقول: يا أيها الناس اسلكوا الصراط جميعا ولا تعوجّوا، وداع يدعو على الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم". (١)

وذكر القرطبي في تفسيره قال: ذكر الطبري في كتاب آداب النفوس: حدثنا محمد بن عبد الأعلى المنعاني، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبيان، أن

= - وأعطاه نعليه، فقبلهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوجه أخته، فلما دخلت على النبي تعوّذت منه فتركها، وهي الكلابية.

انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٥٦٩/٣، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ حاشية الإصابة، دار صادر.

وانظر: الإصابة ٢٥٧/٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (٥٥٥-٦٣٠هـ) ٥٩١/٤، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر.

(١) المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ٧٣/١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. نشر مكتب المطبوعات الإسلامية - طب.

ورواه الإمام أحمد في المسند ١٨٢، ١٨٢/٤، طبعة دار الدعوة.

رجلا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جَوَادٌّ(١)، وعن يساره جَوَادٌّ، وَثَمَّ رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجَوَادِّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهت به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا)(٢) وقال ابن مسعود: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَقْبِضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَمَلُهُ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ(٣) وَالتَّعَمُّقَ وَالبِدْعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ(٤).

فهذا الصراط: هو دينه تعالى الذي ارتضاه للناس، والموصول إلى الجنة وإلى رضوانه، وما سواه فطرق الهلاك والخسران، وارتباط الوسط بصراط الله المستقيم واضح تمام الوضوح، ولو تأملنا قليلا في فاتحة الكتاب لاتضح بصورة أدق.

بين تعالى أن هذا الصراط نعمة منه (صراط الذين أنعمت عليهم)(٥)، وبين

(١) الجَوَادُّ : الطُّرُقُ، واحدها جَادَّةٌ. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٤٥/١.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٣ .

(٣) المتتنطعون : هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى طوقهم.

مأخوذ من النَّطَّعِ، وهو الغارُّ الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق، قولاً

وفعلًا. النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٤/٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ١٣٨/٧،

وزارة الثقافة - الجمهورية العربية المتحدة. نشر دار الكاتب العربي

للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٥) سورة الفاتحة، آية ٧ .

المقصود بهم في قوله عز من قائل: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين وحسن أولئك رفيقا)(١)، ويبيّن أن هذا الصراط المستقيم انحرف عنه صنفان من الناس، مثّلت إحداهما المفضوب عليهم، وهم اليهود، ومثّلت الأخرى الضالون، وهم النصارى، "عن عدي(٢) بن حاتم أنه قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قوله تعالى: (غير المفضوب عليهم)(٣) قال: هم اليهود، (ولا الضالين)(٤) قال: النصارى".(٥)

(١) سورة النساء، آية ٦٩ .

(٢) عدي بن حاتم: أبوه حاتم هو الجواد الموصوف بالجود. وقد وفد عدي على النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة تسع في شعبان. وقيل سنة عشر، وأسلم وكان نصرانيا، وقد شهد صفين مع علي. توفي سنة سبع وستين، وقيل: ثمان، وقيل: سنة تسع وستين. وله مائة وعشرون سنة. قيل مات بالكوفة أيام المختار. وقيل: مات بقرقيسيا. والأول أصح.

انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٥٠٥/٣ رقم ٣٦٠٤ .

(٤،٣) سورة الفاتحة، آية ٧ .

(٥) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سُوْرَة ٢٠٣/٥، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وانظر: موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ص٤٢٤، تحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة، دار مكتبة الهلال - بيروت. ومسنَد الإمام أحمد ٣٧٩، ٣٧٨/٤ .

فاليهود والنصارى يمثّلان خطي الانحراف عن الحق والجادة، صنّف "خرج عن الحق بعد علمه به، وأعرض عنه بعد أن استبان له" (١)، ففرّطوا في الحق بالتقسيم فيه، فنزلت عليهم لعنة الله وغضبه (من لعنه الله وغضب عليه). (٢)

و"صنّف لم يعرف الحق أبداً، أو عرفه على وجه مضطرب مهوش فهو في عماية تُلبس الحق بالباطل، وتبعد عن الجادة الموصلة إلى الصراط السوي" (٣)، وهكذا قال ابن كثير: "وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق" (٤) ففلوا وابتدعوا من عندهم بغير وجه حق (ورهبانية ابتدعوها ما كتبنا عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) (٥)، (يا أهل الكتب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق). (٦)

"ويشمل المغضوب عليهم والضالون فرق الكفر والفسوق والعصيان، فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمّت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد أو عن تأويل بعيد جداً، والضالون جنس للفرق التي أخطأت الدين عن سوء فهم وقلة إصغاء". (٧)

فأصحاب الصراط المستقيم أمة عادلة خيرة لم تنحرف عن الجادة لا بالزيادة

(٣،١) تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي (١/٢٤).

(٢) سورة المائدة، آية ٦٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٥).

(٥) سورة الحديد، آية ٢٧.

(٦) سورة النساء، آية ١٧١.

(٧) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ج١ ك٢ ص١٩٦، طبع

الدار التونسية للنشر.

غلوا وإفراطا، ولا بالنقصان تفريطا، وهي أمة سوية تمشي على بيّنة ونور، فهي مزكاة بالعلم النافع والعمل الصالح.

ثالثا : الوسطية تتعلق بالشهادة على الناس :

يقول تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

الرسول عليكم شهيدا). (١)

وهذه الشهادة تكون في الدنيا والآخرة.

أما في الآخرة فبالشهادة على تبليغ الأنبياء دعوة الله.

"عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتسأل أمته: هل بلّغتم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)". (٢)

وهو سبحانه هدايم في الدنيا إلى الصراط المستقيم، ومنّ عليهم بأن جعلهم خير الأمم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله...)(٣) تقوم بالعدل والإنصاف، لتؤدي مهمتها العظيمة في الدنيا، وهي القيام بدور الشهادة على العالمين.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "مُرَّ بجنّازة فأثنوا عليها خيرا،

(١) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

(٢) صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري ٨٤/٢٨ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٠ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وَجِبَتْ. ثم مرّوا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: وجبت. فقال عمر رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض". (١)

وفي رواية أخرى عنه - رضي الله عنه - قال: "مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ: وَجِبَتْ. ثُمَّ مَرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثِنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجِبَتْ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْتَ لِهَذِهِ: وَجِبَتْ. وَلِهَذِهِ وَجِبَتْ؟ قَالَ: شَهَادَةُ الْقَوْمِ، وَالْمُؤْمِنُونَ شُهُودُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ". (٢)

وشهادة الأمة تكون بالعلم والعمل، فوسطية الأمة الإسلامية إذن شديدة الارتباط بالناس من حيث الهدف منها، وهو الشهادة على العالمين وإقامة الحجة عليهم.

رابعاً : الوسطية صفة للأمة :

إذا تأملنا قول الله تعالى: (وَكذلك جعلناكم أمة وسطاً) (٣) تبين لنا أنّ كلمة (وسطاً) إنّما هي صفة للأمة، وأنّ الله تعالى صيّرنا أمة وسطاً، أي خيرة عادلة بتتمسكها بمرام الله المستقيم، إقامة للحجة على العالمين، وشهادة عليهم أجمعين، لذلك خصها المولى عز وجل من بين الصفات بالذكر والامتنان على الأمة بجعلها كذلك.

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٧٨/٦ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه للشيخ الألباني (١/٢٤٩) رقم: ١٢١١، وقال: صحيح .

(٣) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

فهي الصفة اللازمة الدائمة للأمة، وبدونها تفقد شخصيتها المتميزة، وتتعطل وظيفتها الخاصة، ولأجل ذلك حذرنا المولى عز وجل من سلوك طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين.

مفهوم الوسطية الإصطلامي(١):

ومن جملة ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص تعريفا خاصا محددًا للوسطية، فنقول بأن الوسطية هي:

"مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين وإقامة الحجّة عليهم".

وهي ثمرة طبيعية لمنهج الإسلام، ونتيجة حتمية للتربية الإسلامية الصحيحة، ويقدر الالتزام بمنهج الإسلام بتحقيق هذه الصفة، وبدرجة الانحراف عن منهج الإسلام تضعف هذه الصفة حتى تضطل وتختفي عند الخروج من الإسلام وتركه نهائيا.

أمّا ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عند أصل دلالتها اللغوية، أي التوسط بين طرفين، مهما كان موضع هذا الوسط - الذي تم اختياره - من صراط الله المستقيم التزاما وانحرافا، فليس بمفهوم صحيح وفق ما تبينه الآيات والأحاديث.

وقد شاع كذلك عند كثير من الناس استعمال هذا الاصطلاح الرباني استعمالا

(١) انظر: مستقبل الحضارة، تأليف: يوسف كمال من ١٢٧-١٢٩، الطبعة الثانية،

١٤٠٨هـ دار الوفاء.

ومنهج المعرفة في القرآن الكريم، تأليف يوسف كمال، من ٩٦، الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ دار الوفاء.

فضفاضا يُلبَسُ أي وضع أو عرف أو مسلك أرادوه، حتى أصبحت الوسطية في مفهومهم تعني التساهل والتنازل في كثير من أمور الدين اتباعا لما شاع في المجتمعات من عادات وتقاليد وأعراف لا صلة لها بالإسلام، بل الإسلام منها براء.

فكل ذلك خطأ وميل عن الصواب، واستعمال للاصطلاح خلافا لما تحمل من معان.

ونحن إنما "نستحق هذا الوصف إذا اتبعنا سيرته - صلى الله عليه وسلم - وشريعته، وهو الذي يحكم على من اتبعها، ومن حاد عنها وابتدع لنفسه تقاليد أخرى، وانحرف عن الجادة، حينئذ يكون الرسول بدينه وسيرته حجة عليه بأنه ليس من أمته التي وصفها الله في كتابه بقوله: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)(١)، وبذلك يخرج من الوسط، فيكون في أحد الطرفين".(٢)

- توفيمات هامة :

١ - ما كل ما يعتبر وسطا في أصل المعنى اللغوي يكون ممدوحا، أي: لايلزم

أن يكون وسطا في اصطلاح الشارع.(٣)

مثال ذلك: الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، نرى فيه

التقسيم الآتي:

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠ .

(٢) تفسير المراغي ٦/٢ .

(٣) انظر: الفضائل الخلقية في الإسلام، للدكتور/ أحمد بن عبدالرحمن إبراهيم،

ص ٢٠٧، ص ٢٨٩-٣٠٦ . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م دار العلوم للطباعة

أ - الإيمان باطنا وظاهرا .

ب - الإيمان ظاهرا والكفر باطنا (النفاق).

ج- الكفر باطنا وظاهرا .

ففي التقسيم اللغوي يكون (النفاق) في الوسط.

والحق أن الإيمان ظاهرا وباطنا هو الوسط المعتبر شرعا، والنفاق والكفر

هما الانحراف.

وهذا ما استقر عليه العرب في مفهوم (الوسط)، فإنّ العرب تصف الرجل بأنه

وسط الحسب، وتقصد بذلك علو الحسب، ولا تقصد أنه ليس من الأشراف ولا من

المعاليك بل هو من الطبقة الوسطى.

وهو ما جاء على لسان الصديق - رضي الله عنه - في وصف قريش وهم أشرف

العرب، في سقيفة بني ساعدة وهو يخاطب الأنصار: "أمّا بعد فما ذكرتم من خير

فأنتم أمهه، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب

نسبا ودارا". (١)

فالمقصود بالوسط في كلام الصديق هو : الأفضل والأشرف والأعلى مقاما، وجاء

هذا المفهوم صريحا في حديث عنه صلى الله عليه وسلم، فعن "البراء بن عازب،

قال: كنا جلوسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أي عرى الإسلام أوسط؟

قالوا: الصلاة. قال: حسنة وما هي بها. قالوا: الزكاة، قال: حسنة وما هي بها.

(١) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر ٣٢٣/١ رقم ٣٩١، قال أحمد شاكر:

إسناده صحيح. الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م - دار المعرفة للطباعة

قالوا: صيام رمضان. قال: حسن وما هو به. قالوا: الحج. قال: حسن وما هو به.
قالوا: الجهاد. قال: حسن وما هو به. قال: إنَّ أوسط عرى الإيمان أن تحب في
الله وتبغض في الله". (١)

ويوضحه حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه "أنه سأل النبي - صلى الله عليه
وسلم - عن أفضل الإيمان، قال: أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر
الله..". (٢)

٢ - فالذي يجب أن يستقر في الذهن، هو المعنى الاصطلاحي الذي عناه الشارع،
لا الوقوف عند الدلالة اللغوية الضيقة.

فاستخدام الشارع لهذه اللفظة لغلبة الخير في الوسط في أغلب الأمور
والأحيان، ولاستقرار هذه الكلمة في مفهوم العرب - وهم أهل الخطاب - على معاني
الخيرية والعدالة.

(١) المسند ٢٨٦/٤ . ورواه الهيثمي بلفظ: "أي عرى الإسلام أوثق...". وقال
الهيثمي: رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سليم، وضعفه الأكثر. مجمع الزوائد
ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٩٤/١، منشورات
مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

وقال الحافظ ابن حجر: مدوق اختلط أخيراً. تقريب التهذيب للحافظ أحمد
ابن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٢-٨٥٢هـ) ١٣٨/٢ رقم ٩، - الطبعة الثانية
١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار المعرفة .

(٢) قال الشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا في بلوغ الأمان من أسرار الفتح
الرباني ٨٥/١: والحديث بروايتيه ضعيف.. ومتمنه صحيح من طرق أخرى. طبعة
دار الشهاب - القاهرة.

٣ - فاستخدام الشارع لهذه اللفظة - أي الوسطية - بهذه الدلالة، وبارتباط هذه الوسطية بالسير على الصراط المستقيم لأجل القيام بمهمة الشهادة على الناس لانقطاع الوحي وتوقف الركب المبارك بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، بجملة هذه المعاني والحقائق المحيطة باصطلاح (الوسطية) يجب أن يفهم، وهو ما حددناه في التعريف الاصطلاحي.

وإذا أردنا أن نشرحه بصورة أخرى، إحساساً بتمكن المعنى اللغوي في أذهان الكثيرين - وأنا أحدهم قبل البحث - نقول:

إنّ الوسطية هي الصفة الملازمة للمسلم، والظاهرة في واقع حياته وسلوكه من الخير والعدل، بسبب التزامه بنهج الإسلام.

فهي الثمرة العملية المحسوسة والمرئية في واقع حياة الأفراد والمجتمعات التي تنهج نهج الإسلام، إقامة للحجة على الخليقة، إضافة لعدالة البلاغ المسموع.

٤ - ولا يلزم لكل ما يُعتبر وسطاً في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا يقابله إلاّ الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلاّ الكذب، فقد "ذهب الجمهور إلى أنّه لا واسطة بين الصدق والكذب، لأنّ الحكم إمّا مطابق للخارج أو لا، والأول الصدق والثاني الكذب". (١)

٥ - وإن كان الشرع عندما يستخدم لفظة عربية لمعنى خاص، لا يزول عنها

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص٤٢، للإمام القاضي محمد بن

علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ - مطبعة السعادة

أصل المعنى اللغوي، فالانحرافات في الحقيقة إما أن تكون زيادة على الحق أو انتقاصاً من الحق، فيكون الحق بالنسبة لهما وسط لغة واصطلاحاً.

فالجود والبذل وسط بين البخل والإسراف، وهو وسط في الاصطلاح، قال تعالى:

(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً). (١)

وقال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) (٢) وكان بين ذلك قواماً). (٣)

٦ - ومع التقاء المفهوم الاصطلاحي للوسطية مع أصل المعنى اللغوي في أمور

عدة إلا أن هذا الأمر ليس مطرداً، فمثلاً في البذل نستطيع أن نصنف الناس إلى:

أ - الذين لا يبذلون ولا يساعدون الناس .

ب - الذين يبذلون ويساعدون غيرهم على أن يكون ذلك بعد قضاء حوائجهم

وبذلهم على أنفسهم.

ج- ومن الناس صنف يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم حاجة .

فالصنف الثاني (ب) وإن كان معطاءً خيراً ممثلاً للوسطية اللغوية، ومتمثلاً

للسوية الاصطلاحية بدرجة كبيرة، ولكن مما لا شك فيه أننا إذا أردنا اختيار

(١) سورة الإسراء، آية ٢٩ .

وقوله محسوراً: الحسير هو الدابة التي عجزت عن السير فوقفنا ضعفاً

وعجزاً. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٧، طبعة دار احياء

التراث العربي ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

(٢) القتر: تقليل النفقة، وهو بإزاء الإسراف، وكلاهما مذموم.

المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٢ .

(٣) سورة الفرقان، آية ٦٧ .

المنف الذي يمثل الوسطية الإسلامية بمفهومه الاصطلاحي من بين الأصناف الثلاثة (أ)،
ب، ج) فإننا نختار الصنف الثالث (ج) الذين يؤثرون على أنفسهم، بدليل
تمثيلهم للخيرية في أعلى درجاتها ولثناء المولى عز وجل على هذا الصنف
الثناء الذي يحمل في طياته الحث والترغيب في التمثل والتشبه بهم، قال
تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح
نفسه فأولئك هم المفلحون). (١)

المبحث الثاني

ضوابط الوسطية

* الضابط الأول : القرآن الكريم :

وهو المصدر الرباني الخالد الذي تكفل المولى عز وجل بحفظه على مر الأيام

والأزمان (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). (١)

فلم يترك سبحانه وتعالى حفظه وصيانتَه للإنسان بما أوتي من طاقة وعلم، بل

حفظه بنفسه رحمةً بالناس، وإبقاءً لمصدر الخير لهم على وجه الأرض، فهو النور

الذي يستضاء به من ظلمات الجهالة نحو طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة،

(يا أهل الكتب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتب

ويعفوا عن كثير قد جاءكم^{من} الله نور وكتب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه

سبل السلام ويخرجهم من الظلمت إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم). (٢)

يقودهم إلى الطريق السوي، وينتشلهم من سبل الهلاك والضلال (الر . كتب

انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمت إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز

الحديد) (٣)، (هو الذي ينزل على عبده آيات بيّنات ليخرجكم من الظلمت إلى النور

وإن الله بكم لرؤوف رحيم). (٤)

وهو الهادي إلى الله تعالى، الموصول إليه سبحانه، فهو الروح الذي يدب في

الحياة والأحياء، من ابتعد عن هديه كان في عداد الأموات لما يصيبه من ضلال

وانحراف، (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ماالكتب ولا الإيمان

(١) سورة الحجر، آية ٩ .

(٢) سورة المائدة، آية ١٥، ١٦ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية ١ .

(٤) سورة الحديد، آية ٩ .

ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم(١)، (أومن كان ميّتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون). (٢)

وقد تكفل الله تعالى بهداية من اتبعه، ومن أعرض عنه فليس له إلاّ الضلال، فهو حبل الله الممدود بينه وبين خلقه، ولا طريق إليه سواه، (بآياتها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون . واعتموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا ...). (٣)

وعنه - صلى الله عليه وسلم - أنّه قال: "كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض". (٤)

وعنه - صلى الله عليه وسلم - أنّه قال: "أبشروا، فإنّ هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنّكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبدا". (٥)

وأوجب تعالى علينا الرجوع إليه عند اختلافنا، فقال عز من قائل: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكلت وإليه

(١) سورة الشورى، آية ٥٢ .

(٢) سورة الأنعام، آية ١٢٢ . وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٢٢.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٢، ١٠٣، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٩/٨٠، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، بمساعدة ابنه محمد.

(٤) صحيح الجامع الصغير، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وقال صحيح. ٨٢٦/٢ رقم ٤٤٧٣، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م المكتب الاسلامي.

(٥) صحيح الجامع الصغير ٦٩/١ رقم ٣٤، قال الشيخ الألباني: صحيح.

انسيب(١)، وأنه لايجوز اتباع غيره كائنا من كان، (كُتِبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي
مَدْرِكَ حَرْجٍ مِنْهُ لَتَنْذِرْ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا
تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)(٢)، وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ)(٣)، فزجر من لم يكتف بالكتاب المنزل".(٤)

وأما الذين لا يسيرون وفق توجيهاته فإنهم في الحقيقة عن اليقين يبتعدون،
وبالظنون والأوهام يسترشدون، فالله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه العزيز
ليتدبر الناس آياته ويسترشدوا به (كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)(٥)، والقرآن الكريم يشرح بعضه بعضاً، ولا تعارض ولا
اختلاف فيه، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). (٦)

وعلى ذلك فكل مظهر وكل توجه خالف نصاً من القرآن الكريم، ارتضاه من
ارتضاه، لا يكون إلا انحرافاً عن الوسطية والاعتدال، ومصدراً للشر والفساد لبني
البشر، وإن حكمت عليها العقول القاصرة بالخير والصلاح.

(١) سورة الشورى، آية ١٠ .

(٢) سورة الأعراف، آية ٣،٢ .

(٣) سورة العنكبوت، آية ٥١ .

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦٧/١٩ .

(٥) سورة ص، آية ٢٩ .

(٦) سورة النساء، آية ٨٢ .

* الغايب الثاني : السنة المطهرة :

من المعلوم أنّ "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي" (١)، و"محتاج إلى كثير من البيان" (٢)، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم "إنّما هي بيان للكتاب" (٣)، فلا يمكن الاكتفاء بالقرآن دون السنة، فهما طقة واحدة، فالسنة النبوية بيان أعلم الخلق بالخالق وبكتابه العزيز، فالابتعاد عن السنة، والاعتماد على الفهم الشخصي للقرآن دون الاستعانة بالسنة مبعّد للإنسان عن كثير من الحقائق التي تحيط بالآيات القرآنية، والظروف التي نزلت فيها، والمناسبات التي حكمت فيها. فقد كانت الآيات تنزل من السماء لتعالج قضايا محددة في أوضاع معينة، وفهم النص مجردا عما يحيط به من ظروف وملابسات موقع في شيء من اللبس، لذلك لا غناء عن السنة في فهم القرآن.

فالسنة بيان تفصيلي لكتاب الله تعالى الذي حوى بين دفتيه الدين كاملا.

فقد جاء في القرآن الأمر بالملا، وجاءت السنة بتفصيل ذلك، وجاء في القرآن الأمر بالزكاة، وجاءت السنة بتفصيل الأنصبة، وجاءت في السنة الصحيحة صلاة السفر فوجب الأخذ بها وإن لم يذكر في القرآن شيء بشأنها، وهو ما بيّنه ابن عمر - رضي الله عنه - "عن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد (٤)، أنه قال

(١) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي

الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠هـ) ٣/٢٦٦، تعليق وتخريج: شيخ علماء دميّاط:

الشيخ عبدالله دراز. طبع: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

(٢،٣) المصدر السابق ٣/٣٦٧ .

(٤) أمية بن عبدالله بن أسيد بن أبي العيص بن عبد شمس القرشي الأموي، =

لعبدالله بن عمر: إننا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن، ولا نجد صلاة السفر في القرآن؟ فقال له ابن عمر: ابن أخي، إن الله عز وجل بعث إلينا محمدا - صلى الله عليه وسلم - ولا نعلم شيئا، فإنما نفعل كما رأينا محمدا - صلى الله عليه وسلم - يفعل". (١)

لذلك جاءت النصوص تلزم باتّباع الرسول، وجاء الأمر بطاعته - صلى الله عليه وسلم - معطوفا على طاعة الله تعالى: (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأخذوا فإن تولوا فإنّ الله لا يحب الكافرين) (٢)، (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأخذوا فإن توليتهم فاعلموا أنّما على رسولنا البُلبُغ المبين) (٣) (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنّما عليه ما حملّ وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلّا البُلبُغ المبين) (٤)، بل اعتبر المولى - عز وجل - طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من طاعته، حيث قال: (من يطع الرسول

= أحد الأشراف، ولي إمرة خراسان لعبدالمك بن مروان، وحدث عن ابن عمر. توفي سنة سبع وثمانين. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ٢٧٢/٤ رقم ٩٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة.

(١) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاکر ٥٣/٨ رقم ٤٦٨٣، وقال أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٢) سورة آل عمران، آية ٣٢ .

(٣) سورة المائدة، آية ٩٢ .

(٤) سورة النور، آية ٥٤ .

فقد أطلع الله ومن تولى فما أرسلتك عليهم حفيظا)(١).

لذا أمر سبحانه بالتزام أمره ونهيه صلى الله عليه وسلم (.... وما
ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله قديد
العقاب)(٢)، وهو ما فهمه الصحابة - رضوان الله عليهم - حق الفهم، فقد جاءت
امرأة "إلى ابن مسعود فقالت: أُنبئت أنك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم. فقالت:
أشياء تجده في كتاب الله، أم سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال:
أجده في كتاب الله وعن رسول الله، فقالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي
المصحف، فما وجدت فيه الذي تقول! قال: فهل وجدت فيه (ما ءاتاكم الرسول
فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا)؟ قالت: نعم، قال: إنني سمعت رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - نهى عن النمامصة(٣)، والناشرة(٤)، والواصلة(٥)،

(١) سورة النساء، آية ٨٠ .

(٢) سورة الحشر، آية ٧ .

(٣) النمامصة: التي تنتف الشعر من وجهها. والمتنمصة: التي تأمر من يفعل بها

ذلك. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١١٩/٥ .

(٤) الناشرة : والوارد في نصوص أخرى "الواشرة": المرأة التي تحدد أسنانها

وترقق أطرافها، تفعله المرأة الكبيرة تتشبه بالشواب. النهاية في غريب

الحديث لابن الأثير ١٨٨/٥ .

(٥) الواصلة: التي تمل شعرها بشعر آخر زورا. والمستوصلة: التي تأمر من يفعل

بها ذلك. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٩٢/٥ .

والواشمة (١) إلا من داء، قالت المرأة: فلعلّه في بعض نساءك؟ قال لها: ادخلي، فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأسا. قال: ما حفظت إذن وصية العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهتكم عنه) (٢). (٣)

بل اعتبر سبحانه وتعالى محكّ الإيمان الوقوف عند حكمه ملى الله عليه وسلم، وخلوّ النفس من أي حرج، والرّضا بما حكم به وأمر: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلوا تعليما). (٤)

وأنّ المرجع في حسم الأمور، وتبيّن الصحيح من الخطأ عند الاختلاف هو الله ورسوله (يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا). (٥)

كما أنّ عدم الانضباط بكتاب الله وسنة رسوله محض الانحراف عن الصراط

(١) الوشم: أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزق أثره أو يخضر. وقد وشمّت تشم وشمّا فهي واشمة. والمستوشمة والموتشمة: التي يفعل بها ذلك. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٨٩/٥ .

(٢) سورة هود، آية ٨٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاکر ٢١/٦ رقم ٣٩٤٥، وقال أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٤) سورة النساء ، آية ٦٥ .

(٥) سورة النساء ، آية ٥٩ .

المستقيّم، ومدعاة للخسارة والبوار، (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)(١)، فأمر تعالى بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في آيات عديدة "في نحو أربعين موضعاً"(٢) بما لا يدع مجالاً لمرتاب أو متردد، وإن كان العقل السليم ليوجب ذلك من وجوه عدة:

١ - صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم - هو أعلم الناس برسالة ربه .

٢ - وأكثر الناس التزاماً بمضمونها، وأوقفها عند حدودها .

٣ - تتوقف وظيفته ورسالته في التبليغ، فما قيمة التبليغ إن لم يقترن

بالسمع والطاعة .

٤ - إذا كان عموم الناس لا يملكون القدرة على التفرغ للعلم والتعلم فهم

بحاجة إلى من يعلمهم، وما قيمة المعلم إن لم تتوفر الطاعة لدى المتعلم، ومن

هذا المنطلق أمرنا سبحانه بسؤال أهل الذكر (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً

نوحى إليهم فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٣)، فما قيمة السؤال إن لم

يستتبع استماع الجواب والطاعة، وإذا كان هذا شأن عموم أهل العلم مع

المتعلمين فما بالك بالنبي الكريم صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

وقد وصفت الآيات القرآنية السنة بالحكمة، حيث قال تعالى مخاطباً أمهات

المؤمنين رضي الله عنهن: (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة

إنّ الله كان لطيفاً خبيراً)(٤)، فقد خوطبن بأن "اعملن بما ينزل الله على

(١) سورة النساء، آية ١٤ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨٢/١٩ .

(٣) سورة النحل، آية ٤٢ .

(٤) سورة الأحزاب، آية ٣٤ .

رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد" (١)، وامتن عليهن بأن جعلهن "في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، وهي السنة". (٢)

"والحكمة هي السنة، لأن الذي كان يتلى في بيوت أزواجه - رضي الله عنهن - سوى القرآن هو سنته صلى الله عليه وسلم" (٣)، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "إني أوتيت الكتاب وما يعدله، يوشك شبعان على أريكته أن يقول: بيني وبينكم هذا الكتاب، فما كان فيه من حلال أظنناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، إلا وإنه ليس كذلك". (٤)

وقد قرن تعالى في كتابه العزيز في مواطن كثيرة الحكمة بالكتاب، (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) (٥)، (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (٦).

"عن الحسن في قوله: (ويعلمهم الكتب والحكمة) قال: الكتاب: القرآن،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١١/٦ .

(٢) المرجع السابق ٤١٢/٦ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٦٦/٣ .

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٨٩/١ رقم ١٢ قال المحقق: إسناده قوي.

(٥) سورة البقرة، آية ١٥١ .

(٦) سورة آل عمران، آية ١٦٤ .

والحكمة: السنة" (١)، بل عبّر سبحانه وتعالى عن الحكمة بالتنزيل كما يعبر عن القرآن الكريم وذلك في قوله: (... واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أنّ الله بكل شيء عليم) (٢) و"عن حسان قال: كان جبريل ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن" (٣)، وهو مصداق قوله تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى). (٤)
"ولا يختلف الكتاب والرسول البتة، كما لا يخالف الكتاب بعضه بعضاً، قال تعالى: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٥)". (٦)

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تأليف الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت ٤١٨هـ) ١/٧١ رقم ٧٠، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة للطباعة والنشر .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣١ .

(٣) رواه الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) في كتاب السنن ١٤٥، طبعة دار الدعوة - تركيا.

وقال د. أحمد سعد حمدان في تحقيقه لأصول الاعتقاد للإمام اللالكائي ١/٨٤

بعد أن أورد الرواية ونسبها للدارمي: رجاله ثقات.

(٤) سورة النجم، آية ٤ .

(٥) سورة النساء، آية ٨٢ .

(٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/٨٤ .

فاتباعه - صلى الله عليه وسلم - أساس الخير والفلاح، "عن أبي موسى (١)
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل
رجل أتى قوما فقال: رأيت الجيش بعيني، وإنّي أنا النذير العريان (٢)،
فالنّجاء النّجاء، فأطاعته طائفة، فأدلجوا (٣) على مهلم فنجوا، وكذبت طائفة
فصّبّهم الجيش فاجتاحهم (٤)". (٥)

(١) أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم بن حزار بن حرب، الإمام
الكبير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، التميمي الفقيه المقرئ،
أقرأ أهل البصرة، وفقهم في الدين. استعمله النبي - صلى الله عليه وسلم -
- ومعاذا على زبيد وعدن، وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمارة البصرة. أسلم
بمكة وهاجر إلى الحبشة، وأول مشاهده خيبر، ومات سنة اثنتين وأربعين.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٠ رقم ٨٢ .

(٢) النذير العريان: الأمل فيه أن رجلا عاقلا لا يتّهم في عقله سلب متاعه
ولباسه من قبيل العدو، فذهب بحالته وأنذر قومه العدو، فلما رأوه عريانا
صدقوه. وقد ضربه - صلى الله عليه وسلم - للتقريب، لما جاء به من
الخوارق والمعجزات. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠٢/٢٤ .

(٣) أدلجوا : أي ساروا أول الليل أو ساروا الليل كله. فتح الباري ١٠٦/٢٤ .

(٤) اجتاحهم : أي استأصلهم. فتح الباري ١٠٨/٢٤ .

(٥) صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري ١٠٦/٢٤ .

★ الضابط الثالث : اللغة العربية :

أنزل الله تعالى كتابه بلسان العرب، وبعث رسوله إلى قومه يخاطبهم بلغتهم التي يفهمون (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم)(١).

ولا شك أنه - صلى الله عليه وسلم - كان من العرب، وقومه عرب، ولغة القرآن إنما هي اللغة العربية "فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: (إننا أنزلناه قرءانا عربيا)(٢)، وقال: (بلسان عربي مبين)(٣)، وقال: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)(٤)، وقال: (ولو جعلناه قرءانا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي؟)(٥) إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي ولسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة".(٦)

(١) سورة إبراهيم، آية ٤ .

(٢) سورة يوسف، آية ٢ : (إننا أنزلناه قرءانا عربيا لعلمكم تعقلون).

(٣) سورة الشعراء، آية ١٩٥ .

(٤) سورة النحل، آية ١٠٣ : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان

الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين).

(٥) سورة فصلت، آية ٤٤ : (ولو جعلناه قرءانا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته

أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم

وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد).

(٦) الموافقات للشاطبي ٦٤/٢ .

وقد أنزل المولى عز وجل هذه الرسالة بلسان العرب، وبمعهود العرب، فقد كانوا أمة أمّية لا علم لها بعلوم الأقدمين، (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلّ مبين)(١)، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - أمّيا كقومه (يأيلها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لاله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النَّبىِّ الأمىِّ الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون). (٢)

وهذه الرسالة الخاتمة إقامة للحجة على من أنزل عليهم، فقد نزل وفق ما عهدوه ووفق ما كانوا عليه، فلا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب وفق ما تعارفوا عليه في لسانهم وأعرافهم، ولا يصح العدول عنه في فهم النصوص، فمن حيث اللسان وردت كلمة فطر في آيات عديدة، يقول ابن عباس - وهو من هو في المكانة العلمية بين الصحابة، حبر الأمة وترجمان القرآن، يقول: - "كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها". (٣)

أما من حيث ما تعارفوا عليه، فقد قال تعالى: (فإذا قضيتم منسككم فاذكروا الله كذكركم ءاباءكم أو أشدّ نكرا فمن الناس من يقول ربّنا ءاتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق)(٤)، "عن ابن عباس: كان أهل الجاهلية

(١) سورة الجمعة، آية ٢ .

(٢) سورة الأعراف، آية ١٥٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥١٩/٦ .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٠٠ .

يقفون في الموسم، فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات(١)، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم: (فانذكروا الله كذكركم *آباءكم أو أشد ذكرا). (٢)

وقد يتضح الأمران في حادثة واحدة، "قال عروة(٣): سألت عائشة - رضي الله عنها - فقلت لها: رأيت قول الله تعالى: (إِنَّ الْمَافَا وَالْمَرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)(٤)، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطَّوَّفَ بالمفا والمروة. قالت عائشة: بعثت ماقلت يا ابن أخي: إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة(٥) الطاغية التي كانوا

(١) الحَمَالَة بالفتح: ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة، مثل أن يقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليملح ذات البين. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٤٢/١ .

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٢٥٥/١ .

(٣) عروة بن الزبير بن العوام حوارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن عمته صفية. أمه أسماء بنت أبي بكر، ولد سنة ثلاث وعشرين، وقيل إنه مات سنة تسعين، وقيل ثلاث وتسعين، وقيل أربع وتسعين، وقيل خمس وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢١/٤ رقم ١٦٨ .

(٤) سورة البقرة، آية ١٥٨ .

(٥) مَنَاة : بفتح الميم والنون الخفيفة: صنم كان في الجاهلية. فتح الباري

. ٢٩٨/٧

والطاغية صفة إسلامية لها.

يعبدونها بِالْمُشَلَّلِ (١)، فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفاء والمروة. فلمّا أسلموا سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إننا كنّا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله) الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما". (٢)

ولا شك أن الجيل الذي تربى على مائدة القرآن، وتشكّلت سلوكيّاته وتصوراته واعتقاده، وانصفت معاملاته وتشريعاته، وهم الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من القرون الفاضلة، كان القدر الذي يحملونه من لغتهم العربية الفصحى كافيا لاستفادتهم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن كتاب هداية، والرسول - صلى الله عليه وسلم - إنّما بعث هاديا للبشرية الضالة، وعليه يجب "أن يكون الاعتناء بالمعاني المبيّثة في الخطاب هو المقصود الأعظم" (٣)، "فاللفظ إنّما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد والمعنى المقصود" (٤)، دون تكلف وتنطع وصرف للجهد عن المقصد الرئيسي، ومن هذا المفهوم ما رواه "أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (وفاكهة وأبّا) (٥)، فقال بعضهم هكذا، وقال بعضهم هكذا،

(١) المُشَلَّلُ : بضم أوله وفتح المعجمة ولامين الأولى مفتوحة مثقلة، هي: الثنية

المشرفة على قديد. فتح الباري ٢٩٨/٧ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢٩٧/٧ .

(٣،٤) الموافقات للإمام الشاطبي ٨٧/٢ .

(٥) سورة عبس، آية ٣١ .

فقال عمر: دعونا من هذا، آمنا به كل من عند ربنا" (١)، وفي رواية أخرى قال عمر: "نهينا عن التكلف". (٢)

وهذا إذا لم يكن لفهم اللفظ الواحد أثر على المعنى الإجمالي، أما إذا كان فهم اللفظ الإفرادي يتوقف عليه الفهم التركيبي لم يكن تكلفاً، بل هو مضطر إليه؛ كما روي عن عمر نفسه في قوله تعالى: (أو يأخذهم على تخوف) (٣) فإنه سأل عنه على المنبر، فقال له رجل من هذيل: التَّخَوَّفُ عندنا: النَّقْمُ، ثم أنشده:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعِ السَّفْنَ

فقال عمر: أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم؛ فإن فيه تفسير كتابكم"؟ (٤)

فالعربية أداة فهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد وقع فيه - أي في

(١) المستدرك على المحيحين للحاكم ٢/٢٩٠، وقال: صحيح الإسناد على شرط

الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٨/٣٠ .

وانظر: جامع الأصول لابن الأثير ٢/٤٢٣ رقم ٨٢١ .

(٣) سورة النحل، آية ٤٧ .

(٤) الموافقات للشاطبي ٢/٨٧ .

وقال الشيخ عبدالله دراز في الحاشية ٢/٨٨ :

التامك: السنام. والقرد: الذي تجعد شعره فكان كأنه وقاية للسنام.

والنبع: شجر اللقي والسهام. والسفن: كل ما ينحت به غيره.

فهم اللغة - فريقان بين تفريط وإفراط، "فالذين أخذوه على التفريط قَصَّروا في فهم اللسان الذي جاء به، وهو العربية، فما قاموا في تفهم معانيه ولا قعدوا" (١) كالباطنية وغيرها، حيث "حاولوا حمله على معان لاتعرفها العرب". (٢)

والذين أخذوه على الإفراط أيضا قَصَّروا في فهم معانيه من جهة أخرى" (٣)، حيث صرفوا جهدهم في العناية بالألفاظ والتدقيقات والجمل والتركيبات، وانصرفوا عن المعاني التي تؤديها هذه الألفاظ، وهي المطلوب شرعا، وذلك لتفهم المعنى ثم التعبد بمقتضاه، "وذلك أنه إعدار وإنذار، وتبشير وتحذير، وَرَدُّ إلى الصراط المستقيم، فكم بين من فهم معناه ورأى أنه مقصود العبارة فداخه من خوف الوعيد ورجاء الموعد ما صار به مشمرا عن ساعد الجد والاجتهاد، بادل غاية الطاقة في الموافقات، هاربا بالكلية عن المخالفات، وبين من أخذ في تحسين الإيراد والاشتغال بمأخذ العبارة ومدارجها، ولم اختلفت مع مرادفتها مع أنّ المعنى واحد، وتفريع التجنيس ومحاسن الألفاظ، والمعنى المقصود في الخطاب بمعزل عن النظر فيه؟ !!!

كل عاقل يعلم أنّ مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، بل التفقه في

المعبر عنه وما المراد به". (٤)

(١) الموافقات للشاطبي ٤٠٩/٢ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) حاشية الموافقات للشيخ عبدالله دراز ٤٠٩/٣ .

(٤) الموافقات للشاطبي ٤١٠/٣ .

الفصل الثاني

مظاهر الوسطية

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : مظاهر الوسطية في الجانب العقدي .
- المبحث الثاني : مظاهر الوسطية في الجانب العبادي "الشعائري".
- المبحث الثالث : مظاهر الوسطية في الجانب التشريعي.
- المبحث الرابع : مظاهر الوسطية في الجانب الأخلاقي .

- تمهيد :

في ضوء ما تم التوصل إليه، في الفصل الأول، المبحث الأول من تعريف اصطلاحي لمفهوم الوسطية، يتحدد ما نحن بصدده الحديث عنه في هذا الفصل.

ومن منطلق ذلك التعريف نقرر في هذا الفصل أنّ مظاهر الوسطية التي نريد أن نجليها ونبيّننها، إنّما هي مظاهر سمو الإسلام وعدالته وخيريته في جميع جوانبه، سواء في الجانب العقدي، أو الجانب التشريعي، أو الجانب العبادي الشعائري، أو الجانب الأخلاقي، فيكون عرض الإسلام في تلك الجوانب كما بيّنتها نصوص الكتاب والسنة هي الممثلة للوسطية في الجانب المنهجي.

فالوسطية الإسلامية وإن كانت صفة للأمة، إلا أن الأمة لم تكتسب هذه الصفة إلا من سيرها على الصراط المستقيم، وهذا يعني أنّ ارتباط الأمة بالإسلام منهاجها هو الذي أكسبها صفة الوسطية، ممّا يعني أنّ هذه الوسطية نابعة أصلاً من المنهج الذي هو الإسلام، فيكون عرض وتوضيح تحقق العدالة والخيرية بين الأفراد والمجتمعات التي تنعم بالحياة في ظل مبادئ الإسلام وقيمه، هو العرض الحقيقي لمظاهر الوسطية، وإن كانت هناك كثير من مظاهر الخيرية قد تغيب عن الفكر البشري بسبب النقص البشري الطبيعي، فكثير من المظاهر التي قد لا يرى فيها العقل البشري الخير قد يكون فيها الخير الكثير، فيبقى أن ننوّه أنّ الخير والعدل في الإسلام بمنهجه الكامل في جميع جوانبه، سواء وصل العقل البشري إلى معرفة كل جوانب الخيرية والعدالة أم لم يصل، (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). (١)

(١) سورة البقرة، آية ٢١٦، وانظر: سورة البقرة آية ٢٢٠، سورة النساء، آية

وحرصا على إظهار هذا الفصل بصورته الكاملة، مع مراعاة كِبَر حجمه، لذا

كان البحث في هذا الفصل بالصورة التالية"

١ - المبحث الأول: مظاهر الوسطية في الجانب العقدي:

وتم فيه بحث أهم وأخطر القضايا العقدية التي كان لها الأثر المباشر

والقوي في حياة الأمة، وخطورة الانحراف فيها أملا وأثرا في حياة الأمة.

٢ - المبحث الثاني : مظاهر الوسطية في الجانب العبادي "الشعائري":

وتم فيه تجلية مظاهر الوسطية في الشعائر التعبدية وأركان الإسلام الكبرى:

الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

٣ - المبحث الثالث : مظاهر الوسطية في الجانب التشريعي:

وتم اختيار جانب الحدود - الخمر، السرقة، القذف، الزنا - من العقوبات،

لبحث مظاهر الوسطية، لكثرة ما يدور حوله من حديث، تجلية له وإظهارا للعدالة

والخيرية فيه.

٤ - المبحث الرابع : مظاهر الوسطية في الجانب الأخلاقي :

وتم فيه عرض مظاهر العدالة والخيرية في الإسلام في جانبه الأخلاقي، وشمول

نظرة الإسلام فيه، وعمق تناوله وعدالته ودقته.

المبحث الأول : الجانب العقدي

سيكون - بإذن الله - محور هذا المبحث المتعلق بالجانب العقدي في الإسلام،

وإبرازا لمظاهر الوسطية حول المواضيع التالية :

المطلب الأول : الأسماء والمفاتيح .

المطلب الثاني : القضاء والقدر .

أولا : ما يتعلق بالجبر والاختيار .

ثانيا : ما يتعلق بقانون السببية وطلاقة المشيئة الإلهية .

المطلب الثالث : الدنيا والآخرة .

المطلب الرابع : الكفر والإيمان .

المطلب الأول : الأسماء والمفاتيح :

إنَّ معرفة الإنسان مصدر إيجاده وخلقه - أي الإيمان بالله الواحد الأحد - خطيرة غاية الخطورة على حياة الإنسان دنيا وآخرة، لذا فطر الله تعالى الناس على الإيمان به، وأشهدهم على ذلك (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أتست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إننا كنا عن هذا غفلين). (١)

وسلوك الإنسان تعبير صادق لما يحمل من أفكار ومفاهيم ومعارف، ومن أكثر هذه الأفكار أثرا هو معرفة الخالق وما يتعلق به، لذا وجدنا مجازر رهيبه ارتكبت ومآسي نزلت على البشرية بسبب الإلحاد والشرك بالله، وتحتّم أن من أظلم الظلم وأبطل الباطل وأضل الأمور وأشقاما على البشرية الإشراك بالله العظيم، (وإذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يبنّي لا تترك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم). (٢)

لذا أوجد تعالى - زيادة على خلقه في أصل فطرة البشر الإيمان به - فيهم طاقة ذهنية مفكّرة تستطيع أن تجول وتصل في الآفاق متأملة آثار خلقه سبحانه وبديع صنعه، فحث سبحانه وأمر خلقه بالتدبير والتفكير في ملكوته، قال تعالى: (إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) (٣)، (إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها

(١) سورة الاعراف، آية ١٧٢ .

(٢) سورة لقمان، آية ١٣ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٩٠ .

وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون(١)، (وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون)(٢)، (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب)(٣)، (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا مضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)(٤)، (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد). (٥)

وهذه المعرفة الفطرية المغروسة في أصل نشأة الإنسان، وهذه الطاقة الذهنية المتأملة لبديع صنع الخالق تهديان الإنسان إلى الله جل جلاله، ولكن إلى حد معين، لا يكون بالإمكان تجاوزه، وتبقى المعرفة الحقيقية المفصلة عن الخالق سبحانه وتعالى، أسمائه وصفاته، مما لا يستطيع العقل البشري المحدود بحدود الزمان والمكان التوصل إليها، ولا طريق لهذه المعرفة إلا عن طريقه جل في علاه، فيما أوحاه إلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإذا اعتمد الإنسان في ذلك على عقله المحدود ضل وانحرف، لذلك حفلت الآيات القرآنية

(١) سورة البقرة، آية ١٦٤ .

(٢) سورة الذاريات، آية ٢٠، ٢١ .

(٣) سورة الطارق، آية ٥-٧ .

(٤) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٤ .

(٥) سورة فصلت، آية ٥٣ .

والأحاديث النبوية بذكر أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى، فهو علم إلهي ومعرفة ربانية، تتعمق في نفوس المؤمنين، وتستثير مشاعرهم بحرارة، وتستقر في أعماق قلوبهم، وتمتزج بكيانهم، وتحرك جوارحهم وفق ما توحيه وتحمله من معان، فيتحول الإنسان مخلوقا ربانيا في سلوكه، عامرا الأرض بالخير والصلاح، وليست هي معرفة باردة وعرضا جدليا فلسفيا فارغا عديم الفائدة لا يتجاوز العقول، ولا يحرك القلوب والجوارح؛ بل هو عرض عقدي يهدي البشرية للعمل والارتقاء والسمو. معرفة الله تعالى معرفة دفاقة مفعمة بالحياة، تسكب الراحة والطمأنينة في القلب، وتعطي العمر بركة فيما تجلب عليه من الصالحات، تنقل العبد إلى آفاق الإيمان السامق وأجوائه الرحيمة، بذكر أوصافه ومناجاته ودعائه: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)(١)، (الله لا اله إلا هو له الأسماء الحسنى). (٢)

ومنهج الإسلام في الأسماء والمفاتيح يتلخص في الآتي :

١ - الخالق ليس كمثله شيء من المخلوق :

"عن أبي بن كعب: إنَّ المشركين قالوا: يا محمد! انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل: (قل هو الله أحد . الله الممد)(٣). قال: الممد: الذي (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)(٤)، لأنه ليس شيء يولد إلاَّ سيموت، وليس شيء يموت إلاَّ سيورث، وإنَّ الله تبارك وتعالى لا يموت ولا يورث، (ولم يكن له كفوا أحد):

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٠ .

(٢) سورة طه آية ٨ .

(٣) سورة الإخلاص، آية ٢،١ .

(٤) سورة الإخلاص، آية ٤،٣ .

لم يكن له شبهه ولا عدل، وليس كمثلته شيء". (١).

وقال تعالى: (ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير). (٢)

فليس له سبحانه وتعالى مثل لا في ذاته ولا في صفاته. (٣)

٢ - الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صلى

الله عليه وسلم، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله (أنتم أعلم أم

(١) الجامع لشعب الإيمان، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)

تحقيق: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد ٢٧٦/١ رقم ١٠٠، قال المحقق إسناده

حسن. الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية - بومباي، الهند .

(٢) سورة الشورى، آية ١١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢/٢٥، تفسير ابن كثير ١٨٢/٧ .

وانظر: محاسن التأويل (المعروف بتفسير القاسمي)، للعلامة الشيخ محمد

جمال الدين القاسمي (١٢٨٣-١٣٣٢هـ) ٥٢٢٥/١٤، تصحيح وتخريج وتعليق: محمد

فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، دار إحياء الكتب العربية

- عيسى البابي الحلبي وشركاه .

وزاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن

ابن علي بن محمد بن الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨-٥٩٧هـ) ٢٧٦/٧، الطبعة

الأولى، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، المكتب الإسلامي.

وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المشهور بتفسير أبي

السعود)، لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد القمادي (ت ٩٥١هـ)

٢٥/٨، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

الله(١)، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلاّ وحى يوحى)(٢). (٣)
ولا طريق آخر للمعرفة في هذا الباب .

٣ - الإيمان والإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز"(٤)، ولكن دون تكييف شيء منها؛ لأن "معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فسبحان من لا يستطيع غيره أن يحصي الثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما)(٥)"(٦)، فهو سبحانه أحاط بكل شيء علما، وهم - أي الخلق - (لا يحيطون به علما) "أي بالله سبحانه، لا تحيط علومهم بذاته ولا بصفاته، ولا بمعلوماته". (٧)

(١) سورة البقرة، آية ١٤٠ .

(٢) سورة النجم، آية ٤،٣ .

(٣) أضواء البيان ٢/٣٠٤ .

(٤) تفسير القاسمي، (محاسن التأويل) ١٤/٥٢٢٧، من كلام للحافظ ابن عبدالبر.

(٥) سورة طه، آية ١١٠ .

(٦) أضواء البيان للشنقيطي ٢/٣٢٠ .

(٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للقاضي

الحافظ محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الصنعاني (ت ١٢٥٠هـ)

٣/٣٨٧، الطبعة الأولى ١٢٥٠هـ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،

الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

وانظر: تفسير القرطبي ١١/٢٤٨، وتفسير الطبري ١٦/٢١٥، وتفسير أبي السعود

فيكون الإيمان "بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف وتمثيل". (١)

والنصوص الشرعية تحمل الإنسان للتأمل ومشاهدة آثار الخلق وفعل الله تعالى بأسمائه وصفاته بين مخلوقاته، وذكره ودعائه وتوقفه على هذه الأسماء والمفاتيح لحفظها والدعاء بها والتضرع بين يديه سبحانه، وفهمها والعمل بمقتضاها باعتبار معانيها. (٢)

"عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنَّه وتر يجب الوتر". (٣)

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٣٧٣ .

(٢) انظر: فتح الباري ٢٤/٢٦٥، وشرح مسلم للنووي ٥/١٧ .

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ٥/١٧ .

وللوقوف على ما قيل في هذه الأسماء انظر: فتح الباري ٢٣/٢٥١-٢٦٨.

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب أصحاب الحديث للبيهقي،

تحقيق أحمد عصام الكاتب ص٤٩-٩٣، الطبعة الأولى.

والمستدرك على المحيحين للحاكم ٤/١.

والمطَّلَّ لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ١/٢٩، ٣٠،

المسائل ٥٤، ٥٥، ٥٦، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق

الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان.

وسنن الترمذي مع تحفة الأحوذى للمباركفوري، تحقيق عبدالرحمن محمد

عثمان ٩/٤٨٢-٤٩٠، نشر المكتبة السلفية - المدينة المنورة. =

وحصل انحراف في هذا المجال، وبدل أن تصرف الجهود والطاقات إلى تأمل آثار أسماء الله وصفاته في خلقه ومعايشتها، والتفاعل معها، والتأثر بها في السلوك والعمل، والتضرع بها بين يدي المولى عز وجل ودعاؤه والتقرب إليه بها، صرفت الجهود نحو منحى آخر، عطلت الإنتفاع بها، وحرمت الكثيرين من التعايش الرحب في كنف رحمة الله بأسمائه وصفاته، وتناولت أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا، تناولوا منحرفا عن منهج العقيدة التي تستثير النفوس وتحرك الوجدان نحو الانطلاق السليم في الحياة، إلى تناول عقلي فلسفي جامد، فاضطربت فيما توصلت إليه بين معطل لهذه الأسماء والمفاتيح، حتى أصبحت حقيقة الإله عندهم أمرا مجردا في الذهن لا أثر لها في الحياة، فأخذوا في تأويل الأسماء والمفاتيح إلى أن جردوها من حقيقة ما تحمل من معان، فقالوا بأن "الرحمة رقة تعتري طبيعة الحيوان، والمحبة ميل النفس لجلب ما ينفعها، والغضب غليان دم القلب طلبا للانتقام، والفرح انبساط دم القلب لورود ما يسره

= وسنن الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني : ابن ماجه

(٢٠٧-٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ١٢٦٩/٢ رقم ٣٨٦١، دار الفكر

للطباعة والنشر.

وضعيف سنن ابن ماجه للشيخ محمد ناصر الألباني ص٣١١، رقم ٨٤٢، الطبعة

الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م المكتب الإسلامي، نشر مكتب التربية لدول الخليج.

والجامع لشعب الإيمان للإمام البيهقي ٢٧٢/١، رقم ١٠١، وأيضا

. ٢٢٩-٢٨٢/١

عليه" (١)، ففاسوا الخالق بالمخلوق - وهو قياس باطل - فلما تعذر التوفيق عندهم، وهجم عليهم هاجس التجسيم نفوا حقيقة الصفات وأولوها. (٢)
وحصل في الطرف المعاكس لهذا الانحراف انحراف آخر، وهو الإثبات للأسماء والصفات إلى درجة التشبيهِهِ والتمثيل والتجسيم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (٣)

وانحرف قوم آخرون بأن وصفوا الله - عز وجل - بما لم يصف به نفسه، ولم يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لمجرد أن عقولهم لم تستنكر ذلك. (٤)
فانحرف القوم عن جادة الصواب، وحرّموا من الحياة في ظل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وتعظيم الخالق وتنزيهه بها، ومن ظهور آشارها في حياتهم.

(١) الصواعق المرسلّة على الجهميّة والمعطلّة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر أيوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزية ٢٢٢/١، تحقيق وتخريج: الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، النشرة الأولى ١٤٠٨هـ دار العاصمة - الرياض.

(٢) المصدر السابق ٢٢٨/١، وانظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠/٥، ٣١-٤٥.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام أبي محمد علي بن أحمد، المعروف بابن حزم الظاهري. ٢٧٧/٢، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم نصر، الدكتور عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. دار عكاظ للنشر.

ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/٥، ٥٦-٥١/٦.

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٥/٥.

أمّا الإسلام بمنهج الوسط العادل، فقد عرض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا في صورة تولّد في قلب المؤمن إيماناً بالله متّصف بصفات الكمال والجلال، منزّه عن التشبيه والتمثيل، ودفعت الآيات المؤمن للتأمل واستشعار آثار هذه الأسماء والصفات في الخلق، ومعايشتها والتفاعل معها تفاعلاً يخلق في القلب الرضا والطمأنينة، بالحياة في كنف إله متّصف بكل مواصفات الكمال، بحيث يستشعر المؤمن بمعرفته بأسماء خالقه وصفاته كل المعاني الصالحة، ويتضمن من كل المواصفات غير الصالحة، ولنتناول الآن بعض الأسماء والصفات وفق منهج الإسلام الوسط، وذلك للتوضيح :

أولاً : الرحمة :

فمن أسمائه سبحانه وتعالى: الرحمن، الرحيم. قال تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم)(١).

والرحمن مشتق من الرحمة مبني على المبالغة، على وزن فعلان، يقال لشديد الامتلاء ملآن، ولشديد الشبع شبعان، فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر والمالح والطالح.

أمّا الرحيم فعلى وزن فعيل بمعنى فاعل، أي: راحم، وبناءً فعيل أيضاً للمبالغة، كعالم وعليم، وقادر وقدير، وهو خاص بالمؤمنين (وكان بالمؤمنين رحيماً)(٢). (٣)

(١) سورة الفاتحة، آية ١.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٤٣ .

(٣) انظر: الأسماء والصفات للحافظ أبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي (ت =

وآثار رحمة الله في الخلق أكثر من أن تعدّ أو تحصى (وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم)(١).

فهو سبحانه برحمته ينزل الغيث، وينبت الزرع، (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد). (٢)

(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أماب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يمس الأرض بعد موتها إن ذلك لمرى الموتى وهو على كل شيء قدير). (٣)

والله سبحانه وتعالى يختص عباده الصالحين المحسنين برحمة خاصة لاينالها غيرهم (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنّه لا يحب المعتدين. ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين)(٤)، يجدونها في أضيّق الأوقات وأشد الظروف كما يجدونها في وقت الراحة والسعة، وجدها إبراهيم عليه الصلاة والسلام - في النار المحرقة، فكانت عليه بردا وسلاما (قالوا

= ٤٥٨هـ) ٩٦/١-٩٧ ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - دار الكتاب العربي - بيروت .

(١) سورة النحل، آية ١٨ .

(٢) سورة الشورى، آية ٢٨ .

(٣) سورة الروم، آية ٤٨-٥٠ .

(٤) سورة الأعراف، آية ٥٥-٥٦ .

حرقوه وانصروا الهتكم إن كنتم فعلين . قلنا يأنار كوني بردا وسلمًا على
إبراهيم). (١)

ووجدهما أيوب عليه الصلاة والسلام، وقد نزل به الضر (وأيوب إذ نادى ربه
أنسى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر
وأتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعبدین). (٢)

ووجدهما موسى ونوح ولوط - عليهم السلام - ومن معهم من المؤمنين:

(فلما تراء الجمعان قال اصعب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معي ربي
سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود
العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا
الآخرين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز
الرحيم). (٣) (قالوا لئن لم تنته يُنوح لتكونن من المرجومين . قال رب إن قومي
كذبون . فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين . فانجيتهم ومن
معه في الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقيين . إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم). (٤)

(قالوا لئن لم تنته يلووط لتكونن من المخرجين . قال إنسى لعمركم من
القالين . رب نجني وأهلي مما يعملون . فانجيتهم وأهله أجمعين . إلا عجوزا في

(١) سورة الأنبياء، آية ٦٨، ٦٩ .

(٢) سورة الأنبياء، آية ٨٣، ٨٤ .

(٣) سورة الشعراء، آية ٦١-٦٨ .

(٤) سورة الشعراء، آية ١١٦-١٢٢ .

الغُبورين . ثم دَمَرْنَا الْآخِرِينَ . وَامْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ). (١)

وطلبها أصحاب الكهف فوجدوها في الكهف، (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشداً) (٢)، (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا). (٣)

وكانت رحمة الله تعالى تحفه - صلى الله عليه وسلم - طوال حياته، رحمة منه تعالى وفضلا، وحفظا له من أعدائه في أشد الظروف، ونزلت عليه وهو في ضيق الغار مع صاحبه الصديق، والقوم يبحثون عنه ليقتلوه أويأسروه: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانياً اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم). (٤)

والله سبحانه وتعالى إذا مَنَّ بِرَحْمَتِهِ عَلَى أَحَدٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَإِذَا أَمْسَكَهَا عَنْ أَحَدٍ فَقَدْ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ:

(مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم). (٥)

(١) سورة الشعراء، آية ١٦٧-١٧٥ .

(٢) سورة الكهف، آية ١٠ .

(٣) سورة الكهف، آية ١٦ .

(٤) سورة التوبة، آية ٤٠ .

(٥) سورة فاطر، آية ٢ .

"ورحمة الله تتمثل في الممنوع تمثلها في الممنوح، ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال، وفي كل مكان ... يجدها في نفسه، وفي مشاعره؛ ويجدها فيما حوله، وحيثما كان، وكيفما كان، ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقده هو الحرمان ... ويفتقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حالة، وفي كل مكان، ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة الوجدان والرضوان! وما من نعمة - يمسك الله معها رحمته - حتى تنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة - تحفها رحمة الله - حتى تكون هي بذاتها نعمة .. ينام الإنسان على الشوك - مع رحمة الله - فإذا هي مهد، وينام على الحرير - وقد أمسكت عنه - فإذا هي شوك القتاد. ويعالج أعسر الأمور - برحمة الله - فإذا هي موادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور - وقد تخلت رحمة الله - فإذا هي مشقة وعسر. ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة ووبار!

ولا ضيق مع رحمة الله، إنما الضيق في إمساكها دون سواه لاضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجون، أو في جحيم العذاب، أو في شعاب الهلاك، ولا سعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم، وفي مراتع الرخاء". (١)

والذين يرجون هذه الرحمة يتوجهون إليه متضرعين (أمن هو قننت أناة الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب). (٢)

ولا يأس ولا قنوط من رحمة الله تعالى، قال تعالى:

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٩٢١/٥، الطبعة الشرعية التاسعة، دار الشروق.

(٢) سورة الزمر، آية ٩ .

(قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله

يفغر الذنوب جميعا إنّّه هو الغفور الرحيم). (١)

فالذي يستشعر آثار رحمة الله في خلقه، ويتعايش مع مظاهرها في واقع

الحياة، لاشك أنه يعيش ويحيا حياة مباركة، تغمرها السكينة والطمأنينة،

وتحفظها الرحمة من كل الجوانب، فأنعم بها من حياة، ويا حسرة على من حرموا

الحياة في هذا الكنف الرحب، بظلمهم أنفسهم، وانحرافهم عن الصراط المستقيم.

ثانيا : السمع والبصر (٢):

يقول تعالى: (إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانت إلى أهلها وإذا حكمتم بين

الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به إنّ الله كان سميعا

بصيرا). (٣)

وفي قصة خولة بنت ثعلبة (٤) وشكواها على زوجها أوس بن الصامت عند رسول

الله صلى الله عليه وسلم (٥) أنزل الله تعالى قوله: (قد سمع الله قول التي

(١) سورة الزمر، آية ٥٣ .

(٢) للوقوف على صفتي السمع والبصر وتنزيه الخالق عن مشابهة الخلق. انظر:

التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. للحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن

خزيمة (٢٢٢-٣١١هـ) ١٠٦/١، تحقيق: د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان،

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الرشد - الرياض.

(٣) سورة النساء، آية ٥٨ .

(٤) أنصارية، امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، نزل فيها وفي

زوجها صدر سورة المجادلة. أسد الغابة ٤٤٢/٥ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٦٠/٨ .

تجددك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير(١)
تقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه
الأموات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا في ناحية
البيت تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول. فأنزل الله: (قد سمع الله قول التي
تجددك في زوجها)."(٢)

فهو سبحانه سميع الدعاء من عباده يتقبل منهم: (إذ قالت امرأت عمران رب
إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم)(٣).
(فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا...)(٤).
(هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء
. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى صدقا
بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين). (٥)

عن أبي موسى قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر، فكنا
إذا علونا كبرنا فقال: "اربعوا(٦) على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائب،
تدعون سميعا بصيرا قريبا". ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لاحول ولا قوة إلا

(١) سورة المجادلة، آية ١ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، للألباني ٢٧/١ رقم ١٥٥، وقال: صحيح .

(٣) سورة آل عمران، آية ٢٥ .

(٤) سورة آل عمران، آية ٣٧ .

(٥) سورة آل عمران، آية ٢٨، ٢٩ .

(٦) اربعوا : بفتح الموحدة، أي: ارفقوا، بضم الفاء. فتح الباري ١٤٩/٢٨ .

بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس. قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنّها كنز من كنوز الجنة، أو قال: ألا أدلك ... به؟(١)

وملجأ الإنسان إذا أصابته نزغة من الشيطان هو الله فهو سبحانه سميع لاستعاذته (وإمّا ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إته سميع عليم)(٢)، وهو سبحانه كما يسمع دعاء عباده الصالحين يبصر أعمالهم ليجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون، (واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إنّ الله بما تعملون بصير)(٣)، (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فكاتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلّ والله بما تعملون بصير). (٤)

وهو سبحانه كذلك يسمع قول الأفاكين ليجزيهم على سوء قولهم: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق). (٥)

ويبصر تعالى سوء فعلهم وإلحاحهم: (إنّ الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خيراً أم من يأتى ءامنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم إته بما تعملون بصير). (٦)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١٤٩/٢٨ .

(٢) سورة الأعراف، آية ٢٠٠ .

(٣) سورة البقرة، آية ١١٠ .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٦٥ .

(٥) سورة آل عمران، آية ١٨١ .

(٦) سورة فصلت، آية ٤٠ .

فالله سبحانه وتعالى يسمع أقوال الصالحين من ذكر ودعاء ودعوة إلى معروف ونهي عن منكر، ويبصر أعمالهم وأفعالهم، وسيجزئهم بأحسن ما كانوا يعملون، ومن اختار السيء من القول والفعل فليعلم كذلك أن الله سميع بصير لا يغيب عند شيء في الأرض ولا في السماء في السر والعلن، (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى)(١)، (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإيّاكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهداً في سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)(٢)، (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب(٣) بالنهار). (٤)

كم الفارق بين الذين عايشوا هذه الصفة من صفات الخالق جل في علاه، فاستحضروا مراقبته الدائمة فاستقامت حياتهم ونمت بالخير والملاح، وبين من انحرفوا فجردوا الإله من حقيقة السمع وحقيقة البصر، وبين من انحرفوا كذلك بقولهم بأن السمع لا بد له من صماغ وأذن، والبصر من عين وحدقة وأشفار - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - فانصرفوا عن معايشة الأسماء والصفات بانشغالهم بوساوس الخيال والذهن البليد.

(١) سورة طه، آية ٧ .

(٢) سورة الممتحنة، آية ١ .

(٣) السارب : المسلك في خفية. النهاية في غريب الحديث ٢/٣٥٦، والمفردات

ص ٢٢٩ .

(٤) سورة الرعد، آية ١٠ .

المطلب الثاني : القضاء والقدر :

"القضاء: الحُكْم" (١)، "وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه، والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق. وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكلُّ ما أُحْكِمَ عمله أو أُتِمَّ أو خُتِمَ أو أُدِّيَ أداءً أو أُوجِبَ أو أُعْلِمَ أو أُنْفِدَ أو أُمِضِيَ فقد قُضِيَ". (٢)

أما القدر، فقال في اللسان: "القدير والقادر: من صفات الله عز وجل، يكون من القدرة، ويكونان من التقدير. وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣)؛ من القدرة، فالله عز وجل على كل شيء قدير، والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه". (٤)

والقضاء والقدر اصطلاح مركب، "والمراد بالقدرة التقدير، وبالقضاء الخلق، كقوله تعالى: (فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) (٥)، أي: خلقهن، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاء". (٦)

والقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الذي بدونه لا يكتمل الإيمان، بل لا يقوم.

(١) لسان العرب لابن منظور ١١١/٣ .

(٢) المصدر السابق ١١٢/٣ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢٠ .

(٤) لسان العرب، لابن منظور ٣٠/٣ .

(٥) سورة فصلت، آية ١٢ .

(٦) لسان العرب، لابن منظور ١١٢/٣ .

عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوقف عليهم، فقال: "إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم أنبياءهم واختلافهم عليهم، ولن يؤمن أحد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره". (١)

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره؛ حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطئه لم يكن ليصيبه". (٢)

والقدر من المواضيع الغيبية التي تخرج عن نطاق ومجال العقل البشري المحدود بحدود الزمان والمكان، فيبقى تصور الأمر على صورته الصحيحة هو التسليم الغيبي بالمخبر من قبل الشارع عز وجل، فهو من "الجانب الذي تتلقاه الكينونة الإنسانية لتدركه وتسلم به، وينتهي عملها فيه عند التسليم". (٣)

ويرتكز موضوع القضاء والقدر على عدة نقاط :

- ١ - علم الله تعالى السابق، وهو مدون مكتوب .
- ٢ - وقدرته التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء .
- ٣ - وإرادته سبحانه ومشيئته التي لا يخرج عليها شيء في الأرض ولا في السماء .

٤ - وظفه سبحانه لكل ما في الوجود .

٥ - وعدله سبحانه المطلق .

(١) رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢٠٢/٧ .

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٢٦/٢ رقم ١٧٤٣ وقال : صحيح .

(٣) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، من ١٣٦، الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ

* أما علم الله تعالى، فهو سبحانه علام الغيوب، لا يغيب عن علمه أمر في الأرض ولا في السماء، (قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله على كل شئ قدير)(١)، (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين . قالوا سبحنك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يأدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون). (٢)

فعلم سبحانه من الخلق ما هم عاملوه، بل شمل علمه ما لم يُعمل لو عمل كيف كان، (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون). (٣)
فقد علم سبحانه مسبقا كل ما سيكون، حتى أهل الجنة والنار قد علمهم سبحانه، "عن عمران بن حصين(٤)، قال: قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من

(١) سورة آل عمران، آية ٢٩ .

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠-٣٣ .

(٣) سورة الأنفال، آية ٢٢ .

(٤) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف. القدوة الإمام، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو نجيد الخزاعي، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت سنة سبع، ولي قضاء البصرة، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ينزل ببلاد قومه، ويتردد إلى المدينة، كان ممن اعتزل الفتنة، توفي سنة اثنتين وخمسين. سير أعلام النبلاء ٥٠٨/٢

أهل النار؟ قال: فقال: "نعم"، فقييل: فقيم يعمل العاملون؟ قال: "كل ميسر لما خلق له". (١)

وهذا العلم الإلهي الذي سبق الحدوث والوقوع سبَّه تعالى وكتبه، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَحْيُ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (٢)، وهو اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، وهو الذكر الذي كتب فيه كل شيء يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها، والإحاطة بعددها، وإثباتها فيه". (٣)

(ثم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). (٤)

عن ابن عباس، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لما خلق الله القلم قال له اكتب، فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة". (٥)

* والله تعالى يفعل ما يشاء، ولا يحدث في خلقه ما لا يشاؤه، (قل اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٩٨ .

(٢) سورة يس، آية ١٢ .

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن الشيخ أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، ص ٤٠، تصحيح: محمد بدر الدين أبو فراس الطيبي، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ - مكتبة الرياض الحديثة .

(٤) سورة الحج، آية ٧٠ .

(٥) رواه الطبراني، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٧/١٩٣ .

تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير(١)، (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا
شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً . إنَّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً . وما
تسامون إلا أن يشاء الله إنَّ الله كان عليماً حكيماً . يدخل من يشاء في رحمته
والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً). (٢)

فلا أحد يشاركه في مشيئته سبحانه، عن حذيفة - رضي الله عنه - عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا
ما شاء الله ثم شاء فلان". (٣)

والله تعالى فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل، (لَا يُسْئَلُ عما يفعل وهم
يُسْئَلُونَ)(٤)، (... قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل
من كُشفت ضره أو أرادني برحمة هل من ممسكت رحمته)(٥)، (من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد...)(٦).

(١) سورة آل عمران، آية ٢٦ . (٢) سورة الانسان، الآية ٢٨-٣١ .

(٣) سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي

(٢٠٢-٢٧٥هـ) ٢٥٩/٥، رقم ٤٩٨٠، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل

السيد. الطبعة الأولى ١٢٨٩هـ - ١٩٦٩م، نشر: محمد علي السيد - حمص.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز: رواه أبو داود بإسناد صحيح. مجموع

فتاوى ومقالات تأليف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز

٤٥/١، إشراف د. محمد بن سعد الشويعر، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٤) سورة الأنبياء، آية ٢٣ .

(٥) سورة الزمر، آية ٢٨ .

(٦) سورة الاسراء، آية ١٨ .

* وهو سبحانه خالق كل شيء :

(الله خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) (١)، (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحن الله وتعالى عما يشركون) (٢)، (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (٣)، (الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا). (٤)

وعن حذيفة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "خلق الله كل مانع وصنعه". (٥)

* والله تعالى الذي قدر المقادير بمشيئته وإرادته، وخلقها، إنما كان يعدله سبحانه، فلا ظلم عنده، بل عدل مطلق، "ياعبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...". (٦)

والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بمشيئته حرّا يجني كسب يده، (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلم للعبيد) (٧)، بل الله تعالى يضاعف للعبد

(١) سورة الزمر، آية ٦٢ .

(٢) سورة القصص، آية ٦٨ .

(٣) سورة القمر، آية ٤٩ .

(٤) سورة الفرقان، آية ٢ .

(٥) رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير أحمد بن عبدالله أبو الحسين بن

الكردي، وهو ثقة. مجمع الزوائد ٢٠٠٧/٧ .

(٦) صحيح مسلم ١٩٩٤/٣ رقم ٥٥، طبعة دار الدعوة - تركيا.

(٧) سورة الأنفال، آية ٥١ .

الأجر مقابل الحسنه الواحدة، ولا يعاقبه على السيئة إلاّ بمثلها دون زيادة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها وهم لا يظلمون). (١)

بل عبر تعالى عن الجانب السيء بالاكتساب، والجانب الحسن بالكسب، (لا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت...)(٢)، "والاكتساب افتعال، وهو يستدعي اهتماما وتعملا واجتهادا، وأما الكسب فيصح نسبه بأدنى شيء، ففي جانب الفضل جعلها لها ما لها فيه أذنى سعي، وفي جانب العدل لم يجعل عليها إلاّ ما لها فيه اجتهاد وامتثال". (٣)

والله سبحانه وتعالى بعدله لا يعذب إلاّ من لا يليق به إلاّ العذاب، "عن سعيد ابن جبير قال: قالت بنو إسرائيل: يا موسى يخلق ربك عز وجل خلقا ثم يعذبهم؟ فأوحى الله إليه أن ازرع فزرع، ثم قال: احصد، فحمد، ثم قال: دره، فدراه، فاجتمع القماش، فقال: لأي شيء يصلح هذا؟ قال: للنار، قال: فكذلك لا أعذب من خلقي إلاّ من استأهل النار". (٤)

يبقى أن يتضح في الأمر قضيتان :

• ما يتعلق بالجبر والاختيار .

• ما يتعلق بالتوكل واتخاذ الأسباب .

(١) سورة الاعراف، آية ١٦٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .

(٣) شفاء العليل ، لابن القيم ص ١٢٠ .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢٠٤/٧ .

أولاً : ما يتعلق بالجبر والاختيار

ينقسم أمر الله تعالى إلى قسمين : كوني، وشرعي .

١ - الأمر الكوني القدري الجبري :

وهذا يقع على الإنسان جبراً لا اختيار له فيه، قال تعالى: (بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون)(١)، "أي: إذا قدر أمراً وأرادته فإنه لابد أن ينفذ بمجرد قوله: كن".(٢)

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون).(٣)

"وخلق الخلائق ووقوع الأحداث بالأمر الكوني لا يتم آنفاً، وإنما يتم بقدر سابق، وجميعه معلوم لله أزلاً: كبيره وصغيره، سابقه ولاحقه، سواء في مجال الأشياء والإنسان، أو في مجال الطباع والأحداث"(٤)، وعلى ذلك تكون "الأفعال والأقذار التي تصيب العباد وتحدث في الكون فتسبب لهم الآلام وغيرها إنما هي بإرادة الله وحده، وهي نافذة لا مرد لها ما دام الله أرادها فهي إذاً إرادة كونية نافذة، والمراد لها جبر مطلق على العباد، ومن ذلك قوله: (قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض

(١) سورة البقرة، آية ١١٧ .

(٢) القضاء والقدر في الإسلام، تأليف: د. فاروق أحمد الدسوقي ١/٣٢٨، الطبعة

الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي - بيروت، مكتبة الخاني -

الرياض.

(٣) سورة يس، آية ٨٢ .

(٤) القضاء والقدر في الإسلام ١/٣٢٦ .

جميعاً) (١). (٢)

٢ - الأمر الديني الشرعي الابتلائي :

وللإنسان في هذا الأمر إرادة حرّة في الطاعة والعصيان، والأمر فيه "توجيه وإرشاد ونصيحة من الله سبحانه للمأمور بفعل معين، أو بنهي معين، مع كون المأمور في حالة يستطيع معها القيام بتنفيذ الفعل أو الترك بلا موانع لحدوث ما يختاره حياله" (٣)، وهو متعلق بكل أوامر الله ونواهيها: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى علم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٤)، (يا أيّها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٥)، (يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبععوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً). (٦)

كل هذه النصوص نداء وطلب من قبل المولى عز وجل وأمر شرعي، وللإنسان الإرادة في الطاعة والعصيان، (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء

(١) سورة المائدة، آية ١٧ .

(٢) القضاء والقدر في الإسلام ١/٣٣١ .

(٣) المصدر السابق ١/٣٢٥ .

(٤) سورة التوبة، آية ١٠٥ .

(٥) سورة البقرة، آية ٢١ .

(٦) سورة النساء، آية ١٢٥ .

فليكفروا... (١)، (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنّه عليم بذات الصدور). (٢)

ففي الجانب الابتلائي يملك الإنسان إزاء تصرفه إرادة تكفل له حرية الاختيار، وقدرة على الكسب والعمل، وإنما النتيجة والجزاء وفق ما عمل واختار بإرادته الحرة، (ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) (٣)، (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره). (٤)

والقدر هو مجموع ذلك، "هو التقدير والتعبير السابق للخلائق والأفعال والأحداث الجبرية منها والاختيارية في الوجود الكوني الإنساني، أو في العالمين: الجبري والابتلائي". (٥)

والفارق بين الأمر الكوني والأمر الشرعي يتضح من قوله تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا). (٦)

فقضاء الله وأمره الواحد والمتوجه للمخاطبين بالآية كوني بالنسبة

(١) سورة الكهف، آية ٢٩ .

(٢) سورة الزمر، آية ٧ .

(٣) سورة الزمر، آية ٧٠ .

(٤) سورة الزلزلة، آية ٨،٧ .

(٥) القضاء والقدر في الإسلام، ٢٢٨/١ .

(٦) سورة الكهف، آية ٥٠ .

للملائكة لأنهم لا يعصون أمر الله وهم خلق غير مبتلى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملكة غلاظ شديد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)(١)، وشرعي ابتلائي بالنسبة لإبليس لأنه من الجن، وهم خلق حر مبتلى، "ومن ثم فإن إبليس عندما فسق عن أمر ربه لم يخرج عن أمر ربه الكوني، وإنما خرج وعصى الأمر الابتلائي بالسجود، وهو بفعله هذا لم يفعل أمرا خارجا عن إرادة الله الكونية، وإنما هو متمش مع إرادته الكونية، حيث قد أراد الله ما أمر، وأعطى إبليس الحرية التي تمكنه أن يفعل ما يختار".(٢)

ولهذا الاعتقاد الحق آثار إيجابية في واقع الحياة، سنتعرض إليها فيما بعد، والذي يلزم ذكره وتوضيحه هنا، هو أنه حصل في هذه العقيدة انحراف كما حصل في أسماء الله وصفاته.

فذهبت طائفة إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله، وأنه لا استطاعة له أصلا(٣)، حتى قال قائلهم: "إن أفعال العباد كلها لا فعل لهم فيها وإنما نسبت إليهم مجازا لظهورها منهم"(٤).

وكفى هذه العقيدة شرا أنها تفتح أبواب الذنوب والمعاصي على مصراعها بحجة الجبر، كما كان الحال مع المشركين حيث قالوا: (... لو شاء الله ما

(١) سورة التحريم، آية ٦ .

(٢) القضاء والقدر في الإسلام ١/٣٣٥ .

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٣/٣٢٢ .

(٤) المصدر السابق ٣/٨٢ .

أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا
بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا
تخرون). (١)

وقوم أنكروا القدر، وقالوا إن الأمر أنف، و"أن جميع أفعال العباد محدثة،
فعلها فاعلوها، ولم يخلقها الله عز وجل" (٢)، فجعلوا مشيئة العبد وإرادته
فوق مشيئة الخالق وإرادته سبحانه.

وآخرون انحرفوا فجعلوا من القدر إلهاء، فقالوا باستقلالية القدر في الفعل
عن الله سبحانه وتعالى (٣)، فقطعوا الصلة بين الله والعالم، وأنه سبحانه جعل
عنايته بالعالم في البدء فقط، ثم أهمله بعد ذلك، وأن العملية تسير تلقائيا
من ذات نفسها، فجعلوا من هذه التلقائية الآلية آلهة مع الله، تعالى الله عما
يقولون علوا كبيرا.

وما وقع من انحراف في موضوع القدر، كان مبعثه إعطاء العقل صلاحيات ليست
له، فحيث تدبروا الأمر بالعقل المجرد فأشكل عليهم اجتماع قدرة الله المطلقة
ومشيئته الفاعلة وخلقها للأفعال والأعيان مع القول بحرية الإنسان في فعله، فحدث
الاضطراب.

والحق والصواب ما بينته النصوص كما سبق، والقدر من الغيب الذي يقف فيه
دور الإنسان عند التسليم، وقد أرشد صلى الله عليه وسلم الصحابة إلى عدم

(١) سورة الأنعام، آية ١٤٨ .

(٢) الفصل لابن حزم، ٨٢/٣ .

(٣) انظر " القضاء والقدر في الإسلام ١/٣٥٤ .

التنازع فيه، بل أمرهم بالوقوف عند النصوص، فعن ابن مسعود يرفعه: "إذا ذكر القدر فأمسكوا". (١)

وقد ورد عن ابن الديلمى (٢) أنه قال: وقع في نفسي شيء من القدر، فأتيت أبي بن كعب فقلت: يا أبا المنذر: إنَّه وقع في نفسي شيء من القدر، وقد خشيت أن يكون فيه هلاك ديني - أو أمري - فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني. فقال: لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد - أو مثل جبل أحد - ذهباً فأنفقتَه في سبيل الله ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك فإنك إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي أخي عبدالله بن مسعود وتسأله ..

فأتيت عبدالله بن مسعود فسألته، فقال مثل ذلك، فقال: ولا عليك أن تأتي حذيفة بن اليمان فتسأله.

فأتيت حذيفة فسألته، فقال مثل ما قال، وقال: ولو أتيت زيد بن ثابت.

فسألته فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: .. فذكر

(١) أخرجه الطبراني بسند حسن. قاله ابن حجر في فتح الباري ٣٠٣/٢٤ .

(٢) هو أبو بُسر - بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة - ومن الناس من

يقول: أبو بشر - بكسر الباء وبشين معجمة - اسمه: عبدالله بن فيروز.

حاشية سنن أبي داود، تحقيق: الدعاس ٧٥/٥، قال: (من تعليق الشيخ

محيي الدين عبدالحميد).

الحديث. (١)

"والعبد له في المقذور "حالان"، حال قبل القدر، و"حال" بعده.

فعليه قبل المقذور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه، فإذا قدر

المقذور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به، وإن كان بفعله وهو نقمة

حمد الله على ذلك، وإن كان ذنباً استغفر الله من ذلك". (٢)

وهذا ما بيّنه ووضحه صلى الله عليه وسلم، عن سعد بن أبي وقاص - رضي

الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سعادة ابن آدم

استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم

تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضاه الله عز وجل". (٣)

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٦١٢/٣، قال

المحقق د. أحمد سعد حمدان ٦١٣/٣ : سنده صحيح .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٧٦/٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد، بترتيب عبدالرحمن البناء، المسمى الفتح الرباني ١٢٧/١

رقم ١٤، وأشار إلى إخراجه في المستدرک والترمذی (ك مذ) بإسناد جيد.

طبعة دار الشهاب - القاهرة.

ثانيا : ما يتعلق بقانون السببية وطلاقة المشيئة الالهية :

اتضح فيما سبق أن قضاء الله عز وجل المبرم حاصل لامحالة، وأن كل ما كان ويكون إنما هو قدر من الله تعالى مدون في اللوح المحفوظ.

وعلى ضوء ذلك فليس الأخذ بالأسباب مخالف لعقيدة القضاء والقدر، فالحياة بجملتها قائمة على الأسباب والمسببات.

والمولى - عز وجل - في كتابه الكريم في معرض التحدث عن إخراج الثمرات وإحياء الأرض - وذلك لاشك بقدرته - قد بيّن أن حصول ذلك إنّما هو بالأسباب التي وضعت لأجلها، فلولا نزول الماء على الأرض لما خرج الزرع: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). (١)

فنزول المطر سبب لإحياء الأرض، والفلك التي تجري في البحر سبب للتنقل، والرياح سبب لتحريك السحب، والسحاب سبب لنزول الماء وهكذا، بل قد بين سبحانه أن اتخاذ الملابس سبب للوقاية من البرد والحر، وكذلك ملابس القتال سبب لتوقي ضربات الخصم، وكل ذلك بقدر الله، (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنناً وجعل لكم سربيل تقيكم الحر وسربيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون). (٢)

وهذه الأسباب والمسببات سنة الحياة، (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد

(١) سورة البقرة، آية ١٦٤ .

(٢) سورة النحل، آية ٨١ .

لسنة الله تحويلاً). (١)

بل إنَّ الشارع يدعو للأخذ بالأسباب، فالنصر والهزيمة بيد الله وبقدره،
(وما جعله الله إلاّ بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلاّ من عند الله
العزیز الحكيم) (٢)، ولكنه تعالى يحث المؤمنين على أن يتخذوا الأسباب
القتالية فيقول عز من قائل: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وأخريين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما
تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون). (٣)

وأمر سبحانه وتعالى بالتوكل عليه، (إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله
وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٤)، (يأيتها الذين آمنوا انكروا نعمت
الله عليكم إذ همّ قوم أن يفسدوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون). (٥)

ولا يعني التوكل إطلاقاً ترك الأسباب، بل التوكل هو عين اتخاذ الأسباب، فعن
عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه سمع نبي الله - صلى الله عليه وسلم -
يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو

(١) سورة فاطر، آية ٤٣ .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٢٦ .

(٣) سورة الأنفال، آية ٦٠ .

(٤) سورة آل عمران، آية ١٢٢ .

(٥) سورة المائدة، آية ١١ .

خماصا وتروح بطانا". (١)

ما أبلغه من بيان، التوكل على الله في الرزق كالطير "تغدو"، وهو اتخاذ
للأسباب بالحركة والبحث عن الطعام، ولذلك عندما التبس على بعض الصحابة
الجمع بين الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه وبين العلاج والتداوي
واتخاذ أسباب الشفاء بين لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطأ ما هم
عليه، فعن "أبي خزاعة، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله - وقال سفيان(٢)
مرة - : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت دواء نتداوى به، ورقى
نسترقى بها، وتقى نتقيها، ترد من قدر الله شيئا؟ قال: "إنها من قدر الله
تبارك وتعالى". (٣)

فليس في اتخاذ الأسباب أي مخالفة للقضاء والقدر والتوكل؛ بل هو سنة

(١) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ٢٤٢/١ رقم ٢٠٥، وقال أحمد شاكر:
إسناده صحيح.

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء
في زمانه، أبو عبدالله الثوري الكوفي المجتهد، ولد سنة سبع وتسعين،
وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث: سعيد بن مسروق الثوري، وكان
زاهدا عابدا، قوَّالا للحق في وجه السلطان. مات في شعبان سنة إحدى وستين
ومئة. سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ رقم ٨٢ .

(٣) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لعبدالرحمن
الساعاتي ٢٦/١ رقم ١١، وأشار إلى تخريجه في ابن ماجه، والترمذي بسند
حسن صحيح، والحاكم في المستدرک صححه وأقره الذهبي.

الحياة، ومثال ذلك اتخاذ الأسباب في سد الجوع "فإنَّكَ إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعاً دون الخبز، أو يخلق في الخبز حركة إليك، أو يسخر ملكاً ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك، فقد جهلت سنة الله تعالى.

وكذلك لو لم تزرع وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتاً من غير بذر، أو

تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام، فكل ذلك جنون". (١)

"وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها مرام

معاشهم ومصالحهم الدنيوية، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات". (٢)

ثم هناك أمر آخر، وهو أن الأسباب التي نعيها ونتعامل معها إنما هي

الأسباب المحسوسة المشاهدة، وليست في حقيقة الأمر هي كل الأسباب، بل جزء من

الأسباب، وهناك أسباب أخرى، وهي غيب لا نراها ولا نتحسسها، مثال ذلك أن الله

تعالى هو الذي يرزق الذرية، ولا سبيل لذلك إلا بالزواج والنكاح، فإذا أتى

الرجل امرأته فقد اتخذ السبب الذي يكون به الولد، ولكن ما كل من أتى امرأته

رزق الذرية، فليس ذلك هو كل الأسباب، بل هناك أسباب غيبية خلق الله تعالى

لأدائها ملائكة، "عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه

وسلم - قال: "وكل الله بالرحم ملكاً يقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب

مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما

(١) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)

٢٦٥/٤، طبعة دار المعرفة، بيروت.

وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦٨/٨ .

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ٢٥ .

الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه". (١).

وكذلك للملائكة دور في الوفاة، قال تعالى: (قل يتوفونكم ملك ملك الموت الذي وُكِّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) (٢)، وإن كانت للموت أسباب مادية مرئية كالمرض أو القتل، "وكما يعمل الملائكة كعِلل في الخلق والوفاة يعملون كذلك في كافة شؤون الحياة على الأرض، فاستمرار حياة الإنسان على الأرض سواء للفرد أو الجماعة قائم بإذن الله وقدره، ومن ثم فإنه يلزم تبعا لهذه المشيئة أن يمنع عنه كل ما يعوق هذا الاستمرار، ونحن نعرف لاستمرار حياة الفرد عللا وأسبابا فسيولوجية (٣) وبيولوجية (٤)، ولكن له علله وأسبابه الغيبية كذلك، حيث يقول الله: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) (٥)، ويقول أيضا: (إن كل نفس لما عليها حافظ) (٦)". (٧)

"وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدره الله بأسباب

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣٢٠/٢٤ .

(٢) سورة السجدة، آية ١١ .

(٣) علم يبحث ظواهر الحياة في الأحياء، أي في وظائف أعضائها. معجم المصطلحات

العلمية. ليوسف خياط ص ٥٠١، مرفق مع تحقيقه للسان العرب، وهو الجلد

الرابع.

(٤) علم الأحياء الحيوانية. المصدر السابق ص ٨٩ .

(٥) سورة الرعد، آية ١١ .

(٦) سورة الطارق، آية ٤ .

(٧) القضاء والقدر في الإسلام ٣٤٢/١ .

يسوق المقادير إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات". (١)

وعليه يجب أن يتضح مع كل ما سبق أن "السبب لا يستقل بالإيجاد، وجعله سببا هو من نعم الله عليه وهو المنعم بتلك النعمة، وهو المنعم بما جعله من أسبابها، فالسبب والمسبب من إنعامه، وهو سبحانه قد ينعم بذلك السبب، وقد ينعم بدونه فلا يكون له أثر، وقد يسلبه تسببته وقد يجعل لها معارضا يقاومها، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه، فهو وحده المنعم على الحقيقة" (٢)، فالله تعالى إذا شاء أمرا خلاف ما تعاهده الناس من الأسباب كان ولا بد، فهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات، ففي رزق الذرية قال تعالى: (قال رب أنتى يكون لى غلم وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء) (٣)، (قالت رب أنتى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء). (٤)

وفي حرق النار قال تعالى: (قالوا حرقوه وانمروا الهتكم إن كنتم فعلىن. قلنا يانار كونى بردا وسلما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرين). (٥)

"وبين ثبات السنن وطلاقة المشيئة يقف الضمير البشري على أرض ثابتة

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧٠/٨ .

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ٧٣ .

(٣) سورة آل عمران، آية ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران، آية ٤٧ .

(٥) سورة الأنبياء، آية ٦٨-٧٠ .

مستقرة يعمل فيها" (١)، "والمسلم يأخذ بالأسباب لأنه مأمور بالأخذ بها، ويعمل وفق السنة لأنه مأمور بمراعاتها، لا لأنه يعتقد أن الأسباب والوسائل هي المنشئة للمسببات والنتائج، فهو يرد الأمر كله إلى خالق الأسباب، ويتعلق به وحده من وراء الأسباب، بعد أداء واجبه في الحركة والسعي والعمل واتخاذ الأسباب، طاعة لأمر الله". (٢)

وأما الذين انحرفوا في هذا الجانب، فمنهم من أعرض عن اتخاذ الأسباب تواكلا على القدر (٣)، وهذه الروح السلبية هي التي سيطرت على حياة المسلمين في فترات طويلة فأصابتهم بالجمود والتخلف.

وفريق آخر اتخذوا الأسباب واعتمدوا عليها اعتمادا كلياً، وتوجهت كل طاقاتهم نحو الأسباب، فاتخذوا الأسباب آلهة من دون الله تعالى، وتناسوا قدرة الله تعالى، وغفلوا أنه لا حول ولا قوة الا بالله. (٤)

والحق الذي وجّه الإسلام بوسطيته إليه الأنظار، وربّس عليه الاتباع، هو: أن "الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً؛ نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع". (٥)

وهذه النظرة المعتدلة، وهذا المنهج الوسط في موضوع القضاء والقدر يفجر

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب ص ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٣، وانظر: مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب ص ٦٢، ٦٣، الطبعة الأولى، دار الشروق.

(٣، ٤) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧١/٨ .

(٥) المصدر السابق ٧٠/٨ .

في الإنسان طاقات الخير والصلاح :

١ - يُولد في الإنسان الشعور بمعية إله قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فعّال لما يريد، لا يحدث في كونه خلاف إرادته، ومشيتته، (وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله إنّ الله كان عليماً حكيماً). (١)

هذا الشعور يكسب المؤمن قوة وعزة لا يمكن أن توجد لغيره، إن شعر غير المؤمن في لحظة الهزيمة بهبوط الروح المعنوية والخور والاستسلام، فإن المؤمن بإيمانه يتيقن أن ما أصابه إنما هو بقدر الله ومشيتته، وأنه تعالى مالك الدنيا والآخرة معه يدافع عنه، (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)(٢)، (ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينت فانتقمنا من الذين أجزوا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين). (٣)

فالمؤمن على يقين بقوة الله وبمعيته وبنصره، فلا رضوخ ولا نزول بل ارتفاع وسمو، فلا هزيمة أبداً، حتى في أكبر وأوضح صور الهزيمة عند البشر بفقد الحياة هو عند المؤمن نصر مبين (قل هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنّنا معكم متربصون)(٤) فالمؤمن لا يجد ما يعير عنه بالهزيمة إذا كان بإيمانه مستقيماً.

(١) سورة الإنسان، آية ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٣٩ .

(٣) سورة الروم، آية ٤٧ .

(٤) سورة التوبة، آية ٥٢ .

٢ - يكون له شخصية مسؤولة : حيث أن الأمر ليس جبراً، بل للإنسان حرية الاختيار، بمعنى آخر أنه أمام مصير حتمي من الابتلاء، والطريق أمامه إما يقوده إلى الفلاح والنجاح، وإما إلى الهلاك والضياع، ولا حياذ في الأمر، وهذه القضية تلازم الإنسان منذ بلوغه سن التكليف إلى أن يموت، وليس بين هذه المرحلة فترة راحة واسترخاء، وهو مسؤول عن كل ما يعمل مهما دق وصغر، قال تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره). (١)

كل هذا يشعر المؤمن بجدية الأمر، وخطورة النتيجة المرتبة على الفعل، فحرية التي تعتبر مصدر كرامته، هي أيضاً منبع مسؤوليته.

٣ - يربّي فيه القوة والجلد والإصرار على الحق، وعدم التذم على مافات، بمعنى الحسرة على أنه لم يفعل كذا، وأنه لو فعل لكان خيراً، بل حثه الشارع على الإيمان بأن الذي حصل لم يكن ليحصل لولا أنه بقدر الله تعالى، وأن ذلك لا ينبغي أن يؤول به إلى العجز، بل يجب عليه أن يحرص على ما ينفعه من العمل الصالح، ويتخذ لأجل ذلك شتى الوسائل، ويتخذ من الأسباب ما يمكنه تحقيق ذلك، وأن الإصرار والقوة في الحق هو الأجدى بالمؤمن والأحب للمولى.

وبين صلى الله عليه وسلم بأن "لو" تفتح عمل الشيطان من اللوم والجزع والأسف، وهي مولدات للتثبيط والعجز، بل على المؤمن أن يستيقن أن ما أصابه وما فاتته فبقدر الله، وأن الرجوع إلى الله واستعادة الهمة والعزم على العمل هو الواجب على المؤمن، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف،

(١) سورة الزلزلة، آية ٨،٧ .

وفي كل خير، احرم على ما ينفك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان". (١)

٤ - ينزع منه الخوف على الحياة والرزق :

إنّ أكبر معوق في طريق الإنسانية نحو الاستقامة والصلاح والمضي نحو التجارة الرابحة مع الله تعالى، والشبكات على العهد القديم من الأمانة التي حملها الإنسان، وأكبر مثبط للبشرية وقاتل لمعاني البطولة والإقدام والعمل في ميدان الحياة إنما هو الخوف، هذا الشبح المتسلط على القلوب والعقول سالب للإرادة الإنسانية.

وعلى أي شيء يخاف الإنسان؟ وما الذي يخشى فقده؟

إن هاجس الخوف يدمر الإنسان، ويهدده في أعز ما يملك، يهدده في روحه وحياته، وقد غرس في الإنسان حب البقاء، ويهدده في ماله ورزقه وهو مصدر متعة الإنسان وسعادته وعيشه.

فإذا جاءه التهديد من قبل بقاءه ورزقه ركن وسكن، والتمصق بالأرض، فإذا جاء ما يقتل هذا الخوف ويمحوه، وينزع خشية الموت من النفس، وخشية الفقر من القلب، ارتفع الإنسان وانقلع من الأرض، وامتلك قوة لا تحتل الأرض والتراب بما فيها من قوة أن تشده نحوها، بل يرتفع الإنسان نحو السماء، يندفع في الأرض مطمئنا على حياته ورزقه، وهذا ما يفعله الإيمان بقضاء الله وقدره.

فالأجال والأعمار محدودة، من جاء يومه فلا تأخير، كان على الفراش أم كان

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢١٥/١٦ .

بين الأسنة والرماح، كان بين الأهل والأقارب أم كان في مجابهة الأعداء تحت وابل النيران وقذائف الدمار، فالأعمار بيد الله قدرها مسبقا بقدرته وتقديره: (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين)(١)، ولا منازع له في ذلك ولا غالب(٢)، (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)(٣)، (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(٤)، (وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتباً مؤجلاً ..). (٥)

وقد بين سبحانه وتعالى كذلك بما لا مجال فيه للشك أن الرزق من عند الله، وأنه هو الذي يرزق عباده، يرزق من شاء متى شاء وكيف شاء، لا شريك له في ذلك، (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ متاع)(٦)، (إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين)(٧)، (له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّه بكل شيء عليم)(٨)، وهذا ما وعاه المغترون بقارون وملكه: (وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون

(١) سورة الواقعة، آية ٦٠ .

(٢) انظر : أضواء البيان للشنقيطي ٧/٧٨٧ .

(٣) سورة المنافقون، آية ١١ .

(٤) سورة الأعراف، آية ٣٤ .

(٥) سورة آل عمران، آية ١٤٥ .

(٦) سورة الرعد، آية ٢٦ .

(٧) سورة الداريات، آية ٥٨ .

(٨) سورة الشورى، آية ١٢ .

ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكفرون). (١)

وقد بينه صلى الله عليه وسلم وأوضه غاية الوضوح، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "فرغ الله إلى كل عبد من خمس، من أجله ورزقه وأثره ومضجعه"، وفي رواية "وعمله". (٢)

وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه ركب خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف". (٣)

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم). (٤)

(١) سورة القصص، آية ٨٢ .

(٢) رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير والأوسط، وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١٩٨/٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاکر ٢٣٣/٤ رقم ٢٦٦٩، وقال أحمد شاکر: إسناد صحیح .

(٤) سورة آل عمران، آية ١٧٣، ١٧٤ .

٥ - يولد الرضا والطمأنينة في النفس في السراء والضراء:

الدنيا لا تستقر بآبن آدم على حالة واحدة، فإن كانت له أيام من الرخاء والسعة، لم يضمن استمراريتها، وهي متقلبة، والنفس البشرية المتعلقة بالحياة الدنيا وزينتها، تنبعت منها روائح النقص الإنساني، وتظهر عليها ملامح الضعف البشري، لا يتخلص من ذلك ولا يرتفع على تلك النواقص إلاّ نفس بربها متملة، ومنه مستمدة، وبقضائه وقدره موقنة.

فالإنسان يتراوح بين حالتي الشدة والرخاء، ولكل حالة تأثيرها على النفس البشرية فتخرج ما في إنائها، وكل إناء بما فيه ينضح، أما أصحاب الدنيا فبخل ومنع وإمساك وكنز وجمع وإحماء عند الرخاء، لا تجود نفوسهم بما رزقهم الله على الفقير والمحتاج، وجزع وهلع وقلة صبر في حال الشدة والبأس.

وهذا ما قرره المولى عز وجل: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (١) . إذا مسه الشر

جزوعاً (٢) . وإذا مسه الخير منوعاً (٣)

ولا يرتفع على هذا الضعف البشري إلاّ الذين هم بربهم على صلة (إلاّ المصلين

. الذين هم على صلاتهم دايماً) (٤)

فالمؤمن مسلم بقضاء الله وقدره، راض بحكمه، موقن بعديل الله فيه

(١) الهلع : الحرص، وقيل: الجزع وقلة الصبر، وقيل: هو أسوأ الجزع وأفحشه.

لسان العرب ٨١٩/٣ .

(٢) الجزوع : ضد الصبور على الشر، والجزع: نقيض الصبر. لسان العرب ٤٥٤/١ .

(٣) سورة المعارج، آية ١٩-٢١ .

(٤) سورة المعارج، آية ٢٢، ٢٣ .

وبرحمته، يحمد الله على الخير، فتتولد فيه أسمى معاني الخير، فتجود نفسه بما ملكت يداه، صبور عند الشدة، موقن بربه، مطمئن لحكمه، لا يصيبه ضرر ولا هلع، فهو مأجور في الحالتين، عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجبت من قضاء الله سبحانه للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكره، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبره، المؤمن يؤجر في كل شيء". (١)

هذه النفس الموقنة ثمرة لذلك الإيمان، وتلك النفس الهلوعة ثمرة لفقدان الإيمان، فهو وبال على نفسه وعلى من سواه.

فالنفس المؤمنة لا تياس ولا تقنط، فذلك مرفوض شرعا، (يَبْنَىْ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَآئِسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ) (٢)، (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون). (٣)

لذلك كان التمديق بقضاء الله وقدره أصل الإيمان وحقيقته، فعن "أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "الكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه". (٤)

(١) رواه أحمد بأسانيد كلها رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢١٢/٧ .

(٢) سورة يوسف، آية ٨٧ .

(٣) سورة الحجر، آية ٥٦ .

(٤) رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، ورواه الطبراني في الأوسط. مجمع

الزوائد ٢٠٠/٧ .

٦ - يدفعه إلى استمرارية العمل الصالح :

إنَّ الإيمان بقضاء الله وقدره يدفع الإنسان للعمل، واتخاذ الأسباب، وإن كان يوطن في نفس المؤمن عدم الركون إلى الأسباب واعتبارها المنشئة للمسببات، وينهاه عن التواكل، والتعذر بالقضاء السابق في علم الله، فالقدر غيب محبوب عن الإنسان، وهو بإيمانه بقدر الله وقضائه إنما يتصل بمولاه بصلة وثيقة، وهو سبحانه لا يحب من عباده إلا العمل الصالح، ولا يرضى لهم غير ذلك، فالمؤمن يندفع نحو العمل الصالح طلباً لرضا ربه، (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً). (١)

وهذا ما بينه صلى الله عليه وسلم، فعن سراقة (٢) بن مالك بن جعشم المدلجي أنه قال: يا رسول الله: أنعمل شيئاً قد فرغ منه أم نستأنف العمل؟ قال: "بل لعل قد فرغ منه"، فقال: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل ميسر لعمله"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الآن الجد الآن الجد". (٣)

(١) سورة الكهف، آية ١١٠ .

(٢) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، يكنى أبا سفيان، كان ينزل قديداً، هو الذي لحق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ليفوز بعطاء قريش لمن يأتهم به صلى الله عليه وسلم، وساخت رجلاً فرسه، ثم طلب الخلاص على ألا يدل عليه صلى الله عليه وسلم، فكتب له الأمان، وأسلم يوم الفتح، ووعده رسول الله بلبس سوارى كسرى، فتحقق زمن عمر بن الخطاب، مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين، وقيل بعد عثمان. انظر: الإصابة ٤١/٣ رقم ٣١١٧ .

(٣) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ١٩٨/٧ .

وقد بين صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه في أكثر من موضع، فعن علي - رضي الله عنه - قال: "كننا في جنازة فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببقيع الغرقد، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس ومعه مخرصة، فجعل ينكت بالمخرصة في الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: "ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من النار أو من الجنة، إلا قد كتبت شقية أو سعيدة"، قال: فقال رجل من القوم: يا نبي الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة ليكونن إلى الشقاوة؟ قال: "اعملوا، فكل ميسر: أما أهل السعادة فييسرون للسعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة"، ثم قال نبي الله: (فأما من أعطى واتقى . ومدق بالحصى . فسنيسره لليسر . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحصى . فسنيسره للعسر)(١). (٢)

فالغيب لا يعلمه إلا الله، أما الإنسان "فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة، ولا يترك وكولا إلى ما يثول إليه أمره فيلام على ترك الأمور ويستحق العقوبة". (٣)

وإن كانت العبرة أيضا ليست في حال الإنسان، بل بما يختم له من العمل كما بينه صلى الله عليه وسلم في حديث أنس: "لا عليكم أن لا تعجبوا بأحد حتى

(١) سورة الليل، آية ٥-١٠ .

(٢) سنن أبي داود، ٦٨/٥ رقم ٤٦٩٤ .

ورواه البخاري مختصرا ٣٢٦/٢٤ مع الفتح .

(٣) فتح الباري ٣٢٣/٢٤ .

تنظروا بماذا يختتم له، فإنَّ العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه لدخل الجنة، ثم يتحول ليعمل عملا سيئا، وإنَّ العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملا صالحا، وإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبد خيرا استعمله قبل موته"، قالوا: يا رسول الله، وكيف يستعمله؟ قال: "يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه". (١)

فالمؤمن يندفع نحو العمل الصالح، ولا يجعل لعمله أثرا سلبيا عليه كأن يولد في نفسه نوع اغترار بما هو عليه، بل يظل معلق القلب بمولاه، يتضرع بين يديه، يدعوه، ويناجيه، ويطلب منه الثبات على ما هو عليه من خير، لأنه يعلم أن قلبه بيد مولاه يقلبه كيف يشاء، عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إنَّ قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث شاء"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك". (٢)

فلما كانت "الأقدار غالبية، والعاقبة غائبة، فلا ينبغي لأحد أن يفتخر بظاهر

الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين، وبحسن الخاتمة". (٣)

وهذا مما يحافظ على نقاء العمل وإخلامه لله، لأنه بيده وحده تعالى حفظه

(١) رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى، والبخاري، والطبراني في الأوسط، ورجال

الصحيح. مجمع الزوائد ٢١٤/٧ .

(٢) صحيح مسلم ٢٠٣/١٦ .

(٣) فتح الباري ٣٢١/٢٤ .

وإبقاؤه أو صرفه، وينزع من القلب الاغترار بالعمل، لأن الخاتمة وهي المعبرة
غيب لا يعلم.

ويتربى إخلاص العمل لله في قلب المؤمن كذلك من باب معرفته أن من أخلص
العمل لله ختم له مولاه بالمالح من العمل، وجعله من الفائزين، فعن "حذيفة
قال: أسندت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى صدري، فقال: "من قال: لا إله
إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها، دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه
الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل
الجنة". (١)

(١) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن سالم البتي، وهو ثقة. مجمع

المطلب الثالث : الدنيا والآخرة :

أوجد الإسلام بوسطيته في شعور المسلم وواقع حياته توازننا بين الحياة الدنيا وبين الآخرة.

فالدنيا دار عمل وجد، ومثابرة على الصالحات، يحصد ثمارها الحقيقية يوم القيامة، يقول تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى علم الغيب والشهادة فينبفكم بما كنتم تعملون). (١)

وهو بعمله وحركته يسعى لخير الدنيا أيضا، فهو يبتغي الخيرين: خير الدنيا وخير الآخرة، وهو مصداق التعبير الإلهي في قوله سبحانه: (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٢)، وهو ما عبر عنه سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - داعيا مولاه سبحانه، وطالبا منه: (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك). (٣)

وهذا المنهج الرباني العادل الخير يعطي كلا الطرفين وزنه الحقيقي، والحياة الدنيا في واقع الأمر فترة محدودة، وأن الإنسان مهما عاش وطلال عمره فإن مصيره الحتمي إلى الموت، وأن الحياة بعد الموت هي الحياة الأبدية التي يجب أن يعمل لها الحساب، قال تعالى: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور). (٤)

(١) سورة التوبة، آية ١٠٥ .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٠١ .

(٣) سورة الأعراف، آية ١٥٦ .

(٤) سورة آل عمران، آية ١٨٥ .

لذلك بين المولى - عز وجل - أن الدنيا وما فيها من متاع شيء يُلهى به ويلعب، لا حقيقة له ولا ثبات، وأن الآخرة هي الحياة الباقية التي لاتزول ولا موت فيها(١)، فقال عز من قائل: (وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب وإنّ الدار الآخرة لَهَيّ الحيوان لو كانوا يعلمون). (٢)

كما علق المولى - عز وجل - القلوب بالآخرة، وتوعد الذين لا يريدن إلاّ الدنيا وزينتها، وأنهم مع حرصهم على الدنيا إلاّ أنهم لا ينالون منها إلاّ ما شاء الله: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يملأها مضموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً). (٣)

فأصل سعي المؤمن وحركته إنّما هي في طلب وابتغاء الآخرة، وليست الآخرة في حسه وهم وخيال، إنّما واقع وحقيقة، يرجو الفوز فيها والنجاح والفلاح فينال كل ما وعده الله من المتع المادية والمعنوية، يقول تعالى - وهو الحق وقوله الحق -: (وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ . من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد). (٤)

ويقول تعالى: (فوقلّهم الله شرّ ذلك اليوم ولقلّهم نفرة وسرورا . وجزئهم

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢٤٠/١٣، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) سورة العنكبوت، آية ٦٤ .

(٣) سورة النساء، آية ١٧، ١٨ .

(٤) سورة ق، آية ٣١-٣٥ .

بما هبوا جنة وحريرا . متكئين فيها على الأراك لا يرون فيها شمساً ولا زهرياً .
ودانية عليهم ظلها وثلث قطفها تذليلاً . ويضاف عليهم بئانية من فضة واكواب
كانت قواريرا . قواريرا من فضة قدرها تقديراً . ويسقون فيها كما كان
مزاجها رنجبيلاً . عيناً فيها تسمى لسببها . ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا
رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً . وإذا رأيت سمّاً رأيت نعيماً وملكا كبيراً . عليهم
ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً . إن
هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً . (١)

يقول صلى الله عليه وسلم: "قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما
أخفى لهم من قرآنا من غير ما يعلنون) (٢) . (٣)

والمؤمن كذلك يرجو النجاة من عذاب جهنم المتحقق لا محالة للعصاة
المجرمين (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) (٤) ، (وأصحب الشمال ما
أصحب الشمال . في سموم وحميم . وظل من يحموم) (٥) . لبارد ولا كريم . إنهم
كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يمشون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون

(١) سورة الإنسان، آية ١١-٢٢، وانظر: سورة الرحمن، آية ٤٦-٧٨، سورة الواقعة،
آية ١٠-٣٨ .

(٢) سورة السجدة، آية ١٧ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٤٧/١٣ .

(٤) سورة ق، آية ٣٠ .

(٥) أي : دخان أسود شديد السواد . أضواء البيان للشنقيطي ٧٧٧/٧ .

أيذا متنا وكنا ترابا وعظماً معنا لمبعوثون . أوءاباؤنا الاولون . قل إنّ
الاولين والآخرين . لمجموعون إلى ميقت يوم معلوم . ثم إنكم أيها الضالون
المكذبون . لاكلون من شجر من زقوم . فمالئون منها البطون . فشربون عليه من
الحميم (١) . فشربون شرب الهيم (٢) . هذا نزلهم يوم الدين). (٣)

وهذا الإيمان والتعلق باليوم الآخر طلبا للنجاة من النار، والفوز بالجنة،
مصدر الخير والعدل بين بني البشر، ومصدر للخير والصلاح والراحة والطمأنينة
للإنسانية الكاححة، وذلك أنه :

١ - يدفع الإنسان للعمل الصالح، واستغلال خيرات الأرض، لأنه يعلم أن
الدنيا مزرعة الآخرة، وأن ربه الذي سيجازيه يوم الحساب هو الذي خلقه لمهمة
الخلافة في الأرض، وأنه كلما قام بواجب الخلافة في الأرض واستزاد من العمل
الصالح كلما ارتفعت منزلته في الآخرة، وهو ما بينه الله تعالى على لسان
رسوله عليه الصلاة والسلام في محكم التنزيل: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ
أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك
بعبادة ربه أحداً). (٤)

(١) الحميم: الماء الشديد الحرارة. المفردات ص ١٣٠ .

(٢) الهيم : جمع أهيم وميماء، وهي الناقة مثلاً التي أصابها الهيام. وهو شدة

العطش بحيث لا يرويهها كثرة شراب الماء، فهي تشرب كثيراً من الماء، ولا

تزال مع ذلك في شدة العطش. أضواء البيان ٦/٦٨٩ .

(٣) سورة الواقعة، آية ٤١-٥٦ .

(٤) سورة الكهف، آية ١١٠ .

والارتباط بين المنزلقة في الجنة والفوز يوم القيامة ارتباط طردي مع العمل الصالح في الدنيا، قال تعالى: (من عمل لها من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(١)، ولذلك ينطلق المؤمن في الحياة بجد ونشاط، ويكثر من الأعمال الصالحة رغبة فيما عند الله يوم القيامة، ويعلم أنه "من نَفَسَ عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه".(٢)

بل وصل الحث على العمل درجة تدفع المؤمن إلى البذل الدائم، وعدم استمغار أي جهد، قال عليه الصلاة والسلام: "ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة".(٣)

لذلك تراه مقادما إيجابيا في كل تلك المجالات، عامرا أيامه ولياليه بالحركة والعمل الصالح المثمر.

(١) سورة النمل، آية ٩٧ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ٤٤/١ رقم ١٨٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٢٢٢/٢٢٣ .

٢ - يحفظ الإنسان من الشرور والمعاصي، ومن التعدي على الناس وظلم العباد، لأنه يعلم حق العلم أنه وإن نجا من يد العدالة في الدنيا فإن عقاب الله له بالمرماد، فيكشف شره عن الناس لعلمه بأن دقائق الشرور محسوبة عليه، قال تعالى: (يومئذ يصدر الناس ائشنتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره). (١)

ويعلم أنه إذا أكثر الإساءة في الدنيا في حق الناس أقبل على ربه يوم القيامة مفلسا، فعن "أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع. فقال: إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة ببلاء وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار" (٢)، فيؤدي به الأمر إلى أن يتخفق مخلوقا خيرا صالحا للناس، بل تصل حساسيته إلى أن لا يحقر أي أذى أو معصية مهما كانت في عينه صغيرا خوفا من عقاب الله، وهو ما نبهه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم ومحقرات الأعمال، إنَّهنَّ يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود،

(١) سورة الزلزلة، آية ٦-٨ .

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ١٧٩/٢ رقم ٣٣٨، قال المحقق: إسناده فيه من

لم أجده، والحديث صحيح.

حتى جمعوا من ذلك سوادا، ثم أجبوا نارا فنضجت ما قذف فيها". (١)

٣ - يسكب في قلب المؤمن الرضا بما قدره له المولى في الدنيا، ويصبر على شدة الحياة أملا بالدار الآخرة، فلا تنال منه الشدائد والمحن، بل يتجدد أمامها ويتخذ من الصبر زادا له، إيماننا بأن أجر الصبر عند الله عظيم، لقوله تعالى وقوله الحق: (قل لِعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ). (٢)

ومع هذا الأثر الإيجابي الذي يولده الإيمان باليوم الآخر في نفس المؤمن، يتولد أثر آخر لا يقل عنه شأنًا، وهو أن المؤمن لا تحطمه الأيام، ولا ينال من عزيمته طغيان الطغاة، ولا ظلم الجبابرة، ولا خذلان الجموع اللاهثة وراء لقمة العيش، إنما يبقى طول حياته كما يكثُر من الخير، ويحجم عن الشر في ذات نفسه وخاصة أمره، يبقى كذلك مقاوما لشرور الجبابرة والظلام ما بقي فيه رمق ينبض، أملا في الفوز برضا الله، فيجمع بذلك بين السعي طلبا للآخرة، والسعي إصلاحا للحياة بعمل الخير ودفع الشر، متمثلا قوله تعالى: (وابتغ فيما ءاتك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين). (٣)

وإن الناس إذا كانوا في فترات من الزمان يعيشون سلبيين، ويدعون الفساد والشر والظلم والطغيان والتخلف والجهالة تغمر حياتهم الدنيا، - مع

(١) الجامع لشعب الإيمان ٨٢/٢ رقم ٢٨١، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) سورة الزمر، آية ١٠ .

(٣) سورة القصص، آية ٧٧ .

ادعائهم للإسلام - فإنّما هم يصنعون ذلك كله أو بعضه لأنّ تصورهم للإسلام قد فسد وانحرف؛ ولأنّ يقينهم في الآخرة قد تزعزع وضعف، لا لأنهم يدينون بحقيقة هذا الدين، ويستيقنون من لقاء الله في الآخرة، فما يستيقن أحد من لقاء الله في الآخرة وهو يعي حقيقة هذا الدين، ثمّ يعيش في هذه الحياة سلبيا أو متخلفا، أو راضيا بالشر والفساد والطغيان". (١)

أما منكرو الآخرة، والذين تعلقوا بالدنيا كما قال عنهم سبحانه وتعالى: (وقالوا إنّ هي إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) (٢)، فهؤلاء انفلت عقد التوازن عندهم، وأصابهم الخلل فكانوا وبالا وشرا على أنفسهم وعلى البشرية، وقد أصبحت للإلحاد دول جلبت العار والدمار للبشرية، ومنطقهم الوحيد هو قانون الغاب، فإذا مكنتهم قوتهم من السفك والنهب لم يردعهم شيء آخر، وكان مبلغ ما يعلمون هذه الحياة الدنيا، (ذلك مبلغهم من العلم إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن امتدى) (٣)، فأوقاتهم وأعمارهم للمتعة والشهوات.

أما الذين أمابتهم السلبية في الدنيا، وانزوا جانبا لانحراف في فهمهم للدين الحق، فتركوا الدنيا ومتاعها الحلال، وجلسوا في صوامعهم فابتدعوا رهبانية جديدة على رهبانية النماري، فقد غفلوا أنّ الإسلام اعتبر الدنيا مزرعة الآخرة، وأنّ العمل والحركة لأجل الخير والصلاح من صلب الدين.

(١) اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فائز، ص٦، الطبعة الرابعة،

١٩٧٨ م.

(٢) سورة الأنعام، آية ٢٩ .

(٣) سورة النجم، آية ٣٠ .

فما أحوج البشرية إلى ذلك الصنف الرباني، السالك ذلك المسلك، الهادي إلى سواء السبيل لينتشل الناس من درك الشقاء إلى أفق السعادة والهناء، لقد أن للبشرية أن تعي مدى الخسارة الحاصلة بسبب بعد هذا النموذج الرباني عن قيادة البشرية.

المطلب الرابع : الكفر والإيمان :

وحد الإسلام بين بني البشر فلم يجعل تفاضل الناس على حسب أجناسهم وألوانهم وأوطانهم، فكلهم سواء، إنما التفرقة تكون بحسب ما يحمل الإنسان من معاني الإيمان، وبرصيده من التقوى، وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم بيانا شافيا في حجة الوداع، حيث قال: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، ثم قال: أي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال: ثم قال: أي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فإنّ الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم - قال: ولا أدري قال: وأعراضكم أم لا - كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ليلغ الشاهد الغائب". (١)

وهذه ميزة الإسلام على سائر المذاهب والأديان المنحرفة التي جعلت الناس طبقات يستعبد بعضها البعض الآخر.

ولما كانت القضية جادة لا هزل فيها، ومصيرية لا محيد عنها، تناول الإسلام الموضوع بوضوح لا لبس فيه ولا غموض، فالله تعالى ختم بالإسلام الأديان، ولا يقبل من أحد غير الإسلام ديناً، كائناً من كان الشخص، وأي دين كان ذلك الدين، قال تعالى: (إنّ الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بعبادتي الله فإن الله سريع

(١) مسند الإمام أحمد، ٤١١/٥، طبعة دار الدعوة.

الحساب)(١)، (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من
الْخُسْرَيْنِ). (٢)

ولأجل ذلك كان انقسام الناس إلى قسمين:

١ - كفار : وهم الذين رفضوا الإسلام وشهادة التوحيد، وينقسمون إلى قسمين:

١ - كفار ظاهراً وباطناً، وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وسائر

أصحاب الملل والنحل من غير ملة الإسلام الذين يدينون ظاهراً وباطناً بغير ديانة
الإسلام.

أما اليهود فقد قال تعالى عنهم: (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل

الكتّاب من ديارهم لأول الحشر). (٣)

وقال تعالى عن النصارى: (لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن

مريم)(٤)، (لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة). (٥)

وقال تعالى عن المشركين: (إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين

كفروا...)(٦)، (ماكان للمشركين أن يعمروا مسجداً لله شهدين على أنفسهم

بالكفر). (٧)

(١) سورة آل عمران، آية ١٩، وانظر: تفسير ابن كثير ١٨/٢ .

(٢) سورة آل عمران، آية ٨٥ .

(٣) سورة الحشر، آية ٢ .

(٤) سورة المائدة، آية ١٧ .

(٥) سورة المائدة، آية ٧٣ .

(٦) سورة التوبة، آية ٤٠ .

(٧) سورة التوبة، آية ١٧ .

وقد جمعهم الله سبحانه وتعالى في قوله: (ما يؤدّ الذين كفروا من أهل
الكتب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم). (١)

ب - كفار باطنا، مسلمون ظاهرا :

وهم أهل النفاق الذين يبطنون الكفر بالله ورسوله، ويظهرون الإيمان،
(يحذر المنفقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) (٢)، (إنّ المنفقين
يخدعون الله وهو خدعهم). (٣)

وهؤلاء حكمهم في الظاهر مسلمون، تجري عليهم سائر أحكام الإسلام، ونكل ما
في قلوبهم لرب العالمين، الذي يعلم السر وأخفى، وهم في الحقيقة شر أصناف
الكفار، وفي الدرك الأسفل من نار جهنم، (إنّ المنفقين في الدرك الأسفل من
النار) (٤)، (إنّ الله جامع المنفقين والكافرين في جهنم جميعا). (٥)

٢ - مسلمون : أقروا بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله، "عن
أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أمرت
أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها، وحسابهم على الله". (٦)

(١) سورة البقرة، آية ١٠٥ .

(٢) سورة التوبة، آية ٦٤ .

(٣) سورة النساء، آية ١٤٢ .

(٤) سورة النساء، آية ١٤٥ .

(٥) سورة النساء، آية ١٤٠ .

(٦) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ٢١٠/١ .

أي "أن أمور سرائرهم الى الله، وأما نحن فنحكم بالظاهر، فنعاملهم بمقتضى ظاهر أقوالهم وأفعالهم". (١)

وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم لأسماء بن زيد رضي الله عنه، يقول أسماء: "بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحُرَّقَةِ فَصَبَحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَا، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا أسماء، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قلت: كان متعودا. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم". (٢)

فأسماء حكم على شهادة الرجل بأنه تعود من القتل، وأنه غير صادق في نطقه الشهادة، فأنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أيضا للمصاحبي الجليل المقداد (٣)

(١) شرح الإمام الكرمانى لصحيح البخارى ١/٢٢٢ .

(٢) صحيح البخارى ٥/٨٨، طبعة دار الدعوة - تركيا.

(٣) المقداد بن عمرو، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد السابقين الأولين، ويقال له: المقداد بن الأسود، لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبيناه، وقيل: بل كان عبدا له أسود اللون فتبيناه، ويقال: بل أصاب دما في كسندة فهرب إلى مكة وحالف الأسود. شهد بدرًا والمشاهد، وثبت أنه كان يوم بدر فارسا. كان آدم طوالا، ذا بطن، أشعر الرأس، أعين، مقرون الحاجبين، مهيبا. عاش نحوًا من سبعين سنة، مات سنة ثلاث وثلاثين، وصلى عليه عثمان بن عفان، وقبره بالبقيع رضي الله عنه. سير أعلام النبلاء

ابن عمرو الكندي - رضي الله عنه - عندما قال: "يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتتلنا ففرضب إحدى يديّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله. فقال: يا رسول الله إنّه قطع إحدى يديّ ثم قال ذلك بعد ما قطعها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال". (١)

ويبقى من نطق بالشهادتين ودخل الإسلام مسلما له كامل حقوق المسلمين، وعليه كامل الواجبات، لا يخرج من هذه الدائرة إلا إذا عمل ما ينافي الإسلام، من ذلك:

١ - إذا نبذ شهادة التوحيد، وارتد عن الإسلام، واختار ديننا آخر، فيكون بذلك كافرا، كما قال تعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة..). (٢)

٢ - أو أشرك بالله تعالى أحدا، قال تعالى: (ولقد أوجّه إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخسرين) (٣)، (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما). (٤)

٣ - وكذا "من جحد ما يُعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره إلا أن

(١) صحيح البخاري ١٩/٥ طبعة دار الدعوة - تركيا.

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٧ .

(٣) سورة الزمر، آية ٦٥ .

(٤) سورة النساء، آية ٤٨ .

يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببيادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفره". (١)

وذلك كإنكار سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والاكتفاء بالقرآن الكريم، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، أو رد حكم الله جحداً، والقول بأفضلية حكم البشر، إلى غير ذلك مما علم بالضرورة من دين الله عز وجل.

أما الذي ارتكب الذنوب والمعاصي فإنه لا يكفر بمجرد ذلك ما لم يعتقد بحلها، فالذي يكفره اعتقاده الحل، لا مجرد ارتكاب الذنب صغيرة كانت أم كبيرة، لأن الكافر يخذ في نار جهنم بنص الكتاب، (والذين كفروا وكذبوا بغايتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون). (٢)

وقد ثبت أنه يخرج من النار من مات على لا إله إلا الله، وإن زنى وإن سرق.

"عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه شوب أبيض، فإذا هو نائم، ثم أتيته أحدثه، فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه، فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر، قال: فخرج أبو ذر يجر إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر". (٣)

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١٥٠/١ .

(٢) سورة البقرة، آية ٣٩ .

(٣) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد ٥٢/١ رقم ٣٣ .

من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير". (١)

وقد ثبت أن الزاني المحصن يرجم، وغير المحصن يجلد، وشارب الخمر يجلد، وتقطع يد السارق، ولم يحكم عليهم بالارتداد، بل قال تعالى في حق المتقاتلين: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغى حتى تنفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين). (٢)

فقد "سمى الله أهل القتال مؤمنين، فعلم أن صاحب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان". (٣)

ودخول ناطق الشهادتين النار ثم خروجه بعد ذلك يدل على أنه يحاسب على ما يرتكبه من معاصي، وأن ذنوبه تعد عليه، وأنه يستحق العقاب والوعيد في الآخرة. وعلى ضوء ذلك "لا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب ما لم يستطه، ولا نقول لايضر مع الإيمان ذنب لمن عمله" (٤)، ولا نجعل أحداً "بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدئها - ولو دعا الناس إليها - كافراً في الباطن، إلا إذا كان منافقاً، فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به - وقد غلط في بعض ما تأوله

(١) صحيح البخاري مع شرح الكرماني ١/١٧٤، وأشار في تخريجه إلى الترمذي وصححه.

(٢) سورة الحجرات، آية ٩ .

(٣) شرح الكرماني على صحيح البخاري، ١/١٤١ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، (٧٣١-٧٩٢هـ) ص ٢٥٥، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد ناصر الدين

الألباني، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي .

من البدع - فهذا ليس بكافر أصلاً، والخوارج (١) كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للامة وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم، لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين". (٢)

وقد انحرف في هذا الباب فريقان من الناس، وكان أصل انحرافهم اعتبارهم الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله (٣)، وهو خطأ، فالإيمان يتفاضل يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذنوب. (٤)

فقال فريق بتكفير مرتكب الكبيرة، وأنه يخذ في النار (٥)، وهذا يعني

(١) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ممن كانوا معه في حرب صفين، وكان أشدهم خروجاً عليه ومروقاً: الأشعث بن قيس الكندي، وقالوا له: القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف، وبعد إصرار طويل اضطر إلى قبول التحكيم، وبعد التحكيم خرجت عليه منهم طائفة أخرى، قالت: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله، واجتمعوا بحروراء - قرية من قرى الكوفة - وعلى رأسهم عبدالله بن الكواء، وعتاب ابن الأعور، وعبدالله بن وهب الراسبي. ثم انقسموا بعد ذلك إلى فرق متعددة، منها: الأزارقة، النجدة، البيهسية، العجاردة، الشعالبة، الإباضية، الصفرية الزيادية. انظر: الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) (١/١١٤)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢١٨، ٢١٧/٧ .

(٣،٤) المصدر السابق ٢٢٣/٧ .

(٥) المصدر السابق ٢٢٢/٧ .

ارتداده، مما دفع الى سل السيوف وقطع الرقاب، بسبب هذا الانحراف في التوجه .
وقال الفرييق الثاني: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من
الإيمان، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق شيء (١)، "وظنوا أنه قد يكون الإنسان
مؤمناً كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله،
ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد،
ويهين المحاضف، ويكرم الكفار غاية الكرامة، ويهين المؤمنين غاية الإهانة" (٢)
حتى قال قائلهم: "لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة" (٣).
وأمل هذا الانحراف أيضاً هو إخراج العمل من مسمى الإيمان، حيث اعتبر بعضهم
أن الإيمان مجرد مافي القلب، فإذا عرف الله تعالى بقلبه فقط، ثم أظهر
اليهودية أو النصرانية، وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته فهو مسلم من أهل
الجنة. (٤)

وقال بعضهم إنَّ الإيمان هو الإقرار باللسان، وإن اعتقد الكفر بقلبه وأتى
بكل أفعال الكفار، فإذا نطق بلسانه وأقر بالإسلام فهو مؤمن. (٥)
وقال بعضهم الآخر: الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان. (٦)
والحق أن الإيمان هو : إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان،
والأعمال الصالحة تزيد الإيمان كما أن المعاصي والذنوب تنقص كمال الإيمان،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٢٣/٧ .

(٢) المصدر السابق ١٨٨/٧ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١ .

(٤،٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٢٧/٣ .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٥/٧ .

مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.." (١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان". (٢)

يبقى أن نقول بأن كلمة الكفر الواردة في النصوص لا تحمل كلها معنى واحداً، وأن "الكفر ضد الإيمان، والكفر أيضاً جود النعمة وغمطها، وهو ضد الشكر" (٣)، "والكفر بالفتح التغطية، فكل شيء غطى شيئاً فقد كفره، ومنه الكافر لأنه يستر توحيد الله أو نعمة الله، ويقال للزارع: كافر، لأنه يغطي البذر تحت التراب" (٤)، لذلك قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٥)، قال: "ليس بالكفر الذي يذهبون إليه". (٦)

وقال أيضاً: "هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله". (٧)

وقال أيضاً: "من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو

ظالم فاسق". (٨)

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢١٠/١ .

(٢) المصدر السابق ٦/٢ .

(٣) شرح الكرمانى على صحيح مسلم ١٣٤/١ .

(٤) انظر: المصدر السابق .

(٥) سورة المائدة، آية ٤٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ١١٢/٣ .

(٧) تفسير ابن جرير الطبري ٢٥٧/١٠ رقم ١٢٠٦٣ تحقيق أحمد شاكر.

(٨) المصدر السابق ٢٥٦/١٠ رقم ١٢٠٥٣، انظره لتقف على كلام أحمد شاكر.

وقد بين - صلى الله عليه وسلم - ذلك في حديث ابن عباس، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُرِيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ، قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتَ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ". (١)

وقوله: "أيكفرن بالله" دليل على أن الكفر لفظ مجمل بين الكفر بالله والكفر الذي للعشير ونحوه، إذ الاستفسار دليل الاجمال". (٢)

ويستضح أن "المعاصي تسمى كفرا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد به الكفر المخرج عن الملة". (٣)

والمعاصي من أمور الجاهلية متى أتى المؤمن بعضها تكون فيه خصلة جاهلية لكنه لا يكفر كفرا مخرجا إياه من الملة، "فعن المعرور (٤) قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك؟ فقال: إني سابت رجلا فغيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر أغيرته بأمه؟"

(١) صحيح البخاري مع شرح الكرمانى ١٣٦/١ .

(٢) شرح الكرمانى على صحيح البخاري ١٣٦/١ .

(٣) فتح الباري ١٤٩/١ .

(٤) المعرور بن سويد: الإمام المعمّر أبو أمية الأسدي الكوفي. حدث عن ابن مسعود، وأبي ذر، وعنه وأهل الأحدث، وسالم بن أبي الجعد، وسليمان الأعمش. قال الأعمش: رأيتاه وهو ابن مئة وعشرين سنة أسود الرأس واللحية. توفي سنة بضع وثمانين.

سير أعلام النبلاء ١٢٤/٤ رقم ٦٥ .

إنَّكَ امرؤٌ فيك جاهليةٌ، إخوانكم حَوْلَكُمْ (١) جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم". (٢)

يتبين مما سبق موقف الإسلام الوسط في قضية الإيمان، وأن المؤمن هو من نطق بالشهادتين "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وأن من لم ينطق بالشهادتين فهو كافر سواء كان كتابيا أو غير ذلك، خلافا لبعض الانحرافات الفكرية التي استقرت لدى البعض، من اعتبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى داخلين في دائرة الإيمان وأنهم مشركون لا كفارا، بدليل إيمانهم بالله عز وجل، وخصوصية وضعهم في الإسلام من حلِّ التزوج منهم، وعدم هدم دور عبادتهم من الكنائس والأديرة.

والإسلام أيضا في موضوع الإيمان وسط وعدل في حكمه، موضوعي في تصوره، فهو يعتبر من نطق الشهادتين مسلما مؤمنا له ما لسائر المسلمين من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات، ولا يخلع عنه هذا الوصف إلا بدلائل يقينية، ولا يعتبره خارج دائرة الإسلام بمجرد ارتكاب المحظور المحرم، خلافا للمنحرفين الذين كفروا مرتكب الكبيرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) الخول: حشم الرجل وأتباعه، وأحدهم: خائل، وقد يكون واحدا، ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل: التمليك، وقيل: الرعاية.

النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٨٨/٢ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٥٢/١ .

وهو كذلك لعدالته غير متسبب بحيث يبقي وصف الإسلام حتى على الذين انسلخوا منه انسلخا، فمن أتى بعد نطقه بالشهادتين بفعل مكفر، فهو في نظر الإسلام خارج عن دائرته وإن نطق الشهادتين بلسانه، خلافا للمنحرفين الذين اعتبروا كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، مسلما مؤمنا وإن أتى بكل أعمال الكفر القلبية الاعتقادية والبدنية الفعلية.

فالإسلام عادل خير في اعتبار أصل الكفر والإيمان، سواء قبل الدخول فيه أو

بعده.

المبحث الثاني

الجانب العبادي "الشعائري"

تمهيد :

يقول تعالى في محكم التنزيل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). (١)
والذي نفهمه من إسلامنا الحنيف أن "الدين كله داخل في العبادة" (٢)، وأن
العبادة إنَّما "هي الدينونة الشاملة لله وحده في كل شأن من شئون الدنيا
والآخرة". (٣)

وما نعنيه من هذا المبحث هو ما يتعلق بشعائر الإسلام من صلاة وصيام وزكاة
وحج.

فإذا اتضح ذلك، فنقول بأنه بعد القيام بدراسة هذه الجوانب التعبدية في
الإسلام للوقوف على منهجه الوسط فيها، اتضح منهج الإسلام التعبدية فيما يلي:

١ - فرض الإسلام على المسلمين شعائر تعبدية، وأولها الأهمية الكبرى في
منهجه التعبدية.

٢ - سن لهم سننا وشرع لهم نوافل من العبادات، حثهم عليها دون الزام.

٣ - بيّن لهم أن الإحسان في أداء العبادات هو المطلوب، وأن الثمرة
القلبية هي المرجوة، لا المظهر والشكل.

٤ - وبين لهم كذلك أن لهذه العبادات آثارا سلوكية تتحقق فيهم، وأنها
تدل دلالة صادقة على صحة العبادة.

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦ .

(٢) العبودية، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني
الدمشقي (٧٢٨هـ) ص٣٨، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب ١٩٠٢/٢ .

٥ - وأن الذي ينجي الإنسان يوم القيامة، إنما هي رحمة الله تعالى،
وقبوله لما يقوم به، وليس مجرد أداء العبادات.

٦ - رفض الغلو والتشدد، وهي صفة بارزة في منهج الإسلام التعبدية، وذلك

لأسباب عدة:

أ - المشقة غير مطلوبة في ذاتها شرعا .

ب - خشية السامة والملل والانقطاع .

ج- لأن القليل الدائم أحب إلى الله من الكثير المنقطع.

د - خشية الجور على واجبات أخرى وإضعافها.

٧ - أن العبادة الجماعية يراعى فيها الأضعف .

٨ - نهج الإسلام للتيسير، وتشريع الرخص رفعا للحرص.

ولتفصيل القول فيما أجملناه، يحسن الوقوف عند كل واحدة منها لتوضيح

حقيقتها ومأميتها، وما يكتنفها من دقائق وتفصيل.

المطلب الأول : الفرائض هي الأصول التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها
ويؤديها حق الإداء :

قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة). (١)

وقال تعالى: (حفظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين). (٢)

"وهي الصلوات الخمس المكتوبات المعهودات في اليوم واللييلة". (٣)

والأمر بالمحافظة عليها يقتضي "القيام بها واستيفاء فروضها وحفظ حدودها،

وفعلها في مواقيتها وترك التقصير فيها". (٤)

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا

إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون). (٥)

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "لينتبهين أقوام عن ودعهم الجمعات،

أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين". (٦)

(١) سورة البينة، آية ٥ .

وأنظر: المغني لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ)،

٢٧٦/١، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣٨ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١٥٥/٣، تحقيق محمد الصادق القمحاوي،

دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان / ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سورة الجمعة، آية ٩ .

(٦) صحيح مسلم مع شرح الإمام النووي ١٥٢/٦ .

وشرع صلاة الجنازة، وهي فرض على الكفاية. (١)

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢)، "فألله تعالى أوجب علينا فرض الصيام بهذه الآية". (٣)

وقال تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين). (٤)

"وهذا ظاهر في إيجاب فرض الحج على شريطة وجود السبيل". (٥)

فهذه الشعائر التعبدية شرعها الله عز وجل لعباده وأوجبها عليهم، وقد بينت الأحاديث ذلك، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان". (٦) ويتضح أن المحافظة عليها والالتزام بها يدخل صاحبها الجنة.

"عن أنس بن مالك قال: نُهينا أن نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) انظر: المطى، لابن حزم ٢/٢٢٦ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٣ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١/٢١٤ .

(٤) سورة آل عمران، آية ٩٧ .

(٥) أحكام القرآن للجصاص ٢/٣٠٧ .

(٦) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١/١٠٠ .

عن شيء (١)، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق. قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال، آله أرسلك؟ قال: نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال: صدق. قال: فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال: صدق. قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال: صدق. قال: فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال: صدق. قال: ثم ولى، وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لئن صدق ليحظن الجنة". (٢)

ومذه الشعائر جعلت ليُعبَد الله بها، واختصت به حتى صار تعظيمها عند القائمين بها تعظيما لله، والتفريط في جنبها تفريطا في جنب الله (٣)، ولأجل

(١) يعني: سؤال ما لا ضرورة له. شرح مسلم للنووي ١٦٩/١ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦٩/١ .

(١) انظر: حجة الله البالغة، للشيخ أحمد، المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي ٦٩/١ بتصريف بسيط، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، لبنان.

ذلك بين سبحانه أنه ما تقرب إليه أحد بشيء أحب إليه سبحانه وأبلغ في الوصول مما افترضه عليه، "عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله تعالى قال: من عادى لي ولياً (١) فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه...". (٢)

"ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله" (٣)، "والأمر بالفرائض جازم، ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل" (٤) "وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب، فكانت الفرائض أكمل، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى، وأشد تقريباً، وأيضاً فالفرض كالأمل والأس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية ودل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل". (٥)

(١) المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته.

فتح الباري ١٣٧/٢٤ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ١٣٦/٢٤ .

(٣) فتح الباري ١٣٨/٢٤ .

(٤) المصدر السابق، وهو من كلام الطوفي.

(٥) المصدر السابق .

فشعائر الإسلام الواجبة هي التي يجب أن يعتنى بها بالدرجة الأولى قبل غيرها من عبادات النافلة .

فإخراج زكاة المال إذا بلغ النصاب وحال الحول هي التي يجب أن يعتنى بها قبل التحدث عن التصدق والبذل المستحب، لأن الزكاة هي التي تطهر الإنسان وتزكيه، قال تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن ملؤتك سكن لهم والله سميع عليم). (١)

والتعبير عن العبادة المالية بلفظة الزكاة، ذو دلالة عميقة، فهذه الزكاة بجانب أنها تطهرهم، فهي لاتنقص المال أبداً، بل تنميه وتباركه، وذلك أن "أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، يقال: زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة". (٢)

أما الذين يكنزون أموالهم ولا يؤدون زكاتها فقد توعدهم المولى بعذاب اليم (يلأيئها الذين ءامنوا إن كثيرا من الأعبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالبطل ويمدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (٣)، فالزكاة هي التي تطهر وتزكي وتنمي، ومن أخرج زكاة ماله فقد خرج من دائرة

(١) سورة التوبة، آية ١٠٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢١٢ .

(٣) سورة التوبة، آية ٣٤، ٣٥ .

الكنز، وبرقت ذمته أمام الله. (١)

وكذلك أتت النصوص في الزجر عن الفطر في رمضان شهر الصيام لمن لا عذر له،
"عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلا وقع بامرأته في رمضان، فاستفتى رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، فقال: "هل تجد رقبة؟" قال: لا. قال:
"وهل تستطيع صيام شهرين" قال: لا، قال: فأطعم ستين مسكينا". (٢)

كما جاءت النصوص بأن من أفطر يوما في رمضان في غير جماع قضى عنه يوما،
ولم يعتبر كفارة، بل لو صام الدهر لم يكفر عن ذنبه. (٣)

أما حج بيت الله الحرام فقد أوجبه الله عز وجل مرة واحدة في العمر على
المستطيع بإجماع الأمة (٤)، "عن ابن عباس قال: سأل الأقرع (٥) بن حابس رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، مرة الحج أو في كل عام؟
قال: لا، بل مرة، فمن زاد فتطوع". (٦)

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨٠/٤، طبعة دار الشعب.

وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤٣٣/٢ .

(٢) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ٢٢٦/٨ .

(٣) انظر: فتح الباري ٣٠٦/٨، وسنن أبي داود ٧٨٩/٢ رقم ٢٢٩٦ .

(٤) انظر: المغني لابن قدامة ١٦٠/٣ .

(٥) شهد مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفات قلبهم، وقد حسن إسلامه. وقيل

له الأقرع لقرع كان برأسه، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام. انظر: الإصابة

في تمييز الصحابة ١٠١/١ رقم ٢٣١ .

(٦) مسند الإمام أحمد ١٠٣/٥ رقم ٣٣٠٣، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وقد رتب الله عز وجل عليه أجرا عظيما، فجعل المؤمن إذا حج وقام بأداء مناسكه بصورة تامة، ولم يخالط حجه فحش في القول والعمل، واجتنب المعاصي، ورجع من حجه بتلك الحالة، رجع من حجه كيوم ولدته أمه طاهرا لا ذنب عليه، صغيرا كان أو كبيرا(١)، "عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه، قال عبدالرحمن: خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أو كما خرج من بطن أمه"(٢).

أما شعيرة الإسلام الكبرى، أي الصلوات الخمس، فهي أول ما يُسأل عنها العبد يوم القيامة، فإذا صلحت فقد أفلح، "عن حريث بن قبيصة(٣) قال: قدمت المدينة فقلت: اللهم يسر لي طيبا صالحا، قال: فطست إلى أبي هريرة، فقلت: إني سألت الله أن يرزقني طيبا صالحا، فحدثني بحديث سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعل الله أن ينفعني به، فقال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضة

(١) انظر: فتح الباري ١٥٥/٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٤٤/٢٠، رقم ١٠٢٧٩، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وعبدالرحمن هو أحد رواة الحديث، وهو الراوي عن سفيان، عن منصور، عن أبي حازم، عن أبي هريرة.

(٣) ويقال: قبيصة بن حريث، تابعي أنصاري بصري. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات في طاعون الجارف سنة سبع وستين. انظر: تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (٢٧٣-٨٥٢هـ) ٢٤٥/٨، رقم ٦٢٧. الطبعة الأولى، دار صادر.

شيئا، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك". (١)

ومثل هذه الصلوات الخمس كمثّل النهر في التطهير، "عن عامر (٢) بن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت سعدا وناسا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون: كان رجلان أخوان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أحدهما أفضل من الآخر، فتوفي الذي هو أفضلهما، ثم عمّر الآخر بعده أربعين ليلة، ثم توفي، فذكر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضل الأول على الآخر، فقال: "ألم يكن يصلي؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، فكان لا بأس به. فقال: ما يدريك ماذا بلغت به صلاته؟! ثم قال عند ذلك: "إنّما مثل الصلاة كمثّل نهر جار بباب رجل غمر (٣) عذب، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون يبقي ذلك من

(١) صحيح سنن الترمذي، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ١٣٠/١ رقم ٢٢٧، وقال: صحيح. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. الناشر: مكتب التربية العربية لدول الخليج. إشراف زهير الشاويش- المكتب الإسلامي.

قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حسن غريب من هذا الوجه. سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر ٢/٢٧١، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

(٢) عامر بن سعد بن أبي وقاص، امام ثقة، مدني، سمع أبيه، وأسامة بن زيد، وعائشة، وأبا هريرة، وجابر بن سمرة. مات سنة أربع ومئة.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٩ رقم ١٢٢ .

(٣) غمر : الغمر - بفتح الغين وسكون الميم - : الكثير، أي يغمر من دخله ويغطيه. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٢٨٣ .

درنه (١)؟". (٢)

و"عن عبدالله بن عمرو، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور وبرهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف". (٣)

فالعبادات المفروضة هي التي يجب أن نوليها العناية بالدرجة الأولى، وأن نؤديها حق الأداء، ونهتم بها، وهذا ما يوضحه صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وأن هذه الواجبات مقدّمة على النوافل والتطوع.

"عن أبي الطفيل (٤) عامر بن واثلة أن رجلاً مر على قوم فسلم عليهم، فردوا

(١) الدرر: الوسخ. النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير ١١٥/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاکر ٦٨/٣ رقم ١٥٣٤ .

قال أحمد شاکر: إسناده صحيح .

(٣) مسند الإمام أحمد ١٦٩/٢ طبعة دار الدعوة .

قال في مجمع الزوائد ٢٩٧/١ : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط،

ورجال أحمد ثقات، إلا أنه لم يقل "قارون".

(٤) وهو مشهور باسمه وكنيته، رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب،

وحفظ عنه أحاديث، وروى عن جمع من الصحابة، منهم الصديق وعمر وعلي ومعاذ

وغيرهم، وقد أدرك ثمان سنين من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومات

سنة اثنتين ومائة، وقيل سنة عشر ومائة بمكة. الإصابة في تمييز الصحابة

٢٣٠/٧ رقم ١٠١٦٠ .

عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله، فقال أهل المجلس: بئس والله ما قلت، لتُبَيِّنُنْه، قم يا فلان - رجل منهم - فأخبره، قال: فأدركه رسولهم فأخبره بما قال فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، إني مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان فسلمت عليهم فردوا السلام، فلما جاوزتهم أدركني رجل منهم فأخبرني أن فلانا قال: لا والله إني لأبغض هذا الرجل في الله، فداعه يا رسول الله فسله علي ما يبغضني، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله عما أخبره الرجل، فاعترف بذلك، وقال: لقد قلت ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلم تبغضه؟ قال: أنا جاره، وأنا به خابر، والله ما رأيته صلى صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التي يصليها البر والفاجر، قال: سله يا رسول الله هل رأني أخرجتها عن وقتها، أو أسأت الركوع والسجود فيها؟ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا. قال: والله ما رأيته يصوم قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر، قال: سله يا رسول الله، هل رأني فرطت فيه أو تنقصت من حقه شيئاً، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا. قال: والله ما رأيته يعطي سائلاً قط، ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الله خير إلا هذه الصدقة التي يؤديها البر والفاجر. قال: فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزكاة شيئاً قط أو ما كست(١) فيها طالبها، فسأله رسول الله صلى الله عليه

(١) المكس: النقص. والمكس: انتقاص الثمن في البيعة. لسان العرب ٥١٥/٣.

وسلم، قال: لا. فقال صلى الله عليه وسلم: "قم إن أدري لعله خير منك". (١)

فيكون الإسلام بمنهجه الوسط في الجانب العبادي قد ربط المؤمنين بعبادات واجبة لا مناص من القيام بها، وأمر بأدائها حق الأداء على الوجه الأكمل، مراعيًا طاقات الناس وإمكاناتهم، فأوجب عليهم من الصلوات خمسًا بدل الخمسين، وجعل في المال-حقًا للفقراء وتكافلًا بين أفراد المجتمع-مقدارًا من المال يعين الفقير ولا يؤثر على مال الغني بل يباركه وينميه، وكذلك صيام شهر في السنة تقربًا لله، هذه العبادة التي تولد التقوى في النفس، وأنعم بمجتمع قد اتمف أفراده بتقوى الله وخشيته، وفرض حجا لبيت الله العتيق مرة في العمر آخذًا في الاعتبار الاستطاعة والإمكانية.

فيكون الإسلام بمنهجه العادل الخير قد ربط المسلمين بمولاهم برباط متين، مما يجعلهم في انطلاقهم ربانيي المنزع، أينما كَلَّوا حل الخير والبركة، وحافظ عليهم من التطل والبعد عن الله مع مرور الزمن.

وإذا كان الإسلام باعتداله قد راعى قدرات الناس المختلفة ففرض عليهم ما يناسب طاقاتهم المختلفة، فقد فتح باب الخير على مصراعيه لأصحاب الهمم والعزائم والذين شفقوا بمولاهم سبحانه حبا وإجلالا، يتقربون إليه بنوافل العبادات، فراعى الإسلام بمنهجه الوسط عموم الناس في الواجبات، ولم يحرم أصحاب العزائم من الزيادة في الخير.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤٥٥/٥ طبعة دار الدعوة.

قال في مجمع الزوائد ٢/٢٦٣: رواه أحمد والطبراني في الكبير ... ورجاله رجال الصحيح إلا مظفر بن مدرك. وهو ثقة.

المطلب الثاني : الحث على نوافل العبادات :

إن المتأمل لنصوص الشرع ليقف أمام حقيقة في غاية الوضوح، وهي أن الشارع لم يكتف بإيجاب بعض العبادات وتوضيح أهميتها، بل حث كذلك على الإكثار من نافلة العبادة، جبرا لما قد يطرأ على الفرائض من نقص بسبب سهو أو غفلة، "عن أنس(١) بن حكيم الضبي، قال: قال لي أبو هريرة: إذا أتيت أهل ممرق فأخبرهم أنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: أول شيء يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته المكتوبة، فإن صلحت - وقال يزيد مرة: فإن أتمها - وإلا زيد فيها من تطوعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة كذلك". (٢)

وتكون النوافل كذلك ميدانا للتنافس وكسب الأجر والدرجات العليا من الجنة، وكذلك منة منه سبحانه على عباده الصالحين الذين أصبحت لذتهم وسعادتهم في مناجاته والتضرع بين يديه راكعين ساجدين، "عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: ذكر عند النبي - صلى الله عليه وسلم - قوم يجتهدون في العبادة اجتهادا شديدا ، فقال : "تلك ضرورة الإسلام وشرته ، ولكل عمل

(١) أنس بن حكيم الضبي البصري: تابعي ثقة. قاله الشيخ أحمد شاکر في مسند الإمام أحمد ١٩/١٩.

وقال عنه المزي: وهو أحد المجهولين. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (٦٥٤-٧٤٢هـ) ٣/٢٤٦ رقم ٥٦٥، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة.

(٢) مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاکر ١٩/١٥ رقم ٧٨٨٩، وقال أحمد شاکر:

شرة(١)، فمن كانت فترته(٢) إلى اقتصاد فَنِعَم ما هو، ومن كانت فترته إلى المعامي فأولئك هم الهالكون".(٣)

وسوف نجمل الحديث عن بعض نوافل العبادات للتبيين والإيضاح:

١ - نوافل الصلاة :

وهي كثيرة، وليس المقام هنا لخصرها، بل لضرب أمثلة منها توضح ما ذهبنا إليه من الحث على النافلة.

"عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: صليت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - سجدتين قبل الظهر، وسجدتين بعد الظهر، وسجدتين بعد المغرب، وسجدتين بعد العشاء، وسجدتين بعد الجمعة، فأما المغرب والعشاء ففي بيته، وحدثني أضي حفمة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي سجدتين خفيفتين بعد ما يطلع الفجر، وكانت ساعة لا أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم".(٤)

و"عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر".(٥)

(١) الشرة: بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة: النشاط والرغبة.

حاشية مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر ١٩٢/٩ .

(٢) الفترة: الانكسار والضعف، والسكون بعد الحدة، واللين بعد الشدة. المصدر السابق.

(٣) رواه الطبراني في الكبير وأحمد بن حنبل، ورجال أحمد ثقات. وقد قال ابن إسحاق "حدثني أبو الزبير" فذهب التدليس. مجمع الزوائد ١٦٢/٢، والمسند ١٦٥/٢ طبعة دار الدعوة.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٦١/٦ . (٥) صحيح البخاري مع الفتح ٦٩/٦ .

وكان صلى الله عليه وسلم القدوة الفعلية لأصحابه، لذلك كانوا يتتبعون آثاره ويسألون عنها لكي ييقتفوا أثره، فعن "أبي سلمة (١) بن عبدالرحمن، أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلي أربعا، فلا تسلم عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسلم عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانٌ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي". (٢)

"وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبيت نضح (٣) في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلت،

(١) أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف القرشي الزهري الحافظ، أحد أعلام المدينة. قيل: اسمه عبدالله، وقيل: إسماعيل، ولد سنة بضع وعشرين. حدث عن أبيه بشيء قليل لكونه توفي وهذا صبي. وأمه تماضر بنت الأصبح بن عمرو من أهل دومة الجندل، أدركت حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأرضعته أم كلثوم. فعائشة أم المؤمنين خالته من الرضاعة. توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٤ رقم ١٠٨ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٤٠/٦ .

(٣) أي: رش في وجهها الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث ٦٩/٥ .

فإن أبا نضحت في وجهه الماء". (١)

والله سبحانه وتعالى يحب مثول عبده بين يديه متعبداً، "عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم، الذي إذا انكشف فيه قاتل وراءها بنفسه لله تعالى، فإمّا أن يُقتل وإمّا أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه. والذي له امرأة حسنة، وفراش لين حسن، فيقوم من الليل يخر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد. والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا" (٢) فقام من السحر في ضراء سراء". (٣)

أما الذي ينام كل الليل فقد وُصف بأن الشيطان قد بال في أذنه، "عن عبد الله (٤) - رضي الله عنه - قال: دُكر عند النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل، فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: بال الشيطان في أذنه". (٥)

(١) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاکر ١٣٩/١٣ رقم ٧٤٠٤ وقال أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٢) الهجع والهجة والهجيع: طائفة من الليل، والهجوع: النوم ليلاً. النهاية في غريب الحديث ٢٤٧/٥ .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢٥٨/٢ .

(٤) هو ابن مسعود كما في مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاکر ١٩٠/٥ رقم ٣٥٥٧ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٣٤/٦ .

و"عن ربيعة (١) بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: "سل، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: "أو غير ذلك" قلت: هو ذلك. قال: "فأعني على نفسك بكثرة السجود". (٢)

٢ - الإنفاق من المال :

وقد حث الإسلام على بذل المال زيادة على الزكاة، ووعده المنفق بأجر مضاعف في نصوص كثيرة، قال تعالى: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (٣)، وقال تعالى: (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أمانها وإبل فعاتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وإبل فطلّ والله بما تعملون بصير). (٤)

فهل من عاقل بعد ذلك لا تجود نفسه بالإنفاق وهو يعلم أن هذه التجارة ليس لها محل إلا الحياة الدنيا فإذا انتهت ذهبت التجارة، (يأتيها الذين آمنوا

(١) ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر، أبو فراس الأسلمي، حجازي. كان من أهل المصّة، ولم يزل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن قبض، فخرج من المدينة فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة، وبقي إلى أيام الحرة، ومات بالحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة. الإصابة ٤٧٤/٢ رقم ٢٦٢٥ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣٤/٦ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢٦١ .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٦٥ .

انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتىَ يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفعة والكفرون هم الظالمون). (١)

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "يا ابن آدم، إنَّك إن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وأبدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى". (٢)

و"عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تصدق بعدل (٣) ثمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإنَّ الله يتقبلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه (٤) حتى تكون مثل الجبل". (٥)

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٤ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٢٦/٧، قال النووي من ١٢٧: "هو بفتح همزة أن، ومعناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المنسوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه في آخرته، وهذا كله شر.

(٣) بعدل ثمرة: أي بقيمتها. فتح الباري ٢٦/٧ .

(٤) قَلْوَهُ : بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو. وهو المهر، لأنه يفلئ أي يفطم. وقيل: هو كل فطيم من ذات حافر، والجمع أفلاء. المصدر السابق.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٢٥/٧ .

٢ - نوافل الصوم :

وقد حبيب - صلى الله عليه وسلم - ذلك لأصحابه ورجبهم فيه في أحاديث كثيرة.

١ - صيام ست من شوال:

عن "أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر". (١)

ب - يوم عرفة :

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن قتادة (٢) بن النعمان، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من صام يوم عرفة، غفر له سنة أمامه وستة بعده". (٣)

ج - صيام عاشوراء :

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٥٦/٨ .

(٢) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر. الأمير المجاهد، أبو عمر الأنصاري الظفري، البصري، من نجباء الصحابة، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وكان على مقدمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما سار إلى الشام، وكان من الرماة المعدودين. عاش خمسا وستين سنة. توفي سنة ثلاث وعشرين بالمدينة. ونزل عمر يومئذ في قبره. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣١/٢ رقم ٦٦ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٢٨٩/١ رقم ١٤٠٧ وقال الألباني: صحيح .

عن أبي قتادة (١) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "صيام يوم عاشوراء، إنّي أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله". (٢)

د - صيام الاثنين والخميس :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان

يصوم الاثنين والخميس، فقيل له: يا رسول الله! إنك تصوم الاثنين والخميس!

فقال: "إنّ يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم، إلاّ متهاجرين،

يقول: دعهما حتى يمتلحا". (٣)

وعن سهل (٤) - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إنّ

في الجنة بابا يقال له الريان (٥) يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه

(١) فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسمه الحارث بن ربيعي. وقيل:

النعمان. وقيل: عمرو. قال عنه صلى الله عليه وسلم: "خير فرساننا أبو

قتادة، وخير رجالاتنا سلمة بن الأكوع". أخرجه الطبراني بسند حسن، قاله

محقق سير أعلام النبلاء. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٢ رقم ٨٧، والاصابة -

طبعة دار صادر - ١٥٨/٤ رقم ٩٢١ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١/٢٩٠) رقم ١٤١٣،

وقال الألباني: صحيح .

(٣) المصدر السابق رقم ١٤١٥، وقال الألباني: صحيح .

(٤) سهل بن ضيف، أبو ثابت الأنماري الأوسي العوفي، شهد بدرًا والمشاهد، مات

بالكوفة في سنة ثمان وثلاثين، وصلى عليه علي رضي الله عنه، وكان من

أمرائه. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢٥/٢ رقم ٦٢ .

(٥) الريان: بفتح الراء وتشديد التحتانية، وزن فعلان، من الري: اسم علم على=

أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد". (١)

٤ - العمرة :

وقد ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - في شد الرحال إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة وأنها مَكْفَرَةٌ للذنوب قوله: "تابعوا بين الحج والعمرة، فإنَّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة". (٢)

وعنه صلى الله عليه وسلم: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". (٣)

وبمجملة هذه النوافل يتضح أن الإسلام بمنهجه الوسط، قد ربط أتباعه بمولاهم عز وجل، وحثهم على التقرب إليه اختياراً لا وجوباً كما هو الحال في فرائض العبادات، فأراد الإسلام من المسلمين أن يكونوا ربانيين بما تفيض عليهم بركات العبادة، فتتحرك أجسامهم على الأرض، وتتعلق قلوبهم بمولاهم، فتفيض ركعاتهم وسجدهم عليهم الخير والملاح، فتكون حياتهم بين الناس حياة خير وصلاح للمجتمع أجمع.

= باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه، وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه لأنه مشتق من الري، وهو مناسب لحال الصائمين. فتح

الباري ٢٤٥/٨ .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٢٤٥/٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٤٤/٥ رقم ٣٦٦٩، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ١١٢/٩ .

المطلب الثالث : إنما العبادات لإقامة ذكر الله تعالى :

"إنَّ من أعظم أنواع البر أن يعتقد الإنسان بمجامع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده أن العبادة حق لله تعالى على عباده، وأنهم مطالبون

بالعبادة من الله تعالى بمنزلة سائر ما يطالبه ذوو الحقوق من حقوقهم". (١)

عن "معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدري يا معاذ ما حق الله على عباده؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. قال: فتدري ما حقه على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم". (٢)

والذي لا يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً، وأنه يطالب بالعبادة ويؤاخذ بها من قبل ربه، فإن عبادته تنتقل إلى عادة كسائر عاداته لا أثر فيها من حضور القلب والإخبات لله تعالى والتضرع لجنابه، فلا تفتح باباً بينه وبين ربه (٣)، وقد قال تعالى: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (٤)، (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تمنعون). (٥)

(١) حجة الله البالغة للشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي ٦٧/١ .

(٢) سنن الترمذي مع شرح تحفة الأحوذى ٤٠٢/٧ رقم ٢٧٨١، قال الترمذي: هذا حديث

حسن صحيح.

(٣) انظر: حجة الله البالغة ٦٧/١ .

(٤) سورة طه، آية ١٤ .

(٥) سورة العنكبوت، آية ٤٥ .

وذكر الله تعالى وتعظيمه إنَّما يكون بتعظيم شعائره، وتعظيم شعائر الله ذو علاقة مضطربة بدرجة التقوى، (ذلك ومن يعظم شعير الله فإنَّها من تقوى القلوب)(١)، والتقوى ثمرة التجاوب الفعلي مع العبادات وثمرتها المرجوة، (يا أيُّها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)(٢)، والله تعالى لا تصله الحركات والمظاهر، إنَّما تصله التقوى، (لن ينال الله لُحُومُها ولا دُمُاؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هدنكم وبشر المحسنين). (٣)

وكلما أُدبَّت العبادات بالصورة الصحيحة، مع حضور القلب والعقل كانت أكمل في التعظيم والذكر وأقرب للتقوى، لذلك كان عليه الصلاة والسلام في توجيهاته فيما يتعلق بالعبادات كان يُنَوِّه على ضرورة الدخول في العبادة بعد فراغ الذهن من كل ما يعكره ويشغله وكذا في حضور القلب وراحة الجوارح، فما قيمة عبادة من قلب غافل، وعقل ساه شارد، لا خشوع ولا إخبات ولا تدبير.

ولتحقيق الخشوع اتخذ تدابير عدة، منها:

أولا : حفظ الجوارح :

(١) فكان يأمر بالحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم

(١) سورة الحج، آية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٣ .

(٣) سورة الحج، آية ٣٧ .

فأتموا". (١)

(٢) وكان ينههم عن الالتفات ورفع البصر حفظا لها عما يشغلها:

"عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟ فاشتد قوله في ذلك

حتى قال: لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم". (٢)

(٣) اتقاء الحر :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: إن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - قال: "إذا اشتد الحر فأبردوا" (٣) الصلاة فإن شدة الحر من فيح (٤)

جهنم". (٥)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣/٣٢١ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٤/١٣٦ .

(٣) الإبراد : تأخير الظهر عن وقتها حتى يحصل للحيطان فيء يمشون فيه،

ويتناقص الحر. انظر: شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ٥/١١٧ .

وقال الإمام الخطابي: معنى الإبراد في هذا الحديث: انكسار شدة حر

الظهيرة. معالم السنن شرح سنن أبي داود، للإمام الخطابي (٣١٩-٣٨٨هـ)

١/٢٨٤، تعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد. نشر محمد علي السيد.

الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

(٤) فاح الحر يفيح فيحما: سطع وماج. والفيح: سطوع الحر وفورانده، ويقال

بالواو، وفاحت القدر تفيح وتفوح إذا غلت، وقد أخرجه مخرج التشبيه، أي:

كأنه نار جهنم في حرها. انظر: لسان العرب ٢/١١٥٢ .

(٥) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ٥/١١٧ .

فالمصلاة في شدة الحر تشغل الإنسان عن الخشوع بسبب ما يناله الجسد من لسعات من حرارة الشمس.

(٤) قضاء الحاجة :

وكذلك الحاقن، فإن الإحساس بالضييق والألم الذي يكابده يشغله ويصرف عنه الخشوع، لذا جاء الأمر النبوي بالتخفيف قبل الصلاة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: "لا ينحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يملي وهو حَقِن (١) حتى يخفف". (٢)

(٥) تقديم العشاء على الصلاة :

عن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا وُضِعَ عَشاءُ أحدكم وأقيمت الصلاة فلا يقوم حتى يفرغ" (٣)، ويدخل بعد ذلك في الصلاة وقد فرغ من هم بطنه وجوعه.

ثانيا : حفظ الذهن والعقل :

قبل تحريم الخمر جاءت آية كريمة في منع السكرى من الصلاة، وبينت علة ذلك أنهم لا يعلمون ما يقولون، وأنه إذا ذهب عنهم السكر ووعوا ما يقولون فليملؤا. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الْمَلُوءَةَ وَإِنْتُمْ سَكْرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) (٤)، "وهو مطرد في الغافل المستغرق في الهم بالوسواس

(١) هو الذي حبس بوله كالحاقب للغائط. النهاية في غريب الحديث ٤١٦/١ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین ١/١٦٨، صححه الحاكم ووافقه الذهبي. طبعة دار

الكتاب العربي - بيروت .

(٣) مسند الإمام أحمد ٦/٣٢١، رقم ٤٧٠٩، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٤) سورة النساء، آية ٤٣ .

وأفكار الدنيا". (١)

وقد نبّه صلى الله عليه وسلم أنه إذا قام أحد للصلاة وشعر بالنعاس أن يذهب ويرقد، لأن النعاس صارف للذهن، فقال: "إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنّ أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه". (٢)

ونبه كذلك - عليه الصلاة والسلام - على ضرورة عدم تشويش بعض الميملين على البعض الآخر برفع الصوت، حتى يعلم كل ما يقول، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "اعتكف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العشر الأواخر من رمضان، فاتخذ له فيه بيت من سعف، قال: فأخرج رأسه ذات يوم، فقال: إنّ المصلي يناجي ربه عز وجل، فلينظر (٣) أحدكم بما يناجي ربه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة". (٤)

ثالثا : حضور القلب :

حتى يتحقق الخشوع، وتحقق العبادة ثمرتها، ويستشعر العبد جلال الموقف

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ١٥٩/١ .

وانظر كتاب: العبادة في الإسلام، للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

ص٢١٣، ٢١٤، الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة.

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ٧٤/٦ .

(٣) وفي رواية: "فليعلم". مسند الإمام أحمد ٦٣/٧ رقم ٤٩٢٨. قال الشيخ أحمد

شاكِر: إسناده صحيح.

(٤) مسند الإمام أحمد ١٨٨/٧ رقم ٥٣٤٩. قال الشيخ أحمد شاكِر: إسناده حسن.

وعظمة الخالق نبّه عليه الصلاة والسلام على أهمية حضور القلب وعدم غفلته، فقال: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه" (١)، وقال: "الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين، وتخشع (٢)، وتضرع، وتمسك، وتدزع (٣)، وتقنع يدك"، يقول (٤): ترفعهما إلى ربك، مستقبلا ببطونهما وجهك، وتقول: يا ربّ يا ربّ، ومن لم يفعل ذلك فهو كذا وكذا" (٥).

(١) صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١٦٤/٣ رقم ٢٧٦٦، وقال: حسن.

(٢) التخشع: السكون والتذلل، وقيل: الخشوع قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البصر والبدن والصوت. وقيل: الخضوع في الظاهر، والخشوع في الباطن، والأظهر أنهما بمعنى. والتضرع: التذلل والمسبّالغة في السؤال والرغبة. والتمسك: اظهار الرجل المسكنة. انظر: تحفة الأحوذى شرح الترمذي ٣٩٢/٢ .

(٣) تدزع : من القيد. ويقال: ذرع البعير أي قيد ذراعيه. انظر: لسان العرب ١٠٦٣/١ .

(٤) قال الشيخ أحمد شاکر: القائل هو أحد الرواة، يفسر بها قوله: "تقنع"، ويظهر أنه من كلام عبدالله بن سعيد. سنن الترمذي تحقيق الشيخ أحمد شاکر ٢٢٦/١ . وانظر: مسند الإمام أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاکر ١٦٧/٤ .

(٥) سنن الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد شاکر ٢٢٥/٢ رقم ٣٨، وقال الترمذي: هو حديث صحيح.

ونهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة السريعة التي يستحيل أن يرافقها خشوع واطمئنان، وشبهها بنقرة الغراب، "عن عبدالرحمن(١) بن شبل قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ثلاث: عن نقرة(٢) الغراب، وعن فرشة السبع، وأن يُوطنَ الرجل المكان الذي يصلي فيه كما يُوطنُ البعير"(٣).

فليست العبرة بالتوجه قبل المشرق والمغرب، إنما العبرة بالإيمان وتجاوب القلب، و"توجه الإنسان بكليته إلى ربه ظاهرا وباطنا، جسما وعقلا وروحا".(٤)
يتضح مما سبق أن الإسلام يمنهجه الوسط عندما شرع لعباده العبادات بكيفيات معينة لا تصح إلا بها - كما في الصلاة من ركوع وسجود وقيام - فإنه بالدرجة الكبرى وجه الأنظار إلى أنها لتعظيم الخالق، وأن هذا الهدف يتحقق بدرجة أكمل كلما تواجد الخشوع، وتكون بذلك العبادة أكثر تحفيقا لهدفها من تعظيم الخالق، وأوفر ثمارا في الدنيا من حيث الأثر الذي تتركه في نفس وسلوك العابد، فيعم خيره على نفسه وعلى من يحيطون به.

(١) عبدالرحمن بن شبل بن عمرو بن زيد بن نجدة بن مالك بن لودان الأنصاري الأوسي، أحد نقباء الأنصار، وكان من الصحابة الذين نزلوا حمص بالشام. انظر: الإصابة ٤٠٣/٢ رقم ٥١٣٩ طبعة دار صادر.

(٢) أي: تخفيف السجود، بحيث لا يمكن فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله. قاله فؤاد محمد عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجه ٤٥٨/١ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد نمار الدين الألباني ٢٤١/١ رقم ١١٧٦، وقال: حسن.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ١٦٠/١ .

المطلب الرابع : للعبادة في الإسلام ثمار سلوكية :

ومن وسطية الإسلام وخيريته أن لعبادته ثمارا سلوكية خيرة تعود بالنفع والصلاح العام على المجتمع، بل إنّ هذه الثمار تكون دليلا صادقا على صحة العبادة والعكس صحيح، وهو ما نبه عليه المولى عز وجل في قوله: (اتل ما أوحى إليك من الكتاب واقم الصلوة إنّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تمنعون)(١)، ولذلك يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "من لم تأمره صلواته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزد من الله إلاّ بعدا".(٢)

والصلوة التي تولد هذه الآثار الطيبة إنّما هي الصلاة الخاشعة، لذلك قال

تعالى: (قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلواتهم خضعون).(٣)

فبالخشوع وحضور القلب يقف المصلي على معان لطيفة يفهمها من الآيات لم

يكن قد انتبه إليها من قبل، فتنهاه الآيات عن الفحشاء والمنكر لا محالة(٤)،

لذلك ورد في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "جاء رجل الى النبي

- صلى الله عليه وسلم - فقال: إنّ فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، قال:

سينهاه ما يقول".(٥)

(١) سورة العنكبوت، آية ٤٥ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. قاله في مجمع الزوائد

. ٢٦١/٢

(٣) سورة المؤمنون، آية ٢،١ .

(٤) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ١٦١/١ .

(٥) مسند الإمام أحمد ٣١/١٩ رقم ٩٧٧٧، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

وقد ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "شر ما في الإنسان شح هالع(١)، وجبن خالع".(٢)

وبيّن تعالى أن العبادة من صلاة ونفقة وبذل مال تنقي الإنسان من هذه الأطلاق الذميمة، (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمَمْلُوكِينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صُلَاتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)(٣) إلى آخر الآيات التي تدل دلالة واضحة على أشر الاستقامة والعبادة.

ولدلالة هذه الآثار السلوكية على صدق وصحة العبادة، نبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "الصيام جنّة، فإذا كان أحدكم مائماً، فلا يرفث(٤)

(١) أُمِل (الهلع): الجزع، و(الهالع) مهنا ذو الهلع، ويقال: إن الشح أشد من البخل. ومعناه البخل الذي يمنعه من إخراج الحق الواجب عليه، فإذا استخرج منه هلع وجزع منه، و(الجبن الخالع): هو الشديد الذي يخلع فؤاده من شدته. معالم السنن للإمام الخطابي، شرح سنن أبي داود ٢٧/٣ بتصريف بسيط.

(٢) سنن أبي داود ٢٦/٢ رقم ٢٥١١ .

(٣) سورة المعارج، آية ١٩-٢٥ .

(٤) الرفث: قبيح الكلام والجهل ضد العلم والطم. انظر: المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، تأليف القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الأنخلسي (ت ٤٩٤) ٧٣/٢ طبعة دار الفكر العربي.

ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: **إني صائم، إني صائم**". (١)
وكما أن الصوم جنة لصاحبه، ومانع من الآثام وقبيح الكلام والجهل
والمشاجرة، كذلك حافظ للإنسان من دواعي الإغواء والشهوة، من غض للبصر، وحفظ
للفرج، فعن **علقمة** (٢) قال: **"بيننا أنا أمشي مع عبدالله - رضي الله عنه -**
فقال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: من استطاع البائة (٣)
فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له

(١) موطأ الإمام مالك بن أنس، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ٣١٠/١ رقم ٥٧،
طبعة دار الدعوة - تركيا.

(٢) **علقمة بن قيس بن مالك النخعي الكوفي، فقيه الكوفة وعالمها ومقرؤها،**
وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي، ولد في أيام البعثة النبوية، وعادته
في المخضرمين، هاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة، ولازم ابن
مسعود. وقيل: مات سنة إحدى وستين. وقيل: اثنتين وستين. وقيل: خمس
وستين. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٣/٤ رقم ١٤ .

ومنه يكون عبدالله المذكور في الرواية هو : ابن مسعود رضي الله .

(٣) هو مثل البائة، وسمي النكاح بائة لأن الرجل يتبوأ من أهله أي يستمكن منه
كما يتبوأ من داره ... "وتقديره: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن
النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع النكاح لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم".
انظر: شرح الكرماني لصحيح البخاري ٨٨/٩ .

وجاء (١) . (٢)

ولخطورة الآثار السلوكية ودلالاتها على صحة العبادة قال صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه" (٣)، وقال تعالى عن الحج: (الحج أشهر معلومت فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب). (٤)

فمراعاة تقوى الله في العبادة، والابتعاد في الحج عن النكاح ودواعيه من التعريض به وفحش الكلام، والفسق من المعاصي والسيئات، والجدال والخصام مع عموم الناس (٥) دليل على قبول العبادة ووقوعها في محلها الصحيح، وفي المقابل أيضا فسوء الخلق، وجلب الأذى للناس دليل على أن العبادة لم تكن صحيحة، ولم تقع موقع القبول منه سبحانه وتعالى، وهو مصداق حديث أبي هريرة الذي يقبول فيه: "قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها

(١) بكسر الواو بالمد: رض الخصيتين، وقيل: هو رض العروق، والخصيتان بحالهما، والمراد أن الصوم يقطع الشهوة كما يفعلها الوجداء. شرح الكرماني

لصحيح البخاري ٨٩/٩ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢٥٥/٨ .

(٣) المصدر السابق ٢٦٥/٢٢ .

(٤) سورة البقرة، آية ١٧٩ .

(٥) انظر : فتح الباري ١٥٤/٧ .

وانظر: تفسير روح المعاني للألوسي ٨٦/٢ دار التراث .

وصيامها وصدقها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: "هي في النار"، قال:
يا رسول الله، فإنّ فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها، وأنها تصدق
بالأثوار (١) من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: "هي في الجنة". (٢)

(١) الأثوار: جمع ثور، وهي قطعة من الأقط، وهو لبن جامد مستحجر. النهاية في
غريب الحديث ٢٢٨/١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٠٠/١٨ رقم ٩٦٧٣، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

المطلب الخامس : رحمة الله هي المنجية :

شرع المولى لعباده عبادات يتقربون بها إليه سبحانه، واعتياد المرء عبادة ربه دليل من الأدلة على وجهته التي اختارها، ودليل على صدق قوله في اختيار مولاه، ولكن الذي يجب أن يستقر في أعماق القلب هو أن النجاة يوم القيامة إنما تكون برحمة الله عز وجل، وهو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: "لن يُنَجِّيَ أحدًا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، سدوا وقاربوا، واغدوا (١) وروحوا (٢) وشيئا من الدلجة (٣)، والقصد القصد تبلغوا". (٤)

وفي الحديث أيضا إشارة إلى عبادة النهار والليل، وفيه إشارة إلى الحث على الرفق في العبادة. (٥)

أما قول الله تعالى على لسان الملائكة: (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلم عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (٦)، فلا خلاف بينه وبين الحديث، بل المعتبر أن العمل سبب من أسباب النجاة، فقوله تعالى: (ادخلوا

(١) الغدو : السير من أول النهار . انظر: فتح الباري ٨٣/٢٤ .

(٢) الرواح : السير من أول النصف الثاني من النهار. المصدر السابق.

(٣) الدلجة: سير الليل، فقال: شيئا من الدلجة لعسر سير جميع الليل. انظر:

المصدر السابق ٨٣/٢٤ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٨٠/٢٤ .

(٥) انظر : فتح الباري ٨٣/٢٤ .

(٦) سورة النحل، آية ٣٢ .

الجنة بما كنتم تعملون)، فهذه باء السبب، أي: بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبي - صلى الله عليه وسلم - بباء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا، أي: ليس العمل عوضاً وشمناً كافياً في دخول الجنة، بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات^(١)، فلو قورن عبادة أعبد الناس في مقابل كفة حقوق الله تعالى، لما كفت ثمننا لنجاته ودخوله الجنة، وهذه النظرة في منهج الإسلام الوسط تتولد في النفس المؤمنة الرجاء الدائم، والحذر المستمر، ولا تجعله ينصرف اتكالا على عمله وغرورا بعبادته، فكلما تقرب العبد من مولاه ولاذ بحماه زاد إيمانه، وأيقن أن النجاة إنما تكون برحمته سبحانه، فلا ينظر إلى من دونه عبادة نظرة ازدراء وتعال، بل يطمع أن يحوز رحمة الله ورضوانه، فتحفظ على الإنسان نفسه من سدخل شيطاني، قد يدخل عليه منه وساوس الشيطان فتولد في نفسه الزهو بالنفس لما هو عليه من عبادة ونسك.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٠/٨ .

المطلب السادس : رفض الغلو والتشدد :

وهو من مظاهر الوسطية البارزة في الجانب العبادي، فقد جاء في حديث سهل بن أبي أمامة - رضي الله عنهما - أنه دخل هو وأبوه (١) على أنس بن مالك بالمدينة في زمان عمر بن عبدالعزيز، وهو أمير المدينة، فإذا هو يطلي صلاة خفيفة دقيقة (٢) كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها، فلما سلم قال أبي: يرحمك الله، أرايت هذه الصلاة المكتوبة أو شيء تنفلته، قال: إنها المكتوبة، وإنها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أخطأت إلا شيئا سهوت عنه، فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم؛ فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها)(٣)". (٤)

"وأراد بقوله "صلاة دقيقة" أي: خفيفة لا إطالة فيها ولا تكلف ولا رياء". (٥)

(١) هو أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري المدني الفقيه، اسمه أسعد باسم جده لأمه النقيب السيد أسعد بن زرارة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ورآه فيما قيل، اتفقوا على وفاته في سنة مئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥١٧/١٣ رقم ١٢٦، تهذيب التهذيب ٢٤٦/٤ رقم ٤٢٢ .

(٢) انظر: معالم السنن للخطابي ٢٠٩/٥ .

(٣) سورة الحديد، آية ٢٧ .

(٤) سنن أبي داود ٢٠٩/٥ .

(٥) جامع الأصول لابن الأثير ٣١١/١ .

و"الرهيبانية: ترك الملاذ من المطعم والمشرب والمنكح والمسكن الحلال،

والانقطاع في الصوامع". (١)

وأصبحت الرهبانية من سمات الغلو لدى النصارى، فجاءهم الذم مرتين، مرة بسبب غلوهم وترهيبتهم، وأخرى بسبب عدم الوفاء بما ألزموا أنفسهم به (٢)، وهذه طبيعة الغلو والمغالين، قال تعالى: (ثم قفينا على آثرهم برسنا وقفينا بعيسى ابن مريم وءاتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهانية ابتهدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فئاتنا الذين ءامنوا منهم أجرهم وكثير منهم فئسقون) (٣).

والإسلام بمنهجه الرباني رفض الغلو في العبادة، فالله تعالى خير

بعباده، عليم بما يصلح لهم وما لا يصلح، وكان هذا الرفض لأسباب عدة:

أولاً : لأن المشقة غير مطلوبة لذاتها :

فقد قال تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها

ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً (٤)

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٣١١/١ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢٦٣/١٧ ، وتفسير القرآن العظيم

لابن كثير ٥٤/٨ .

(٣) سورة الحديد، آية ٢٧ .

(٤) إصراً: الأمر عقْد الشيء وحبسه بقره. يقال: أمرته فهو مأمور، والمأمر

والمأمر محبس السفينة. قال تعالى: (ويضع عنهم إصرهم) أي: الأمور التي =

كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا أنت مولئنا فانمرنا على القوم الكافرين). (١)

وقد ترك - صلى الله عليه وسلم - أمورا عدة خشية المشقة على الناس،
منها ما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله
عليه وسلم: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو
نصفه" (٢)، "أي: لولا خشية وقوع المشقة عليهم "لأمرتهم" وجوبا" (٣) أن يؤخروا
العشاء.

وكذلك الحاصل بالنسبة للسواك، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس
لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة". (٤)

= تثبیطهم وتقيدهم عن الخيرات، وعن الوصول إلى الشوابات، وعلى ذلك (ولا
تحمل علينا اصرا) وقيل: ثقلا. المفردات في غريب القرآن ص ١٨ .
وانظر: تفسير أبي السعود ٢٧٧/١ .

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٦ .

(٢) سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاکر ٣١٠/١ حديث ١٦٧، قال أبو عيسى: حديث أبي
هريرة حسن صحيح ص ٣١٢ .

(٣) تحفة الأحوذی شرح سنن الترمذي للمباركفوري ٥٠٨/١، وانظر: شرح مسلم
للنووي ١٢٨/٥، شرح الكرمانی على صحيح البخاري ٢١٣/٤ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٣٠/٥، وانظر: الموطأ ٦٦/١ رقم ١١٤ .

"فدل الحديث على انتفاء الأمر لثبوت المشقة". (١)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء، أو مع كل وضوء سواك، ولأخرت عشاء الآخرة إلى ثلث الليل". (٢)

وكان - صلى الله عليه وسلم - يأذن لأصحابه بالصيام في السفر لمن يطيق، أما الذي لا يطيق ويشق عليه ذلك فقد نهاه، "عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر، فرأى زحاما ورجلا قد ظلَّ عليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: صائم، فقال: ليس من البر أن تصوموا في السفر" (٣)، "أي: ليس من الطاعة والعبادة الصوم في السفر إذا بلغ الصائم هذا المبلغ من المشقة". (٤)

وفي حديث الشيخ الذي نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام خير دليل على ما ذهبنا إليه من عدم إرادة المشقة لذاتها في الشرع، "عن أنس - رضي الله

(١) فتح الباري ٣١/٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاکر ٢٥٥/١٣ حديث ٧٥٠٤، قال أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٠/٩ .

(٤) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) ٣/٢٨٥، الطبعة السادسة بالمطبعة الكبرى الأميرية - مصر - ١٣٠٤هـ.

عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى شيخاً يهادى (١) بين ابنيه، قال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي. قال: "إنَّ الله عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب". (٢)

إلا أن هناك لفظة يجب ألا تغيب، وهي أن "ما كثرت مشقته قل حظ النفس منه فكثير الإخلاص" (٣)، فيجازي الله العبد أجر عمله وما تحمل أثناءه، والذي يجب أن يتنبه إليه هو أن "الثواب على الحقيقة مرتب على، الإخلاص لا المشقة" (٤)، ويوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلاَّ السهر". (٥)

(١) يهادى : أي: يمشي بينهما معتمدا عليهما. شرح الكرمانى لصحيح البخارى

. ٥٩/٩

(٢) صحيح البخارى بشرح الكرمانى ٥٩/٩ .

(٣) قواعد المقرئ - مخطوط - ص ٢٨، نقلا من كتاب رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، للدكتور صالح بن عبدالله بن حميد ص ٢٨، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ طبع جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي.

(٤) المصدر السابق، وانظر: إغاثة اللفهان، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقى ٢١/١، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، توزيع: دار الباز - مكة المكرمة.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، تأليف: محمد ناصر الدين الألبانى ٢٨٢/١ رقم ١٢٧١،

وقال الألبانى: حسن صحيح.

ثانيا : خشية السامة والملل :

من طبيعة الإنسان السامة والملل من العمل إذا كان فوق طاقته، وفوق ما يتحمل، أو إذا أقبل على العمل بتثاقل وكسل دون أن يكون منشراح المصدر.

وقد وضع الشرع الحنيف في الاعتبار هذه الطبيعة البشرية، لأن مصدره رباني، فلم يكلف الإنسان فوق طاقته ولم يشدد عليه، ونهى عن الغلو خشية السامة والانقطاع عن العمل، وقد تركزت توجيهات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، فعن "عروة بن الزبير أن عائشة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - أخبرته أن الحولاء (١) بنت تُوَيْت بن حبيب بن أسد بن عبدالعزى مرت بها، وعندما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لاتنام الليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنام الليل؟! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا". (٢)

وسؤاله صلى الله عليه وسلم: "لا تنام الليل؟! " سؤال تعجب واستنكار وكراهية مما هي عليه من تشدد، وقد ظهرت هذه الكراهية في ملامح وجهه - صلى الله عليه وسلم - كما في رواية أخرى. (٣)

(١) من الصحابيات العابدات، أسلمت وبايعت وهاجرت.

انظر: الإصابة ٢٧٨/٤ رقم ٣١٥ طبعة دار صادر.

وانظر: تجريد أسماء الصحابة للحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٦٣-٧٤٨هـ) ٢/٢٦١ رقم ٣١٥٣، نشر دار المعرفة - بيروت. توزيع دار الباز للنشر.

(٢) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ٧٣/٦ .

(٣) انظر: موطأ الإمام مالك ١/١١٨ .

وبنفس المنهج كان عليه الصلاة والسلام مع أهل بيته، إذا لاحظ بادرة تدل على التشدد وتحميل النفس فوق ما تطيق ينكره عليهم، يقول أنس: "دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: لزينب، تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: طُوه. ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعده". (١)

ثالثا : أحب الدين إلى الله أدومه وإن قل :

وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يبين لأصحابه أن الدوام على العمل هو المطلوب، لا الإكثار ثم الانقطاع، فعن "علقمة قال: سألت أم المؤمنين، قلت: يا أم المؤمنين كيف كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة (٢)، وأيكم يستطيع ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستطيع؟". (٣)

وعنها - رضي الله عنها - أنها قالت: "كان أحب العمل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي يدوم عليه صاحبه". (٤)

وكما كان صلى الله عليه وسلم في حياته ومعيشته قدوة لأصحابه، ومعلما لهم من واقع الحال والقدوة، كان يوجههم كذلك بلسان المقال، ففي قصة عبدالله بن

(١) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ٧٢/٦ .

(٢) أي : دائما، والديمة في الأصل: المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق، ثم

استعمل في غيره. فتح الباري ٨٦/٢٤ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٨٥/٢٤ .

(٤) المصدر السابق ٨٠/٢٤ .

عمرو مع زوجته التي عَظَّهَا، فيه قوله: "وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّكَ لا تدري لعلك يطول بك عمر، قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كبرت وددت أنني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم". (١)

وهذا "معناه أنه كبير وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٢)، "فشق عليه فعله ولا يمكنه تركه، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له" (٣): "يا عبدالله، لا تكن بمثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل". (٤)

وكان - صلى الله عليه وسلم - يبين أن الأحب إلى الله: الدائم وإن قل، عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: "سئل النبي: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها وإن قل. وقال: اكلفوا (٥) من العمل ما تطيقون" (٦)، أي:

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٤٣/٨ .

(٢) وقد مرَّح عبدالله بذلك في حديث طويل عند البخاري، قال: "فليتني قبلت رخصة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك أنني كبرت وضعفت". صحيح

البخاري مع الفتح ١١٥/١٩ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٣/٨ .

(٤) المصدر السابق ٤٤/٨ .

(٥) قال ابن التين: هو في اللغة بالفتح، ورويناه بالضم، والمراد به الإبلاغ بالشيء إلى غايته، يقال: كلفت بالشيء إذا أولعت به. فتح الباري ٨٥/٢٤ .

(٦) صحيح البخاري مع الفتح ٨٤/٢٤ .

بالذي تطيقون المداومة عليه" (١)، و"أنه ينبغي للإنسان أن لا يحمل من العبادة إلا ما يطيق الدوام عليه ثم يحافظ عليه" (٢)، وغالبا "فإن العمل إذا كان كثيرا لا يطاق دوامه" (٣)، والعمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة، والنية والإخلاص والإقبال على الله سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافا كثيرة" (٤)، ويكون في استمرارية العمل دليل على جدية السير في طريق العبادة، ويتوفر كذلك لهذه العبادات الوقت الكافي للتأثير في النفس، وتحقيق ثمراتها المرجوة في أرض الواقع من تطهير للقلب، وتركية للنفس، والسمو بها نحو آفاق الإيمان الرحبة.

رابعاً : اعطاء كل ذي حق حقه :

وهو تمام العدل والإنصاف، بحيث لا يكون الاهتمام بالعبادة خاصة على حساب حقوق وواجبات أخرى يطالب الإنسان بها شرعا.

ويتضح هذا تمام الوضوح من خلال قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه، "عن

(١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني ١٢٩/١ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣/٦ .

(٣) بذل المجهود في حل أبي داود، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦هـ)

١٤٥/٧، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) عمدة القارى شرح صحيح البخاري للإمام العيني (ت ٨٥٥هـ) ٢٥٨/١ .

عون(١) بن أبي جصيفة، عن أبيه(٢)، قال: آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء(٣) متبذلة(٤)، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، قال:

(١) عون بن أبي جصيفة وهب بن عبدالله السوائي الكوفي. مات سنة عشرين ومئة.

سير أعلام النبلاء ١٠٥/٥ رقم ٣٨ .

(٢) أبو جصيفة السوائي الكوفي، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه وهب

ابن عبدالله، ويقال له: وهب الخير، من صغار الصحابة، ولما توفي رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - كان وهب مراهقا، وهو من أسنان ابن عباس،

وكان صاحب شرطة علي رضي الله عنه. والأصح في موته سنة أربع وسبعين.

ويقال: عاش الى بعد الثمانين. سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٣ رقم ٤٤ .

(٣) أم الدرداء: خيرة بنت أبي حدر، أم الدرداء الكبرى، كانت من فطى

النساء وعقلائهن، وذوات الرأي فيهن مع العبادة والنسك، توفيت قبل أبي

الدرداء، وذلك بالشام في خلافة عثمان، وكانت حفظت عن النبي صلى الله

عليه وسلم، وعن زوجها". الامابة ٦٢٩/٧ رقم ١١١٣٧ .

(٤) متبذلة : بفتح المثناة والموحدة وتشديد الذال المعجمة المكسورة، أي:

لابسة ثياب البذلة - بكسر الموحدة وسكون الذال - وهي المهنة وزنا ومعنى.

والمراد أنها تاركة للباس ثياب الزينة. فتح الباري ٤٠/٩ .

فملياً. فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان". (١)

وفي قصة عبدالله بن عمرو بن العاص، "قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنَّتَه (٢) فيسألها عن بعْلِها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يبطأ (٣) لنا فراشا، ولم يفتش لنا كَنفا (٤) مذ أتيناها. فلما طاك ذلك عليه ذكرٍ للنبي صلى الله عليه وسلم" (٥)، وفي رواية أخرى قال: "فوقع بي وقال: زوجتك امرأة من المسلمين فعزلتها (٦)؟ قال: فجعلت لا ألتفت إلى قوله، مما أرى عندي من القوة والاجتهاد، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم" (٧)، فلما بلغ ذلك

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٢٢/٢٣٨ .

(٢) كنته : بفتح الكاف وتشديد النون، هي زوج الولد. فتح الباري ١٩/١١٤ .

(٣) لم يبطأ لنا فراشا : أي لم يضاجعنا حتى يبطأ فراشنا. المصدر السابق.

(٤) ولم يفتش لنا كَنفا : كَنفا بفتح الكاف والنون بعدها فاء، هو الستر والجانب، وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها. المصدر السابق.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ١٩/١١٤ .

(٦) العزل : المنع، والمراد أنك لم تعاملها معاملة الأزواج لنسائهم، ولا تركتها بنفسها لتتزوج وتتصرف في نفسها كما تريد. جامع الأصول ١/٣٠٣ .

(٧) صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٢/٥٠٢ رقم ٢٢٥٤، وقال الشيخ: صحيح الإسناد، مكتب التربية لدول الخليج. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ -

١٩٨٨م، إشراف زهير الشاويش.

النبي - صلى الله عليه وسلم - طلبه، قال عبدالله: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عبدالله، ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لوزرك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله، فشددت فشدد علي. قلت: يا رسول الله، إنني أجد قوة، قال: فمِمَّ صيام نبي الله داود - عليه السلام - ولا تزد عليه. قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: نصف الدهر، فكان عبدالله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم". (١)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٥٠/٩ .

المطلب السابع : تخفيف الصلاة بالمأمومين :

ومن مظاهر الوسطية كذلك مراعاة الإسلام لأحوال الناس وظروفهم واختلاف قدراتهم وطاقاتهم، ولأجل ذلك شرع عليه الصلاة والسلام - رحمة منه ورفقا بالامة - التخفيف في صلاة الجماعة خشية العنت والمشقة على المصلين، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي - صلى الله عليه وسلم - وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن يفتن أمه" (١)، فتلتهي عن صلاتها لاشتغال قلبها بكائه. (٢)

والصحابه الكرام - حرما منهم على تعلم دينهم كانوا يستفسرون - كما في حديث أنس - رضي الله عنه - "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جَوَّزَ (٣) ذات يوم في صلاة الفجر، فقيل: يا رسول الله لم جوزت؟ قال: سمعت بكاء صبي فظننت أن أمه معنا تصلي، فأردت أن أفرغ له أمه". (٤)

وفي هذا الحديث "دليل على الرفق بالمأمومين وسائر الأتباع، ومراعاة مصالحهم، وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم وإن كان يسيرا من غير ضرورة". (٥)

(١) صحيح البخاري مع شرح الكرمانى ٨٦/٥ .

(٢) انظر: شرح القسطلاني على صحيح البخاري ٦١/٢ .

(٣) جوز من الإيجاز: "ضد الإطناب". المصدر السابق ٦٠/٢ .

والمعنى: خفف دون أن يخل بشيء من الواجبات. المصدر السابق ٥٨/٢ .

(٤) بلوغ الأمانى من أسرار الفتوح الربانى ٢٤٧/٥، وقال الشيخ البنا: وسند

الإمام أحمد جيد.

(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ١٨٧/٤ .

بل تأكيدا لذلك كان - صلى الله عليه وسلم - يعنف أصحابه إذا أطالوا فشقوا على الممليين، "عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يؤم قومه، فدخل حرام(١) وهو يريد أن يسقي نخله، فدخل المسجد ليصلي مع القوم، فلما رأى معاذ طول تجوز(٢) في صلاته ولحق بنخله يسقيه، فلما قضى معاذ الصلاة قيل له: إن حراما دخل المسجد فلما رآك طولت تجوز في صلاته ولحق بنخله يسقيه، قال: إنَّه لمنافق أيعجل عن الصلاة من أجل سقي نخله؟ قال: ف جاء حرام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعاذ عنده، فقال: يا نبي الله، إنني أردت أن أسقي نخلا لي فدخلت المسجد لأصلي مع القوم فلما طول تجوزت في صلاتي ولحقت بنخلي أسقيه، فزعم أنني منافق، فأقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - على معاذ فقال: "أفتان(٣) أنت؟ أفتان أنت؟ لا تطول بهم، اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، ونحوهما".(٤)

والحديث صريح في "أن الحاجة من أمور الدنيا عذر في تخفيف الصلاة".(٥)
والذي يجب أن يتضح أن "التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية، فقد يكون

-
- (١) هو حرام بن ملحان، خال أنس. انظر: إرشاد الساري ٥٧/٢ .
 - (٢) أي: خففها واقتصر فيها على القدر المجزي. بلوغ الأمانى ٢٣٩/٥ .
 - (٣) الفتان: هو الذي يفتن الناس عن دينهم ويمرفهم عنه. انظر: معالم السنن للخطابي ٥٠٠/١ .
 - (٤) مسند الإمام أحمد ١٠١/٣ الى قوله: قيل له: إن حرام دخل المسجد.. قال في مجمع الزوائد ٧٤/٢ : رجال أحمد رجال الصحيح.
 - (٥) عمدة القاري للعيني ٢٤٠/٥ .

الشيء خفيفا بالنسبة إلى عادة قوم، طويلا بالنسبة لعادة آخرين" (١)، فإذا خرجت الصلاة عن مسمى التخفيف إلى التطويل "كان المطول عاصيا" (٢)، وأولى ما أخذ في حد التخفيف هو مراعاة أضعف المصلين (٣)، بدليل حديث عثمان (٤) بن أبي العاص، حيث قال: "كان آخر ما عهد إليّ النبي - صلى الله عليه وسلم - حين أمّرتني على الطائف، قال لي: يا عثمان! تجاوز في الصلاة، واقدر الناس بأضعفهم، فإنّ فيهم الكبير والصغير والسقيم والبعيد وذا الحاجة". (٥)

(١) فتح الباري ٩٤/٤ .

(٢) عمدة القاري ٢٤١/٥، وهو من كلام ابن بطال.

(٣) انظر: فتح الباري ٩٤/٤ .

(٤) الأمير الفاضل المؤمن، أبو عبدالله الثقفي الطائفي. قدم في وفد ثقيف على النبي - صلى الله عليه وسلم - في سنة تسع، فأسلموا، وأمّره عليهم لما رأى من عقله وحرصه على الخير والدين، وكان أصغر الوفد سنا، ثم أقره أبو بكر، ثم عمر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين. توفي - رضي الله عنه - سنة احدى وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٧٤/٢ رقم ٧٨ .

(٥) صحيح سنن ابن ماجه ١٦٢/١ رقم ٨٠٦، وقال الشيخ الالباني: حسن صحيح.

المطلب الثامن : التيسير ومشروعية الرخص في العبادات :

إنّ الدين الذي رفض الغلو في منهجه، ورفع الضيق والحرَج والمشقة عن أتباعه، لاشك أنه اختار اليسر منهاجاً، وهذا واضح تمام الوضوح في نصوص الشرع، "عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إنّ الدين يسر، ولن يشادّ (١) الدين أحدٌ إلّا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة". (٢)

وقال تعالى في معرض الحديث عن الميام مبيناً نفس القاعدة من إرادة التيسير بالآمة لا التعسير: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هدلكم ولعلكم تشكرون). (٣)

وكان من مظاهر هذا التيسير التخفيف في بعض الأحكام، كما كان في قيام الليل، ففي حديث طويل يسأل فيه فتادة - رضي الله عنه - أم المؤمنين عائشة عن أمور عدة، يقول: "... فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: ألسن تقرأ يا أيها المزمل، قلت: بلى. قالت: فإن الله عز وجل

(١) المشادة بالتشديد: المغالبة، يقال شاده يشاده مشادة إذا قاواه.

والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلّا عجز وانقطع

فيغلب. فتح الباري (١/١٦٥).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١/١٦٥).

(٣) سورة البقرة، آية ١٨٥.

افتترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حولا، وأمسك الله خاتمتها إثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة...". (١)

وآيات التخفيف هي قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَعَاوِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَسْتَفْتُونَ مَنْ فِضَّلَ اللَّهُ وَعَاوِرُونَ يَكْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ...). (٢)

وكان - صلى الله عليه وسلم - تيسيرا بالمسلمين ورفعاً للحرص عنهم في مناسك الحج، كلما يأتيه أحد قائلًا بأنه فعل هذا النسك قبل ذلك يجيزه قائلًا: لا حرج، "عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: زرت قبل أن أرمي، قال: لا حرج. قال: طقت قبل أن أذبح. قال: لا حرج. قال: ذبحت قبل أن أرمي، قال: لا حرج". (٣)

وعنه - رضي الله عنه - قال: "سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: رميت بعد ما أمسيت، فقال: لا حرج. قال: طقت قبل أن أنحر، قال: "لا حرج". (٤) وتلك صور من التخفيف ورفع الحرج عن الأمة في عباداتها، أما إذا أردنا أن

(١) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ٢٦/٦ .

(٢) سورة المزمل، آية ٢٠ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٣٤/٨ .

(٤) المصدر السابق ٢٥/٨ .

نتناول رخص الشرع في العبادات فإن الأمر يطول، وسنتناول عدة أمثلة من رخص الشرع في هذا المقام تأكيداً لمنهج الإسلام في التيسير:

١ - تيمم الجنب خشية البرد، "عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفت (١) إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟" فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إنني سمعت الله يقول: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) (٢)، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يقل شيئاً" (٣)، و"جعل عدم إمكان استعمال الماء كعدم الماء، وجعله بمنزلة من خاف العطش ومعه ماء، فأبقاه لشفته وتيمم خوف التلف". (٤)

٢ - المسح على الخفين بدل غسل الرجلين : ففي الحديث "عن عروة (٥) بن المغيرة، عن أبيه (٦) قال: كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر،

(١) الشفق والاشفاق: الخوف. النهاية في غريب الحديث ٤٨٧/٢ .

(٢) سورة النساء، آية ٢٩ .

(٣) سنن أبي داود، مع شرح معالم السنن للخطابي ٢٣٨/١ .

(٤) معالم السنن للخطابي ٢٣٨/١ .

(٥) أبو يعفور الكوفي، تابعي ثقة، وكان من خير أهل بيته، ولاة الحجاج الكوفة سنة (٧٥). انظر: تهذيب التهذيب ١٨٩/٧ رقم ٣٥٩ .

(٦) المغيرة بن شعبه، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيذة، شهد بيعة الرضوان، وكان طويلاً مهيباً، ذهبت عينه يوم اليرموك، وقيل القادسية. مات سنة خمسين في شعبان بالكوفة، وكان أميرها. سير أعلام النبلاء ٢١/٣ رقم ٧.

فأهويت(١) لأنزع خفيه، فقال: دعهما، فإني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما".(٢)
و"عن شريح(٣) بن هانئ قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين،
فقالت: عليك ببا بن أبي طالب، فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فسألناه فقال: جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أيام
وليا ليهن للمسافر، ويوما ولية للمقيم".(٤)

٢ - التخلّف عن صلاة الجماعة بسبب البرد والمطر والريح :

"عن نافع(٥)، أن ابن عمر أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح، ثم قال: ألا

(١) أي : مددت يدي. فتح الباري ٩٧/٢ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٩٧/٢ .

(٣) أبو المقدام الحارثي، المذرجي: الكوفي الفقيه الصالح، صاحب علي رضي
الله عنه، قتل - رحمه الله - سنة ثمان وتسعين في سجستان، في ولاية
عبيدالله بن أبي بكر، الذي ولاه الحجاج. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠٧/٤
رقم ٣٣ .

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧٥/٣ .

(٥) مولى ابن عمر وراويته، أبو عبدالله القرشي، الإمام المفتي الثبت، وقد
اختلف في أصله، فقيل: هو بربري، وقيل: نيسابوري، وقيل: ديلمي. وقيل:
طالقاني. وقيل: كابلني. والأرجح أنه فارسي المحتد في الجملة. والأصح في
تاريخ وفاته هو سنة سبع عشرة ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٩٥/٥، رقم
٣٤.

صلوا في الرحال(١)، ثم قال: إنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يأمر المؤذن إذا كانت ليلة ذات برد ومطر يقول: ألا صلوا في الرحال".(٢)

فالتخلف رخصة لمن شاء، ويتضح من قول جابر رضي الله عنه: "أخرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر فمطرناء، فقال: ليصل من شاء منكم في رحله".(٣)

٤ - الجمع بين الصلوات :

١ - في السفر: عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا عجل عليه السفر يؤخر الظهر إلى أول وقت العصر فيجمع بينهما، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق(٤)".(٥)

ب - في الحضر عند الضرورة : "عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الظهر والعصر جميعا بالمدينة في غير خوف

(١) قال أهل اللغة: الرحال المنازل، سواء كانت من حجر ومدن وخشب، أو شعر

وصوف ووبر وغيرها، واحدها رحل. شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٧/٥ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٤١/٤ .

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢٠٦/٥ .

(٤) الشفق من الأضداد: يقع على الحمرة التي ترى في المغرب بعد مغيب الشمس،

وبه أخذ الشافعي. وعلى البياض الباقي في الأفق الغربي بعد الحمرة

المذكورة، وبه أخذ أبو حنيفة. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٨٧/٢.

(٥) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢١٥/٥ .

ولا سفر. قال أبو الزبير(١): فسألت سعيداً(٢)، لم فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عباس كما سألتني، فقال: أراد أن لا يخرج أحداً من أمته".(٣)

٥ - الفطر في السفر : "عن طاوس(٤)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لا تَعِبْ عَلَى مَنْ صَامَ وَلَا عَلَى مَنْ أَفْطَرَ، قَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ".(٥)

٦ - افطار المريض والقضاء : "عن أنس بن(٦) مالك - رجل من بني عبد الله بن كعب - قال: أغارت علينا خيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتييت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجدته يتفدى، فقال: ادن، أحدثك عن الصوم

(١) محمد بن مسلم بن تدرس، الإمام الحافظ الصدوق. روى عن بعض الصحابة والتابعين منهم سعيد بن جبير. مات سنة ثمان وعشرين ومائة. ولم يذكروا له مولداً. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٠/٥ رقم ١٧٤ .

(٢) يستنتج من شيوخ أبي الزبير أن سعيداً هو سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس.

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢١٥/٥ .

(٤) طاووس بن كيسان: الفقيه القدوة العالم، عالم اليمن، أبو عبدالرحمن الفارسي ثم اليمني. كان من أبناء فارس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، فقيل: هو مولى جبير بن ريسان الحميري. وقيل: بل ولاؤه لهمدان. سير أعلام النبلاء ٣٨/٥ رقم ١٣ .

(٥) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢٣٢/٧ .

(٦) ذكره ابن حجر في الإصابة، دون إضافة على ذكر اسمه، وهذه الرواية. طبعة صادر ١٣٢/١ رقم ٥٦٤ .

أو الصيام: إنَّ الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام، والله لقد قالهما النبي - صلى الله عليه وسلم - كليهما أو أحدهما، فيا لهف نفسي أن لا أكون طعمت من طعام النبي صلى الله عليه وسلم". (١)

٧ - المريض يطوف راكبا : "عن أم سلمة (٢) - رضي الله عنها - قالت: شكوت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنني أشتكي (٣) فقال لي: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، فطفت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي إلى جنب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور". (٤)

٨ - حلق الرأس لمن به أذى : قال تعالى: (وأتَمُوا الحَجَّ والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان

(١) سنن الترمذي مع تحفة الأهودي ٤٠١/٣، قال أبو عيسى: حسن .

(٢) أم سلمة : أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية بنت عم خالد بن الوليد، من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي. دخل بها النبي - صلى الله عليه وسلم - في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبا. وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، عاشت نحو من تسعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠١/٢ رقم ٢٠ .

(٣) أي: أنها شكت إليه أنها لا تطيق الطواف ماشية لضعفها من تلك الشكوى التي كانت بها". المنتقى لأبي الوليد الباجي ٢٩٥/٢ .

(٤) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٨٨/٧ .

منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك... (١).

وقد ورد "عن عبدالله (٢) بن معقل قال: قعدت الى كعب (٣) بن عجرة في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسأته عن (فدية من صيام) فقال: حملت الى النبي - صلى الله عليه وسلم - والقمل يتناثر على وجهي، فقال: "ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واطق رأسك"، فنزلت فيّ خاصة، وهي لكم عامة". (٤)

وفي جملة ما سبق يتبين مدى نهج الإسلام للتيسير على الناس وتشريع الرخص التي ترفع عنهم الحرج والمشقة، حتى أصبحت الرخص صورة بارزة في دين الله تعالى، وعبر عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائلا: "إنّ الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته". (٥)

وقال: "من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة". (٦)

(١) سورة البقرة، آية ١٩٦ .

(٢) عبدالله بن معقل بن مقرن، الإمام أبو الوليد المزني الكوفي، لأبيه صحبة.

توفي سنة ثمان وثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٦/٤ رقم ٨٣ .

(٣) كعب بن عجرة الأنصاري السالمي المدني، من أهل بيعة الرضوان. مات سنة

اثننتين وخمسين. سير أعلام النبلاء ٥٢/٣ رقم ١٤ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٣٩/١٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد ١٣٥/٨ رقم ٥٨٦٦، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٦) مسند الإمام أحمد ٢٠٧/٧ رقم ٥٣٩٢، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

يتبين مما سبق من عرض منهج الإسلام الوسط في الجانب العبادي أن الإسلام شرع عبادات، وأعطاهما صفة الوجوب في الالتزام بها، بحيث اعتبر كل مفرد فيها خارجا عن وسطيته، ومراعاة للضعف البشري، وحرما على المحافظة عليهم في دائرته الوسط، شرع لهم رخص العبادات حسبنا لبعض الظروف التي قد يمرون بها، وتكون فوق طاقتهم من حيث إمكانية أداء العبادات الواجبة في صورتها الأصلية في تلك الظروف والحالات الخاصة، ولما كان مقصد الإسلام من هذه العبادات بالدرجة الأولى هو إقامة ذكر الله تعالى وتعظيمه وتقديسه، انصرفت التوجيهات نحو حضور القلب والخشوع وتعظيم الخالق في المقام الأول كمقصد مطلوب تحقيقه، ومراعاة كذلك لضعف البشر، وعدم قدرة الغالبية العظمى من تحقيق ذلك باستمرار، شرع نوافل العبادات، تعظيما له سبحانه، وجبرا لكل نقص قد يصيب الواجبات، لذلك حث على نوافل العبادات، ورغب فيها أيما ترغيب، وجعل المجال مفتوحا للمتسابقين في الخيرات، ولكن الشارع أشنأ حشده لهم على التزود بالنوافل وضع لهم حدا معيننا راعى فيه عدم الجور على حقوق وواجبات أخرى، هم ملزمون بأدائها وإعطاء أصحابها حقوقهم، وهي جميع الحقوق والواجبات المناطة بكامل الفرد من حقوق الوالدين والأهل والأولاد والأقارب وذوي الأرحام وحقوق الجوار والضياف، وسائر الحقوق الاجتماعية، حتى عد الشارع منها حقوق النفس كذلك، وأنه متى ما قام الإنسان بمجمل هذه الحقوق فإن انطلاقه في ميدان النوافل انطلاق خير وبركة، بشرط ألا يؤدي به ذلك إلى السامة والملل الذي يجز الإنسان لا محالة إلى الانقطاع، وهذا الشرط يختلف بحسب الفرد وقدرته وطاقته، وقدرات الناس وطاقاتهم ليست واحدة، لذلك راعى الشارع - أيضا - الأضعف والأقل قدرة في العبادات الجماعية، فأمر بتقصير الصلاة وعدم التطويل في القراءة بالنسبة للإمام في صلاة الجماعة.

ثم كانت من وسطية الإسلام - أي عدالته وخيريته - أن لهذه العبادات شمارا سلوكية وآثارا خلقية على الفرد، فكانت العبادات مصدر خير وبركة على سلوك المجتمع أجمع.

والانحرافات التي أصابت الكثيرين في الجانب العبادي متعددة ومتنوعة، فقد تعرضنا لبعضها أثناء الحديث عن منهج الإسلام الوسط، وبيننا كيف كان - صلى الله عليه وسلم - يقوم ويصوب تلك الأخطاء، وقد تكررت بعض تلك الصور في أجيال لاحقة، واستجبت كذلك صور للانحراف لم نعهدها في ذلك الجيل، منها:

١ - الخروج عن الحد الواجب للمنهج الوسط، وذلك بالتفريط في فرائض العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج، وحال كثير من المسلمين في واقعنا المعاصر لخير دليل على ذلك، فالمساجد تشكو قلة المصلين - وإن كان الحال في تحسن عن فترات سابقة - والفقراء يشكون حقهم من تخمة الأغنياء، وشوارع كثير من بلدان المسلمين تشكو المجاهرين بالفطر.. إن كان هذا حظ الواجبات فما بالك بالنوافل!.

٢ - وغفل الكثيرون عن الخشوع واستحضار عظمة الخالق، وانصب اهتمامهم على الشكليات إلى حد أخرجهم عن السنة ونهج النبوة، فاندفعت الآثار السلوكية الخيرة عن التحقق، بل لوحظ العكس تماما في بعضهم.

٣ - واعتبر بعض الناس أخذ الرخص في ظروفها المناسبة والمشروعة ضعفا في الدين وطعنا في الأخذ بها، فالزم نفسه بعدم الأخذ بها مهما كانت الحاجة، فشق على نفسه، وأساء للآخرين.

٤ - وغفل بعضهم، بل وتناسى أحيانا مراعاة الكبير والضعيف في صلوات الجماعة، فشق على الناس، ونفرهم وفتنهم في دينهم، وبغض إليهم الحضور

لصلوات الجماعة في المسجد، وإن كان لهذا الانحراف مثل سابق قومه صلى الله عليه وسلم، إلا أنه كثر وقوعه في وقتنا.

٥ - وغفل بعضهم عن أن رحمة الله هي المنجية، وأن العبادة الصحيحة الصادقة هي التي تثمر سلوكا قويا وخلقاً رفيعاً، فبدل أن يزدادوا طمأً بالناس ورفقاً بهم إذا ما أكثروا من العبادة وذلك طلباً لرحمة الله، أخذوا في التعالي على الناس، والنظر إلى المقصرين نظرة ازهراء واحتقار، فأصبحوا فتننة للناس ومثلاً غير صالح لأهل المساجد، فنفروا الناس زيادة على تقصيرهم وأبعدوهم عن المساجد.

المبحث الثالث
الوسيط في الجانب التشريعي

تمهيد :

العقوبات نظام لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات البشرية، وذلك حماية لحقوق الناس من الأموال والأعراض من أيدي العابثين، وتوفيراً للأمن في المجتمع، وذلك أن الأمن أحد المتطلبات الإنسانية التي في ضوئها يمكن للمجتمع الاستقرار والعمل البناء والإنتاج والإبداع، ومتى انعدم هذا الأمن حلت في المجتمع الفوضى والفساد، وأدى إلى عدم الاستقرار والقدرة على الإنتاج والإبداع.

وإنما تختلف هذه العقوبات في المجتمعات بحسب النظرة إلى الجرائم، وخطورتها، وبحسب ما يظن أنه العلاج الناجع لها.

وتوضيحا لوسطية الإسلام في الجانب التشريعي، وإظهاراً لمظاهر هذه الوسطية في جانب العقوبات، نتناول - بإذن الله - الحدود الشرعية كشريحة كبرى في نظام العقوبات في الإسلام، موضحين مظاهر العدالة والخيرية فيها، ونضطر معه إلى التحدث عن جوانب أخرى من جوانب الشريعة الإسلامية، وذلك لارتباط الجوانب بعضها ببعض، وعدم إمكانية فصلها في الحقيقة إلا في قاعة الدراسة من أجل البحث.

وأيضاً لأن الإسلام "لا يقيم بناءه على العقوبة، بل على الوقاية من الأسباب الدافعة إلى الجريمة، وعلى تهذيب النفس، وتطهير الضمائر، وعلى الحساسية التي يثيرها في القلوب فتتخرج من الإقدام على جريمة تقطع ما بين فاعلها وبين الجماعة المسلمة من وشيجة" (١)، فالإسلام نظام شامل متكامل الأطراف.

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، ٤/٢٤٩٠.

وقبل أن نتطرق لتفاصيل حدود السرقة، والخمر، والزنا، والقذف، فإنه من المهم توضيح دلالة هذه التسمية التي اختارها الشارع من بين الأسماء لتدل على هذه العقوبات، وكيف أن هذا الإصطلاح يدل دلالة واضحة على الهدف من العقوبة:

ف"الحد في اللغة عبارة عن المنع، ومنه سمي البواب حداً، لمنعه الناس من الدخول، وفي الشرع عبارة عن عقوبة مقدرة واجبة حقاً لله تعالى عز شأنه" (١)، "سمي هذا النوع من العقوبة حداً لأنه يمنع صاحبه إذا لم يكن متلفاً وغيره بالمشاهدة، ويمنع من يشاهد ذلك ويعاينه إذا كان متلفاً (٢)، لأنه يتصور طول تلك العقوبة بنفسه لو باشر تلك الجناية فيمنعه ذلك من المباشرة" (٣)، ومما يوفر لهذه العقوبات صفة الزجر والمنع من ارتكاب الجرائم:

١ - أنها عقوبات محددة مسبقاً، يعلم الجاني بها (٤)، قبل إقدامه على جريمته، مما يحقق ويولد عنصر الخوف من الإقدام في نفس الجاني.

٢ - أن الضرر فيها أكبر من الكسب الحامل من الجريمة، فالمجرم إنَّما يقدم على جريمته لكسب منفعة، والحصول على متعة، والمجرم لا ينسلخ عن بشريته وما

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للعلامة الفقيه علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ) ٤١٤٩/٩، نشر: زكريا علي يوسف. مطبعة

الإمام، ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة - القاهرة.

(٢) في الكتاب: (ويعاينه إذا لم يكن متلفاً)، ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن.

(٣) بدائع الصنائع ٤١٤٩/٩ .

(٤) المغني لابن قدامة ١٢٠/١٠ .

تحمّل من مواصفات، والإنسان بطبيعته يدفع عن نفسه الضرر، ويبدّل جهده لكسب المنفعة، ومتى ترجح الضرر على المنفعة في الإقدام على عمل ما، تأكّد عنمر الإحجام على الإقدام، وبحساب بسيط يتبين، بل يتأكد أن لسع السوط على الجسم أشد من متعة الزنا للبكر، والقذف، وشرب الخمر. ولا شك أن الخسارة في الرجم للزاني المحصن، وقطع يد السارق لا عوض عنهما مهما بلغ جمال المزني بها، ومهما بلغت الأموال المسروقة.

٣ - أنها عقوبات علنية(١)، زاجرة للمجرم ومن يشاهد العقوبة من الإقدام على هذه الجرائم، لشدها، وللفضيحة أمام الناس.

(١) المغني لابن قدامة ١٣٧/١٠ .

المطلب الأول : السرقة :

سرقة الأموال من الجرائم الشائعة عبر التاريخ، ومن الأخلاق الدنيئة التي تسمح لمصاحبها بالجرأة على مد اليد لقطف تعب الناس وجهدهم وعملهم المثمر المتمثل في المال، سواء أكان نقدا من درهم ودينار، أم كان متاعا من أثاث ومأكّل وملبس.

والإسلام - علاجا لهذه الخسيصة الإجتماعية - أوجد في نظامه أخذ العهد على من يسلم على أن لا يسرق، فكان عليه الملامة والسلام يبايع النساء المسلمات على ألا يسرقن، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُسْرِقْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). (١)

وربّما الإسلام أتباعه على الطهارة ونقاء السريرة، وأوجد في مجتمع المسلمين قيما عالية، وأخلاقا راقية، وحرك الضمائر، وأسبغ على المجتمع وأشاع فيه رحيق الطهر والعفاف والقناعة والزهد، فكانت النتيجة الطبيعية أن وقفت هذه الموانع النفسية دون النزول بأفراد المجتمع إلى نتن وخبث هذه الجريمة الاجتماعية.

أولا : أوجد الإسلام في نظامه المتكامل أسبابا وقائية مانعة من الوقوع في

السرقة، منها:

١ - تشجيع السرقة وتبويضها للنفوس المؤمنة :

(١) سورة الممتحنة، آية ١٢ .

الظاهر، ولم تطمع بسنيل المزيد الحرام من جهد الآخرين، فقال تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى). (١)

ولذلك كانت التوجيهات النبوية تزهد المسلم في مال الدنيا، وتبين أن حب المال يفسد الدين، فعن "أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نذبان ضاريان جائعان، باتا في زريبة غنم أغفلها أهلها، يفتسران، ويأكلان بأسرع فيها فسادا من حب المال والشرف في دين المرء المسلم". (٢)

ولذلك رأينا في المحابة الكرام - رضوان الله عليهم - من زهد في الدنيا رغم إقبالها عليه، "عن أنس - رضي الله عنه - قال: دخلت على سلمان، فرأيت بيته رثا، فقلت له في ذلك، فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد إلي أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب" (٣)، فأنى تكون السرقة مع هذه

(١) سورة طه، آية ١٣١ .

(٢) المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) (٤٣٢/١) رقم ٧٧٦ تحقيق الدكتور/ محمود الطحان. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة المعارف - الرياض.

قال في مجمع الزوائد ٢٥٢/١٠ : رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده جيد.

إلا أنه أورد الحديث بتأخير "فيها" على "فسادا"، هكذا: "بأسرع فسادا فيها".

(٣) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن يحيى بن الجعد، وهو

ثقة. مجمع الزوائد ٢٥٧/١٠ .

التربية السامية.

٣ - أوجب الإسلام في أموال الأغنياء زكاة مفروضة حقا للفقراء:

ومع تربية الإسلام النفوس على الطهارة والنقاء والزهد في مال الدنيا، فإنه أوجب كذلك زكاة مفروضة في أموال الأغنياء، تُخرج كل عام وتُوزع على مستحقيها، ففي حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عندما بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن، قال له: "ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم...". (١)

وهذا المال حق واجب على الغني إخراجه، تتولى الدولة المسلمة جمعه ومرفهه على مستحقيه، ومن امتنع من إخراجه أخذت منه قهرا (٢)، ولذلك جاءت النصوص بالوعيد لمن لا يخرج زكاة ماله، قال عليه الصلاة والسلام: "من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعا (٣) أقرع، له زبيبتان (٤)، يطوقه يوم

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٤/٧ رقم ١٣٩٥ .

(٢) انظر: نيل الأوطار للإمام الشوكاني ١٣١/٤ .

(٣) المراد بالشجاع - وهو بضم المعجمة ثم جيم - الحية الذكر، والأقرع الذي

تقرع رأسه، أي: تمعط لكثرة سمه. وقال القرطبي: الأقرع من الحيات الذي

أبيض رأسه من السم، ومن الناس: الذي لا شعر برأسه. فتح الباري ١٤/٧ .

(٤) هما الزبيدتان اللتان في الشدقين، وقيل: هما النكتتان السوداوان فوق

عينيه. وقيل: نقطتان يكتنفان فاه. وقيل: هما في حلقه بمنزلة زمني

العنز. وقيل: لحيتان على رأسه مثل القرنين. وقيل: نابان يخرجان من فيه.

فتح الباري ١٤/٧ .

القيامه، ثم يأخذ بِلِهْرِمَتَيْهِ، - يعني بِشِدْقِيهِ - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك،
ثم تلا: (ولا يحسبن الذين يبخلون) (١). (٢)

وفي ظل هذه الفريضة يتحقق التكافل الاجتماعي، فلا يترك الفقير لفقره
وَعَوَزِهِ، بل تتكفل الدولة بإعطائه من مال الزكاة، وكذلك لهذه الفريضة أثر
نفسى، حيث تطهر قلوب الفقراء، وتشعرهم بمواساة الأغنياء لهم، فلا تتطلع
أعينهم ونفوسهم إلى أموال الأغنياء بوازع الحقد والحسد اللذان يولدان الإقدام
على السرقة من واقع الإحساس بالظلم.

٤ - وزيادة على واجب الزكاة، فقد حث الإسلام على النفقة والبذل وعناية
أفراد المجتمع بعضهم ببعض، مما يولد بين أفراد المجتمع روح الأخوة والتعاون
والتكافل بدرجة أسمى من إخراج الزكاة الواجبة إلى درجة الصدقات النافلة،
والبذل الاختياري من واقع الشعور بالجسد الواحد طلباً للأجر من الله تعالى يوم
القيامه، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى". (٣)

ولذلك حث الإسلام على كفالة اليتيم الذي مات عنه والده ولا عائل له، فقال
صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين"، وأشار بإصبعيه،
يعني: السبابة والوسطى". (٤)

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٠ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٤/٧ .

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٤٠/١٦ .

(٤) صحيح سنن الترمذي ١٧٩/٢ رقم ١٥٦٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

ببل وصل الإسلام في تكافله الاجتماعي درجة سامية وصلت إلى أن يدخل في هذا التكافل حتى من هم على غير دين الإسلام من أفراد المجتمع، "عن مجاهد(١)، أن عبد الله بن عمرو ذُبح له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجاننا اليهودي؟ أهديتم لجاننا اليهودي؟ سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". (٢)

وأنتجت تربية الإسلام تكافلا وإيثارا لم يوجد له مثيل في سائر المجتمعات البشرية السابقة واللاحقة، أولئك هم الأنصار الذين قال تعالى عنهم: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (٣). (٤)

فأنسى لهذا المجتمع أن تتواجد فيه السرقة، ويكثر فيه السراق! أليس يقينا أن من يسرق في مثل هذا المجتمع المتكافل الطاهر حقيق أن تنزل عليه أشد العقوبات؟

٥ - اشتراط الحرز في جريمة السرقة: إبعادا لعنصر الإغراء في المال.

(١) مجاهد بن جبر، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس، وعنه أخذ القرآن، والفقه، والتفسير، قال أبو نعيم: مات مجاهد وهو ساجد سنة ثنتين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩ رقم ١٧٥ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ٢/١٨٣ رقم ١٥٨٥، قال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) أي: الجوع والضعف، وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء". النهاية ٢/٣٧ .

(٤) سورة الحشر، آية ٩ .

ومع جميع ما تقدم، من التربية السامية، ومن التكافل الإجتماعي، الذي لا يبقى معه في المجتمع فقيرا إلاّ ووجد من يعينه بالمساعدة، اشترط الإسلام بمنهجه الوسط الحرز في الأموال المسروقة لكي يقام حد السرقة، وأن الحد لا يقام على الجاني إلاّ إذا أخرج المال من الحرز. (١)

"ويختلف الحرز باختلاف الأحوال والأموال والتعويل في صيانة المال وإحرازه على شيئين، أحدهما: الملاحظة والمراقبة، والثاني: حصانة الموضع وثاقته". (٢)

والحرز يكون إمّا بنفسه أو بغيره، "أما الحرز بنفسه فهو كل بقعة معدة للإحراز ممنوعة الدخول فيها إلاّ بالإذن، كالنور والحوانيت والخيم والفساطيط والخزائن والصناديق.

وأما الحرز بغيره فكل مكان غير معد للإحراز يدخل إليه بلا إذن ولا يمنع منه، كالمساجد والطرق، وحكمه حكم الصحراء إن لم يكن هناك حافظ، وإن كان هناك حافظ فهو حرز لهذا سمي حرزا بغيره حيث وقف صيرورته حرزا على وجود غيره وهو الحافظ" (٣)، "فلا قطع في سرقة ما ليس بـمحرز" (٤)، فالأموال الملقاة أمام

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (المعروف بتفسير ابن عطية)، للإمام أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (٤٨١-٥٤١هـ) ٤/٤٣٦، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مؤسسة دار العلم - قطر.

(٢) روضة الطالبين للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ) ١٠/١٢١، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٣) بدائع الصنائع للكاساني ٩/٤٢٤٢.

(٤) روضة الطالبين ١٠/١٢١.

الناس وغير المحفوظة يتواجد فيها عنصر الإغراء، وليس ذلك من فعل العقلاء، والاعتبار في الحرز إنما هو العرف، وما اتفق عليه عقلاء البلد باعتباره حرزا وحافظا للمال. (١)

ثانياً : حد السرقة :

بعد كل الأسباب الوقائية التي أوجدها الإسلام لمنع السرقة، فإنَّه إذا ثبتت السرقة كان حكم الله في السارق أن "تقطع يده اليمنى من مفصل الكف، وهو الكوع" (٢) جزاء عادلا لما اقترفت يده، وإنذارا حازما للذين تسول لهم نفوسهم بعد ذلك الإقدام على هذه الجريمة، قال تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا) (٣) من الله والله عزيز حكيم). (٤)

ومع ذلك لا تقطع يد السارق "في شدة الحر، ولا برد، لأن الزمان ربما أعان على قتله، والغرض الزجر دون القتل، ولا تقطع حامل حال حملها، ولا بعد وضعها

(١) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للشيخ الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٢-١٢٥٠هـ) ١٤٥/٧، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.

وروضة الطالبين للإمام النووي ١٢١/١٠ .

(٢) المغني لابن قدامة ٢٦٤/١٠ .

(٣) لأنكلنه: أي لأمْنَعْنَه، وقد نكل به تنكيلا، ونكل به، إذا جعله عبرة لغيره، والنكال: العقوبة التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء"، أي: تمنع.

النهاية ١١٧/٥ .

(٤) سورة المائدة، آية ٣٨ .

حتى تنقضي نفاسها لثلا يفضي إلى تلفها وتلف ولدها، ولا يقطع مريض في مرضه لثلا يأتي على نفسه". (١)

ثالثا : شروط القطع في السرقة :

حتى تعتبر جريمة السرقة مكتملة من كل جوانبها، يستحق المجرم فيها إقامة حد السرقة عليه اشترطت الشروط الآتية :

- ١ - السرقة: ومعنى السرقة أخذ المال على وجه الخفية والاستتار.
- ٢ - أن يكون المسروق نصابا، فلا قطع في القليل، فعن عائشة - رضي الله عنها "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقطع في ربع دينار فصاعدا". (٢)
- ٣ - أن يكون المسروق مالا .
- ٤ - أن يسرق من حرز ويخرجه منه .
- ٥،٦،٧ - كون السارق مكلفا، وثبتت السرقة، ويطالب بها المالك بالمعروف، وتنتهي الشبهات". (٣)

رابعا : كيفية ثبوت السرقة :

ولا يقيم على السارق حد "إلاّ بواحد من وجهين: إمّا شاهدان عدلان يشهدان عليه بما في مثله الحد، وإمّا باعتراف يثبت عليه حتى يقام عليه الحد". (٤)

(١) المغني لابن قدامة ٢٦٧/١٠ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ٧٣/٢ رقم ١١٧٠، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ٢٣٩/١٠، وتفسير ابن عطية ٤٣٥/٤ .

(٤) الأم، للإمام محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) ١٥٢/٦، تعليق محمد

ويجب توفر الدقة في الشهود، فيقولوا: "سرق من حرز، ويصفان الحرز، لا يقبل

منهما غير صفته لأنه قد يكون عندهما حرزا، وليس عند العلماء بحرزا". (١)

وإن كان الثبوت بإقراره حاول القاضي أن يثنيه عن الإقرار، ويشككه فإن رجع فلا حد عليه (٢)، وإن أمر طلب منه في إقراره أن يذكر "شروط السرقة، من النصاب، والحرز، وإخراجه منه" (٣)، فإذا ثبتت التهمة بما لا مجال فيه للشك أقيم عليه الحد.

إنّ هذا الحد الذي ينظر إليه قمار النظر على أنه قاس وشديد، إنّما هو في الحقيقة عين الرحمة، ويعبر تعبيراً صريحاً عن مصادقية العدالة والخيرية في منهج الإسلام، وذلك أنه بما يحمل من عقاب صارم، يزر الذي تسول له نفسه بالسرقة، فلا يقدم، فتكون هذه العقوبة قد حافظت عليه، وكذلك حافظت على أموال الناس من السرقة والاعتداء، فيعيش الجميع في أمن وطمأنينة.

إنّ منهج الإسلام الوسط في تربية أفراد، وفي تشريعه حد السرقة، لم ينتج في النهاية قطاعاً كبيراً في المجتمع دون أيدي بسبب الحد، بل إنّ الحد في السرقة لم ينفذ في حياته - صلى الله عليه وسلم - إلاّ مرات قليلة، إنّ منهج الإسلام أنتج ما يستطيع المرء أن يشاهده بعينه في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فالزائر هناك لا يرى الأيدي المعلقة، ولا يرى أفواج البشر المقطوعة الأيدي، بل يرى المتاجر المفتوحة الأبواب أثناء أداء الصلاة دون أن تمتد إلى البضائع الأيدي للسرقة والنهب.

(١) الأم ١٥٢/٦ .

(٢) المغني ٢٩٢/١٠ .

(٣) المغني ٢٩٢/١٠ .

خامساً : الانحراف عن الوسطية في حكم السرقة ونتيجتها على المجتمع :

إنّ الانحراف عن الوسطية في حد السرقة أنتج مجتمعات تعج بالمجرمين السراق، الذين يرتكبون جرائمهم دون أي اعتبار لعقاب القانون، فهذه زعيمة الحضارة - ادعاء وزورا - قد أوصلتها الرحمة والشفقة بالإنسانية أن جعلت أقصى عقاب للسرقة هو السجن(١)، فهل قضت على هذه الجريمة وحافظت على أمن المجتمع، العكس هو الحاصل، فالجريمة والسرقة سمة المجتمع الأمريكي، ووسائل الإعلام تتناقل أخبار السرقة يوميا، ولنلق نظرة سريعة على بعض تلك الأخبار ليتضح كيف جنت النظرة المنحرفة على الأفراد بسعجزها عن خلق الوازع الرادع، مما شجعهم على الجريمة، وجنت على المجتمع بأن بات الناس لا يأمنون على أموالهم:

١ - "في نيو أورليانز هناك ستيفن، البالغ من العمر ١٧ عاما، ارتكب ٢٢ جريمة، تتدرج من السرقة وحتى القتل، وتم اعتقاله قبل أربعة أيام بتهمة اغتصاب وقتل ممرضة شابة". (٢)

أليس لنا الحق في أن نقرر بأن هذا المجرم لو قطعت يده بعد جريمته الأولى في السرقة لقضينا على ٢١ جريمة لاحقة، ولحافظنا على أموال المسروقين وأعراض المغتصبات وأرواح المقتولين؟

٢ - الإحصاءات الرسمية تقول أن نسبة الجنوح للجريمة بين الفتيات دون الثامنة عشر قد زادت ٤٠ ٪ في الفترة من عام ١٩٧٠-١٩٧٥م فقط، بينما لم تتجاوز عدد الأولاد ٢٤٪ في نفس الفترة، في عام ١٩٧٥ كان نصيب الفتيات

(١) انظر: الشريعة الإسلامية وأثرها في الظاهرة الإجرامية، تأليف حمود بن ضاوي

القشامي ص١٥٥، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الدار السعودية للنشر.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٣ .

المسراهاقات ١١٪ من مجموع الجرائم، وفي الشهر الماضي استطاع بوليس شيكاغو بعد عناء طويل القبض على عمابة إرهابية مكونة من ٥ فتيات تتراوح أعمارهن من ١٤ إلى ١٧ عاماً، قد بثت هذه العمابة الرعب والإرهاب في أوساط الشيوخ والعجزة لعدة شهور". (١)

ونتساءل هنا: لو كانت العقوبات الرادعة قد نزلت بالمجرمات من أول جريمة، أكانت النسبة في الإجرام في تزايد الى ٤٠ ٪ بحيث يصل الرعب والإرهاب في أوساط الشيوخ والعجزة لعدة شهور، أم كانت الجريمة ستقل إلى أن تنعدم أم قريبا منه؟

لنستمع في ذلك إلى شهادة ضابط ضبير في تلك الأمور، يقول: "إنني كضابط شرطة يهمني الأمن وسلامته قد لاحظت ما يلي :

في حالة القطع تنقطع الجريمة، أي جريمة السرقة قطعاً تاماً لمدة طويلة، ولكنها تعود بعد فترة طويلة، أي أن القطع إذا تم فهو يتم بطبيعة الحال علناً، وتزيد من علانيته وسائل الإعلام، وهذه العلانية سبب انقطاع الجريمة فترة طويلة". (٢)

٣ - في "١٥ يولية ١٩٧٧، تناقلت وكالات الأنباء العالمية نبأ انقطاع التيار الكهربائي عن مدينة نيو يورك، كبرى مدن الولايات المتحدة الأمريكية، والتي يزيد سكانها عن تسعة ملايين، مما جعل المدينة تتحول مسرحاً للنهب والسلب خلال خمسة وعشرين ساعة". (٣)

(١) الشريعة الإسلامية وأثرها في الظاهرة الإجرامية ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٣ .

لم يحل دون هؤلاء والسرقة ضمير حي وخلق رفيع ونفس طاهرة لانعدام كل ذلك بسبب التربية الفاشلة المتعلقة بالدنيا ومتاعها، ولم يحل دونهم أيضا قانون رادع صارم.

ولنختم الكلام حول جرائم السرقة في الولايات المتحدة الأمريكية بذكر هذه الإحصائية:

٣ جرائم سطو كل دقيقة على المنازل، ٢ جريمة سطو كل دقيقة على السيارات، ١ جريمة سطو كل دقيقتين.

وحامل ذلك: تقع كل ساعة ٣٣٠ جريمة صغرى وكبرى، وتبلغ في اليوم ٧٩٢٠ سرقة، وتبلغ في الشهر ٢٣٧,٦٠٠ سرقة، وفي السنة ٢٨,٥١٢,٠٠٠ سرقة. (١)

هكذا جنت النظريات المنحرفة عن الوسطية الإسلامية على الأفراد والمجتمعات، وجعلت الشقاء والتعاسة، وكل إناء بما فيه ينضح.

(١) انظر: الشريعة الإسلامية وأثرها في الظاهرة الإجرامية ص٤٦ .

المطلب الثاني : شرب الخمر :

إنَّ السكر وشرب الخمر إحدى المشاكل الاجتماعية التي لازمت الجاهلية قديماً وحديثاً، وقد استطاع الإسلام بنظامه المتكامل وبمنهجه الوسط الباعث للخير والعدالة أن يوجد لهذه المشكلة العلاج الناجع، وأن يقلعها من جذورها بما اتخذ من خطوات حكيمة، وبما بين من نظرات ثابتة حول داء الخمر، وبما أسس من أسباب وقائية نتيجة لتربيته الربانية، وبما شرع من عقوبة رادعة ولسعات مؤلمة تنزل على جسد من يتخطى كل تلك الحواجز، ويقدم على شرب الخمر متغافلاً المجتمع وما يسوده من قيم ومبادئ وقوانين ينبغي مراعاتها لمن يريد أن يعيش فيه محترم الجانب مصون المقام.

أولاً : نظرة الإسلام للخمر :

١ - الخمر رأس الخبائث وسلاح الشيطان لكل أنواع الشرور والمعاصي، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)(١).

"عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: إنَّ آدم - صلى الله عليه وسلم - لما أهبطه الله تبارك وتعالى إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال إنني أعلم ما لا تعملون، قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم، قال الله تبارك وتعالى للملائكة: هلموا ملكيين منكم حتى يهبط بهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان، قالوا: ربنا، هاروت وماروت، فأهبطا إلى

(١) سورة المائدة، آية ٩٠ .

الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءها فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تكلمنا بهذه الكلمة من الإشراك، قالوا: لا والله لا نشرك بالله شيئاً أبداً، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها، قالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه إلا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاخترتا عذاب الدنيا". (١)،

٢ - يمد عن ذكر الله وعن الصلاة :

الخمر يمد عن ذكر الله تعالى، وعن عبادته سبحانه، ويفقد الإنسان عقله الذي هو مناط التكليف فتتعطل الخلافة والعبادة التي لأجلها خلق الإنسان (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (٢)، ودليل ذلك قوله تعالى: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويمدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون). (٣)

فما أعظم هذه الخسارة الذي قال فيها صلى الله عليه وسلم: "من ترك الصلاة

سكرا مرة واحدة، فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها". (٤)

(١) رواه أحمد والبخاري، ورجاله رجال الصحيح، خلا موسى بن جبير، وهو ثقة.

مجمع الزوائد ٧١/٥ .

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦ .

(٣) سورة المائدة، آية ٩١ .

(٤) رواه أحمد ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٧٢/٥ .

٢ - يوقع الناس في العداوة والبغضاء :

يقول تعالى: (إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في

الخرم والميسر ويمدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون). (١)

وهذا لا يختلف فيه كل من أوتي عقلا يفكر، فإن الخمر الذي يسلب العقل يدفع الإنسان إلى التصرف الأحمق، وإلى التفوه بالشتائم، وإلى المشاجرة، وإلى بذر العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى تفككه وضعف أواصر الصلوة والمحبة بين أفراد المجتمع الواحد، ما أعظم هذه الخسارة! والجدير بعقلاء كل مجتمع المحافظة على قوة المجتمع بتوحد أفراده وقوة الرابطة بينهم، ومنع الخمر الذي يزلزل هذا الكيان من جذوره.

٤ - الخمر داء:

قد أثبت العلم الحديث، وأثبتت التجارب أن الخمر سبب رئيسي لكثير من الأمراض (٢) الجسمية عوضا عن النفسية، "عن طارق (٣) بن سويد الحضرمي، قال: قلت: يا رسول الله! إنَّ بأرضنا أعنابا نعتصرها، فنشرب منها؟ قال: "لا"، فراجعته، قلت: إننا نستشفي به للمريض. قال: "إنَّ ذلك ليس بشفاء، ولكنه داء". (٤)

(١) سورة المائدة، آية ٩١ .

(٢) سنتطرق لهذه الأمراض فيما بعد.

(٣) ويقال: سويد بن طارق الحضرمي، ويقال: الجعفي، له صحبة، حديثه عند أهل

الكوفة. تهذيب الكمال ٣٣٩/١٣ رقم ٢٩٤٩ .

(٤) صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٢/٢ رقم ٢٨٢٠، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

ثانياً: علاج الإسلام لمشكلة انتشار الخمر في مجتمعه الأول :

نزلت الرسالة الإسلامية وعادة شرب الخمر منتشرة في المجتمع، بل هي إحدى مواصفات المجتمع البارزة، ومن حكمة العليم الخبير أن هذه النفوس التي اعتادت شرب الخمر لو قوبلت من أول أمرها بحكم التحريم لما تجاوبت مع الأمر تجاوباً إيجابياً، فاتخذ في سبيل العلاج خطوات تدريجية نحو التحريم، آتت ثمارها، وجعلت الخمور تراق في طرقات المدينة، حبا وكرامة وتجاوباً مع نداء الحق من قبل أشخاص كانوا في فترة سابقة لا يستطيعون مفارقة دنان الخمر بسبب إدمانهم للشراب.

أنزل الله عز وجل في بادئ الأمر في معرض الحديث عما أوجده وخلقه لهم قوله تعالى: (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً وريزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون)(١)، وكان من قوله صلى الله عليه وسلم: "الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنبة"(٢)، "فكانت أول ما يسطرق حس المسلم من وضع السكر (وهو المخمر) في مقابل الرزق الحسن .. فكأنما هو شيء، والرزق الحسن شيء آخر".(٣)

وبعد أن استقر في النفس المسلمة المفارقة بين الرزق الحسن وبين ما يتخذ سكراً، أصبحت النفوس مهياةً لتنبئيه أرقى، فنزلت آية أخرى تحرك الوجدان الديني في نفوس المسلمين، مبينة أن الإثم في الخمر أكبر من النفع، وفي ذلك

(١) سورة النحل، آية ٦٧ .

(٢) صحيح سنن النسائي ١١٣٢/٣ رقم ٥١٤٧، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب ٩٧٤/٢ .

إيحاء بأن ترك الخمر أولى من التمسك به، وكانت هذه الآية جواباً على سؤال المؤمنين (١) عن الخمر، لعله بسبب ما أوجدت فيهم الآية السابقة من أثر (٢)، قال تعالى: (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون). (٣)

ولا شك أن النفوس المسلمة كانت تشعر بحرج من شرب الخمر بعد أن علمت أنه ليس من الرزق الحسن، وهذا تلقائياً، يعني أنه من الرزق القدر، وقد علمت أن ما فيه من الإثم أكبر مما فيه من النفع الحاصل من التجارة (٤) فيه وبيعه، ولا شك أن ذلك كان يشكل ضغطاً على النفوس المسلمة، ولعل البعض قد اجتنبها، وعلى كل فإن النفوس كانت قد تهيأت للتنازل الجزئي وخاصة إذا كان هذا التنازل لأجل الوفاء بواجب العبادة لله عز وجل، وخاصة بعد أن تبين بالدليل العملي أن الخمر تفسد الصلاة، "عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدعانا، وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموني، فقرأت (قل يأيها الكفرون . لا أعبد ما تعبدون) (٥)، ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله: (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٥، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/٩٧٥ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢١٩ .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٩، طبعة دار الكتب العلمية.

(٥) سورة الكافرون، آية ٢،١ .

وانتم سكرى حتى تعلموا ما تقولون(١)".(٢)

"والصلاة في خمسة أوقات، معظمها متقارب، ولا يكفي ما بينها للسكر ثم الإفاقة، وفي هذا تضيق لغرض المزاولة العملية لعادة الشرب - وخاصة عادة المصباح في الصباح والغبوق بعد العصر أو المغرب كما كانت عادة الجاهليين - وفيه كسر لعادة الإدمان التي تتعلق بمواعيد التعاطي، وفيه - وهو أمر له وزنه في نفس المسلم - ذلك التناقض بين الوفاء بفريضة الصلاة في مواعيدها والوفاء بعادة الشرب في مواعيدها".(٣)

وكان لهذا التدرج الحكيم أثره البالغ في تهيئة النفوس لتقبل حكم الله القاطع في الخمر بتجاوب لم يسبق له نظير، فأنزل الله تعالى قوله: (يأيها الذين آمنوا إنمما الخمر والميسر والآنصاب والأزلم رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنمما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويمدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون). (٤) "قال عمر: انتهينا(٥)، فأراق المسلمون الخمر في المدينة، ولم يقربوها بعد ذلك

(١) سورة النساء، آية ٤٣ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ٣٩/٢ رقم ٢٤٢٢، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) في ظلال القرآن ٩٧٤/٢ .

(٤) سورة المائدة، آية ٩٠، ٩١ .

(٥) صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٦٩٩/٢ رقم ٣١١٧، قال

الشيخ الألباني: صحيح . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، نشر مكتب التربية

لدول الخليج .

كما جاءت الروايات، "فمن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينا أنا قائم على الصبي، وأنا أصفرهم سنًا على عمومتي، إذ جاء رجل فقال: إنَّها قد حرمت الخمر، وأنا قائم عليهم أسقيهم من فضيخ (١) لهم، فقالوا: اكفأها (٢)، فكفأتها. فقلت لأنس: ما هو؟ قال: البسر والتمر. قال أبو بكر بن أنس: كانت خمرهم يومئذ، فلم ينكر أنس". (٣)

وقضى الإسلام بذلك على مشكلة الخمر في مجتمع المسلمين.

ثالثًا : الأسباب الواقية للمؤمن من الإقدام على شرب الخمر :

من الطبيعي أن لكل ما سبق من نظرة الإسلام للخمر، أثرًا عميقًا في نفس المسلم، تحفظه من الإقدام على شرب الخمر، وإنَّنا في هذا الموضوع نجمل الأسباب في أمرين اثنين:

١ - الإيمان وأثره في المحافظة على المسلم:

إنَّ للوازع الديني أثر لا يمكن أن يساويه أي وازع آخر، وهو الذي حركه الإسلام أول ما أراد إبعاد المسلمين عن الخمر، وإنَّ النصوص التي وردت بعد التحريم عن الخمر وما يتعلق به لتترك أثرًا إيجابيًا قويًا في نفس المسلم وتحافظ عليه من الإقدام على شرب الخمر.

أ - شارب الخمر يسقى من صديد أهل النار يوم القيامة:

قال صلى الله عليه وسلم: "من شرب الخمر شربة لم تقبل له توبة أربعين

(١) الفضيخ: عصير العنب، وهو أيضًا شراب يتخذ من البسر المفخوخ وحده من غير

أن تمسه النار". لسان العرب ١١٠٤/٢ .

(٢) كفأت الإناء وكفأته إذا كببته، وإذا أملتته. النهاية ١٨٢/٤ .

(٣) صحيح سنن النسائي ١١٣٦/٣ رقم ٥١١٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل توبته أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة (١) الخبال يوم القيامة". (٢)

ب - التوعد الشديد لمدمن الخمر :

قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بسحر، ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر العوطة. قيل: وما ينهر العوطة؟ قال: نهر يجري من قروح المومسات يؤذي أهل النار بريح فروجهم". (٣)

ج- من شربها في الدنيا حرمها في الآخرة:

ذكر الله تعالى من ضمن ما أعده لعباده في الجنة أنهار الخمر لذة للشاربين، فقال تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهر من ماء غير آسن وأنهر من لبن لم يتغير طعمه وأنهر من خمر لذة للشاربين وأنهر من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو ألد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم). (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام: "من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها

(١) جاء شرحها في رواية أخرى تحت قوله: "عين خبال" أنها: صديد أهل النار. مجمع الزوائد ٧٢/٥ .

(٢) صحيح سنن النسائي ١١٤٧/٣ رقم ٥٢٣٩، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات. مجمع الزوائد ٧٧/٥ .

(٤) سورة محمد، آية ١٥ .

حرمها في الآخرة". (١)

د - شارب الخمر لا تقبل صلاته ولا تقربه الملائكة :

المؤمن الذي اتصل بربه بخمس صلوات في اليوم والليل، أتراه يفرط في عبادته أربعين يوماً لأجل هذا الشراب؟ ففي الحديث عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال". قيل: يا أبا عبدالرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار". (٢)

وشارب الخمر لا تقربه الملائكة في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم:

"ثلاثة لا تقربهم الملائكة: الجنب، والسكران، والمتمخض (٣) بالخلوق". (٤)

(١) صحيح سنن النسائي ١١٤٨/٣ رقم ٥٢٤٠، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) صحيح سنن الترمذي ١٦٩/٢ رقم ١٥١٧، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) الضَّمخُ: لطح الجسد بالطيب حتى كأنما يقطر، والتضمخ: التلطح بالطيب

وغيره والاكثار منه. لسان العرب ٥٤٦/٢.

والخلوق والخلوق: ضرب من الطيب، وقيل: الزعفران. لسان العرب ٨٩١/١.

(٤) رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خلا العباس بن أبي طالب، وهو ثقة.

مجمع الزوائد ٧٥/٥.

هـ - والإيمان يجعل من الفرد إنسانا صاحب اهتمامات عليا، ينفق فيها وقته، والدنيا بالنسبة له ميدان عمل ومزرعة للأخرة، ويقينه بربه لا يجعل لليأس والكآبة محلا في نفسه يحتاج معه لشرب الخمر تسلية له عن الهموم وهروبا من المشاكل الدنيوية.

٢ - تحريم ومنع تداوله في المجتمع :

الإسلام وقد حرم الخمر على المسلمين، فقد حرم كذلك بيعه وتداوله في المجتمع، حفاظا على أفراد المجتمع من عنصر الإغراء في الخمر إذا أصبح في متناول الأيدي، وسهل الحصول عليه.

"عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما نزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأهن علينا، وقال: حرمت التجارة في الخمر". (١)

وقد طرد الله سبحانه وتعالى من رحمته في الخمر ثمانية أصناف، تأكيدا للابتعاد عنه بكل الصور الممكنة، فقال عليه الصلاة والسلام: "لعن الله الخمر، وشاربها، وساقبها، وبياعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه". (٢)

وبهذه الطريقة أغلق الإسلام بمنهجه الوسط جميع الأبواب في وجه هذا الداء الفتاك، وقلعه من جذوره من حياة المسلمين.

(١) صحيح سنن أبي داود للآلباني ٦٦٧/٢ رقم ٢٩٧٩، وقال: صحيح .

(٢) المرجع السابق ٧٠٠/٢ رقم ٣١٢١، وقال الشيخ الآلباني: صحيح .

رابعاً : حد الخمر :

وبعد كل ما سبق من توضيح وأسباب وقائية، وحث على الابتعاد عن الخمر، لاشك أن الذي يشربه بعد ذلك لا ينفع معه إلا العقوبة البدنية الزاجرة.

وحدّ شرب الخمر أربعون جلدة(١)، وللإمام أن يزيد إلى ثمانين جلدة، لأن الشارب إذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، وحدّ المفترى أي القاذف ثمانون جلدة(٢) فعن "أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن نبي الله ﷺ صلى الله عليه وسلم - جلد في الخمر بالجريد والنعال، ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ودنا الناس من الزيف والقرى، قال: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال: عبدالرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود، قال: فجلد عمر ثمانين".(٣)

"وحد الشرب وجب لصيانة الأنفس والأموال والأبضاع في الحقيقة بواسطة صيانة العقول عن الزوال والاستتار بالسكر".(٤)

خامساً : كيفية الثبوت :

"إنّما يجب الحد إذا ثبت الشرب بإقراره أو شهادة رجلين"(٥) "عدلين، مسلمين، يشهدان أنه مسكر"(٦) على أن يكون شربها مختاراً عالماً أن كثيرها

(١) انظر: روضة الطالبين، للإمام النووي ١٧١/١٠ .

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٣٢٩/١٠ .

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢١٥/١١ .

(٤) بدائع المنافع للكاساني ٤٢٠٢/٩ .

(٥) روضة الطالبين للإمام النووي ١٧٠/١٠ .

(٦) المغني لابن قدامة ٣٣٣/١٠ .

يسكر. (١)

سادسا : اثر الانحراف في حكم الشرب على الفرد والمجتمع :

أما المجتمعات التي اعتبرت شرب الخمر من الحرية الشخصية التي ليس لأحد أن يمنعها، وأنه ليس للقانون أن يعاقب عليه إلا في الحدود الضيقة كالسياقة مع السكر، فقد ظلمت أفرادها، وجلبت إليهم الشقاء والدمار. ولتوضيح ذلك نأخذ نبذا من الإحصائيات والحوادث للتدليل على ما نقول، لأن استيعاب ذلك يحتاج إلى مجلدات ضخمة، ليس موضعها هنا:

"من أحدث الإحصائيات في فرنسا بالنسبة للخمر والجرائم التي تحدث بسببها ما نورده أدناه:

- ١ - ٦٦ ٪ من جنايات الاعتداء على الأشخاص كانت بسبب الخمر.
 - ٢ - ٥٦,٦ ٪ من جنايات الإخلال بالآداب، كانت بسبب الخمر.
 - ٣ - ٨٢ ٪ من جنايات العنف العامة بسبب الخمر .
 - ٤ - ٥٢ ٪ من جرائم القتل بسبب الخمر .
 - ٥ - ٧٠ ٪ من جرائم الضرب والجرح بسبب الخمر .
 - ٦ - ٥٧ ٪ من جرائم هتك العرض بسبب الخمر .
 - ٧ - ٨٠ ٪ من المتشردين والمتسولين من مدمني الخمر .
 - ٨ - ٧٦ ٪ من جرائم التعدي على الموظفين العموميين بسبب الخمر.
- وقد أثبتت الإحصائيات في فرنسا أنه خلال الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٥ أخذت في الارتفاع حالات الوفاة بسبب الإدمان الشديد المزمن للخمر، وحالات الوفاة

(١) انظر: المغني لابن قدامة ٣٣٠/١٠ .

الراجعة إلى اعتلال الكبد نتيجة لذلك الإدمان، وحالات الاضطراب العقلي والعصبي الناشء منه". (١)

"وفي الولايات المتحدة يلاقي ما لا يقل عن ٧٠,٠٠٠ شخص حتفهم سنوياً بسبب الخمر، كآلاتي:

٣٠,٠٠٠ وفيات حوادث المرور الناتجة عن الخمر (العدد الإجمالي لوفيات المرور ٦٠,٠٠٠).

٢٠,٠٠٠ وفيات نتيجة الأمراض الناتجة عن الخمر (تليّف الكبد والسرطان ... الخ).

٢٠,٠٠٠ وفيات بسبب الجرائم والانتحار التي وقعت بسبب الخمر.

ويبلغ العدد الإجمالي للوفيات الناتجة عن الخمر والتدخين سنوياً في الولايات المتحدة الأمريكية ربع مليون شخص". (٢)

"وقد صرح وزير الاقتصاد الفرنسي لوكالات الأنباء أن ما تنفقه فرنسا على الخمر يبلغ سبعة آلاف مليون دولار سنوياً". (٣)

(١) الشريعة الإسلامية وأثرها في الظاهرة الإجرامية، لحمود بن ضاوي القشامي ص ١٣١ .

(٢) المخدرات الخطر الداهم (١) الأفيون ومشتقاته، للدكتور محمد علي البار ص ١١، نقلًا عن كتاب: الإدمان والمدمنين، للدكتور فيرنون كولمان. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار القلم.

(٣) الخمر بين الطب والفقہ للدكتور محمد علي البار ص ٩٩، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الدار السعودية للنشر، نقلًا عن جريدة الشرق الأوسط

"وأما ما يخسره الدخل القومي نتيجة إضاعة أوقات العمل وأجرة علاج مدمني

الخمير والأمراض التي تسببها الخمير فيقدر بمائة مليار فرنك فرنسي". (١)

أما الولايات المتحدة الأمريكية فتخسر ما يقرب من ثلاثين ألف مليون دولار،

كل عام بسبب الخمور، وإليك إحصاء عام ١٩٧١م:

١ - خسارة في الإنتاج بسبب شرب الخمير ١٤,٨٦٩ مليون دولار.

٢ - خسارة بسبب تكاليف المعالجة للمخمورين ٨,٢٩٣ مليون دولار.

٣ - خسارة بسبب حوادث المرور الناتجة عن شرب الخمور ٤,٦٦٦ مليون دولار.

٤ - خسارة بسبب الجرائم الناتجة عن شرب الخمور ١,٤٦٦ مليون دولار.

ولا يدخل في ذلك الخسائر التي لا تقدر بثمن من العذاب والشقاء النفسي،

وتدمير الأسر وتحطيم العائلات ... والفقر المدقع الذي يعيش فيه المدمنون

وأسرهم". (٢)

والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بإصدار قانون أقره

الكونجرس بالإجماع تقريبا لمنع الخمور في ١٦ يناير ١٩١٩ على أن ينفذ من

بداية يناير ١٩٢٠، وهو القانون المشهور باسم التعديل الثامن عشر..

ويحرم القانون صناعة الخمور سرا وجهرا وبيعها وتصديرها واستيرادها

ونقلها وحياراتها، وكل من يخالف ذلك يعاقب بالسجن أو الغرامة أو كليهما معا،

وبدلت جهود جبارة في التوعية، حتى لقد سوت تسعة ملايين صفحة تبين أضرار

الخمير الطبية والاجتماعية والأخلاقية، وبلغت تكاليف الحملة الإعلامية في ذلك

(١) الخمير بين الطب والفقير ص٩٩، نقلًا عن مجلة الفكر الإسلامي، عدد محرم

١٤٠٥هـ (أكتوبر ١٩٨٤) صفحة ١٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص١٠٠ .

العام فقط خمسة وستين مليون دولار (عام ١٩٢٠ قيمتها اليوم أكثر من ٦٥٠ مليون دولار) إلا أن المحاولة باءت بالفشل، فحاول القانسون أن يفرض المنع بالقوة، وقدم إلى المحاكمة ملايين الأشخاص . . وسجن في تلك الفترة (ما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٣) نصف مليون شخص لإدانتهم بشرب الخمر، وحكمت المحكمة على مائتين من عتاة المجرمين بالإعدام (وعقوبة الإعدام نادرة الحدوث في الولايات المتحدة) لجرائم متعلقة بالخمور، وانتشرت الخمور بمختلف أنواعها سراً، وفي عام ١٩٢٧ هلك من استعمال الخمور الرديئة السامة سبعة آلاف وخمسمائة شخص، وزاد عدد المجرمين، وزادت الجرائم بنسبة ثلاثمائة بالمائة، ونتيجة لكل ذلك اجتمع الكونجرس وقرر في إبريل ١٩٣٣ إمدار قانون يبيح البيرة والسيدر فقط . . ثم لم تمض إلا بضعة أشهر حتى رفع الحظر بالكلية في ديسمبر ١٩٣٣ (١)، فشلت الولايات المتحدة، ونجح الإسلام قبل ذلك بأربعة عشر قرناً من الزمان، لما تميز به الإسلام من نظرتة المتكاملة ومنهجه الوسط.

(١) انظر: الخمر بين الطب والفقه ص ١١٨ .

المطلب الثالث : الزنا(١) :

وضع الإسلام لهذه الجريمة العقوبة الرادعة كبقية الجرائم السابقة، حفاظاً على المجتمع من الويلات التي تجلبه هذه الجريمة، والإسلام إنّما وضع هذه العقوبة لمجتمع قد قام ونشأ على المبادئ والقيم الشرعية التي أوجدها لخير الناس وملاحهم، وليس لمجتمع مناقض للإسلام في نظامه الشامل المتكامل، لذلك لا فكاك لمن يريد تناول حد الزنا أن يتطرق لكل ما يتعلق بهذا الموضوع في منهج الإسلام الوسط.

ولكي نتناول وسطية الإسلام - أي عدالته وخيريته - في تشريعه "حد الزنا"، من الضروري أيضاً أن نتطرق لأصل الموضوع، وهو تصور الإسلام للزنا ومضاره، ثم الأسباب الواقعية منه، ثم الضمانات التي تثبت تحقق وقوعه الاختياري، ثم لكي يتضح الأمر بجلاء تام لجميع فئات البشرية مسلمهم وكافرهم، من المهم إلقاء نظرة سريعة على مظهر من مظاهر الانحراف عن الوسطية، وخطورة هذا الانحراف على البشرية.

أولاً : نظرة الإسلام إلى الزنا :

١ - الزنا عمل شديد القبح، مغروس في الفطر السليمة استقباحه، قال

تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنّه كان فحشة (٢) وساء سبيلاً). (٣)

(١) ستتحدث عن حد القذف أثناء الحديث عن الزنا، لارتباطهما الوثيق.

(٢) الفحش والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال. المفردات ص ٣٧٣ .

(٣) سورة الاسراء، آية ٣٢ .

ب - ولقبحه الشديد ذكره الله تعالى مع الإشراك به، فقال عز من قائل:
(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاّ
بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً). (١)

وقد جمع سبحانه وتعالى بينهما أيضاً في معرض الحديث عن النكاح وما حرم
منه على المؤمنين الأطهار، فقال تعالى: (الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة
والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) (٢)، ولذلك جاء
الوعيد الشديد عليه في القيامة، (يضعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه
مهاناً). (٣)

ج - وقد ربط المولى عز وجل بينه وبين القتل لبيان شديد جرمه، فقال
سبحانه: (قل تعالوا أتتوا ما حرم ربكم عليكم إلاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين
إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملق نحن نرزقكم وإيتاهم ولا تقربوا الفواحش ما
ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ذلكم ومثلكم به
لعلكم تعقلون). (٤)

وقد بيّنت النصوص النبوية الصلة المباشرة والقوية بين الزنا والقتل
أيما بيان، ففي الحديث عن ابن عباس أنه قال: "ما ظهر الغلول (٥) في قوم قط

(١) سورة الفرقان، آية ٦٨ .

(٢) سورة النور، آية ٣ .

(٣) سورة الفرقان، آية ٦٩ .

(٤) سورة الأنعام، آية ١٥١، وانظر: الاسراء، آية ٣١-٣٣، والفرقان، آية ٦٨ .

(٥) وهو الخيانة في المغنم والسرقعة من الغنيمة قبل القسمة. النهاية ٣/٣٨٠ .

إلّا ألقى في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا قط إلّا أكثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلّا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق إلّا فشا فيهم الدم، ولا ختر (١) قوم بالعهد إلّا سلّط الله عليهم العدو" (٢)، و"إنّ في الزنا قتلا من نواحي شتى، إنّ قتل ابتداءً لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها، يتبعه غالباً الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق، أو بعد أن يتخلق، قبل مولده أو بعد مولده، فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب حياة شريرة، أو حياة مهينة، فهي حياة مضيعة في المجتمع على نحو من الأنحاء .. وهو قتل في صورة أخرى، قتل للجماعة التي يفسو فيها، فتضيع الأنساب، وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات، وهو قتل للجماعة من جانب آخر، إذ إن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها، والأسرة هي المحض الصالح للفراخ الناشئة، لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيته إلا فيه" (٣)، ولذلك تتنزل العقوبات الإلهية على قوم ظهر فيهم الزنا، قال عليه الصلاة والسلام: "ما ظهر في قوم الربا والزنا إلّا أطوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل". (٤)

(١) الختر : الغدر. يقال: ختر يختر فهو خاتر وختار للمبالغة. النهاية ٩/٢ .

(٢) موطأ الإمام مالك ٤٦٠/٢ رقم ٢٦ .

قال ابن عبد البر: قد رويناه متملا عنه، ومثله لا يقال رأيا.

(٣) في ظلال القرآن ٢٢٢٤/٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد ٢٠٩/٥ رقم ٣٨٠٩، وقال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

فهذه النظرة العميقة لهذه الفعلة الشنيعة وخطورتها على الفرد والمجتمع دنيا وآخرة، هي التي يجب أن تستقر في الذهن، للمقارنة بينها وبين ما شرع سبحانه من حد لمنع تكرارها وانتشارها في المجتمع، حفاظا على الفرد والمجتمع من الهلاك الدنيوي قبل الأخرى المترتب يقينا على هذه الفعلة، والنتيجة الحتمية لهذا الوباء الفتاك، فالإسلام اعتبر الزنا جريمة عامة بحق المجتمع.

ثانيا : الاسباب الواقية من الزنا (١) :

وفيما يتعلق بموضوع اتصال الرجل بالمرأة، وضع الإسلام أسسا وضوابط تحمي كلا الطرفين من الانزلاق في الفاحشة، بحيث لا يقيم الحد الذي وضعه بعد ذلك إلا على الذين لا ينفع معهم إلا هذه العقوبة، بدلالة إصرارهم رغم الضوابط الوقائية، وتنقسم هذه الضوابط الى:

١ - ما يتعلق بالمجتمع عامة :

أ - الإعتراف بالغريرة الجنسية وعدم استقذارها، ولذا كان من النعيم الموعود يوم القيامة في جنات الخلد: الحور العين، وهن زوجات أهل الجنة، قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

(١) للوقوف على تفاصيل ما يتعلق بهذه النقطة انظر:

١ - دستور الأسرة في ظلال القرآن، لأحمد فائز ص١٦٩-٣٣٢، الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة.

٢ - التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي، تأليف الدكتور فضل

إلهي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، مكتبة المعارف - الرياض.

متقبّلين . كذلك وزوجنهم بحور عين) (١)، وقال تعالى: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ . هم وأزواجهم في ظلّ على الأرائك متكئون" (٢)، فقد عقب سبحانه وتعالى بعد ذكره أن أهل الجنة في شغل عمن سواهم بقوله: (هم وأزواجهم..)، لذا جاء في تأويل الشغل أنه معاشرة أهل الجنة لأزواجهم. (٣)

ب - ونهى عن التبتل والترهبين، وحث على الزواج، فعن "سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عثمان (٤) ابن مظعون التبتل (٥)، ولو أذن له لاختصينا" (٦).
وقال صلى الله عليه وسلم: "النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإنّي مكائر بكم الأمم، ومن كان ذا طولٍ فلينكح، ومن لم يجد

(١) سورة الدخان، آية ٥١-٥٤ .

(٢) سورة يس، آية ٥٥، ٥٦ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، طبعة دار الشعب ٥٦٩/٦.

وتفسير الطبري ١٧/٢٣ الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م. مطبعة البابي الحلبي.

(٤) أبو السائب، من سادة المهاجرين، الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم فملى عليهم، وكان - رضي الله عنه - أول من دفن بالبقيع، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وتوفي بعد بدر، وكان عابداً مجتهداً، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية. انظر: سير أعلام النبلاء ١/١٥٣ رقم ٩ .

(٥) التبتل: الإنقطاع عن النساء وترك النكاح. النهاية في غريب الحديث ١/٩٤ .

(٦) صحيح سنن الترمذي ١/٣١٤ رقم ٨٦٢، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

فعلية بالصيام، فإن الصوم له وجاء(١) ".(٢)

أما الفرار من ظل النساء، وإحساس التأثم بالاقتراب منهن فنظرة رهبانية

منحرفة.(٣)

ج - ووفّر الإسلام الجو الطاهر النظيف في المجتمع، الذي لا يثير غرائز

أفراده، فتوعد الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع، فقال تعالى: (إنّ

الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا

والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون).(٤)

ولذلك شدد في اتهام الناس بالزنا، واعتبره قذفاً بالباطل يستحق عليه

الجلد حداً(٥) ما لم يشهد بذلك أربعة شهداء، حتى لا تشيع هذه الاتهامات في

المجتمع، فيتعود الناس مع الزمن على شيوعه وعدم استقباحه بسبب التكرار،

فقال تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم

(١) الوجاء : أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع، ويستنزل في

قطعه منزلة الخمي، وقد وجىء وجاء فهو موجوء. وقيل: هو أن توجأ العروق

والخصيتان بحالهما، أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء.

النهاية ١٥٢/٥ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه للشيخ الألباني ٣١٠/١ رقم ١٤٩٦، وقال: حسن.

(٣) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبي الحسن الندوي ص١٦٩،

الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي - بيروت.

(٤) سورة النور، آية ١٩ .

(٥) انظر: المغني لابن قدامة ٢٠١/١٠ .

ثُمَّ نِينَ جِلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). (١)

بل توعدهم بعذاب عظيم، فقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ

الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ). (٢)

وقد نهى - صلى الله عليه وسلم - كذلك أن يخلو الرجل بأجنبية، وهي كل امرأة لا تحرم عليه حرمة أبدية، فقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ. فقام رجل فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجت حاجة، واكتتبت في غزوة كذا، قال: ارجع فحج مع امرأتك". (٣)

وفي رواية أخرى: ".. ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان شالتهما

الشيطان..". (٤)

وكذلك نهى الإسلام عن اختلاط النساء بالرجال في الأماكن العامة، وفيما استثناه من ذلك كالمسجد، وهو محل العبادة جعل الصفوف الأمامية للرجال، والصفوف الخلفية للنساء، ولم يجز تداخل الرجال بالنساء في الصفوف، واعتبر الصفوف الرجالية والنسائية كلما كانت أبعد عن بعضها البعض كانت هي الأفضل للرجال والنساء، فقال صلى الله عليه وسلم: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها". (٥)

(١) سورة النور، آية ٤ .

(٢) سورة النور، آية ٢٢ .

(٣) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٣٩٦/١٩ .

(٤) صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني ٢٣٢/٢ رقم ١٧٥٨، وقال: صحيح .

(٥) صحيح سنن النسائي للشيخ الألباني ١٧٧/١ رقم ٧٩٠، وقال: صحيح .

د - ثم يسر سبل الزواج، ودفع أولياء الفتيات إلى تزويج من يأتهم خاطبا إذا توفّر فيه الدين والملاح والخلق، دون النظر إلى غير ذلك، وأن من يرد الدين الخلق، فكأنما أفسد في الأرض لأنه أغلق باب اللال أمام طالبه، وكذلك أمام طالبته، فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد". (١) قالوا: يا رسول الله! وإن كان فيه؟ قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكوه" ثلاث مرات. (٢)

والفقر يجب ألا يكون مانعا، فالله سبحانه هو الرزاق، قال تعالى: (وانكحوا الأيامى) (٣) منكم والصلحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله والله واسع عليم). (٤)

وكما كان المقياس في الرجل دينه وخلقه، فكذلك في المرأة، قال صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك". (٥)

٢ - ما يتعلق بالرجل خاصة :

أ - أوجب الله سبحانه وتعالى على المرأة الستر والحشمة والحجاب، وذلك

(١) وفي رواية أخرى: "وفساد عريض". صحيح الترمذي للشيخ الألباني ٣١٤/١ رقم ٨٦٥، وقال: حسن.

(٢) المصدر نفسه ٣١٥/١ رقم ٨٦٦، وقال: حسن بما قبله.

(٣) الأيامى: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. لسان العرب ١٤٥/١ .

(٤) سورة النور، آية ٣٢ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ١٦٢/١٩ .

لكيلا تثير غريزة الرجل بمفاتن جسدها، وكذلك حرم عليها إثارتة بحركة معينة، كأن تضرب برجلها في الأرض فتسمعه موت ظلخالها فتلفت انتباهه إليها، قال تعالى: (وقل للمؤمنات يفضن من أبصرهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن) (١) على جيوبهن (٢) ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو أبايهن أو أبااء بعولتهن أو ابنايهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نساءيهن أو ما ملكت أيمانهن أو التبعية غير أولى الإربة (٣) من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون). (٤)

وكذلك عدم إشارته بالقول اللين، قال تعالى: (يُنساء النبيّ لستن كاحد من

(١) الخمار: اسم لما تغطي به المرأة رأسها. المفردات ص ١٥٩ .

(٢) الجيوب : جمع جيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميم، مأخوذ من الجوب، وهو القطع. قال المفسرون: إن نساء الجاهلية كن يسدن خمرهن من خلفهن، وكانت جيوبهن من قدام واسعة، فكان تنكشف نحورهن وقلائدهن فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتستر بذلك ما كان يبدو. فتح القدير للشوكاني ٢٣/٤.

(٣) الارب : فرط الحاجة المقتضي للاحتيال في دفعه، وهنا: كناية عن الحاجة إلى

النكاح. المفردات ص ١٥، ١٦ .

(٤) سورة النور، آية ٣١ .

النساء إن اتقيتن فلا تخضعن(١) بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض وقلن قولاً
معروفاً). (٢)

وأيضاً عدم إشارة الرجل بالرائحة الزكية، لذلك حرم على المرأة أن تتعطر
فتخرج ليشم رائحتها، قال عليه الصلاة والسلام: "أئماً امرأة استعطرت فمرت على
قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية". (٣)

ولذلك نهأها - صلى الله عليه وسلم - عن حضور الجماعة في المسجد وهي
متعطرة، فقال: "أئماً امرأة أصابت بخوراً، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة". (٤)

ب - وكذلك ربي الإسلام الرجال على العفة، وأمرهم سبحانه بغض البصر، فقال
تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا(٥) من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن
الله خبير بما يصنعون". (٦)

ج- وجعل الشرع من حق الرجل النظر إلى المرأة التي يريد نكاحها، فعن
"المغيرة بن شعبة، أنه خطب امرأة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "انظر

(١) خضع الرجل وأخضع: ألان كلمه للمرأة، ويقال عن الرجل والمرأة: قد خضعا
بينهما حديثاً، أي: ليئنا بينهما الحديث، وتكلما بما يطمع كلا منهما في

الآخر. لسان العرب ٨٥١/١ .

(٢) سورة الأحزاب، آية ٣٢ .

(٣) صحيح سنن النسائي ١٠٤٩/٣ رقم ٤٧٣٧، وقال الشيخ الألباني: حسن .

(٤) المصدر السابق ١٠٤٩/٣ رقم ٤٧٣٩، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٥) الغض : النقصان من الطرف والصوت. المفردات ص(٣٦) .

(٦) سورة النور، آية ٣٠ .

إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما" (١)، أي: "أحرى أن تدوم المودة بينكما". (٢)

د - وفرض الله تعالى على الزوجة تلبية زوجها عند الطلب والرغبة، قال صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح". (٣)

ولذلك نهى - صلى الله عليه وسلم - المرأة أن تصوم، الناقله بمحض زوجها إلا بإذنه، فلعله يرغب فيها، فيمنعه عن ذلك - وهو من حقه - صيامها، فقال: "لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه". (٤)

هـ - وأباح الشرع للرجل تعدد الزوجات، فقال تعالى: (وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربيع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى إلا تعولوا). (٥)

وجوانب الحكمة في إحصان الرجل بالتعدد واضحة، فمثلا:

١ - لعل الواحدة لا تحصنه لما أوتي من قوة في ذلك.

٢ - قد يحول مانع دونه ومعاشرة زوجته في وقت هو يرغب فيها:

أ) كفترات الحيض، وهي أسبوع أو أكثر في الشهر، يحرم فيها جماعها.

(١) صحيح سنن الترمذي، للشيخ الألباني ٣١٥/١ رقم ٨٦٨، وقال: صحيح .

(٢) المصدر السابق، من كلام الإمام الترمذي .

(٣) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٢٥١/١٩ .

(٤) المصدر السابق ٢٥٠/١٩ .

(٥) سورة النساء، آية ٣ .

(ب) بعض فترات الحمل، حيث تكون المرأة في حالة متعبة لا يسمح لها وضعها الصحي بمعاشرة الزوج.

(ج) فترة النفاس، وهي أربعون يوما بعد وضع الحمل، أي إلى أن تطهر، لا يطل له وطأها.

(د) قد تصاب بمرض مزمن يمنعه من وطئها، أو قد لا تنجب، وهو يرغب في الولد، ولا يرغب في تركها وطلاقها ولا هي ترغب في ذلك.

و - وشرع الإسلام الطلاق عندما لا يتم التوفيق بين الزوجين، وتنقلب حياتهم إلى متاعب لا تطاق، وذلك حتى يبحث كل عمن يستطيع أن يتلاءم معه في حياة مستقرة طاهرة، بدل أن تصرف الطاقة والشهوة في الخفاء فيما هو حرام، قال تعالى: (وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم)(١)، وقال سبحانه: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو ترميح بإحسن). (٢)

٣ - ما يتعلق بالمرأة خاصة :

أ - حفاظا على المرأة وصونها لها من الاضطرار إلى الخروج للعمل، ضمن لها الشرع الكفالة في الإنفاق، فهي إما في كفالة والدها ونفقة الأبناء واجب، وإما تكون في عصمة الزوج، فيكون الإنفاق عليها واجبا شرعيا عليه(٣)، قال تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر(٤) عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٢ .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٩ .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٨٧/٢٠، والمغني لابن قدامة ٢٢٩/٩،

نيل الأوطار ٣٦٠/٦ .

(٤) أي : ضيق عليه. المفردات ص٣٩٦ .

الله نفساً إلا ما ءاتلها سيجعل الله بعد عسر يسرا). (١)

وهذا يحفظها من العمل والاختلاط الذي يفتح عليها باب الفتنة .

ب - وكذلك ربّاهما الإسلام على العفة، وأمرها بغض البصر، فقال تعالى: (وقل

للمؤمنت يفضن من أبصرهن ويحفظن فروجهن..). (٢)

ج- والمرأة حرة في أمر نفسها ولا تزوج إذا خطبت حتى تستأذن فتأذن،

وترضى بمن تقدم إليها، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تنكح الأيم (٣) حتى

تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذن؟ قال:

أن تسكت". (٤)

أما إذا زوّجت وهي كارهة فنكاحها مردود، ولها الحق في رفض عقد الزواج،

فعن "ابن عباس - رضي الله عنهما - أن جارية بكرا أتت النبي - صلى الله

عليه وسلم - فذكرت له أن أباهما زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي صلى الله

عليه وسلم". (٥)

و"عن خنساء (٦) بنت خدام الأنصارية أن أباهما زوّجها وهي شيب فكرهت ذلك،

(١) سورة الطلاق، آية ٧ .

(٢) سورة النور، آية ٣١ .

(٣) وهي: الشيب التي فارقت زوجها بموت أو طلاق. فتح الباري شرح صحيح البخاري

. ٢٣٠/٢٠ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٢٣٠/٢٠ .

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، للألباني ٣١٥/١ رقم ١٥٢٠، وقال: صحيح .

(٦) هي: خنساء بنت خدام بن خالد الأنصارية، من بني عمرو بن عوف". الإصابة في

تمييز الصحابة ٦١١/٧ رقم ١١١٠٤ . وهي غير خنساء، الشاعرة المعروفة.

فأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرد نكاحها". (١)

د - وعلى الزوج معاملتها بالحسنى وتلبية رغبتها الجسدية وإعفافها، فإنَّ أحد مقاصد الزواج هو الإحمان وتلبية الرغبة الجسدية بنص حديثه صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". (٢)

والمرأة والرجل في هذه الرغبة الجسدية سواء، وقد قال تعالى: (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف..) (٣)، وقال سبحانه: (وعاشروهن بالمعروف). (٤)

ولذلك نبيه سبحانه وتعالى الرجل في حال التعدد أن يعدل بين أزواجه في مطالبهن، ولا يترك إحداهن دون تلبية حاجتها ورغبتها فتكون كالمعلقة، لا هي تنال ما تريد من زوجها، ولا هي حرة لتبحث عن زوج آخر يحصنها، فقال تعالى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإنَّ الله كان غفورا رحيما). (٥)

وذلك حتى تحمن المرأة ولا يتطلع قلبها إلى غير زوجها ليطفئ نار جسدها المحروم، وفي الأسرة التي ينال فيها كل حقه ومطالبه تتحقق المودة والرحمة وسكون الزوجين لبعضهما البعض، وهو المطلوب في الحياة الزوجية، وأخبر عنه

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٢٣٣/١٩ .

(٢) صحيح سنن النسائي للشيخ الألباني ٣١٠/١ رقم ١٤٩٥، وقال: صحيح .

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٨ .

(٤) سورة النساء، آية ١٩ .

(٥) سورة النساء، آية ١٢٩ .

سيحانه بقوله: (ومن آيئته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). (١)

هـ - وفي مشروعية تعدد الزوجات رحمة بالمرأة وإحسان لها، ويتضح ذلك في ضوء ما يلي (٢):

١ - الإحصائيات تبين أن تعداد النساء دائما أكثر من الرجال، فلو منع التعدد لبقى عدد من النساء بدون أزواج، وفي ذلك أيما مضرة بها، وعدد النساء أكثر من الرجال لأمرين:

١ - في غالب الدول، عدد المواليد الإناث أكبر من عدد المواليد الذكور، فمثلا في دار للتوليد في هلسنكي (فنلندا) كان من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكرا، والباقون إناثا. (٣)

ب - في حالات القتال والحروب يكون غالبية القتلى رجال، ففي الحرب العالمية الأولى "قتل عشرة ملايين من الشباب الأوروبيين والأمريكان" (٤)، و"وجدت

(١) سورة الروم، آية ٢١ .

(٢) للتوسع انظر: المرأة بين الفقه والقانون، للشيخ الدكتور مصطفى السباعي ص٢١-١٢١، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي.

و: تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية. د. عبدالناصر توفيق العطار، طبعة مؤسسة الرسالة ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، دار الشروق.

(٣) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، للدكتور الشيخ مصطفى السباعي ص٨١ .

(٤) شبهات حول الإسلام، لمحمد قطب، ص١٠٩، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٢هـ دار الشروق.

(٥) المرجع السابق .

ملايين النساء بلا عائل". (١)

"وفي عام ١٩٤٩ تقدم أهالي "بون" عاصمة ألمانيا الاتحادية بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات" (٢) لتضرهن بسبب عدم كفاية عدد الرجال مقابل عدد النساء.

٢ - وفي كثير من الأوقات عندما لا يتم التوافق بين الزوجين، يحدث الانفصال والطلاق وتبقى المرأة مطلقة بلا عائل، أو يموت عنها زوجها.

وقد يكون منع التعدد سببا لبقائها بقية عمرها بدون زواج لتفضيل الأبناء عليها، ويكون في ذلك الضرر الكبير عليها، وخاصة إذا كانت شابة. (٣)

و - مشروعية الخلع في الإسلام:

والأصل في الحياة الزوجية المودة والسكينة والراحة، والمرأة كطرف في هذه المؤسسة في الظروف الطبيعية تكون شديدة الحرص على بيتها وأسرتها، وتبذل قصارى جهدها لإضفاء روح المودة والحب في الأسرة، وهي أكثر الطرفين تضررا في حالة الانفصال، وقد جعل المولى القوامة للرجل عليها والطلاق بيده، إلا أنه في حالات معينة ينقلب الأمر، فلا تستطيع المرأة الاستمرار في الحياة الزوجية وعقد الطلاق بيد الرجل، وهو قد لا يكون مريدا للانفصال والطلاق، وقد بذل لها الشيء الكثير من ماله، ولا مال عنده للزواج بأخرى إن طلق، ففي هذه الحالة شرع الله

(١) شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ص ١٠٩ .

(٢) المرأة بين الفقه والقانون، للدكتور الشيخ مصطفى السباعي ص ٧٥، نقلا عن:

في أحكام الأحوال الشخصية، للدكتور محمد يوسف موسى.

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٤١٥/٣-٤١٧ .

الخُلْع، وهو "فراق الرجل زوجته ببذل يحمل له" (١)، وذلك بأن تطلب الزوجة الانفصال عنه على أن تعوّضه ببدل ما أعطاهما من مال على أن يكون بمحض رضاها لا بسبب ضغط عليها، قال تعالى: (الطُّلُقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَصْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). (٢)

و"عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: جاءت امرأة (٣) شابته (٤) بن قيس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله، إنني لأعتب على شابته في دين ولا خلق، ولكنني لا أطيقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم" (٥). وفي رواية أخرى "قال رسول الله

(١) نيل الأوطار للشوكاني ٢٧٨/٦، وانظر: فتح الباري ٦٢/٢٠ .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٩ .

(٣) في رواية عند الإمام مالك أنها "حبيبية بنت سهل الأنصاري". المنتقى شرح الموطأ للبخاري ٦٠/٤ خلافا لما في سير أعلام النبلاء.

(٤) أبو عبدالرحمن، أنصاري خزرجي، وهو خطيب الأنصار، كان من نجباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدا، وبيعة الرضوان، أمه هند الطائفة، وإخوته لأمه عبدالله بن رواحة، وعمرة بنت رواحة، وكان زوج جميلة بنت عبدالله بن أبي بن سلول، وهي التي اختلعت منه، قتل يوم اليمامة شهيدًا، بعد أن لبس ثوبين أبيضين وتحنط، وكفن فيهما. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٨/١ رقم ٦١ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٦٩/٢٠ .

صلى الله عليه وسلم: "اقبل الحديقة وطلقها تطليقة". (١)

وكان ثابت قد "أمدقها الحديقة المذكورة". (٢)

وفي ضوء ما سبق نستطيع أن نجزم بأن الإسلام بمنهجه الوسط قد يسّر سبل الزواج الحلال، ويسّر أمره، وأغلق أبواب الحرام، وجعل الوصول إليه عسيرا، وحفظ جو الأسرة من كل ما يعكر صفوها ونقاءها، إبقاء للمودة، وحفاظا لأفراده من التطلع إلى إشباع الغريزة في غير إطار الزوجية.

وبعد هذه الحصون المنيعة والقيود الطاهرة والمداخل الشريفة العفيفة،

شرع الإسلام حد الزنا علاجا حازما لأصحاب النفوس الخبيثة.

ثالثا : حد الزنا :

وينقسم حد الزنا إلى قسمين :

١ - حد الزنا للبكر، وهو غير المتزوج : مائة جلدة (٢)، لقوله تعالى:

(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رافة فى

دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من

المؤمنين). (٤)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦٨/٢٠ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦٨/٢٠ .

(٣) انظر: المغني ١٣٣/١٠، للوقوف على أقوال الأئمة العلماء في التفريب مع

الجلد.

(٤) سورة النور، آية ٢ .

٢ - حد الزنا للمحصن(١)، وهو المتزوج : الرجم.(٢)

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أن رجلا من أسلم أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحدثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات، فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجم(٣)، وكان قد أحصن".(٤)

رابعا : كيفية ثبوت الزنا :

١ - باعتراف الزاني أو الزانية : ورغم أن الاعتراف سيد الأدلة كما يقولون، فإن الشرع من باب العدل وعدم التسرع في إنزال الحد، وكذلك من باب الستر على المسلم، شرع للقاضي إذا أقر إنسان عنده بالزنا أن يظهر له الكراهة أو يطرده، إلا إذا أمر في اعترافه للمرة الثانية والثالثة والرابعة، فعند ذلك ينظر أهو صحيح العقل أم به جنون ويسأل عنه قومه، فإذا تأكد من سلامة عقله، سأل عن الزنا وماهيته، وماذا يقصد فلعله قبيل أو ضم، فلعله فعل كل شيء إلا النكاح المريح، ويصرح له في العبارة دون أن يكني، فإذا تأكد أنه فعل بها ما يكون منه الولد، سأل أهو محصن أم لا، ويسأل عن ماهية الإحصان(٥)، فإذا ثبت الأمر ثبوتا يقينيا رجمه إن كان محصنا، وإلا جده مائة

(١) انظر: المغني لابن قدامة ١٢٦/١٠ للوقوف على شروط الاحصان.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٦٢/٢٥ للوقوف على أقوال العلماء في الجمع بين الجلد والرجم للمحصن، والجمهور على القول بالرجم فقط.

(٣) ويكون الرجم بالرمي بالحجارة وغيرها حتى يموت. فهرس المغني، الزنى

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ٢٦٢/٢٥ .

(٥) انظر: بدائع الصنائع للكاساني ٤١٩١/٩ .

جلدة، وهو أي القاضي الذي يبدأ بالرجم أو الجلد حتى لا يستهين بجسامة قضاة (١).

أما المزني بها فإن لم تعترف مع إخبار الزاني، فلا حد عليها لحديثه - صلى الله عليه وسلم - وقوله بعد اعتراف الزاني وإخباره بمن زنا: "واغد يا أنيس (٢) على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها فاعترفت فرجمها". (٣)

وإن كانت حبلى أخرت حتى تضع ما في بطنها وتفظم ابنها، فعن "عبدالله (٤) ابن بريدة، عن أبيه (٥)، أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله - صلى الله

(١) انظر: التكملة الثانية للمجموع شرح المذهب، للأستاذ المحقق محمد نجيب المطيعي ٤٤/٢٠ نشر المكتبة السلفية - المدينة المنورة.

(٢) اختلف فيه على أقوال، والأرجح أنه رجل من أسلم. وغلط من زعم أنه أنس بن مالك، وصغر. انظر: فتح الباري ٢٨٦/٢٥ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٢٨٦/٢٥ .

(٤) ابن الحميب الحافظ الإمام، شيخ مرو وقاضياها، أبو سهل الأسلمي المروزي. ولد سنة خمس عشرة، حدث عن جمع غفير من الصحابة، كان على قضاء مرو بعد موت سليمان بن بريدة سنة خمس ومئة الى أن مات سنة خمس عشرة ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٠/٥ رقم ١٥ .

(٥) أبو عبدالله الأسلمي، وقيل أبو الحميب، قيل إنه أسلم عام الهجرة إذ مر به النبي - صلى الله عليه وسلم - مهاجرا، شهد غزوة خيبر والفتح، وكان معه اللواء. استعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على صدقة قومه، سكن=

عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إنِّي قد ظلمت نفسي وزنيت، وإنِّي أريد أن تطهرني، فرده، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله إنِّي قد زنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى قومه فقال: أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا، فقالوا: ما نعلمه إلاّ وفيّ العقل من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرجم، قال: فجاءت الغامدية (١)، فقالت: يا رسول الله إنِّي قد زنيت فطهرني، وإنّه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما رددت ماعزا، فوالله إنِّي لحبلى، قال: أما لا فاذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالمصي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته. قال: اذهبي فأرضعيه حتى تطفميه، فلما فطمته أتته بالمصي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع المصي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها..". (٢)

= البصرة مدة. ثم غزا خراسان زمن عثمان. وكان من أمراء عمر بن الخطاب في نوبة سرغ - أول الحجاز وآخر الشام - قال ابن سعد: مات سنة ثلاث وستين. وقال آخر: توفي سنة اثنتين وستين، وهذا أقوى. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٦٩/٢ رقم ٩١ .

(١) قيل اسمها: سبيعة، وقيل: أبيعة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات للإمام أبي زكريا محب الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ٣٦٦/٢، رقم ٧٨٤، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/٢٠٢) .

وإن تراجع الزاني أو تراجعت الزانية عن الاعتراف فلا يقام الحد، ويعتبر

الهروب من الحد تراجع عن الاعتراف. (١)

٢ - بشهادة أربعة شهود : قال تعالى: (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ

لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكذّيون). (٢)

ويجب أن تكون الشهادة في غاية الدقة والاتفاق فيما يقولون، فلو شهد ثلاثة

منهم أنهم رأوا كما يرون الميل في المكمل، وقال الرابع: رأيت أقداما بادية

ونفّسا عالية وأمرا منكرا ولا أعلم ما وراء ذلك (٣) لم تقم البيّنة، والشهادة

ساقطة، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لو كنت راجما بغير بيّنة لرجمت فلانة،

فقد ظهر منها الريبة في منطقتها وهيئتها، ومن يدخل عليها". (٤)

وإذا قامت البيّنة بشهادة أربعة عدول، فالأولى أن يكونوا أول البادئين

بإقامة الحد، سواء الجلد أو الرجم حتى لا يستهينوا بجسامة شهادتهم. (٥)

وبمجهل ما سبق رأينا كيف قامت تجمعات المسلمين على الطهر والنقاء، وكانت

حالات إقامة حد الزنا في مجتمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تتجاوز

(١) انظر: المجموع للنووي ٤٧/٢٠، المغني لابن قدامة ١٢٤/١٠، والإنصاف في

معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، للشيخ علاء

الدين المرادوي الحنبلي ١٦٣/١٠، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى

١٣٧٧هـ.

(٢) سورة النور، آية ١٣ .

(٣) انظر: بدائع الصنائع للكاساني ٤١٨٢/٩ .

(٤) صحيح سنن ابن ماجه ٨٢/٢ رقم ٢٠٧٣، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٥) انظر: المجموع شرح المهذب ٤٤/٢٠ .

أصابع اليد، وكان هذا التشريع هو عين الرحمة والخير للمجتمع، لذا قال عليه الصلاة والسلام: "حَدَّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا". (١)

خامسا : نظرة منحرفة للزنا: (٢)

ولكي تنجلي عدالة التشريع الإسلامي وخيريته للناس أجمع يحسن أن نتطرق إلى الحديث عن صورة للانحراف في النظرة عن ذلك الوسط. أصحاب هذه النظرة المنحرفة يعتبرون أن من مقتضيات الحرية الشخصية أن يجمع الرجل من يشاء، والمرأة من تشاء، إذا كان بمحض الاختيار الشخصي وعن رضا الطرفين، وكيفما كان هذا الالتقاء (٣)، ففي عام ١٧٩٩م أصدرت فرنسا قانون "الحرية لممارسة الاتصال الجنسي طوعا لا كرها". (٤)

أما بالنسبة للمتزوجين، فالقانون السوفيتي يرفض عقوبة الزنا، ويبيح عدم الالتزام بالأمانة الزوجية، بينما القانون الإنجليزي يكتفي بالتعويض للمجنبي عليه (الزوج غالبا أو الزوجة أحيانا) إذا ثبتت الجريمة، وهناك قوانين تفرض عقوبات مدنية، وأخرى تفرق بين زنى الرجل وزنى المرأة، ولكن

(١) صحيح سنن ابن ماجه ٧٨/٢ رقم ٢٠٥٧، وقال الشيخ الألباني: حسن .

(٢) للوقوف على المقارنة لجريمة الزنا بين الشريعة الإسلامية السمحاء والقانون الإنجليزي والفرنسي. انظر كتاب: لماذا يرفض الإنسان شريعة الله؟ [١] الجنس بين الإسلام والعلمانية لحافظ يوسف موسى ص٢٧-٧١، طبع شركة مرامر للطباعة الالكترونية - الرياض.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٣٢ .

(٤) المصدر السابق، ص٢٨ .

كلها لا تجرم المواقعة الجنسية إلا في حالة قيام الزوجية لأنها تعتبر الزنى اعتداء على حقوق الزوجية فقط(١)، لأنهم يعتبرون الزواج وسيلة لذة فقط، لذا يرون أن الزنى تعدّ على لذة مملوكة بالزواج(٢)، لا أنه اعتداء على المجتمع، وعلى أهل الفتاة بالدرجة الأولى، وتجريم الاغتصاب يعتمد على عدم رضى الأنثى إذا لم تكن متزوجة فإن كانت متزوجة فالحق لزوجها، إما أن يطالب بالتعويض، أو أن يعفو، وحينئذ لا تجريم للمواقعة.(٣)

هذه النظرة البهيمية هي التي تربت عليها دول الغرب من خلال وسائل تعليمها، وإعلامها، وتشريعاتها القانونية، وعلاقاتها الأسرية مما فتح لهم مجالات واسعة لقضاء الوطر بثتى الصور، ولنستمع لبعض ما يدور في تلك المجتمعات:

١ - "قالت لي إحدى الفتيات الأمريكيات في معهد المعلمين (جربلي كولورادو) في أثناء مناقشة عن الحياة الاجتماعية في أمريكا: إن مسألة العلاقة الجنسية مسألة بيولوجية بحتة، وأنتم - الشرقيين - تعقدون هذه المسألة البسيطة بإدخال العنصر الأخلاقي فيها، فالحصان والفرس، والشور والبقرة، والكبش والنعجة، والديك والفرخة .. لا يفكر أحد منهما في حكاية الأخلاق هذه، وهو يزاول الاتصال الجنسي، ولذلك تمضي حياتها سهلة بسيطة مريحة!!!"(٤).

٢ - ولنستمع إلى هذه القصة التي تمثل القطاع الكنسي :

"كنت ليلة في إحدى الكنائس ببلدة (جربلي) بولاية (كولورادو)، فقد كنت

(١،٢،٣) الجنس بين الإسلام والعلمانية من ٣٢، ٣٣ .

(٤) الإسلام ومشكلات الحضارة، للأستاذ سيد قطب من ٧٥، طبعة دار الشروق الرابعة

عضوا في ناديهما، كما كنت عضوا في عدة نواد كنسية في كل جهة عشت فيها ما بين واشنطن في الشرق وكاليفورنيا في الغرب، إذ كانت هذه ناحية هامة من نواحي المجتمع، تستحق الدراسة عن كثب، ومن "الباطن" لا من "الظاهر"، وكنت معنيا بدراسة المجتمع الأمريكي.

وبعد أن انتهت "الخدمة الدينية" في الكنيسة، واشترك في التراتيل فتية وفتيات من الأعضاء، وأدى الآخرون الصلاة .. دلفنا من باب جانبي إلى ساحة الرقص الملاصقة لقاعة "الصلاة" يمل بينهما باب .. وصعد "الأب" إلى مكتبه، وأخذ كل فتى بيد فتاة، وبينهم وبينهن أولئك الذين واللواتي كانوا وكن يقومون بالترتيل ويقمن، وكانت ساحة الرقص مضاءة بالأنوار الحمراء والأضواء الزرقاء، وقليل من المصابيح البيضاء.

وحمي الرقص على أنغام "الجرامفون"، وسالت الساحة بالأقدام والسيقان، والتفت الأذرع بالخصور، والتفت الشفاه بالمدور .. وكان الجو كله غراما .. حين هبط الأب من مكتبه، وألقى نظرة فاحصة على المكان ومن في المكان، وشجع الجالسين والجالسات ممن لم يشتركوا في الطلبة، على أن ينهضوا فيشاركوا .. وكأنما لفظ أن المصابيح البيضاء تزيد نسبتها فتفسد ذلك الجو "الرومانسي" الحالم، فراح في رشاقة الأمريكي وخطته، يطفئها واحدا واحدا، وهو يتحاشى أن يعطل حركة الرقص، أو يصدم "زوجا" من الراقصين في الساحة .. وبدا المكان بالفعل أكثر "رومانسية" ثم تقدم إلى "الجرامفون" ليختار أسطوانة للرقص، تناسب الجو، وتشجع القاعدين والقاعدات على المشاركة فيه.

واختار ..

اختار أغنية أمريكية مشهورة اسمها "But, baby it is cold outside"

"ولكن الجو - يا صغيرتي - بارد في الخارج).

وهي تتضمن حوارا بين فتى وفتاة عاشرين من شهرتهما، وقد احتجزها الفتى في داره، وهي تدعوه أن يدعها تمضي لتعود إلى دارها، فقد تأخر الليل، وأمها تنتظرها، وكلما تخرعت بحجة أجابها بتلك "اللازمة" "ولكن الجو يا صغيرتي بادر في الخارج ...".

وانتظر الأب، حتى رأى خطوات "بناته وبنيه" تنساب على موسيقى تلك الأغنية المشيرة، وبدا راضيا مغتبطا، وغادر ساحة الرقص إلى داره، تاركا لهم ولهن اتمام هذه السهرة اللذيذة .. البريئة .. على أن يسلم مفتاح الكنيسة في داره آخر "زوج" ينصرف من الكنيسة، فالإنصراف يكون تباعا حسب مزاج كل زوج!!!". (١)

إذن قد اتضح أن نظرة هذه المجتمعات لعملية الالتقاء الجنسي هو أنه من الأمور الخاصة، التي تدخل ضمن الحرية الشخصية، والتي يبتغي منها الطرفان تحقيق اللذة، ولا شيء في الأمر لو حصل برضا الطرفين، لأنها لذة متبادلة باختيار الطرفين، ولا سرقة فيها، كما لو استضافت إحداهن بعض معارفها على مائدة طعام، وأطعمتهم من ملكها برضاها.

وصانت القوانين هذه الحقوق، وكفلت لها الحرية في إطار الرضا والاختيار، حتى اعتبر أحيانا علاجاً لبعض الأمراض لدى بعض الأطباء.

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة ص ٨٤ .

وأعلنت جريدة الشرق الأوسط عدد (٤٠٠٢) الأحد ١٤/٤/١٤١٠هـ - ١٢/١١/١٩٨٩م خبرا هذا مفاده: قسيس كاثوليكي (ويليام بون ٦٥ عاما) يتبع إحدى أكثر الكنائس محافظة في كندا، يعتدي على غلام صغير، ويرتكب معه الفاحشة، وهو القسيس رقم ١٩ الذي يثبت عليه مثل هذه التهمة !!!

ففي "أحد أعداد مجلة "علم النفس" قام اثنان من أساتذة جامعة كاليفورنيا بدراسة عن ٤٦٠ طبيباً نفسياً .. قال البحث: إنَّ واحداً من ٢٠ من هؤلاء الأطباء لهم علاقات جنسية بمريضاتهم، وقال البحث: إنَّ هذه العلاقة تعتبر جزءاً من العلاج .. وإنَّ المرأة هي التي تقوم بالخطوة الأولى". (١)

بل أصبح للمومسات نقابة تمثلهن، بل من أقوى النقابات..

"قالت نقابة المومسات البريطانيات (السيدة) (٢) هيلين باكنجهام: إنَّ الضغط الذي تمارسه نقابتها على مجلس العموم لا تستطيع ممارسته أية نقابة أخرى، فهي تستطيع الكشف - في أي وقت - عن أسماء الوزراء وأعضاء مجلس العموم، وحتى رجال الدين (المسيحي) الذين يتعاملون مع زميلاتهما (٣) في النقابة .

والذي يؤكد كلام النقابية أن المومسات طالبين بتنظيم مهنتهن، وبتعديل قانون كان معمولاً به منذ أكثر من عشرين عاماً، فأقر مجلس العموم التعديلات المطلوبة بأكثرية ١٣٠ صوتاً في أقل من ساعتين". (٤)

فماذا كانت نتيجة هذه النظرة المنحرفة، وما استتبعتها من قوانين جائرة؟

(١) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية، تأليف عبدالرحمن وامل ص٣٢، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م مكتبة وهبة. نقلًا عن : دفاع عن الزوجات، للمصافي محسن محمد ص٣٥، ٣٦ .

(٢) !!!

(٣) فهي مهنة كسائر المهن، تكون فيه الزمالة بين الموظفين!!

(٤) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية ص٢٥، نقلًا عن مجلة المجتمع الكويتية،

العدد رقم ٤٣٩ في ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩هـ.

سادس : نتائج النظرة المنحرفة للزنا :

في الحقيقة، عندما يلقي المرء نظرة على هذه المجتمعات ليستخلص نتائج هذا الانحراف، يقف على معلومات تشيب الرأس، وإحصائيات يعجز الإنسان أن يحصرها، فقد بلغت من كثرتها وسعة انتشارها درجة لا يلزم لمعرفة دراسة عميقة، ولا دخول لأغوار هذه المجتمعات، لأنها أصبحت على مرأى ومسمع كل ذي عين وأذن، إن لم نقل إنَّ الأعمى الأعمى في تلك المجتمعات لا تغيب عنه ويلات ذلك الإنحطاط.

وبيانا لما لتلك النظرة من نتائج وخيمة نوجز الأمر في النقاط التالية:

١ - الإجهاض(١):

وإنما يكون الإجهاض لأن الأم تريد أن تتخلص من أثر الزنا الذي في أحشائها، ففي احصائية في الولايات المتحدة بين عامي ١٩٢٧-١٩٤٧م تقول: زادت حوادث الإجهاض من (٣٣,٣٠٠) إلى مائة ألف. (٢)
ومن كل ٩٥ مرافقة أمريكية حملت سفاحا تقوم ٤١ منهن بعملية الإجهاض والتخلص من الجنين. (٣)

(١) وهذا رغم كل وسائل منع الحمل المنتشرة والمستخدمة من الزنا والزواني،

ولمعرفة مضارها انظر: الجنس بين الإسلام والعلمانية من ١٦٩-٢٤١.

(٢) كتاب حركة تحديد النسل، للإمام المودودي من ٣٥، الدار السعودية للنشر

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣) الجنس بين الإسلام والعلمانية من ٣١٢ .

و"يقول تقرير مجلة تايم (TIME) عن سان فرانسيسكو أنه قد أسقط فيها

١٨,٠٠٠ حمل مقابل ١٦,٤٠٠ مولود". (١)

وهكذا بعد أن تقضي شهوتها، وبكل سهولة تقذف ما في بطنها في الزبالة دون

اعتبار(٢)، أما الباقيات فعطفا منهن وإحساناً! ينتظرون الولادة، لكي يرى

المولود النور!

٢ - أولاد الزنا : وهؤلاء غالبا ما يكونون محطمي الشخصية بسبب التربية في

الملاجيء بعيدا عن أحضان الوالدين، ويحملون في نفوسهم عقدة ما اقترفتة شهوة

الوالدين، فيكون غرسا مناسبا لإحداث البلبلة والمشاكل في المجتمع.

"يقول الدكتور نيكول عن الأطفال غير الشرعيين ما يلي:

وهؤلاء الأطفال غير الشرعيين يربون عادة في مؤسسات أو عند عائلات غريبة،

ولهذا السبب بالذات ينشؤون معقدي الشخصية منحرفي النفسية". (٣)

وقد أثبتت تجارب الحرب الأخيرة بين أطفال المحاضن، أن الطفل الذي تستناب

تربيته عدة حاضنات تختل شخصيته، وتتفكك، ولا تنمو فيه مشاعر الحب والتعاون،

(١) حركة تحديد النسل ص٣٦، نقلا عن كتاب: "مشاكل السكان".

(٢) للإستزادة اقرأ: ثورة الجنس في عالمنا المعاصر: نظرات طبيب مسلم،

للدكتور: حسان حتوت، أستاذ الولادة وأمراض النساء، - جامعة الكويت،

ضمن كتاب: الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، ص٢٣٥-٢٤٩. نشر: الندوة

العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) الأمراض الجنسية، للدكتور نبيل صبحي الطويل، ص٨٨، الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة.

كما أن الطفل الذي لا والد له يعاني مركب النقص، ويهرب من هذا الواقع بتخيل
والد لا وجود له، يتامل به في الخيال، ويصوره في شتى الصور والأشكال". (١)

ولنستمع إلى نسبة المواليد الغير شرعيين في بعض الدول الغربية، يقول
"بيري جيلموت (Pierre Guilmot): كانت نسبة المواليد غير الشرعيين في السويد
خلال سنة ١٩٧٢م واحدا من كل أربعة مواليد". (٢)

"وفي فرنسا بلغت نسبة الأولاد الطبيعيين (Enfant Naturels) (٣) في كثير من
المدن بين الحربين العالميتين الأخيرتين ما يقرب من خمسين في المائة من
مجموع المواليد هناك". (٤)

وأما في إنكلترا فيقول "الدكتور أزوالد شوارز (Oswald Schwarz): إنه نحو
٨٠ ألف امرأة في إنكلترا يلدن أولاد الحرام كل سنة حسب المعدل العادي (أي ثلث
مجموع المواليد تقريبا)". (٥)

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام، للأستاذ سيد قطب ص٦٦، طبعة دار الشروق
١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، نقلًا عن: "أطفال بلا أسر"، تأليف: أنا فرويد ودرشي
برلنجهام، وترجمة الأستاذين محمد بدران، ورمزي ليسي.

(٢) التدابير الواقية من الزنا، للدكتور فضل إلهي ص٥٩، نقلًا عن كتاب
انخفاض عدد السكان في أوروبا.

(٣) هكذا يسمون: أولاد الحرام. المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق، نقلًا عن كتاب حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور عبدالواحد
وافي ص١٥٩، طبع دار النهضة المصرية، الطبعة الرابعة ١٣٨٧هـ.

(٥) حركة تحديد النسل ص٢٣ .

و"في لوس أنجلوس كشف معهد أبحاث أمريكي عن فضيحة أخلاقية مفرعة، وهي أن عشرة آلاف فتاة في كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالا غير شرعيين"(١)، وبلغ الإحصائية في جميع الولايات المتحدة خلال سنة ١٩٧٨م ٧٨٠ ألف طفل.(٢)

٣ - الأمراض الجنسية: وهي كثيرة زعيمها مرض الزهري (السفلس)، وهو معد وخبث، ويمثل الجماع ٩٠ ٪ من مسبباته، كما يسبب العقم للرجال بنسبة ٣٠ ٪ من بقية الأمراض ويحدث باللمس والتقبيل(٣)، وفي مرحلته الأخيرة يختل عمل النخاع الشوكي فيفقد المريض القدرة على الحركة التي تبدأ بأصابع القدم واليدين ويعجز عن الوقوف والقدرة على الرؤية الواضحة ويعقب هذا الشلل التام.(٤)

وهناك أمراض كثيرة عدا الزهري، مثل: السيلان (التعقيبية)، الفرحة الرخوة (عسيرة البرء)، الورم الحبيبي الليمفاوي الجنسي، أو مرض (جرانيلوما) الليمفاوية السرية، مرض الورم الحبيبي الأربي أو التقرح المغبني، قمل العانة (أو القمل الجنسي)، الهربس (العقبولة)، إلى آخر تلك الأمراض الفتاكة(٥)، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: "... ولا فشا

(١) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية لعبدالرحمن وامل من ٤٢ .

(٢) التدابير الواقية من الزنا من ٦١ .

(٣) الجنس بين الإسلام والعلمانية من ١٢٠ .

(٤) المصدر السابق من ١٢٢ .

(٥) للوقوف على تفاصيل هذه الأمراض ومدى خطورتها، انظر:

الجنس بين الإسلام والعلمانية، الباب الرابع، القسم الأول: الأمراض

الجنسية العامة، من ١١٩-١٣٩ .

الزنا في قوم قط إلا أكثر فيهم الموت...". (١)

ولا يظنّ أحد "أن الأمراض الجنسية لا تتفشى إلا في أجواء الدعارة بين العامرات المحترفات، فتقارير فروع هيئة الأمم المتحدة للشؤون الاجتماعية والاقتصادية تقول بالحرف الواحد: إن الهاويات من الفتيات اللواتي يمارسن العلاقات الجنسية من السبب في انتشار الأمراض الجنسية". (٢)

٤ - إصابة المرض لغير الزناة :

وهذه الأمراض الجنسية إن كانت لعنة على مقترفي الزنا، فهي عقاب كذلك للمجتمع الذي لم يضرب بيد من حديد وقوفا في وجهها، وإعلانا للحرب عليها. لذلك نرى أنها تنتقل حتى للذين لم يزنوا، فهي تنتقل بالوراثة للجنين، ويكفي لمعرفة ذلك الخبر الآتي:

"يموت في أمريكا ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحده كل سنة، وأن الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض - عدا السل - يربو عليها جملة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهري وحده" (٣)، "حتى الطبيب قد يصيبه إن كان في يده جرح وكشف على المريض دون أن يعلم أنه مصاب بالزهري وكانت يده بلا قفاز، وقد يماب به أثناء التوليد من الجنين أو الأم إن كانت مصابة بالزهري فيظهر على يد الطبيب بعد فترة الحضانة". (٤)

(١) موطأ الإمام مالك ٤٦٠/٢ رقم ٢٦، دار الدعوة.

(٢) الأمراض الجنسية، د. نبيل صبحي الطويل ص ٩.

(٣) الحجاب للمودودي ص ١٢٠، الدار السعودية للنشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، نقلا عن

كتاب القوانين الجنسية (Laws of sex).

(٤) الجنس بين الإسلام والعلمانية ص ١٢٠.

٥ - الاغتصاب : وهو ارتكاب الفاحشة بدون رضا الطرف الثاني، وانتشار الاغتصاب في بلد الإباحية خير دليل للجواب على الذين يقولون إن الزنا الحر يخلص الإنسان من الكبت، والحق أن الزنا الحر أوجد عند طائفة كبيرة من تلك المجتمعات عدم الإشباع والارتواء بالتي يحصل عليها دون عناء وما أكثرهن، فكان البحث عن الممتنعة والممتنع، فكانت جريمة الاغتصاب نتيجة لإباحية الزنا في تلك الدول، فهذه الفئة المفتّصة من المجتمع إذن أمابها لعنة التحرر الجنسي بهتك العرض دون رضا، كما أمابت الأمراض الجنسية المواليد، ومن يباشرون المريض بالعلاج، ولنستمع لبعض الإحصائيات في ذلك:

- امرأة من كل خمس نساء في أمريكا تعرضت للاعتداء وهي صغيرة، أي ٢٠ ٪ من مجموع النساء.

- رجل من عشرة رجال تعرض لنفس الموقف وهو صغير، أي ١٠ ٪ من المجموع.

- حالات اغتصاب النساء كبيرات السن والمغيرات دون سن الثانية عشرة آخذة

في الإزدياد، بينما عمر التسع عشرة هي السن صاحبة النصيب الأكبر.

- عدد المراهقات اللاتي سيصبحن حواملا الاغتصاب (٥,٥٠٠) مليون مراهقة من

مجموع ١٤ مليون مراهقة، وسيلدن ١٥ ٪ من أبناء أمريكا بالاغتصاب.

- حسب إحصائيات المباحث الفدرالية الأمريكية (F.B.I) أن امرأة تتعرض

للإغتصاب كل سبع دقائق.

- مجموع عدد الأطفال الذين تعرضوا للاغتصاب في أمريكا عام ١٩٨٤م فقط بلغ

نصف مليون طفل.

- هروب الأطفال آخذ في الإزدياد، وذلك للاستغلال الجنسي من أقربائهم وذويهم

حتى وصل عدد الهاربين مليون ونصف، وهذا يزيد من تعرضهم للاغتصاب والإختطاف،

حيث بلغ عدد المختطفين ٢٠ ٪ من مجموع الأطفال ١٩٨٤م. (١)

٦ - سقوط الأمم والحضارات :

بسبب انتشار هذا الوباء الفتاك سقطت حضارات وأمم سابقة كانت تعد نفسها في قمة السلم بين الأمم.

فقد سقطت الحضارة اليونانية بعد أن انغمست في وحل الرذيلة بعد أن أصبحت بيوت العاهرات مركزاً يؤمه سائر طبقات المجتمع، ومرجعاً يلجأ إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة". (٢)

وكذلك سقطت الحضارة الرومانية وريثة الحضارة اليونانية عندما أصابها داء الجنس، وجهر والي الحسبة الخلقية سنة ٨٤ قبل الميلاد بجواز اقرار الفاحشة في عصر الشباب (٣)، ونادى مصلحهم الشهير شيشرون بإطلاق العنان للشباب. (٤)

واستمرت لعنة الزنا تلاحق الأمم اللاحقة، وهامي تكسّر عن أنيابها في أمم اليوم:

(١) هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية : كان من أسبابها فشو الفاحشة، فقد "كان عدد النساء اللاتي يحترفن البغاء قبل الحرب العالمية

(١) انظر: الجنس بين الإسلام والعلمانية من ٣٠٧، للوقوف كذلك على إحصائيات تخص بقية الدول الغربية.

(٢) الحجاب، لأبي الأعلى المودودي من ١٧ .

(٣) المصدر السابق من ٢٣ .

(٤) المصدر السابق .

الأولى: نصف مليون، حسبما أعلنه مسيو بيولو (M.Bulo) محامي فرنسا العام في تقريره" (١)، "ونتيجة لهذا الانحلال المروع كان الجنود يهربون من المعسكرات التي أعدت للقتال في الحرب العالمية الأولى". (٢)

ومرت أزمة الفرنسيين في هذه المرة بسلام، ولكن الدرس بعد ذلك كان قاسياً، لأنهم لم يعتبروا بتلك الأزمة واستمروا في الانحراف، "ففي ٣ مايو من سنة ١٩١٩م، نشر قائد لبعض الفرق العسكرية إعلاناً للجنود التابعة له، فيه: قد بلغنا أن عامة الرجالة والخيالة يشكون من تزامم رجال البنادق على دور البقاء الجندية، فيقولون: إنهم قد كانوا يستبدون بها ولا يدعون غيرهم يتمتعون بها، وإن مكتب القيادة لا يزال يسعى لزيادة عدد النساء، حتى يكفين لجميع الجنود، ولكن قبل أن يتم ذلك، نوصي رجال البنادق ألا يطيلوا مكثهم داخل الدور، ويتعجلوا بقضاء شهواتهم ما استطاعوا..". (٣).

"وظلت فرنسا في هذا الجو المشحون بالجنون الجنسي تستعد للحرب العالمية الثانية عشرين عاماً متواصلة تجيش الجيوش، وتعد العتاد، وتجهز أحدث ما يمكن أن يصل إليه العقل البشري في عالم الدمار... وبنيت الخط الشهير خط "ماجينو" وهو من الخطوط الدفاعية الحصينة" (٤)، ولكنها بسبب الدمار الجنسي اضطرت أن تستسلم وتتغوص بكرامتها في الوحل أمام الجيش الألماني الذي أخذ في

(١) الحجاب، للمودودي من ٩٠ .

(٢) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية لعبدالرحمن وامل من ٢٠ .

(٣) الحجاب من ٨٨ .

(٤) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية من ٢٠ .

الاستعداد للمعركة مدة سبعة عشر يوماً فقط(١)، أما لماذا ينهزم جيش قد أخذ خلال عشرين عاماً يستعد لمعركة ما أمام جيش قد أخذ في الاستعداد لمدة سبعة عشر يوماً فقط، فاسمعوا لشاهد من أهل الدار، وخير الشهادة ما تكون من أصحاب القضية:

"إنّ من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفرادها"(٢)، وتفسير ذلك هو "أن أول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم اضمحلال قواهم الجسدية، وتدرجها إلى الضعف يوماً فيوماً، فإن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم، وتعبد الشهوات يكاد يأتي على قوة صبرهم وجلدتهم، وطغيان الأمراض السرية قد أجف بصحتهم، فمن أوائل القرن العشرين لايزال حكام الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوبة في المتطوعة للجنود الفرنسي، على فترة كل بضع سنين، لأن عدد الشبان الوافدين بالمستوى السابق من القوة والصحة لايزال يقل ويندر في الأمة؛ على مسير الأيام، وهذا مقياس أمين يدلنا - كدلالة مقياس الحرارة في الصحة والتدقيق - على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية"(٣)، فجيش مريض الجسم والأعصاب والنفس لاشك في هزيمته.

(١) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ٢١، نقلاً عن كتاب أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية

الثانية، لأندريه موروا.

(٣) الحجاب، ص ١٠١ .

(٢) الولايات المتحدة الأمريكية (١):

في عام ١٩٦٢م صرح الرئيس الأمريكي "كندي" قائلاً: "إنّ مستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات، لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وإنّه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين!! لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية". (٢)

ويقرر مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفرد "بيتريم ساروكين" في كتابه "الثورة الجنسية" "أن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة الفوضوية الجنسية، كما يقرر أنها متجهة إلى الاتجاه نفسه الذي أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقية، ثم الإمبراطورية الرومانية في الزمان القديم، ويقول في ذلك الصدد: إنّنا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يغرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل قطاع من حياتنا العامة، وهذه الثورة التي تعبر بنا آخذة في تغيير حياة كل رجل وكل امرأة في أمريكا أكثر من أي ثورة أخرى في هذا العصر". (٣)

ولكي يتبين بوضوح الهاوية التي تسير نحوها أمريكا، نشبت هنا هذه

الإحصائية:

(١) للإستزادة حول تدهور أمريكا وانحطاطها بسبب الجنس، اقرأ: الحجاب، لأبي

الأعلى المودودي من ١١١-١٢٥ .

(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، للدكتور توفيق يوسف الواعي،

من ٧٦٢، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م دار الوفاء للطباعة والنشر.

(٣) حصوننا مهددة من داخلها، للدكتور محمد محمد حسين، من ٧٤، الطبعة السابعة

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، نقلًا عن المصور، العدد ١٦٨٩ .

جدول يبين صورة تقريبية لارتفاع مؤشر الجريمة الجنسية
في الولايات المتحدة بسبب العنف

ملاحظات	نوع الوقائع	عدد الوقائع
	امراة تغتصب يوميا	١٨٠
	طفل يولد سفاحا في اليوم	١٢٨٢
	عقد زواج في اليوم	٥٩٦٢
	حالة طلاق في اليوم	٢٩٨٦
	طفلا يهرب يوميا من منزل والديه هربا من الابتزاز	٢٧٢٠
	الجنسي وسوء المعاملة (٤)	
	مراهقة تحمل بالزنى يوميا	٢٧٤٠
	عميلة إجهاض يوميا	٣٢٣١
(١)	شخصا يصاب بجرثومة الزهري يوميا	٦٨٤٩٤

وإذا علمنا إضافة إلى هذه الإحصائيات أن "٩٠ في المائة من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي، وأن ٤٠ في المائة من الرجال مصابون بالعقم (٢)، أفلا

(١) الجنس بين الإسلام والعلمانية لحافظ يوسف موسى ص٢٧٨، نقلا عن: الشرق

الأوسط عدد ٢٥٧٦ ص١٢، في ١٧/١٢/١٩٨٥ .

(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية للدكتور توفيق الواعي ص٧٥٨،

نقلا من صحيفة الأخبار عدد ٢٦ محرم ١٣٧٧ ص ٢، من تمريخ للدكتور جون

كيشلر، أحد علماء النفس الأمريكيين في شيكاغو، وقال أيضا: "إن الإعلانات

التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي

للشعب الأمريكي".

نقرر بأن هذه الهاوية هي نفسها التي وصلت إليها الحضارة اليونانية والرومانية من قبل؟

فالنتيجة الواضحة لوسطية الإسلام في تشريعه هو استقرار الأسرة والمجتمع، وسيره الحثيث نحو الأمام في جو قد غمره الحب والود والسكينة والطهارة والنقاء والعفة، وتلبية حاجة الجسد، بنفس مادية، وأعصاب سالمة من الإثارة والاضطراب، والعكس تماما هو نتيجة الانحراف عن الوسطية الإسلامية في النظرة إلى الزنا، مجتمع قد فشا فيه هتك الأعراض على مرأى ومسمع من الناس، وأصبح التقاء الرجل بالمرأة على قارعة الطريق أمرا طبيعيا، فاندثرت الثقة في الولد، وكثرت مهيجات الغريزة، فأصبحت في توتر دائم، فاندثرت السكينة، واضطربت الأعصاب، واختل التوازن، فامتدت الأيدي إلى كل راض وراضية، وممتنع وممتنعة، وكثرت الأمراض، وانتشر الموت، وزاد الهرج والمرج، وأصبح إلقاء الجنين في الزباله مساويا لالقاء فضلات الطعام والشراب الفاضل عن الحاجة، وغير المرغوب فيه، فطت الويلات على الصغير والكبير، والموافق والمخالف، فأصبحت لعنة عامة لم يسلم منها أحد.

المبحث الرابع

في الجانب الأخلاقي

تمهيد :

"الْخَلْقُ وَالْخُلُقُ عبارتان مستعملتان معاً، يقال: فلان حسن الخلق والخلق - أي حسن الظاهر والباطن - فيراد بالخلق المورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة". (١)

فالخلق إذن "صورة الإنسان الباطنة" (٢)، وهي "عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان المادرات عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم". (٣)

"وليس الخلق عبارة عن الفعل، فربّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل، إما لفقد

(١) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ٥٢/٣ .

(٢) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، للشيخ الإمام محمد السفاريني الحنبلي

(١١١٤-١١٨٨هـ) ٣٥٢/١، دار الإتحاد العربي للطباعة، الناشر: مكتبة

الرياض الحديثة. الرياض.

وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٧٠/٢، والمفردات ص ١٥٨،

ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٢٧/١٠ .

(٣) إحياء علوم الدين ٥٢/٣ .

المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، إما لباعث أو لرياء". (١)
وهذه الهيئة الراسخة في النفس إذا ظهرت وتزكّت ظهر أثرها على مسلك
الإنسان فأكسبته الخيارة والوداعة والبشاشة والانبساط، ولأجل ذلك قيل إن حسن
الخلق أن يكون الإنسان سهل العريكة ليّن الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب
الكلمة (٢)، ويوافق هذا التعبير قوله صلى الله عليه وسلم: "حرم على النار كل
هين لين سهل قريب من الناس". (٣)

وقالوا: إنّ "الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة
ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتتصف منها ولا
تنصف لها، وعلى التفصيل: العفو، والطم، والجود، والصبر، وتحمل الأذى،
والرحمة، والشفقة، وقضاء الحوائج، والتوادم، ولين الجانب، ونحو ذلك". (٤)

(١) إحياء علوم الدين ٥٢/٣ .

(٢) انظر : أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري
الماوردي (٤٥٠هـ) ص ٢٥٣، تعليق: محمد كريم راجع، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ -
١٩٨٦م، دار اقرأ - بيروت.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٨/٦ رقم ٣٩٣٨، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٢/٢٤٣، نقله ابن حجر عن القرطبي في

المطلب الأول : اهتمام الإسلام بالأمل، وهو تزكية النفس :

ليس بالضرورة أن تكون المظاهر السلوكية تعبيراً صادقاً عن الأمل الخلقى، أي عن الهيئة النفسانية الصادرة عنها، فقد ينقلب الجبان إلى أسد شرس إذا تمكن منه الخوف وغلقت عليه المنافذ وأصابه الهلع واليأس من النجاة، فهو وإن انقلب إلى أسد هصور إلا أنه لا يمكن أن يقال عنه بأنه شجاع، بل يظل جبانا، ويعود إلى طبيعته بمجرد انتهاء هذا الظرف الطارئ.

وقد يبذل شخص من المال الشيء الكثير طمعا في مغنم أكبر أو دفعا لأذى يخشاه، فبذل هذا ليس من باب الجود والكرم بل بدافع الطمع والخوف، وقد يكون الزهد ولكن ليس من منطلق العفة والقناعة، بل من واقع العجز عن المطمع. (١)

وقد يصدق التاجر مع زبائنه، ولا يكون صدقه نابعا من طهارة نفسه، بل من باب التجارة وكسب ثقة الزبائن.

من هذا المنطلق كان من وسطية الإسلام - أي خيريته وعدالته - الاهتمام والتركيز بالدرجة الأولى على تهذيب النفس وتطهيرها، وتنمية الخير فيها، لكي تكون منبعا صادقا للمظاهر السلوكية الحسنة الجميلة، تصدر عنها كل ما هو حسن وجميل بيسر وسهولة لا يصدر عنها السيء والقبيح من السلوك، وإن صدر فبعسر وضيق، ويكون الرجوع على الفور إلى الطهارة.

لذلك بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه إذا صلح هذا الأساس صلحت الأعمال، وأنه المعتبر عند الله تعالى، فقال عليه الصلاة والسلام: "الطلال بين

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني (١٣/١)،

والحرام بيّن، وبينهما مُشَبَّهَاتٌ لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشَبَّهَاتِ استبرأ(١) لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى(٢) ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة(٣) إذا صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".(٤)

وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إلى ما

(١) استبرأ بالهمز، بوزن استفعل من البراءة أي: برأ دينه من النقص، وعرضه من الطعن فيه، لأن من لم يعرف باجتناب الشبهات لم يسلم لقول من يطعن فيه. فتح الباري ٢٠٩/١ .

(٢) والحمى : المحمي، أطلق المصدر على اسم المفعول، وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيم أماكن مختصة، يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بما هو مشهور عندهم، فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فبعده أسلم له، ولو اشتد حذره، وغير الخائف المراقب يقرب منه، ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد الفادة فتقع فيه بغير اختياره، أو يملك المكان الذي هو فيه، ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه، فالله سبحانه وتعالى هو الملك حقا، وحماه محارمه. فتح الباري ٢١٠/١ .

(٣) أي : قدر ما يمضغ. الفتح ٢١١/١ .

(٤) صحيح الإمام البخاري مع فتح الباري ٢٠٨/١ .

ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم". (١)

وقال تعالى: (ونفس وما سولها . فإلهمها فجورها وتقولها . قد أفلح من

زكئها . وقد غاب من دسئها(٢)). (٣)

فكما أن الأحاديث بينت أن أمل صلاح العمل هو صلاح القلب، مما يحث تلقائيا على الاهتمام به وبتزكئته، لذلك هذه الآيات تدل دلالة واضحة على استعداد هذه النفس البشرية لأن تتطهر وتتركس، فتكون منبعًا للخير والاستقامة والصلاح، فتكون مصدرا لفلاح ونجاح صاحبها، واستعدادها في الطرف المقابل لأن تُدسّ في المعاصي والردئيلة فتكون منبعًا للشر والضلال، فتكون مصدرا للخبيثة والخسران.

لذلك بين سبحانه وتعالى هذه الحقيقة بجلء، وأفصح بأن تغير حال الإنسان إلى الأحسن والأفضل مرهون بتغير هذه النفس بمعالجتها بتطهيرها وتركئتها من حظ النفس الأمارة بالسوء، ومن حظ الشيطان، فقال تعالى: (إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). (٤)

وبذلك يتضح وسطية الإسلام - أي عدالته وخيرئته - وأنه اهتم بالأمل واعتبر منبع السلوك القويم هي النفس، وأنها مستعدة للاستقامة وكذلك للانحراف، وأن

(١) صحيح سنن ابن ماجه لناصر الدين الألباني ٤٠٠/٢ رقم ٢٢٤٢ وقال: صحيح.

(٢) أي: دسئها في المعاصي، فأبدل من إحدى السينات ياء نحو: تظنئيت، وأصله:

تظننت. المفردات للراغب ص١٦٩ .

(٣) سورة الشمس، آية ٧-١٠ .

(٤) سورة الرعد، آية ١١ .

بإستطاعة الإنسان تركية هذه النفس (قد افلح من زكّٰها) (١)، فيكون الإسلام بمنهج هذا قد حافظ على منبع الأخلاق الإنسانية المغروسة في أصل الخلقة، ويعطيها صفة الثبات، باختلاف البيئات والأزمان، و"عندئذ لا يكون إصطلاح البيئة وعرفها هو الذي يحدد القيم الأخلاقية، إنما يكون وراء اختلاف البيئة ميزان ثابت .. عندئذ لا تكون هناك قيم وأخلاق "زراعية" وأخرى "صناعية"! (٢)، ولا تكون هناك أخلاق من صنع البيئة ومستوى المعيشة وطبيعة المرحلة .. إلى آخر هذه التغيرات السطحية والشكلية" (٣).

فتكون نتيجة هذا المنهج الوسط أن تعيش في بيئة طاهرة يسودها الصدق، لطهارة المنبع ولا يكون الصدق بسبب قناعة تجارية لكسب ثقة الآخرين، ولا إتقان العمل وجودة الصنعة بسبب كسب الأرباح بالدرجة الأولى، بل لأن المنبع الطاهر، ينتج سلوكا طاهرا قويا ما شابتا بتغير الظروف والأحوال، أما الأخلاق التجارية فإنها دائرة مع الريح المادي لا ثبات لها ولا أمالة فيها.

في هذا المجتمع الطاهر يكون للضمير وللرقابة الداخلية في النفس ضغطا على الإنسان، تلزمه على الاستقامة، وإذا بدرت بسادرة تُصنّف مع الأخلاق السيئة

(١) سورة الشمس، آية ٩ .

(٢) معالم في الطريق للأستاذ سيد قطب ص١٢٢، الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٢هـ

- ١٩٨٢م، دار الشروق.

(٣) المصدر السابق ص١٢٢ .

اضطربت الرقابة وأوجدت في النفس ألما وضيقا، يدفع الإنسان في النهاية إلى التخلص من هذه الرذيلة، حتى تستقر النفس وتشعر بالرضا والسعادة. فالإسلام يريد للأخلاق أن تركز إلى قاعدة صلبة من ضمير حي يشعر بالمسؤولية، يدفع للخير ويصوب عند الخطأ.

أما النظرات المنحرفة التي لاتهتم بالأصل، وتجعل المقياس هو الجمال، فتقرن بين الأخلاق والجمال، فإنها تفقد روح المسؤولية، فإذا كان حقا أن كل ما هو خير فهو جميل، فهل كل ما هو جميل بالتالي هو خير؟ (١)

حقا إن العدل والشجاعة والسخاء والصدق من فضائل الأخلاق، وهي في قمة الجمال، وجمال هذه الخصال تدفع الناس للتطبي بها. ولكن ليس بالمقابل كل ما هو جميل فإنه يصنف مع فضائل الأخلاق ويجب أن نندفع إليه.

فطبق من أنواع متعددة من الفواكه، تحت ظلال أشجار وارفة في الربيع، لا يختلف على جماله شخصان، ومع ذلك فإن الإقدام نحو التطبيق والأكل منه دون إذن صاحبه ومعرفته يعتبر رذيلة خلقية تصنف مع الاعتداء والسرقة والجشع والشره.

والمرأة التي أنعم الله عليها بمواصفات الأنوثة والجمال لا شك أنها توصف بالجمال، ومد اليد إليها وهي في عصمة رجل، والتمتع بها، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقال: إنه من فضائل الأخلاق، بل هو عين الرذيلة والسقوط، وذهاب

(١) انظر : دستور الأخلاق في القرآن، تأليف الدكتور محمد عبدالله دراز، تعريب

الدكتور عبدالصبور شاهين ص٢١، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة

العفة والطهارة.

ولكن في المجتمعات المنحرفة نسمع ونقرأ لكتّابها ومحفييها والروائيين فيها "يقولونها مريحة للفتيات والزوجات: إن الاتصّالات (الحرّة) ليست رذائل أخلاقية. الرذيلة الأخلاقية أن يخدع الفتى رفيقته أو تخدع الفتاة رفيقها ولا تخلص له الود، بل الرذيلة أن تحافظ الزوجة على عفتها إذا كانت شهوة الحب لزوجها قد خمدت! والفضيلة أن تبحث لها عن صديق تعطيه جسدها بأمانة!" (١).

أما المجتمع المسلم الطاهر النقي السريرة، المتزود بيزاد التقوى ففيلة الوازع القوي الذي يردعه عن هذا الانحطاط الخلقى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى). (٢).

(١) معالم في الطريق، للأستاذ سيد قطب من ١٢٥ .

(٢) سورة النازعات، آية ٤٠، ٤١ .

المطلب الثاني : عناية الإسلام بالسلوك : (مع تزكيته للنفس):

لقد أولى الإسلام جانب الأخلاق والسلوك اهتماما بالغاً لما للأخلاق من دور بارز في حياة المجتمعات، فإن "أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة". (١)

فلو تصورنا مجتمعا من المجتمعات البشرية انعدم فيه خلقا الصدق والأمانة، فكيف يكون وضع هذا المجتمع في شتى قطاعاته، الراعي يكذب على رعيته، ويخون الأمانة الموكلة إليه فينهب أموال وخيرات شعبه، دون أن تتحرك فيه شعرة واحدة رفضا لهذا المسلك المشين. العالم لا يشعر بأذى حرج من أن يعرض على الناس ما يسميها نتائج علمية، وهو متيقن في قرارة نفسه أن الحق خلاف ذلك. رجل الإعلام لا يتردد لحظة من تزوير الأخبار والكذب على الناس فيما يقوله لهم وينقله إليهم من أخبار غير صادقة. الأديب والروائي يسخر من عقول الناس ويضحك على مشاعرهم بحبك القمص المشوقة التي تنمي فيهم الخيانة والكذب. المدرس يخون أمانة التعليم وتربية الناشئة بالتقصير في أداء الواجب حيناً، وبالكذب على طلابه حيناً آخر. المرأة تخون زوجها في فراشه تلبية لرغبة وشهوة ترى من الخير لها إشباعها مع غير زوجها من الوفاء له والحفاظ على شرفه، وكذلك الزوج لا يرى في خيانة زوجته بأساً، وفي هذه البيئة الموبوءة تتربى الأجيال على الخيانة والكذب.

فهل هذا المجتمع يستطيع أن يعيش عيشة هنيئة سعيدة تتكاتف فيه جهود

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٩/١ .

الأفراد بثقة وإخلاص وحب للرفقي بمجتمعهم؟

لا يقول بذلك عاقل.

وبالمقابل لو نظرنا إلى الإسلام لرأيناه يوفر للمجتمع ضمانات الوفاء

والصدق.

فيربي أفراده على الوفاء بما استرعاهم الله تعالى، "عن ابن عمر - رضي

الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: كلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو

مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم

راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في

مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته". (١)

ويربيهم على الصدق والعفة في كل شيء، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "سلوا الله العافية، فإنّ الناس لم يعطوا في الدنيا بعد اليقين شيئا

أفضل من المعافاة، ألا وعليكم بالصدق فإنّ مع البر وهما في الجنة، وإيّاكم

والكذب، فإنّ مع الفجور، وهما في النار، ولا تقاطعوا، ولا تباغضوا، ولا

تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله". (٢)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٢٨/٥ .

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي

(٢١٠-٣٠٧هـ) ١١٢/١ رقم ١٢١، وقال المحقق: إسناده صحيح. تحقيق وتخريج

حسين سليم أسد. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. دار المأمون للتراث.

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "الصدق طمأنينة والكذب ريبة". (١)

ولذلك لم يترك الإسلام خلقاً حميداً إلاّ دعا إليه، فدعا إلى الكرم والطم
والحياء والصبر والعفو والرحمة والوفاء بالعهد والصدق والأمانة والتواضع
والشجاعة والعفة والعدل والإيثار...
ولم يترك خلقاً سيئاً إلاّ ونهى عنه، فنهى عن الظلم والعدوان، والكبر
والخيلاء، والبخل والغضب والكذب والحسد والسخرية والعهر والجبن والغيبة
والنميمة والخيانة وسوء الظن والفحش والغرور...
فقد جاء الإسلام "ليُحسّن الحسن، ويقيّح القبّيح، فلم يأت ليُربت على شهوات
الخلق ولذائذهم، ويساير فسادهم، ولم يأت بما يعارض ما فيه الخير والنفع من
أخلاقهم، فالله جل جلاله، ما رغب إلاّ في الخير، وما نهى عباده إلاّ عن الشر، ولن
تجد خلقاً حميداً ذمه الشرع، أو خلقاً فاسداً رغب الناس فيه". (٢)

أولاً : الدعوة إلى مكارم الأخلاق : (السلوك)

فمن وسطية الإسلام تبنيته المريح للدعوة إلى كل خلق كريم وسلوك قويم، وهو
مصداق ما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أنه إنّما بعث ليتمم
مكارم الأخلاق.

(١) مسند الشهاب للقاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ) ١/١٨٦

رقم ٢٧٥، قال المحقق: وهو حديث صحيح. تحقيق وتخريج: حمدي عبدالمجيد

السلفي. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة.

(٢) دعوة الفطرة، تأليف الدكتور يوسف محيي الدين أبو هلاله، ص ١٥٥، الطبعة

الأولى ١٤٠٨هـ - دار العاصمة - الرياض.

والأمانة في كل شيء، حتى ما يسمعه من كلام، فهو أمانة، ففي الحديث عنه

صلى الله عليه وسلم: "إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة". (١)

٣ - الوفاء : قال تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم إنّ الله بما تعملون

بصير). (٢)

٤ - العفو : قال تعالى: (... ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين

الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (٣)، (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن

الجهلين) (٤).

و"عن عبدالله بن عمر بن الخطاب : أن رجلا أتى رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - فقال: يا رسول الله، إنّ لي خادما يسيء ويظلم، أفأضربه؟ قال: تعفو

عنه كل يوم سبعين مرة". (٥)

٥ - التواضع : قال تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما). (٦)

(١) صحيح سنن الترمذي للشيخ ناصر الدين الألباني ١٨٦/٢ رقم ١٥٩٢، وقال: حسن.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٧ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢١٩ .

(٤) سورة الأعراف، آية ١٩٩ .

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٨/٨ رقم ٥٦٢٥، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وانظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر على الحديث ص ٣٠ .

(٦) سورة الفرقان، آية ٦٢ .

وعنه - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله". (١)

والإسلام في منهجه في الدعوة للأخلاق الفاضلة، يتعامل مع الإنسان وفق طبيعته وما ركب فيه من خصال، فهو لا يجنح إلى المثالية المفرطة التي تريد تحقيق مالا يتحقق إلا في المخلوق المركب من الطهر الكامل كالملائكة، فمثالية الإسلام ليست خيالية بل واقعية، في حدود طاقة الإنسان واستطاعته. (٢)

فمثلاً في العفو أمر صلى الله عليه وسلم الذي استأذنه في ضرب خادمه بالعفو، فأصل ذلك الدعوة إلى العفو، هذه درجة يقدرها الغالبية إن لم نقل الكل، أما زيادة على ذلك من الإحسان إلى المسيء فدرجة أعلى، الشرع لا يعرضه في صورة إلزام، بل ترغيب وتحبيب وحفز للنفوس والهمم للتمثل به.

ففي حادث الإفك كان من الذين خاضوا في الأمر مسطح (٣) بن أثاثة، وكان

(١) صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١٩٩/٢ رقم ١٦٥٢، وقال: صحيح .

(٢) انظر: نظرات في الإسلام للدكتور محمد عبدالله دراز، تحقيق محمد موفق أبو اليسر البيانوني ص١٣٢، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، مكتبة الهدى - حلب.

و دعوة الفطرة، للدكتور يوسف محيي الدين أبو هلاله ص١٥٤، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - دار العاصمة - الرياض.

(٣) وأمه ابنة خالة أبي بكر رضي الله عنه، وكان الصديق ينفق عليه لفقره وقرابته وهجرته. انظر: أضواء البيان للشنقيطي ١٥٩/٦ .

الصديق - رضي الله عنه - يتصدق عليه من قبل، ويعطيه من ماله، ولكنه توقف عن ذلك بعد خوضه بالباطل، فنزلت الآية تحث على العفو والصفح، محرّكا إيمان الصديق وحبه لعفو الله ومغفرته، قال تعالى: (ولا يأتل(١) أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربىٰ والمُسكين والمُهجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا إلا تصيون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم). (٢)

ولو توقف الصديق عن إعطائه المال لكان من حقه، وهو المنعم عليه، لكنه استجاب للنداء الرباني الذي لمس جوانب الخير والإيمان في نفسه.

ثانيا : النهي عن مساوئ الأخلاق وتبغيضها للنفس :

وكذلك من وسطية الإسلام تبنيهِ الصريح لمحاربة الأخلاق السيئة وتصويرها في كثير من الأحيان بصور تكرهها النفس، وما سلك الإسلام هذا الأسلوب إلا لدفع النفوس للتخلص منها والابتعاد عنها، وكما كان في النقطة السابقة، فكذلك هنا نحاول أن نوضح ذلك بأمثلة موجزة :

١ - التكبير : قال تعالى: (ولا تصعّر(٣) خدك للنّاس ولا تمش في الأرض مرحا، إنّ الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير)(٤)، (ولا تمش في الأرض مرحا إنّك لن تخرق الأرض ولن

(١) أي: لا يحلف، فقوله: يأتل، وزنه يفتعل من الألية وهي اليمين. أضواء

البيان ١٦٠/٦ .

(٢) سورة النور، آية ٢٢ .

(٣) الصعر : ميل في العنق، والتصعير امالته عن النظر كبيرا. المفردات ص(٢٨).

(٤) سورة لقمان، آية ١٨، ١٩ .

تبلغ الجبال طولاً). (١)

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يَحْشُرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ (٢)، في صور الناس، يعلمهم كل شيء من الصَّغَارِ (٣)، حتى يدخلوا سجننا في جهنم يقال له: بولس (٤)، فتعلمهم نار الأنبياء (٥)، يسقون من طينة الخبال (٦)، عصارة أهل النار". (٧)

٢ - الغيبية : قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ). (٨)

(١) سورة الاسراء، آية ٢٧ .

(٢) الذر : النمل الأحمر الصغير. النهاية ١٥٧/٢ .

(٣) الصغار : هو الذل والهوان . النهاية ٣٢/٢ .

(٤) بولس : قال ابن الأثير: هكذا جاء في الحديث مسمى. النهاية ١٦٤/١، وانظر: مسند أحمد ١٥٧/١٠ .

(٥) قال ابن الأثير في النهاية ١٢٦/٥ : لم أجده مشروحا، ولكن هكذا يروى، فإن صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه نار النيران، فجمع النار على أنبياء، وأصلها: أنوار، لأنها من الواو، كما جاء في ريب وعيد: أرياح وأعياد، من الواو، والله أعلم".

(٦) والخبال في الأصل الفساد. النهاية ٨/٢ .

(٧) مسند الإمام أحمد ١٥٦/١٠ رقم ٦٦٧٧، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح .

(٨) سورة الحجرات، آية ١٢ .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم

القيامة، فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا، فيأكله ويكلح(١)، ويصيح"(٢).

و"عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - وارتفعت ريح خبيثة منتنة - فقال: أتدرون ما هذه؟ هذه ريح

الذين يفتابون المؤمنين"(٣).

٢ - السخرية والاستهزاء : قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرِ قَوْمٌ

مِنْ قَوْمٍ ءَعْسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نَسَاءٍ ءَعْسَىٰ أَنْ يَكُن خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا

تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِغِسِّ الِاسْمِ الفسوق بعد الإيْمَن ومن لم يتب

فأولئك هم الظَّالِمُونَ). (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام : "من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم بغير

(١) الكلوح : العبوس، يقال: كلح الرجل، وأكلحه الهم. النهاية ١٩٦/٤ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٦١/٢٢ عزاه لأبي يعلى، وقال ابن حجر: سنده

حسن.

(٣) الأدب المفرد، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)

تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ص١٨٩، رقم الحديث ٧٢٢، نشر المكتبة الأثرية

- باكستان.

قال المحقق: ليس في شيء من الكتب الستة، وحسن سنده شيخ الإسلام ابن

حجر في الفتح ٢٦١/٢٢ .

(٤) سورة الحجرات، آية ١١ .

حق، وإنّ هذه الرحم شجرة (١) من الرحمن، فمن قطعها حرم الله عليه الجنة". (٢)

ومساوية الأخلاق التي حاربها الإسلام في الحقيقة كما قلنا كثيرة لا يمكن حصرها في هذا المقام، إنّما المقام هنا مقام تمثيل لا استيعاب، والإسلام في منهجه كما كان في الحث على مكارم الأخلاق مراعيًا لطبيعة الإنسان، فهو كذلك في نهيه عن مساوية الأخلاق لم يطلب من الإنسان ما هو خارج عن طاقته وطبيعته، ولم يكن مثاليًا خياليًا، بل كان واقعيًا في مثاليته، ولتوضيح ذلك نبين بهذا المثال:

الإسلام نهى عن الغضب، كما بينا سابقًا، ولكنه مع نهيه إلّا أنه يعلم من طبيعة البشر أن هذا الغضب يصدر أحيانًا من أتقى الناس وأصلحهم، فيبيّن أن المطلوب هو ألا يجر الغضب إلى ما هو سيء بل يجب أن يعقبه العفو والغفران، فقال في معرض الحديث عن المالحين: (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون). (٣)

فكان الطلب في حدود الطاقة، بل نزل الشارع مراعاة لطبيعة الإنسان وطاقته إلى أن يكظم غضبه إذا ما غضب كدرجة أولى، والتنافس فيما فوق ذلك، من العفو والغفران، أو زيادة من الإحسان للمسيء، فقال تعالى: (الذين ينفقون في

(١) أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، شبهه بذلك مجازًا واتساعًا. وأمل

الشجنة بالكسر والضم: شعبة في غصن من غصون الشجرة. النهاية ٤٤٧/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد ١١٨/٣ رقم ١٦٥١، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح .

(٣) سورة الشورى، آية ٣٧ .

السراء والضراء والكُظمين (١) الغيظ (٢) والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين). (٣)

(١) الكظم : مخرج النفس، يقال: أخذ يكظمه والكظوم: احتباس النفس، ويعبر

به عن السكوت. وكظم الغيظ: حبسه. انظر: المفردات ص٤٣٢ .

(٢) الغيظ: أشد غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه.

المفردات ص٣٦٨ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٣٤ .

المطلب الثالث : الأخلاق في الإسلام رسالة وعبادة :

ومن وسطية الإسلام - أي عدالته وخيريته - أن الأخلاق فيه رسالة وعبادة، مما يكسبه جذورا عميقة في المجتمع وثباتا لا تغيره الأزمان والبيئات.

١ - صلة الأخلاق بالإيمان :

وزيادة على أن مكارم الأخلاق توجد الراحة في النفس وتكسب الإنسان سعادة في الدنيا، فإنها دليل صادق وتعبير أصيل على تمكن الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر في النفس، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخيارهم خيارهم لنسائهم". (١)

وقد ربط - صلى الله عليه وسلم - بين مكارم الأخلاق وبين الإيمان في أحاديث عديدة يحث فيها أصحابه على التخلق بها، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت". (٢)

وقال عليه الصلاة والسلام: "الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاءة (٣) من الجفاء، والجفاء في النار". (٤)

(١) مسند الإمام أحمد ١٣/١٣٣ رقم ٧٣٩٦، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صحيح الإمام البخاري مع فتح الباري ٢٢/٢٣٠ .

(٣) البذاءة بالمد : الفحش في القول. النهاية ١/١١١ .

(٤) صحيح سنن الترمذي ٢/١٩٥ رقم ١٦٣٤، وقال الشيخ الألباني : صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم: "المؤمن غُرٌّ (١) كريم، والفاجر خَبٌّ (٢) لثيم". (٣)

وقال: "ليس المؤمن بطعان، ولا بلعان، ولا الفاحش البذيء". (٤)

بل لقد بين صلى الله عليه وسلم أن سوء الخلق دليل على ضعف الإيمان،

فقال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟

قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه (٥)". (٦)

وقال عليه الصلاة والسلام مبيِّنا الإيمان والإسلام: "ألا أخبركم بالمؤمن؟

المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من

لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا

(١) أي: ليس بذي نكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه، وهو ضد الخَبِّ. يقال: فتى غُرٌّ

وفتاة غُرٌّ، وقد غَرَّرَتْ تَغْرُورًا يريده أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة

وقلة الفطنة للشَّرِّ، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلا، ولكنه كرم وحسن

خلق. النهاية ٣/٣٥٤ .

(٢) الخَبُّ بالفتح: الخداع، وهو الجريز الذي يسعى بين الناس بالفساد. رجل

خَبٌّ، وامرأة خَبَّة، وقد تكسر خاؤه. فأما المصدر فبالكسر لا غير. النهاية

. ٤/٢

(٣) صحيح سنن الترمذي ١٨٧/٢ رقم ١٥٩٩، وقال الشيخ الألباني: حسن .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٢٢/٥ رقم ٢٨٢٩، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٥) أي: غوائله وشروبه، واحدها بائقة، وهي الداهية. النهاية ١/١٦٢ .

(٦) صحيح البخاري مع الفتح ٢٢٨/٢٢، وانظر مسند الإمام أحمد ١٤/٢٦٢ رقم ٧٨٦٥.

والذنوب". (١)

ب - بالأخلاق الحسنة ينال المؤمن أعلى الدرجات :

ومن وسطية الإسلام أنه ربّى أفراده وبين لهم أن المرء بحسن خلقه ينال أعلى الدرجات في الآخرة، فقال عليه الصلاة والسلام: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء". (٢)

و"سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة،

قال: تقوى الله وحسن الخلق". (٣)

بل يبلغ المؤمن بحسن خلقه درجة المائم القائم، قال عليه الصلاة والسلام:

"إنَّ المسلم المسدد(٤) ليدرك درجة الصَّوام القَوَّام بآيات الله، بحسن خلقه،
وكرم ضريبته(٥)". (٦)

(١) شرح السنة للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ)

٢٩/١ تحقيق وتعليق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش. الطبعة

الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، المكتب الإسلامي.

قال المحقق في الحاشية: حديث حسن رواه أحمد في المسند ٢٢، ٢١/٦ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ١٩٢/٢ رقم ١٦٢٨ وقال : صحيح .

(٣) المصدر السابق ١٩٤/٢ رقم ١٦٢٠ وقال: حسن الإسناد.

(٤) المسدد : المستقيم المقتمد في الأمور العادل. شرح مسند الإمام أحمد لأحمد

شاکر ١٧٦/١٠ .

(٥) الضريبة: بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء: الطبيسة والسجية. المصدر

السابق.

(٦) مسند الإمام أحمد ١٧٦/١٠ رقم ٦٦٤٨، وقال أحمد شاکر: إسناده صحيح.

وبه ينال أعلى الجنان، قال عليه الصلاة والسلام: "أنا زعيم (١) بببيت في ريف (٢) الجنة لمن ترك المرء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه". (٣)

وأصحاب الخلق الحسن هم أقرب الناس منه مجلسا صلى الله عليه وسلم: "إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون (٤) والمتشدقون (٥) والمتفهبون" قالوا يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفهبون؟ قال: "المتكبرون". (٦)

-
- (١) الزعيم : الضامن والكفيل، والزعامة: الكفالة. والبيت مهنا القصر. انظر: معالم السنن للخطابي شرح سنن أبي داود ١٥٠/٥ .
- (٢) هو بفتح الباء : ما حولها خارجا عنها، تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. النهاية في غريب الحديث ١٨٥/٢ .
- (٣) سنن أبي داود ١٥٠/٥ رقم ٤٨٠٠، قال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه: الأخلاق الإسلامية وأسسها ص٤٣ : روى أبو داود بإسناد صحيح، وذكر الحديث.
- (٤) الثرثرة : كثرة الكلام وترديده. النهاية ٢٠٩/١ .
- (٥) الأشداق : جوانب الفم، والمتشدقون هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتران. وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شذقه بهم وعليهم. انظر: النهاية ٤٥٣/٢ .
- (٦) صحيح سنن الترمذي ١٩٦/٢ رقم ١٦٤٢، وقال الألباني: صحيح .

بل هم أحب الناس إلى الله تعالى، ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم:

"قالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: أحسنهم أخلاقاً". (١)

ج - وبالأخلاق السيئة ينحدر المرء إلى أدنى الدرجات :

وكذلك من وسطية الأمة الإسلامية عدم الاكتفاء باعتبار محاسن الأخلاق طريق

الجنة والفلاح، بل كذلك اعتبار مساوية الأخلاق مهاوي الردى، وهو مصداق قوله

صلى الله عليه وسلم: "إنَّ العبد ليلبغ من سوء خلقه أسفل درك (٢) جهنم". (٣)

فمن الأخلاق السيئة ما يأتي على الدين من جذوره، قال صلى الله عليه وسلم:

"دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر،

ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى

تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم: أفشوا (٤) السلام بينكم". (٥)

(١) أورده الإمام محمد السفاريني الحنبلي (١١١٤-١١٨٨هـ) في كتابه: غذاء

الآليات لشرح منظومة الآداب ٢٥٧/١، وعزاه للطبراني بسند صحيح. طبعة دار

الاتحاد العربي للطباعة، نشر: مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) الدرك - بالتحريك، وقد يسكن - واحد الإدراك، وهي منازل في النار، والدرك

إلى أسفل، والدرج إلى فوق. النهاية ١١٤/٢ .

(٣) قال العلامة الشيخ زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي (ت

٨٠٦هـ) في كتابه المغني عن حمل الأسفار في تخريج الأسفار ٥٢/٣، مطبوع بذييل

الإحياء، طبعة دار المعرفة - بيروت، قال: أخرجه الطبراني والخراطي في

مكارم الأخلاق، وأبو الشيخ في طبقات الأصهبانيين من حديث أنس بإسناد جيد.

(٤) أي: انشروا السلام بينكم وأكثروا. انظر: النهاية ٤٤٩/٣ .

(٥) صحيح سنن الترمذي للشيخ ناصر الدين الألباني ٣٠٧/٢ رقم ٢٠٢٨، وقال: حسن.

ومنه ما يجعل المرء من أبغض الناس عند الله تعالى، ففي الحديث عنه

عليه الصلاة والسلام: "أبغض الرجال إلى الله الألدّ (١) الخصم". (٢)

د - إتمام مكارم الأخلاق رسالة الاسلام :

وزيادة على اعتبار مكارم الأخلاق دليل الإيمان، وأنها سبب في نيل الأجر

والمثوبة في الآخرة، بين صلى الله عليه وسلم أنها من مهمات البعثة النبوية

الشريفة، مما يعطيها قدرا بالغا من الأهمية في نفوس المسلمين، تمثل بها،

ونشرا لها في أوساط الناس، قال عليه الصلاة والسلام: "إنّما بعثت لأتمم صالح

الأخلاق". (٣)

وقد كان صلى الله عليه وسلم أصدق مثال على مكارم الأخلاق التي بعث لأجل

تمامها، وننقل هنا شهادة من خدمه عشر سنوات فلم يلحظ عليه - صلى الله عليه

وسلم - في يوم من الأيام ما يضاد ذلك، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -

قال: "خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين، فما قال لي أف (٤)

(١) أي: الشديد الخصومة، واللدد : الخصومة الشديدة. النهاية ٢٤٤/٤ .

(٢) صحيح البخاري - طبعة دار الدعوة، تركيا - ١٥٩/٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٧٩/١٧ رقم ٨٩٣٩ .

حقق هذا الجزء تكملة لعمل الشيخ أحمد شاكر: الشيخ الحسيني عبدالمجيد

هاشم، وقال: إسناده صحيح .

(٤) هي صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر متكره، وقيل: أصل الألف من وسخ

الأمبوع إذا فتل. وقد أففت بفلان تأفيفا، وأففت به إذا قلت له: أف لك.

النهاية ٥٥/١ .

قط، وما قال لي لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحسن الناس خلقا، ولا مسست خزا(١) ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق النبي صلى الله عليه وسلم".(٢)

بل خير شاهد ودليل على ذلك قسم المولى عز وجل - ولا يقسم سبحانه إلاّ بعظيم ولعظيم - فقال جل من قائل: (ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإنّ لك لأجرا غير ممنون . وإنّك لعلّى خلق عظيم).(٣)

وتأكيدا على أهمية الأخلاق ومنزلتها العظيمة في الرسالة الخاتمة، كان صلى الله عليه وسلم - يدعو الله أن يرزقه حسن الخلق، فكان يقول: "اللهم حسنتَ خلقي فحسنْ خلقي".(٤)

وكان - صلى الله عليه وسلم - إذا استفتح الصلاة كبير، ثم قال: "وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. إنّ ملّاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم

(١) ثياب تنسج من صوف وإبريسم. النهاية ٢٨/٢ .

(٢) مختصر "الشماثل المحمدية" للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ) اختصار وتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص(١٨)، رقم

٢٩٦، وقال صحيح. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - المكتبة الإسلامية - عمان .

(٣) سورة القلم، آية ١-٤ .

(٤) الإحسان في تقریب صحیح ابن حبان ٢٣٩/٣ رقم ٩٥٩، تحقيق شعيب الأرنؤوط،

وقال المحقق: حديث صحيح بشاهده، وإسناده حسن.

أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي
ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا
أنت، وامرني سيئها لا يمرني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في
يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب
إليك". (١)

ويتبين بوضوح مما سبق أن من وسطية المنهج الإسلامي، وخيريته أنه جعل للأخلاق
الفاضلة جذوراً عميقة في تكوين المسلم لا تتأثر بتغير الظروف والأحوال، لأنها
عبادة ورسالة، وبها تنال أعلى درجات الجنة، والعكس صحيح بالنسبة للأخلاق
السيئة.

(١) صحيح سنن النسائي للشيخ ناصر الدين الألباني ١٩٥/١ رقم ٨٦٢، وقال: صحيح.

المطلب الرابع : تعدي اثر الاخلاق الإسلامية إلى جميع الناس :

من خلق الاسلام الرحمة والإحسان، ولو نظرنا في هاتين الخليقتين لرأينا

أثرهما في جميع دوائر الناس :

١ - فالوالدين: وهما أقرب الناس للمرء أحسننا إليه، واعتنينا به حتى

كبر، واستطاع أن يعتمد على نفسه، لذلك حثت النصوص بالبر والإحسان إليهما

ورحمتيهما، وقرن ذلك بتوحيده وعبادته سبحانه، (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إِيَّاهُ

وبالوالدين إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا

تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . واخفص لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب

ارحهما كما ربياني صغيرا). (١)

هذا في حال كونهما مسلمين مؤمنين، أما إذا كانا على الكفر فإن النصوص

كذلك تحث على الإحسان إليهما مع عدم طاعتها في دعوتها للكفر، ففضلها باق،

لذلك يقول تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفطره في

عاسمين أن اذكر لي ولوالديك إِتَى المصير . وَإِنْ جُهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أُنابَ إِلَيَّ ثُمَّ

إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). (٢)

ويبقى هذا الخلق الرفيع مع الوالدين حتى لو كانا كافرين، بل حتى لو كان

الوالد رأس النسفاق وأشد أعداء الإسلام، فعن "أبي هريرة - رضي الله عنه -

(١) سورة الاسراء، آية ٢٣، ٢٤ .

(٢) سورة لقمان، آية ١٤، ١٥ .

قال: مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعبدالله (١) بن أبي، وهو في ظل
أُمِّم (٢)، فقال: غير علينا ابن أبي كبشة، فقال ابنه عبدالله (٣) بن عبدالله:
يا رسول الله، والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه، فقال: لا، ولكن برأبائك،
وأحسن صحبته". (٤)

٢ - الأقارب وذوي الرحم : وهم أقرب الناس بعد الوالدين، وقد جاءت نصوص
كثيرة في الرحمة بهم والإحسان إليهم، قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الرَّحْمَ شَجْنَةٌ
من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته". (٥)

(١) زعيم المنافقين، مات سنة تسع، فألبسه النبي - صلى الله عليه وسلم -
قميصه، وصلى عليه، واستغفر له، إكراما لولده، حتى نزلت: (ولا تصل على
أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره). التوبة ٨٩ .

وقد كان رئيسا مطاعا، عزم أهل المدينة - قبل أن يهاجر النبي صلى
الله عليه وسلم - على أن يملكوه عليهم، فانحل أمره. انظر: سير أعلام
النبلاء ٣٢٢/١ رقم ٦٥، تحت ترجمة ابنه.

(٢) الأُمِّم بالضم : بناء مرتفع، وجمعه آطام. النهاية ٥٤/١ .
(٣) هو ابن عبدالله بن أبي بن سلول، وكانت سلول امرأة من خزاعة، كان اسمه
الجاب - بضم المهملة والموحدين - وبه يكنى أبوه، فسماه النبي - صلى
الله عليه وسلم - عبدالله. شهد بدرًا وأحدا والمشاهد، واستأذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم - في قتل أبيه، فقال: بل أحسن صحبته، استشهد
باليمامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة. انظر: الإصابة ١٥٥/٤ رقم ٤٧٨٧ .

(٤) رواه البزار، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٣٢١/٩ .

(٥) صحيح البخاري، طبعة دار الدعوة - تركيا ٧٣/٧ .

أي: إنَّ "الرحم أثر من آثار رحمته مشتبكة بها، والقاطع لها قاطع من رحمة الله تعالى". (١)

وعنه - ملى الله عليه وسلم - قال: "إنَّ الله يوصيكم بأهاتكم (ثلاثا). إنَّ الله يوصيكم بآبائكم، إنَّ الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب". (٢)

٢ - الجار : وبلغ من حث الإسلام على الإحسان إلى الجار درجة عظمى، حتى قال عليه الصلاة والسلام: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". (٣)

فألوصية "بالجار مأمور بها، مندوب إليها، مسلما كان أو كافرا" (٤) لقوله تعالى: (والجار ذي القربى والجار الجنب).. (٥) حيث قال بعض أهل العلم في الجار الجنب: "الذي ليس بينك وبينه قرابة". (٦)

(١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تأليف فضل الله الجيلاني، تخريج محب الدين الخطيب ١٣٨/١، الطبعة الثالثة، المكتبة السلفية - القاهرة.

وقال في معنى الشجنة: "وأصله عروق الشجرة المشبكة".

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ٢٩٥/٢ رقم ٢٩٥٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) الأدب المفرد، مع شرح فضل الله الصمد ١٨٩/١ رقم ١٠١ .

قال الشيخ محب الدين الخطيب: أخرجه الشيخان وأبو داود في الأظعمة..

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٠/٥ .

(٥) سورة النساء، آية ٣٦ .

(٦) تفسير الطبري ٣٣٨/٨ .

"وقال آخرون: هو الجار المشرك". (١)

لذلك كان الصحابة يحسنون إلى جيرانهم حتى لو كانوا كفارا، فقد روي "أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجاننا اليهودي؟ أهديتم لجاننا اليهودي؟ سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". (٢)

٤ - سائر الناس:

ففي منهج الإسلام الوسط، ليس الخلق بلباس يُلبس ثم يخلع، بل طهارة النفس ونقاء الباطن الذي منه يصدر السلوك الحسن الممثل للخلق الحسن، وهذا ملازم للمسلم في كل حين ومع كل الناس، لذلك قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والمهاجر والجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا). (٣)

ويقول عليه الصلاة والسلام: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله" (٤) هكذا مطلقا مع سائر الناس.

(١) تفسير الطبري ٢٣٩/٨ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ١٨٢/٢ رقم ١٥٨٥، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) سورة النساء، آية ٣٦ .

(٤) صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط ٢١١/٢ رقم ٤٦٥ .

قال المحقق: إسناده صحيح على شرط البخاري.

٥ - حتى مع القوم المحاربين : فخيرية الإسلام وعدالته لا تغيبان حتى مع الأعداء المخالفين، ويبقى سمو الخلق الإسلامي منعا بالخير للجميع، لذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان، "عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قتل النساء والصبيان" (١) رحمة بهم وإحسانا.

٦ - حتى الحيوانات : فقد شملت رحمة الإسلام وخلقه الرفيع حتى العجاوات من البهائم والحيوانات، فقد بين عليه الصلاة والسلام أن الإحسان لكل صاحب روح وحياة فيه أجر، فقال: "في الكبد الحارّة أجر". (٢)

بل شملت الرحمة الحيوانات حتى عند إرادة قتلها للأكل، فقال عليه الصلاة والسلام: "إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحدّ أحدكم شفرته فليرح ذبيحته". (٣)

"ويستحب أن لا يحدّ السكين بحضرة الذبيحة، وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى ولا يجرها إلى مذبحتها". (٤)

(١) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ١١٥/١٢ .

(٢) صحيح الجامع المغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٧٨٢/٢ رقم

٤٢٥٤، وقال الشيخ : صحيح .

(٣) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ١٠٦/١٣ .

(٤) شرح النووي لمصحيح مسلم ١٠٧/١٣ .

يتضح بوضوح ما للوسطية الاسلامية من أثر خير على جمهور الخلق، وما لمنهج
الخلقي من أثر عام يشمل جميع دوائر الناس القريبة والبعيدة المسلمة
والكافرة.

المطلب الخامس : الاعتدال في الأخلاق :

ويعد أن تبين واتضح أن من منهج الأمة الوسط الحث على مكارم الأخلاق وتأميلها في نفوس الأفراد، يحسن بل يلزم أن ننوه ونبين أن الأمة الوسط فهمت الأخلاق فهم العقلاء لفهم البلهاء، وأخذته مأخذ الحكماء الأكياس، فبيّنت أن هذه الأخلاق الفاضلة، كما أنه يقابلها أخلاق سيئة، فإنّها كذلك إذا تجاوزت حدّها المعقول انقلبت إلى الضد وأصبحت ظلما سيئا، فإنّ "المحاسن الأخلاق حدودا مقدّرة ومواقع مستحقة، فإن تجاوز بها الحد صارت ملقا(١)، وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا، والملق ذل، والنفاق لؤم".(٢)

ولكي نوضح ذلك بصورة أدق، فإننا نبينها بالمثال الآتي :

- الجود خلق محمود شرعا وعقلا، وقد ذكره سبحانه في معرض الحديث عن أولي الألباب، قال تعالى: (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقنهم سرا وعلانية ويدرون بالسيئة الحسنة أولئك لهم عقبى الدار). (٣)

والبخل خلق مذموم شرعا وعقلا، بل توعده سبحانه وتعالى بالبخل حيث قال: (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطّونوا ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير). (٤)

(١) هو الريادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي. النهاية ٢٥٨/٤ .

(٢) أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي ص ٢٥٢ .

(٣) سورة الرعد، آية ٢٢ .

(٤) سورة آل عمران، آية ١٨٠ .

وهذا لا يعني أن ينفق الإنسان من المال دون حساب، لكي يكون سخيا محمودا لا بخيلا مضموما، كلاً، فإن للإنفاق حدّ، إذا جاوزه أصبح إسرافاً، وهو مضموم، وقد بين سبحانه ذلك حيث قال: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا(١)).(٢)

فالله تعالى نهى عن البخل والمنع، وكذلك نهى عن الإسراف، وقد ذكر سبحانه هذا المعنى أيضا في معرض وصف عباد الرحمن، فقال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا(٣) وكان بين ذلك قواما). (٤)

(١) محسورا: الحسير هو الدابة التي عجزت عن المسير فوقفت ضعفا وعجزا.

تفسير ابن كثير ٣/٣٧ .

(٢) سورة الاسراء، آية ٢٩ .

(٣) القتر : تقليل النفقة، وهو بإزاء الإسراف، وكلامها مضموم. المفردات

ص٢٩٢.

(٤) سورة الفرقان، آية ٦٧ .

المطلب السادس : تهذيب السلوك :

ومن وسطية الإسلام، النابعة من المعرفة الإلهية التامة بالإنسان التعامل معه وفق خلقته وطبيعته، ومن طبيعة الإنسان أنه خلق وفق خصائص وطبائع تناسب أصل الابتلاء، فهو مخلوق للامتحان والاختبار، قال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (١)، (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور). (٢)

وهذا الابتلاء يقتضي تهيئة الإنسان بصورة تتمكن من الظهور بالمسلك الصالح الخير، وكذلك بالمسلك الفاسد الشرير.

وهذه هي طبيعة الإنسان وحقيقته: (وهديته النجدين(٣)). (٤)

فهو مهياً للطريقين، طريق الخير وطريق الشر(٥)، والمظاهر السلوكية في واقع الأمر ما هي إلا تعبير عن هذه الطبيعة الموجودة في أصل الإنسان، ولو طهر المنبع لأصبحت الدوافع خيرة، وأنتجت سلوكاً أمكن اعتباره سلوكاً حميداً، والعكس لو كان المنبع غير ظاهر لكانت الدوافع شريرة، وأنتجت سلوكاً غير طيب، والإسلام في تعامله مع الإنسان، تعامل معه وفق طبيعته، لذا سلك طريقة

(١) سورة الكهف، آية ٧ .

(٢) سورة الملك، آية ٢ .

(٣) النجد : الطريق. أضواء البيان ٢٢٧/٩ .

(٤) سورة البلد، آية ١٠ .

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٢٧/٢٨، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م دار

المعرفة، وتفسير ابن كثير ٥١٢/٤ دار احياء التراث العربي.

التهذيب وتوجيه السلوك نحو الخير، ووضعه في مكانه المناسب، ولم يعمل على القضاء عليه نهائياً، ومنزلق القضاء على بعض الدوافع الإنسانية دون الاكتفاء بالتهذيب هو ما وقع فيه أصحاب المناهج البشرية، فأضرت الإنسان وظلمته من حيث أرادت صلاحه وخيره.

فالطم خلق محمود، بل قمة الأخلاق الحميدة، قال تعالى عن سيدنا إبراهيم

عليه الصلاة والسلام : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ (١) مَنِيبٌ). (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم للأشج (٣) العصريّ: "إِنَّ فِيكَ خَمَلَتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ:

الطم والحياء". (٤)

ولا شك أن الغضب في أصله خلق مذبوم، وهو ضد الطم، ولذلك كانت من وصاياه

- صلى الله عليه وسلم - ترك الغضب، فعن "أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً

(١) أَوَّاهٌ : "متأوّه، دعاء". العمدة في غريب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي

طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧هـ) تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي ص ١٥٠، ١٥٦،

الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة هود، آية ٧٥ .

(٣) هو: المنذر بن ساوى التميمي الدارمي، كان عامل البحرين، كتب إليه النبي

- صلى الله عليه وسلم - مع العلاء بن الحضرمي، قبل الفتح فأسلم، ثم

استقدم - صلى الله عليه وسلم - العلاء الحضرمي، واستخلف المنذر مكانه.

الاصابة ٤٥٩/٣ رقم ٨٢١٦ دار صادر.

ويقال له: أشج بني عمر، مشهور بلقبه هذا. الاصابة ٥١/١ رقم ٢٠١ .

(٤) صحيح سنن ابن ماجه ٤٠٧/٢ رقم ٣٣٧٦، قال الألباني: صحيح .

قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: لا تغضب. فردد مرارا، قال: لا تغضب". (١)

فهل قام الإسلام بالقضاء التام على الغضب لأنه سلوك مشين، فمحاها نهائيا من نفوس أفرادها؟ وهل شبت فيهم الحلم في شتى الظروف والأحوال؟ أم أنه بيّن أن الحلم صفة محمودة إذا كان في موضعه، وأن الغضب صفة مذمومة إلا في موضعه، فوضع كل سلوك في مكانه المناسب، واعتبر تحققه في غير مكانه مذمة؟

فالحلم إذا كان في غير موضعه انقلب برودا وعدم غيرة، وهو خلق مذموم، فإذا انتهكت حرمة من حرّمات الله، فالسلوك المحمود هنا هو الغضب لله تعالى غيرة على حرّماته، ولولاه لما دافع إنسان عن دينه وشرفه ووطنه ووقف في وجه الكفار الملحدين، والفسقة أهل الفجور والظلمة والطغاة.

فمن وسطية الإسلام إذن أنه لم يقض على الدوافع الإنسانية، بل وضعها في موضعها المناسب بعد أن أخرج منها حظ النفس والشيطان، لذلك كان صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال عنه تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢)، مع أنه أكثر الناس حلما إلا أنه كان إذا وجد ما لا يرضي الله تعالى غضب وتلون وجهه، "فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل علي النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي البيت قرّام (٣) فيه صور، فتلون وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، وقالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣٢٠/٢٢ .

(٢) سورة القلم، آية ٤ .

(٣) القرّام : الستر الرقيق، وقيل: المصفيق من صوف ذي ألوان. النهاية ٤٩/٤ .

هذه الصور". (١)

"عن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: أتى رجل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني لتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قط أشد غضبا من موعظة منه يومئذ، قال: فقال: يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوّز، فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة". (٢)

والانحراف عن الفهم الصحيح للسلوك القويم قاد النصارى إلى الدل الذي حسبوه تواضعا وطلقا حميدا، حتى نقل عنهم مقولتهم المشهورة: "من لطمك على أحد خديك، فاترك له الآخر أيضا، ومن أخذ رداك فلا تمنعه ثوبك أيضا". (٣)

واعتبروا هذه مكرمة خلقية، والحق أنه عين الدلة والمهانة.

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣١٧/٢٢ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣١٧/٢٢ .

(٣) الإنجيل للقديس لوقا، الفصل السادس رقم ٢٩، من ٥٠، دار المعارف -

القاهرة.

لجنة الترجمة، رئاسة: نيافة الأنباغريغوريوس .

عضوية : الأستاذ الدكتور : زكي شنوده .

الأستاذ الدكتور : مراد كامل .

الأستاذ الدكتور : باهور لبيب .

الأستاذ : طمي مراد .

والإسلام بوسطيَّته بيِّن أن الذي يدافع عن ماله ولا يستكين فيقتل أثناء دفاعه فهو شهيد، فقال عليه الصلاة والسلام: "من أُرِيدَ ماله بغير حق، فُقُتِلَ دونه، فهو شهيد". (١)

فالإسلام "الم يأت بأخلاق تغمض عينها عن واقع الإنسان وتتجاهل طبيعته، بل راعت دوافعه، وماشت حاجاته، وسايرت ضعفه، فهي أخلاق معتمدة على العقل، مستنيرة بالضمير، مؤيدة بالحكمة البالغة". (٢)

هذا هو الإسلام بمنهجه الحق الوسط: (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عبدون) (٣) دعاهم إلى مكارم الأخلاق، وإلى مثاليته الواقعية، لا المثالية الخيالية التي لا يمكن تحقيقها، وإن تحققت فعلى حساب الإنسان، وهما لجانب من جوانب فطرته وحقوقه الطبيعية التي لا تستقيم الحياة إلاَّ بها، كما رأينا النماري كيف أساءوا حيث أرادوا الإحسان، فأهانوا الإنسان، وأماتوا فيه آدميَّته وعزته بدعوى التواضع، ولم يدروا أنهم جلبوا الإهانة والدلة بدعواهم تلك.

(١) مسند الإمام أحمد ٦٢/١١ رقم ٦٨١٦، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٢) دعوة الفطرة، تأليف الدكتور يوسف محيي الدين أبو هلاله ص ١٥٥ .

(٣) سورة البقرة، آية ١٢٨ .

الفصل الثالث

مميزات الوساطة

تمهيد :

إنّ الوسطيّة الإسلاميّة قد تميّزت بمميّزات عديدة، هي في واقع الأمر صورة صادقة لعدالة الإسلام وخيريته، تلك العدالة وتلك الخيرية النابعة من وحي الله تعالى، ومن علم وحكمة العليم الحكيم، وقد أجمالناها في الآتي :

- ١ - الحركية (العملية).
- ٢ - الأصالة في المصدر والبناء .
- ٣ - موافقتها لأصل الفطرة .
- ٤ - تحقيق سعادة الدارين الدنيا والآخرة .
- ٥ - تحقيق التوازن .
- ٦ - الثبات والاستمرار .
- ٧ - مركز الالتقاء والتجمع .
- ٨ - الواقعية .

أولاً: الحركية (العملية)

إنَّ المولى عز وجل وصف الأمة بالوسطية، وذكر سبحانه بوضوح تمام العلة التي من أجلها جعلها كذلك، فقال سبحانه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس..). (١)

فالوسطية إذن لأجل الشهادة على الناس، وما موضوع الشهادة؟

إنَّ تكملة الآية في قوله تعالى: (ويكون الرسول عليكم شهيدا) (٢)، تلمح إلى موضوع الشهادة وأنها الرسالة الخاتمة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالإسلام موضوع الشهادة، والله سبحانه وتعالى لا يقبل من أحد يوم القيامة إلاّ الإسلام، وما عدا ذلك فخران مؤكد: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين). (٣)

ولأجل إقامة الحجة على الناس، وصف المولى عز وجل هذه الأمة الشاهدة بالعدالة والخيرية حتى يلمس الناس ذلك الأثر الخيّر بأنفسهم، وهذا لا يتم إلاّ بحركة الأمة الوسط في الأرض وإقامة منهج الله لنشر العدالة والخير الملموس المحسوس المرئي، لذلك كانت من أخص مميزات الوسطية العمل والحركة من أجل نشر العدالة والخيرية في واقع حياة الناس.

وقد بين المولى عز وجل أن من أخص مميزات الخيرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي الحركة والعمل في أرض الواقع من أجل إرساء قواعد العدالة

(١) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران، آية ٨٥ .

والخيرية، ودفع الضرر عن الناس، فقال سبحانه: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون). (١)

فما قيمة العدالة والخيرية إن لم تكن حركة وعملا توجد في أرض الواقع ينعم بها الناس؟!!

وقد ميز المولى عز وجل الوسطية الإسلامية بالحركة والعمل كذلك لإكمال الحجة وتمام الشهادة، فجمهور الخلق لا تعرف للكلام النظري المجرد قيمة، ولا يكون له أثر في نفوسهم، فالأمور المجردة في الفكر لا يعيها ولا يعقلها إلا القلة القليلة من البشر، أما المحسوسة المشاهدة فيعيها الجميع، ولأجل إقامة الحجة على الجميع كان لابد من الحركة والعمل.

وإذا كان العمل والحركة لإبراز العدالة والخيرية شرط لإقامة الحجة، والاكْتفاء بالقول النظري غير كاف للحجة، فإن مخالفة الحركة والعمل للشهادة النظرية من أكبر المطاعن في صدق الشهادة، وفي الشهادة نفسها، لذلك نبهت النصوص على ذلك: (يأتيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون). (٢)

ولذلك ارتبط العمل والحركة مع الإيمان في منهج الأمة الوسط، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجُهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣)، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠ .

(٢) سورة الصف، آية ٣،٢ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢١٨ .

وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١)، (وعد

الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم). (٢)

فالحركة والعمل ميزة الأمة الوسط، ومنهجها منهج الحركة والعمل.

وهل هناك حركة أوضح من الهجرة من موطن إلى آخر، ومن الكر والفر قتالا في

الجهاد لأجل إيجاد العدالة والخير في أرض الواقع أداء للحق وإقامة للحجة.

فالحركة تلازم منهج الأمة الوسط باستمرار وفي جميع الدوائر، فشعائره

التعبدية حركة وعمل إيجابي وهل أدل على ذلك من شعيرة الحج، وهل أدل على ذلك

من قوله تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ (٣) يَأْتِينَ مِنْ

كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (٤)، ثم بعد ذلك مناسك الحج، كلها عبادات إيجابية، فيها العمل

والحركة من طواف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروة، "عن عبدالله بن عمر - رضي

الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا طاف في الحج أو

العمرة أول ما يقدم سعى ثلاثة أطواف، ومشى أربعة، ثم سجد سجدتين، ثم يطوف

بين الصفا والمروة". (٥)

ثم المسبب في منى، فالتحرك إلى عرفة، ثم النفرة والتحرك إلى مزدلفة

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٧ .

(٢) سورة المائدة، آية ٩ .

(٣) الضامر من الفرس : الخفيف اللحم من الأعمال لا من الهزال . المفردات

ص٢٩٩ .

(٤) سورة الحج، آية ٢٧ .

(٥) صحيح الإمام البخاري ٢٧٤/٧ .

والمبيت، ثم التحرك إلى منى ورجم الجمرات(١)، وهكذا، حركات متتالية عبادة لله تعالى.

والصلاة العبادة اليومية، كل يوم خمس مرات، وضوء، ثم خروج إلى المسجد، والصلاة ركوع وسجود وقيام وطموس، كلها حركات.

وهكذا في جانبه العقدي من اتخاذ للأسباب وتحرك وتوكل على الله وضرب في الأرض دون خوف على رزق أو حياة، وهكذا في تشريعاته وعقوباته العلنية وشهادة الشهود، وهكذا في أخلاقه الإيجابية التي رُفِرَ ظِلُّهَا الوارف على جميع الناس.

فالحركة ميزة أصيلة لا تنفك عن وسطية الأمة، لذلك كانت أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - تحث على العمل والحركة الخيرة بشتى الصور والأشكال، وأن الفوز في العمل والحركة، قال عليه الصلاة والسلام: "من نَفَسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسِّرَ على معسر، يَسِّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه". (٢)

فالحركة والعمل الإيجابي ميزة الوسطية الإسلامية لا تنفصل عنها.

(١) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الحج ١٤٩/٧ وما بعده.

(٢) صحيح الإمام مسلم، طبعة دار الدعوة - تركيا ٢٠٧٤/٣ رقم ٣٨.

ثانياً : الإمالة في المصدر والبناء :

يتميز منهج الإسلام الوسط بأنه من لدن حكيم عليم، قال تعالى: (هو الذي

أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون). (١)

فهو أصيل من حيث المنبئ والمصدر، فمصدره هو الله الواحد الأحد، لا عقول

البشر وخیالاتهم.

وهو كذلك عريق في بنيانته، فهو ينتمي إلى ركنه مبارك من الأنبياء

والمرسلين (شرع لكم^{من} الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به

إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما

تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب). (٢)

والذي سمى المسلمين بهذا الاسم هو أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم خليل

الرحمن عليه الصلاة والسلام (وجهدوا في الله حق جهاده هو اجتبتكم وما جعل

عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمتكم المسلمين من قبل وفي هذا

ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وءاتوا

الزكوة واعتموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير). (٣)

فهي خاتمة الرسالات، والمنهج الذي ارتضاه لخلقها إلى قيام الساعة، فيه

خيرهم وصلاتهم "عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - قال: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله

(١) سورة التوبة، آية ٣٣ .

(٢) سورة الشورى، آية ١٣ .

(٣) سورة الحج ، آية ٧٨ .

إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين". (١)

أما مناهج البشر فقوامها المعرفة البشرية الناقصة القائمة على العلم المحدود والمعرفة الجزئية، التي ستظل تحمل هذه العناوين الدالة على الضعف والنقص وإن خيّل لهم أن علمهم كامل، فخيالات البشر لاتغيّر من الحقائق شيئاً، وقد أخبر سبحانه أن ما عند البشر إنّما هو علم قليل؛ (ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم العلم إلا قليلاً). (٢)

ومناهج البشر في حقيقتها إضافة إلى أن أصلها هو العقل الإنساني المحدود، فهي صادرة عن ردة فعل، إما لمناهج أخرى، أو لأوضاع معينة.

أما منهج الإسلام الوسط فقد اتمف بالعدل المطلق والخير العام للبشرية، لأن واضعه رب العالمين، وليست جهة متحيزة من البشر لطرف من الأطراف.

وواضعه علام الغيوب، الذي خلق فأبدع الخلق، وهو العليم بها وبخصائصها، وبما يصلح لها وبما يضرها.

وسائر المناهج سوى منهج الله، ومنها الأديان المحرفة جلبت العار والدمار عندما حكمت حياة الناس، لأنها دخلت في دائرة تجهلها جهلاً مطبقاً، وهي دائرة الإنسان وما يتعلق به من مناهج حياة ونظم معرفة، وقد عبر عن ذلك تعبيراً دقيقاً صادقاً عالم كبير ينتمي لتلك المناهج البشرية بقوله: "وفي الحق لقد بذل الجنس البشري جهداً جبّاراً لكي يعرف نفسه، ولكن على الرغم من أننا

(١) صحيح الإمام البخاري ١٦٢/٤ طبعة دار الدعوة - تركيا.

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٥ .

نملك كنزا من الملاحظة التي كسّها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فإنّنا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا.

إنّنا لا نفهم الإنسان ككل ... إنّنا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا .. فكل واحد منا مكوّن من موكب من الأشباح، تسير في وسطها حقيقة مجهولة ..

وواقع الأمر أن جهلنا مطبق". (١)

(١) الإنسان ذلك المجهول، تأليف الكسيس كاريل، ترجمة: عادل شفيق ص ١٣ .

ثالثا : موافقتها لأصل الفطرة :

"الفَطْرُ : الإبتداء والإختراع. والفِطْرَةُ: الحالة منه، كالجِئْسَةِ والرَّكْبَةِ". (١)

وقد ورد عن ابن عباس أنه "قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى

أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها". (٢)

ويقال: "قد فَطَرَهُ يَفْطُرُهُ - بالضم - فطرا، أي: خلقه". (٣)

فالفطرة "الخلقة التي خلق الله عليها البشر" (٤)، وهو ما يولد عليه المرء من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الحق، ومعرفة الله تعالى، والتوجه إليه، وكل الناس يخلقون على هذه الفطرة، أبيضهم وأسودهم، شرقيهم وغربيهم، لا فرق بين الناس في أصل النشأة، ففي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء" (٥)،

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٥٧/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٩/٦ .

(٣) لسان العرب، لابن منظور ١١٠٩/٢ .

(٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٠٠/٦ .

وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري

(ت ٥٢٨هـ)، ٢٠٤/٣، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ - مطبعة مصطفى محمد - مصر.

(٥) جمعاء : أي مجتمعة الخلق، سوية الأطراف سليمة، النهاية في غريب الحديث

هل تحسون فيها من جدعاء(١)، ثم يقول(٢): (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)(٣)." (٤)

فالدين ومنهج الإسلام الوسط قد جاء وفق الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وقوله: "(الذي فطر الناس عليها) صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر، فإنَّ خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه، أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعاً، فإنَّهم لو خلَّوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها ديناً آخر". (٥)

"فكل فرد من أفراد الناس مفطور: أي مخلوق على ملة الإسلام". (٦)

فرصيد هذا الدين متين، وجذوره عميقة في النفس البشرية، وهو ما يتميز به عن سائر المناهج والطرق، فكل ما عداه إنَّما هو دخيل على النفس البشرية، ووليد الهوى والضعف والنقص البشري، (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم

(١) الجدع : قطع الأنف، والأذن، والشفه. وهو بالأذن أخص، فإذا أطلق غلب عليه. المصدر نفسه.

(٢) القسائل هو : أبو هريرة، كما في رواية أخرى عند البخاري. انظر: صحيح البخاري مع شرح الكرمانى ١٢٣/٧ .

(٣) سورة الروم، آية ٣٠ .

(٤) صحيح البخاري مع شرح الكرمانى ٤٠/١٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ٦٠/٧ .

(٦) فتح القدير، للشوكاني ٢١٦/٤ .

فمن يهdy من أضل الله وما لهم من نصرين . فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا(١) كل حزب بما لديهم فرحون . وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا آذاهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون). (٢)

وتبين الآية الأخيرة انقشاع الزيف والغطاء عن أصل الفطرة في لحظات الشدة التي تتعري فيها النفس عن خداعها وتظهر على حقيقتها، حيث لا ينفعها إلا ذلك، فتظهر أصل الفطرة والتوجه إلى الله تعالى، وهذا مما يدل دلالة قوية ومريحة على أنها هي العميقة والأصيلة في النفس البشرية، وأن ما سوى ذلك عوارض على الفطرة، وهذا ما بيّنه الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة والجلال، يقول تعالى: "... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإني أتتهم الشياطين فاجتالتهم(٣) عن دينهم، وحرمت عليهم ما

(١) شيع : الشيع الانتشار والتقوية، يقال: شاع الخبر، أي: كثر وقوي، وشاع القوم انتشروا وكثروا. وشيعت النار بالحطب قويتها، والشيعنة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه، ومنه قيل للشجاع: مشيع، يقال: شيعنة وشيع وأشيع. المفردات ص ٢٧٠ .

(٢) سورة الروم، آية ٢٩-٣٣ .

(٣) في طبعة دار الدعوة - تركيا ٢١٩٧/٣ : (فاجتالتهم)، والأشهر: (اجتالتهم)، "أي: استخفتمهم فذهبت بهم وساقتمهم إلى ما أرادوه منهم وجالوا معهم، =

أحلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطان ..". (١).

ويوافقه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: "... فأبواه

يهودانه أو ينصرانه أو مجسانه ..". (٢).

والانحراف عن أصل الدين هو نقيض الفطرة، ومصدر أذى وشر للإنسان، وإن كانت مظاهر الفرح والسرور تُرى على كثير من المنحرفين، وذلك لأن "كل حزب عند تكدر الفطرة وتكاثف الحجاب يفرح بما يقتضيه استعداده من الحجاب لكونه يقتضى طبيعة حجابيه، فيناسب حاله من الاستعداد العارضي، وإن لم يلائم الحقيقة بحسب الاستعداد، ولهذا يجب به التعذيب عند زوال العارض" (٣) كنشوان الخمر والمسكرات يتطاير فرحا، والعاقل يعرف حق المعرفة أنه فرح زائف سرعان ما يزول ويحل محله الألم والأذى في الرأس والجسد، وتشقى به نفسه. وكمن تشبّع أنفه برائحة كريهة حتى فقد الشعور والإحساس بها بعد فترة بسبب تعود الأنف على الرائحة، ولكن إذا دخل داخل لا محالة وصف الرائحة بأنها كريهة، وإن وجد الجالس لا يشعر بذلك، فخبث الرائحة لا يتغير ولا يتحول إلى رائحة زكية

= ومنه: يجيل القداح أي يحركها، وينقلها من موضع إلى غيره، وقيل:

"أزالتهم". مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبي الفضل عياض بن

موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (٥٤٤هـ) ١/١٦٥، المكتبة العتيقة

- دار التراث.

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧/١٩٧ .

(٢) صحيح البخاري مع شرح الكرمانى ١٨/٤٠ .

(٣) تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل ١٣/٤٧٢٩ من قول للقاشاني.

يستسيغها الأمعاء، لأجل أنف ذلك المريض، بل هو بنفسه لو خرج واستنشق هواء
نقياً ثم عاد للمكان الأول لحكم على الرائحة بالخبث والنتن.
فهذا الدين هو الذي تهتف به الخُلقة وتتوجه إليه النفس البشرية
بفطرتها، فكما أن الإنسان بأمل فطرته يتوجه إلى الطعام عند الجوع، وإلى
الماء عند العطش، لأن ذلك مغروس فيه، كذلك هذا الدين هو قرين الفطرة وأصل
الخُلقة، "وإنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد" (١)، وميا المد
عنه إلاّ عرض زائل، وبزواله زوال الشر عن البشرية وطول الخير والصلاح لعموم
الخلق.

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٥٧/٣ .

رابعاً : تحقق سعادة الدارين الدنيا والآخرة :

إن هدف البشرية اللاهثة الكادحة إنما ينحصر في البحث عن السعادة، وتتنوع مسالك الناس في الحياة الدنيا، بين باحث عما يحقق له السعادة في الدنيا ولا مطمع له وراء ذلك، ولا علم عنده إلا ظاهر الحياة الدنيا (إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملئكة تسمية الأنثى . وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإنّ الظن لا يغني عن الحق شيئا . فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحيوة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى). (١)

فهؤلاء غلوا في مطالب الجسد، ظننا بأن السعادة في ذلك، فترى أحدهم يكدح الليل والنهار لجمع المال، أو يجري لاهثاً وراء شهوات بطنه وفرجه، طلباً للمتعة والسعادة، وهذا المنف يندفع بقوة نحو شهواته خشية أن تفوته السعادة فلا يدركها وتدركه المنية، وهذا ما يغلب على واقع حياة الناس في زماننا، فجلبوا التعاسة والنكد والأمراض النفسية والجسدية بعد أن أصبحوا عبيد شهواتهم، من حيث أرادوا السعادة، وضاعت جهودهم، وتبعثرت وذهبت أدراج الرياح وضلوا الطريق.

وهذا ما جلبته المادية المعاصرة للبشرية المفتتنة بها وببريقها الزائف، فعاشوا في الضيق والضنك لا في السعة والسعادة، وهو مصداق قوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشة ضنكاً) (٢) ونحشره يوم القيامة أعمى) (٣)، ف خسروا

(١) سورة النجم، آية ٢٧-٣٠ .

(٢) أي ضيقاً، وقد ضنك عيشه. المفردات للراغب ص ٢٩٩ .

(٣) سورة طه، آية ١٢٤ .

الدنيا والآخرة .

ومنف آخر تعلق بالدار الآخرة وسعى طلبا لنيل السعادة فيها، وضل الطريق فظن أن تلك السعادة لا تنال إلا بترك متع الدنيا ومتطلبات الجسد، فأعرض عن الدنيا واتخذ الخرق لباسا، وخشن الطعام مأكلا، يهيم في البراري هربا من الدنيا وتعاستها طلبا للآخرة، واتخذ الرهبانية مسلكا، وما علم أن ما هو فيه من تعاسة هي حرمان جليبه على نفسه بغير وجه حق، فمن هذا الصنف من تمردت عليه نفسه، تحت ضغط مطالب الجسد، فشقيقت نفسه بالانغماس في الدنيا وشهواتها، بسبب ردة الفعل، ومنهم من سعى في طريقه فنالتته تعاسة الدنيا، ومنهم من تعب في الدنيا وخسر الآخرة (عاملة ناصبة . تعلق ناراً حامية). (١)

ومنهم من تعب في الدنيا على أمل أن يرفع له درجته في الآخرة، ولكن بغير وجه صحيح، فلم يكن له ما أراد، فلا بلغ هدفه ولا أبقى على نفسه، وذلك أن الغلو لا يوصل إلى الهدف، بل يضيئ على ذلك أنه لا يبقى على النفس بسبب تحميلها مالا تطيق حمله، وقد صدق فيهم ما قاله عبدالله بن عمرو: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المُنْبِتَ (٢) لا بلغ بُعْدًا ولا أبقى ظهرا، واعمل على عمل امرئ يظن أن لا يموت إلا"

(١) سورة الغاشية، آية ٣، ٤ .

(٢) الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذ من البت، وهو القطع. أي صار منقطعا لم يمل إلى مقصوده، وفقد مركبه الذي كان يوصله لو رفق به. فتح

الباري شرح صحيح البخاري ٨٣/٢٤ .

هرما، واحذر حذر امرىء يصيب أنه يموت غدا". (١)

وقد تميز منهج الإسلام الوسط بتحقيقه هدف البشرية في الدارين، فضمن سعادة الدنيا وسعادة الآخرة لمن اتبع سبيله ونهج نهجه، فما فرّط في سعادة الآخرة طلبا لسعادة الدنيا، ولا دخل في الغلو والشطط بحشا عن سعادة الآخرة بزعمهم، وهو مصداق قوله تعالى في الذين طلبوا خيري الدنيا والآخرة: (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار). (٢)

فارتبطت قلوبهم وعقولهم بالله الواحد الأحد، وأحسوا بكنف رب رحيم، فأمنوا به وتوكلوا عليه، وزكّت نفوسهم بعبادته، وسمت أرواحهم بالتبذل والتضرع بين يديه، وصفت قلوبهم واطمأنت بذكر الله: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٣)، وحازوا بما فقدوه سواهم من الأمن، هذه النعمة التي بدونها لا تستقر الحياة ولا تنمو نمووا صحيحا (الذين

(١) كتاب الزهد والرقائق، للإمام عبدالله بن المبارك (١١٨-١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ص ٤٦٩ رقم ١٣٣٤، دار الكتب العلمية، توزيع دار الباز - مكة المكرمة.

وقد أورده مرفوعا للإمام البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ) في السنن الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ - دائرة المعارف

العثمانية - الهند ١٩/٣ .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٠١ .

(٣) سورة الرعد، آية ٢٨ .

«امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»(١)، فتوجهت طاقاتهم للعمل والبناء وأخذوا بنصيبهم من متع الدنيا ومتطلبات الجسد، فلم يحرموا الطيب من المأكول والملبس والمنكح (يَبْنِي أدم خذوا زينتك عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفضل الآيات لقوم يعلمون»(٢)، (وإن خفتم إلا تقسطوا في اليتيمى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربيع فإن خفتم إلا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى إلا تعدلوا»(٣)).(٤)

بل قد نهى الإسلام عن التبتل، فعن سعد بن أبي وقاص يقول: "رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختمينا".(٥)

فسعدت أجسادهم لأخذها حاجتها من المطعم والمشرب والمسكن والمنكح، وسعدت

(١) سورة الأنعام، آية ٨٢ .

(٢) سورة الأعراف، آية ٣١، ٣٢ .

(٣) أي : ذلك أقرب ألا تجوروا وتميلوا. تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله

ابن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ) ص١١٩، تحقيق السيد أحمد صقر، دار احياء

الكتب العربية ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

(٤) سورة النساء، آية ٣ .

(٥) صحيح البخاري مع شرح الكرمانى، ٦١/١٩ .

عقولهم وقلوبهم وأرواحهم بقربهم من ربهم.

وتوفرت لهم العدالة في معاملاتهم في المجتمع، فصانت حقوقهم، وعاشوا في جو نفسي رفيع، وتعاملوا بأخلاق راقية فيما بينهم.

وتحقق التناسق التام بين الإنسان وما يحيطه في الكون، فعاشوا في وثام وسعادة، فسعدوا وسعدت بهم البشرية قاطبة، (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)(١)، (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خُلدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)(٢)(٣)

(١) سورة آل عمران، آية ١٧٤ .

(٢) أي : غير مقطوع، يقال: جذت وجددت وجدفت وجدفت؛ إذا قطعت. تفسير غريب

القرآن لابن قتيبة ص ٢١٠ .

(٣) سورة هود، آية ١٠٨ .

خامسا : تحقيق التوازن :

تحقيق التوازن في الحقيقة من القضايا التي فشلت النظم البشرية في إيجادها، لأنه يحتاج إلى عقلية وفكر مطلق على كل الأمور والظروف، ولا يغيب عنه شيء، وطبيعة الإنسان في واقع الحال ليست كذلك، ففكره محدود بحدود الزمان والمكان، وهو في علاجه لمشاكل الحياة لا يستطيع الإحاطة بكل أطراف الموضوع بحيث لا يكون علاجه لأمر ما حاملا في طياته ضررا لطرف آخر، فهو بين حيليين متأرجحين، إما إلى الاهتمام بجانب والغلو فيه والإفراط، وهذا يكون على حساب جانب آخر قد فرط فيه، فهو في الحقيقة باستمرار في تضييع وتفريط.

أما الإسلام بوسطيته فقد تميز بالتوازن وإعطاء كل الأطراف حقه المفروض، فالعبد في الدنيا لربه عليه حق العبادة، ولجسده عليه حق الإطعام واللباس والراحة، وللزوج حق، "فلا ينبغي له أن يجهد نفسه في العبادة حتى يضعف عن القيام بحقوقها من جماع واكتساب"^(١)، وللولد حق على الوالد، فعلى الوالد "تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين، وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية"^(٢)، وللضيف حق على مضيفه من إكرامه وحسن استقباله، "عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"^(٣).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٥٧/١٩ .

(٢) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ٤٤/٨ .

(٣) صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٣٠/٢٢ .

وللجار حق، "عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". (١)

لذلك كان - صلى الله عليه وسلم - يربي في أصحابه هذا التوازن في

الحقوق، ويوجههم إذا أخطأوا الطريق، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

"أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث إلى عثمان بن مظعون، فجاءه، فقال: يا

عثمان، أرغبت عن سنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال:

فإنني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك

عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر، وصل

ونم" (٢)، قالت عائشة: وكان حلف أن يقوم الليل كله، ويصوم النهار، ولا ينكح

النساء، فسأل عن يمينه، فنزل: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) (٣). (٤)

وجاء التوجيه نفسه لعبدالله بن عمرو بن العاص عندما خاطبه - صلى الله

عليه وسلم - قائلا: "يا عبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟

فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك

(١) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٢٢٢/٢٢٢ .

(٢) سنن أبي داود ١٠١/٢، قال عبدالقادر الأرناؤوط في تحقيقه وتعليقه على

جامع الأصول ٢٩٦/١ : رجاله شقات، إلا أن فيه عننة ابن إسحاق لكن يشهد له

أحاديث صحاح.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٥ .

(٤) جامع الأصول لابن الأثير ٢٩٦/١ .

حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً...". (١)

وزاد مسلم في رواية: "وإن لولدك عليك حقاً". (٢)

وهذه نماذج لحقوق تلزم الإنسان مراعاتها، وترداد الحقوق والواجبات كلما توسعت دائرة صلات الإنسان، فللوالدين حقوق عظيمة، وللأهل والأقارب، والمعارف والإخوان، والإسلام بوسطيته تميّز أنه وازن بين سائر هذه الحقوق وأعطى كلّ ما له من حقوق دون أن يكون ذلك على حساب واجبات وحقوق أخرى.

(١) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٥٠/٩.

وانظر: صحيح البخاري مع فتح الباري ٣٣٨/٢٢ لتقف على قصة سلمان مع

أبي الدرداء في نفس الموضوع.

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ٤٢/٨.

سادسا : الثبات والاستمرار :

من أخص مميزات الوسطية الثبات، فجزورها عميقة في النفس البشرية،
وراسخة رسوخ الحق في النفس وفي الوجود، فهو حق واحد موصل بالله تعالى،
ثابت وطيء عميق الجذور، (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله
الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الأرض ما لها من قرار). (١)

وهذا الحق هو النافع للبشرية، ومصدر الخير والملاح لهم، أما انتفاش
الباطل فزيف زائل، وزبد وغشاء، إن ظهر حيناً واعتلى فهو في طريقه إلى الزوال
لا محالة، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله
تحويلاً: (أنزل من السماء ماء فصالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا(٢)
ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله
الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء(٣) وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض
كذلك يضرب الله الأمثال). (٤)

(١) سورة إبراهيم، آية ٢٤-٢٦، وانظر: في ظلال القرآن ٢١٠٢/٤ .

(٢) ربا : إذا زاد وعلا. المفردات في غريب القرآن ص١٨٧ .

(٣) وهو ما يرمي به الوادي أو القدر من الغشاء إلى جوانبيه، يقال: أجمأت
القدر زبدهما ألقته إجماء. وأجمأت الأرض صارت كالجفاء في ذهاب خيرها،
وقبيل: أمل ذلك الواو لا الهمز، ويقال: جفت القدر وأجمت، ومنه الجفاء،
وقد جفوته أجموه جفوة وجفاء. المفردات ص٩٤ .

(٤) سورة الرعد، آية ١٧، وانظر: في ظلال القرآن ٢٠٥٣/٤ .

ولأجل ذلك كان ضروريا اتصاف منهج الإسلام الوسط بعوامل البقاء والثبات والاستمرار، فلم يكلف المولى عز وجل الناس فوق طاقتهم: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلاّ وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (١)، (ولا نكلف نفسا إلاّ وسعها ولدينا كتب ينطق بالحق وهم لا يظلمون). (٢)

بل جاء التصريح في محكم التنزيل أنه - صلى الله عليه وسلم - وضع الإصر والأغلال عن الناس (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمهم بالمعروف وينهئهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم) (٣) والأغلال (٤) التي كانت عليهم

(١) سورة الأعراف، آية ٤٢ .

(٢) سورة المؤمنون، آية ٦٢، وانظر: سورة البقرة، آية ٢٢٣، ٢٨٦، وسورة الأنعام

آية ١٥٢ .

(٣) الأمر عقْدُ الشيء وحبسه بقرهه، يقال: أصرته فهو مأمور والمأمور والمأمور مجس السفينة، قال تعالى: (ويضع عنهم إصرهم) أي: الأمور التي تشبثهم وتقيدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات. المفردات، ص ١٨ .

(٤) الغُلّ: جامعة توضع في العنق أو اليد، والجمع أغلال لا يكسر على غير ذلك، ويقال: في رقبتك غل من حديد، وقد غلّ بالغلّ الجامعة يُغلّ بها، فهو مغلول، وقوله عز وجل - في صفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم -: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) قال الزجاج: كان عليهم أنه من قتل قُتل، لا يقبل في ذلك دية، وكان عليهم إذا أصاب جلودهم شيء من البول أن يقرضوه، وكان عليهم أن لا يعملوا في السبت، هذه الأغلال التي كانت عليهم.

لسان العرب ١٠٠٩/٢ .

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَجَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (١)

فقد جاء - عليه الصلاة والسلام - ليضع التشديد عن الناس(٢)، هذا التشديد الذي يلازمه قصر العمر وعدم الأهلية للشباب والاستمرار، وكل ذلك رحمة بالإنسان لأنه لا يطيق ولا يحتمل الثبات والمداومة على ما يشق عليه، وما هو فوق طاقته، فكان التخفيف الرباني لأجل الإمكان والقدرة على العمل والثبات عليه لضعف البشر، وهو ما بينه تعالى في قوله: (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا)(٣)، فجعل سبحانه التيسير مبدءاً لأمة المرابط المستقيم (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هدتكم ولعلكم تشكرون). (٤)

وفي ضوء تلك الإرشادات كان - صلى الله عليه وسلم - يرشدهم إلى العمل الذي يطيقون الثبات عليه والمداومة فيه، وكان يقول لهم: "اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإنَّ الله لا يمل (٥) حتى تملوا، وإنَّ أحبَّ العمل إلى الله أدومه وإنَّ

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٧ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٣/١٦٧، دار المعارف بمصر.

(٣) سورة النساء، آية ٢٨ .

(٤) سورة البقرة، آية ١٨٥ .

(٥) هو يفتح الميم في الموضعين، والملال: استثقال الشيء ونفور النفس عنه =

قَلَّ، وكان إذا عمل عملاً أثبته". (١).

وعن مسروق (٢) قال: "سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: الدائم. قال: قلت: في أي حين كان يقوم؟ قالت: كان يقوم إذا سمع المارخ (٣)". (٤)

وكان عليه الصلاة والسلام إذا لاحظ ما يوحي بالخروج عن هذا الخط نبه عليه،

= بعد محبته، وهو محال على الله تعالى باتفاق، قال الإسماعيلي وجماعة من المحققين: إنَّما أُطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازاً، كما قال تعالى: (وجزاًؤا سيئة سيئة مثلها). [سورة شوري آية ٤٠].

وقال ابن حبان في صحيحه: هذا من ألفاظ التعارف التي لا ينتهي للمخاطب أن يعرف القصد مما يخاطب به إلاَّ بها، وهذا رأيه في جميع المتشابه. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/١٧٥ .

(١) صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١/٢٥٥ رقم ١٢١٩، وقال: صحيح.

(٢) ابن الأجدع، الإمام القدوة، أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي، يقال: إنَّه سُرق وهو صغير، ثم وجد فسمي مسروقاً، وأسلم أبوه الأجدع، عاداه في كبار التابعين، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٦٢ رقم ١٧ .

(٣) قال النووي: المارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء، قالوا: وسمي بذلك لكثرة صياحه. شرح مسلم ٦/٢٣ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٢٤/٨٠ .

واتخذ من الوسائل ما يرجع الأمر إلى وضعه الصحيح، فعن "أبي سلمة، عن عائشة أنها قالت: كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حصير، وكان يحجّره (١) من الليل فيمطي فيه، فجعل الناس يملون بصلاته ويبسطه بالنهار فثابوا (٢) ذات ليلة، فقال: أيّها الناس، عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإنّ الله لا يمل حتى تملوا، وإنّ أحب الأعمال إلى الله ما دُووم (٣) عليه وإن قل، وكان آل محمد - صلى الله عليه وسلم - إذا عملوا عملاً أثبتوه". (٤)

(١) يحجّره : أي يتخذ حجرة . شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ٧٠/٦ .

(٢) فثابوا : أي اجتمعوا . المرجع نفسه .

(٣) قال الكرمانى: فإن قلت: الدائم كيف يكون قليلاً، إذ معنى الدوام شمول

الزمن مع أنه غير مقدور أيضاً، قلت: المراد من الدوام المواظبة

العرفية، وهي الإتيان بها في كل يوم أو كل شهر بقدر ما يطلق عليه عرفاً

اسم المداومة . شرح صحيح البخاري للإمام الكرمانى ٢٢٣/٢٢ .

(٤) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ٧٠/٦ .

سابعاً : مركز الإلتقاء والتجمع :

إنّ وسطيّة الأمة الإسلامية النابعة من كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - لجديرة بأن تكون مركز الإلتقاء ونقطة التجمع، فقد تضافرت التوجيهات الربانية والإرشادات النبوية على الدعوة للتوحيد والوحدة وتحسيس المسلمين بأنهم أمة واحدة، قال تعالى: (إنّ هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)(١)، (وإنّ هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون). (٢)

وصورت البلاغة النبوية هذه الوحدة أبلغ تصوير في قوله عليه الصلاة والسلام: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى(٣) له سائر جسده بالسهر والحمى". (٤)

ووجه سبحانه إلى الاعتصام بحبله المتين، والتوحد تحت رايته، ووجه ذلك الجيل الرائد وذكرهم بما كانوا عليه من الفرقة والاختلاف، وامتنّ عليهم بأن وحدهم وجمع شملهم، زيادة في تأصيل الاجتماع والتوحد في نفوسهم وعدم التفريط به (يا أيّها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون . واعتمموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم

(١) سورة الأنبياء، آية ٩٢ .

(٢) سورة المؤمنون، آية ٥٢ .

(٣) أي: دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في الألم، ومنه قولهم: تداعت الحيطان،

أي تساقطت أو كادت. فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٢٣/٢٢ .

(٤) صحيح البخاري ٧٧/٧ دار الدعوة - تركيا .

أعداء (١) فإلك بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا (٢) حفرة من النار فإنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون). (٣)

فالمولى عز وجل يحث المسلمين على الاستمسك بدينه وبأسباب الألفة والاجتماع على كلمة الحق، لذلك كان الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود يقول: "أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها جبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، هو خير مما تستحبون في الفرقة". (٤)

فقد أنقذكم هذا الدين بعد أن كنتم مشفقين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (٥)، ووجد بينكم، وزرع الألفة والمحبة بينكم، فذكر هذه النعمة، وعدم الدخول في الفرقة يجب ألا يغيب عن البال والحس.

وإضافة إلى دعوة الإسلام إلى الوحدة والاعتصام بجبل الله الذي يحمل ضمنا

(١) هذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه كانت بينهم حروب كثيرة في

الجاهلية. تفسير ابن كثير - طبعة دار الشعب ٧٤/٢ .

(٢) شفا كل شيء حرفه وكذلك شفيره، وأشفى على الشيء أشرف عليه، ومنه أشفى

المريض على الموت، وما بقي منه إلا شفا أي قليل. انظر: تفسير القرطبي.

١٦٤/٤، طبعة دار الكتب المصرية - الطبعة الثانية .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٢، ١٠٣ .

(٤) تفسير الطبري ٧٥/٧ .

(٥) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي

القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧-٥٣٨هـ) ٤٥١/١،

انتشارات آفتاب - تهران .

معنى نبذ الفرقة والاختلاف، إلا أنه قد جاءت النصوص في ذم الفرقة والبراءة منها توكيدا قويا على عمق هذه الميزة في منهج الأمة الوسط، فقال تعالى: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البين وأولئك لهم عذاب عظيم)(١)، وقال: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون). (٢)

"عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال: (إن الذين فرقوا دينهم) قال: نزلت

هذه الآية في هذه الأمة". (٣)

وبذلك فقد بين سبحانه وتعالى بما لا مجال فيه للتردد أن الذين فرقوا

دينهم (وكانوا شيعا) "أي فرقا وأحزابا" (٤) فإنه - صلى الله عليه وسلم -

ليس منهم في شيء وأنه بريء مما هم فيه من أهواء واختلاف. (٥)

بل تعدت هذه الميزة في عمقها وصدقها دائرة المسلمين إلى من سواهم،

داعية إيّاهم إلى كلمة وراية يجتمعون تحتها، وسبقه بيانه - صلى الله عليه

وسلم - أنه مبعوث وداعية إلى الناس جميعا وهاديا لهم: (قل يأيّها الناس

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٥ .

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٩ .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٢/٢٧٠، وصح المحقق محمود شاکر إسناده موقوفا.

وقال آخرون: عني بذلك: أهل البدع من هذه الأمة، الذين اتبعوا متشابه

القرآن دون محكمه. المصدر السابق.

(٤) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة ص ١٦٤ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٧٣ .

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (١)

ثم دعاهم إلى ما يستوون تحته : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون). (٢)

ومعنى كلمة "سواء" هو العدل، ويفسر في هذا الموضع على "أنه دعاهم إلى معان جميع الناس فيها مستوون صغيرهم وكبيرهم، وقد كانت سيرة المدعويين أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا فلم يكونوا على استواء الحال، فدعاهم بهذه الآية إلى ما تألفه النفوس من حق لا يتفاضل الناس فيه". (٣)

وبيّن لهم كذلك أنه لا إكراه في الدين، وأنه كل له دينه ومعتقده:
(لا إكراه (٤) في الدين قد تبين الرشد من الغي (٥) فمن يكفر بالطّغوت (٦) ويؤمن

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٨ .

(٢) سورة آل عمران، آية ٦٤ .

(٣) تفسير ابن عطية، المسمى: تفسير المحرر الوجيز ١٥٥/٢ .

(٤) لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم

الإسلام. تفسير الطبري ٤١٥/٥ .

(٥) الغي : جهل من اعتقاد فاسد. المفردات ص ٣٦٩ .

(٦) قال أبو إسحاق: وكل معبود من دون الله عز وجل جبت وطاغوت. وقال الشعبي

وعطاء ومجاهد: الطاغوت: الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال. لسان العرب

بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم). (١)
ووسطية الأمة الإسلامية - في ميزة التجمع والالتقاء - إضافة إلى دعوتها
الصريحة إلى التجمع ونبذ الاختلاف والفرقة، فقد حملت البذور الصالحة لهذا
النبت الطيب، فقد توفر فيها:

١ - السماحة والرفق والنفس الطويل:

لذلك جاءت النصوص العديدة التي ترفع من شأن الرفق حثا على التحليق به،
فعنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من يحرم الرفق يحرم الخير". (٢)
وقال صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة: "إن الله رفيق يحب الرفق
ويعطي (٣) على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه". (٤)
وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من
شيء إلا شانه". (٥)

وضرب - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه في ذلك أروع الأمثلة العملية معايشة
لروح الإسلام، وإبرازا لدور القدوة في حياة المسلمين، ففي قصة الأعرابي عن

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٦، وانظر: تفسير ابن عطية ٢/٣٨٨ .

(٢) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ١٦/١٤٥ .

(٣) ومعنى يعطى على الرفق: أي يثيب عليه ما لا يثيب على غيره. وقال القاضي:

معناه يتأتى به من الأغراض ويسهل من الطالب ما لا يتأتى بغيره". شرح

النووي على صحيح مسلم ١٦/١٤٥ .

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦/٤١٦ .

(٥) المصدر نفسه .

أنس بن مالك، قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه (١) مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزر موه (٢) دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعاه فقال: إن هذه المساجد لا تصح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشبهه (٣) عليه". (٤)

ويستضح عمق هذه الخاصية والميزة في منهج الإسلام الوسط، في المحافظة على العناصر التي قد تواجد فيها ما يسببها عن الجماعة بدرجة ما بسبب انحراف معين، ومعالجة هذا الانحراف بروح السماحة والرفق، ويتبين ذلك في القصة التي يرويها أبو أمامة قال: "إن فتى من الأنصار أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - : أدنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس. قال: أتحبه لأملك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس

(١) اسم فعل مبني على السكون، بمعنى اسكت، وكرر للتأكيد. بلوغ الأمان من

أسرار الفتح الرباني، للشيخ أحمد البنا ٧٠/١٦ .

(٢) أي: لا تقطعوا عليه بوله. يقال: زرم الدمع والبول إذا انقطعا، وأزرمته

أنا. النهاية ٣٠١/٢ .

(٣) الشن: الصب المنقطع، والسن: الصب المتصل. النهاية ٥٠٧/٢ .

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٩١/٣ .

يحبونه لأمهاتهم، قال: أتجبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أتجبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفجبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفجبه لخالتيك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبيه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^١.

ولقد برهن صلى الله عليه وسلم - طوال حياته في نشر الدعوة - أن الإسلام بوسطيته وما حمل في طياته من رفق ونفس طويل مع الآخرين لقادر على كسب قلوب أشد الناس عداوة ومحاربة للإسلام، وإدخاله في دائرة الإسلام وتجمع المسلمين، وسيرته - صلى الله عليه وسلم - حافلة بذلك، وللتوضيح نذكر القصة التي يرويها أبو هريرة رضي الله عنه، قال: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيلاً قبيل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة (٢) بن أثال سيد أهل

(١) الفتح الرباني ٧٠/١٦، وقال في بلوغ الأمان شرح الفتح الرباني ٧١/١٦:

سنده عند الإمام أحمد جيد.

(٢) ثمامة بن أثال بن النعمان، كنيته أبو أمامة اليمامي. وقد ثبت على إسلامه

لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه، فلحقوا بالعلاء

الضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين، فلما ظفروا اشترى ثمامة

حقة كانت لكبيرهم، فرآها عليه ناس من بني قيس بن ثعلبة، فظنوا أنه هو

الذي قتله وسلبه فقتلوه. الإصابة لابن حجر ٤١٠/١ رقم ٩٦٢ .

اليمامة (١) فربطوه بسارية (٢) من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ماذا عندك يا شامة؟ فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل (٣) تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا شامة، قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كان من الغد، فقال: ماذا عندك يا شامة، فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطلقوا شامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على

(١) الأرض التي خرج فيها مسلمة الكذاب مدعي النبوة، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد، وقاعدتها حَجْر، وتسمى اليمامة أيضا جَوًّا والعَرُوض - بفتح العين -، وسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. انظر: معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ٤٤٢/٥، دار صادر - بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(٢) السارية: الأسطوانة، وقيل: أسطوانة من حجارة أو آجر، وجمعها السواري. لسان العرب ١٤١/٢ .

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٨٨/١٦ .

الأرض وجهه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، واللّه ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي، واللّه ما كان بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فمأذا ترى، فبشره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت(١)؟ فقال: لا، ولكنني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتينكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم".(٢)

وبهذه الأخلاق الرفيعة وصفه المولى عز وجل: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم

عزيز(٣) عليه ما عنتم(٤) حريم(٥) عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم). (٦)

(١) يقال: صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره، من قولهم: صبأ ناب البعير إذا طلع، وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها. النهاية في غريب الحديث ٣/٣ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ٨٢/١٢ .

(٣) يقال: عزّ علي كذا: صعب، قال: (عزيز عليه ما عنتم) أي: صعب. المفردات في غريب القرآن ص ٣٣٣ .

(٤) يقال: عنت فلان إذا وقع في أمر يخاف منه التلف يَعتُّ عنتاً. المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٩ .

(٥) الحرص فرط الشره وفرط الإرادة، قال عز وجل: (إن تحرص على هداهم) أي: إن تفرط إرادتك في هدايتهم. المفردات في غريب القرآن ص ١١٣ .

(٦) سورة التوبة، آية ١٢٨ .

وهو - صلى الله عليه وسلم - المثل الأعلى في امتثال المنهج الوسط، هذه خلال الرفيعة من الرحمة والشفقة والاهتمام بالآخرين هي الجديرة بلِّمهم وجمعهم تحت مظلة الرحمة والعدالة.

وعلى عكس ذلك تماما يكون الغلو، فهو منفر بسطبعه ومفرق، لما يتصف به من الغلظة والجفاء، لذلك امتنَّ المولى عز وجل على رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يجعله كذلك، وإلا لما اجتمع حوله الناس، بل لانفضوا وتفرقوا، مع كونه رسول من رب العالمين، فقال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنتم فظا) (١) غليظ (٢) القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إِنَّ الله يحب المتوكلين). (٣)

ومن هذا المنطلق الرفيع أيضا جاءت توجيهات الإسلام إلى الاعتدال والتعقل في الحب والبغض، فإن الغلو في الحب والبغض يعمي الإنسان عن رؤية الحق الذي هو أساس الاجتماع وقاعدة التلاقي، فرب إنسان ليس في دائرة الجماعة بسبب رفضه للحق، فالغلو في بغضه ينفره أكثر من الحق والجماعة، ولعله إذا قبل

(١) الفظ: الكريه الخلق، مستعار من الفظ أي ماء الكرش، وذلك مكروه شربه لايتناول إلا في أشد ضرورة. المفردات ص ٣٨٢ .

(٢) الغلظة: ضد الرقة، ويقال: غلظةٌ وغلظةٌ، وأمله أن يستعمل في الأجسام، لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكشير، قال: (وليجدوا فيكم غلظة) أي: خشونة. المفردات ص ٣٦٤ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩ .

وانظر : تفسير الطبري ٣٤٠/٧ .

الحق فيما بعد أصبح السجل التاريخي السابق المليء بالمواقف السيئة - بسبب الغلو في البغض - يشكل حاجزا بين النفوس ومنغصات للالتقاء والتجمع، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "أحب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما". (١)

٢ - ثبات المعايير :

حتى يجتمع الناس على أمر ما، يجب أن يكون واضحا محددًا، لا يختلف عليه، وهذا ما تحقق في منهج الأمة الوسط، حيث كان المعيار مصدرا واضحا محددًا معمومًا عن الخطأ، وهو كتاب الله العزيز، وأحاديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فكتاب الله معيار للحق، ثابت لا يتغير ولا يتبدل، ولا يأتيه الباطل أبداً، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ عَمِيدٍ) (٢)، فكتاب الله العزيز كله حق، وما خالفه إلا الباطل، وكما أن الحق هو الجامع، فإن الباطل هو المفرق المشتت، قال تعالى: (ذَلِكَ بَأْسُ اللَّهِ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ). (٣)

والكتاب المنزل هو الذي يجمع شتات المختلفين المتفرقين، ويجمعهم في

(١) صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١٩٣/٢ رقم ١٦٢٥،

وقال: صحيح.

(٢) سورة فصلت، آية ٤١، ٤٢ .

(٣) سورة البقرة، آية ١٧٦ .

بوثقة الحق الواحد الذي لا يتعدد ولا يتنوع ولا يختلف، قال تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم). (١)

وإذا كان القرآن الكريم المنزل من المولى عز وجل مصدرا للحق الواحد الذي لا يتعدد، فإن السنة النبوية الشريفة كذلك مصدر لذلك الحق الواحد، لأنه من المشكاة نفسها، ومن المنبع نفسه، فقد بعث عليه الصلاة والسلام بالحق ذاته لاغير: (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تعجل عن أمركم العظيم). (٢)

وما جاء به من قرآن حق ثابت، وما نطق به من حديث وحي أكيد، وحق أكيد، قد أقسم المولى عز وجل عليه حيث قال: (والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى). (٣)

فجواب القسم ينفي الضلال عنه - عليه الصلاة والسلام - ويثبت أن نطقه وحديثه وسنته وحي من الله عن طريق جبريل عليه الصلاة والسلام. (٤)

والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما مصدرا الوسطية الإسلامية والأساس الحق

(١) سورة البقرة، آية ٢١٣ .

(٢) سورة البقرة، آية ١١٩ .

(٣) سورة النجم، آية ١-٥ .

(٤) انظر: تفسير القرطبي ٥٧/١٧، طبعة دار الكتب العلمية الأولى.

الذي لا يتبدل ولا يتغير فقد تم البنيان واكتمل الدين (اليوم بييس) (١) الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً..). (٢)

وقد تكفل المولى عز وجل بحفظ مصدر الحق من التغيير والتبديل والتحريف،

وهذا ما لم يتحقق إلا لدين الإسلام: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). (٣)

فمعيار التجمع والالتقاء محدد واضح ثابت حق لا يتغير.

وعكس ذلك تماما فيما سواه من المناهج، فالغلو انحراف، والمغالي لا يقف

به انحرافه عند حد بل ينتقل من انحراف الى آخر، فيجعل من الغلو مع كونه في

طبعه منفرا غير قادر على الجمع، غير ثابت المعيار، بل متعدد ومتنوعا

لا يمكن اتخاذه أساسا للتجمع والالتقاء.

وكذلك الأهواء المفرطة في الحق لا تقف عند حد، فكل صاحب هوى يميل إلى

جانب هواه، والهوى لا قيد ولا ضابط له، ويتنوع ويتعدد بتعدد الأشخاص.

٣ - رصيده العميق في نفوس الخلق :

ورصيد الوسيطية الإسلامية العميق في نفوس الخلق - والمتمثل في أصل الفطرة

التي بينها المولى عز وجل بقوله: (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي

فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس

لا يعلمون) (٤) - يُوجد بين بني البشر - وكلهم مخلوقون وفق تلك الفطرة الواحدة -

(١) اليأس : انتفاء الطمع. يقال: يئس واستيأس. المفردات ص ٥٥٢ .

(٢) سورة المائدة، آية ٣ .

(٣) سورة الحجر، آية ٩ .

(٤) سورة الروم، آية ٣٠ .

رصيدا مشتركا في النفس الإنسانية، يسهل وييسر الدعوة إلى الاجتماع والتلاقي على أمر مركوز فيها، وليس بغريب عنها. (١)

ويتبين مما سبق بيانا واضحا أن وسطية الأمة الإسلامية قد تميزت بالدعوة والحث على الاجتماع ونبذ الفرقة، وأنها حملت في ذاتها بذورا صالحة لتحقيق هذه الميزة، وأنها من أخص مميزات الوسطية.

(١) انظر: ميزة "موافقتها لأصل الفطرة"

ثامنا : الواقعية : (١)

من أبرز مميزات الوسطية الإسلامية الواقعية، فهي تتعامل مع كل شيء وفق طبيعته وحقيقته المتكاملة، تتعامل مع الإنسان وفق طبيعته وفطرته التي خلق عليها، وتتعامل مع الحياة وفق طبيعتها وحقيقتها التي خلقت عليها.

إنها - أي الوسطية - بما تحمل من مضامين الخير والعدالة فإنها لا تنسج عن أرض الواقع لتعيش في الخيال، ولا تتقوقع في ضيق الأفق وقصر النظر لتتنازل عن عدالتها وخيريتها، بل تحاول الصعود بالإنسان مستثيرة جوانب القوة والإيجابية فيه، لا تبخس هذه الطاقة والقدرة المكمونة في الإنسان، (قد أفلح من زكّتها) (٢)، ولا تغفل عن مراعاة ضعفه الطبيعي أثناء عملية الصعود، (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا). (٣)

فالواقعية أن الارتفاع والسمو في الأرض يحتاج إلى الانتماء على جوانب متنوعة ومتعددة من جوانب الأرض والنفوس، والوسطية الإسلامية تعني ذلك حق الوعي، ولكنها تعلم أيضا أن واقع الإنسان كما خلقه الله تعالى مهيباً لهذه المعركة، وقادر على خوض غمارها، لأن الله أخبر أنه جاعل في الأرض خليفة، وأن هذا الخليفة هو الإنسان الذي جاء ذكر سلبياته في خطاب الملائكة، وأنه

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ٢٠٤-٢١٣.

والخصائص العامة للإسلام، للشيخ الدكتور/ يوسف القرضاوي ص ١٥٧-١٨٦،

الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة الشمس، آية ٩ .

(٣) سورة النساء، آية ٢٨ .

سبحانه أخبر بأنه يعلم من شأنه ما لا علم للملائكة به، وواجبات الخلافة في الأرض من إصلاح وإعمار وسير وفق طاعة الله مقتضية للوقوف في وجه كل جواذب الأرض والنفس التي تحرف الإنسان عن خطه المستقيم.

وحقيقة الابتلاء التي أخبر الله تعالى عنها: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (١)، مع تقريره سبحانه بجعل الإنسان خليفة (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢)، هذا التقرير الإلهي الدال على تحقق ما أراد سبحانه، لدليل قاطع على أن واقع الإنسان وأصل طبيعته هو القدرة والإمكانية على السمو والارتفاع.

هذه هي الواقعية التي تتميز بها الوسطية الإسلامية، واقعية في التعامل مع الإنسان، وذلك بمراعاة كل جوانب القوة والضعف فيه.

فكانت واقعية الوسطية الإسلامية واضحة في الشعائر التعبدية، فلم تترك المسلم منحلًا من قيد الشعائر التعبدية أخذًا بجانب الضعف والهوى في الإنسان، ولم تفرض عليه كذلك عبادات تنهكه اعتبارًا لبعض ذوي الطاقات والهمم، واعتبارًا لجانب القوة، بل كانت واقعية في مراعاة غالبية الناس فشرعت وجوبًا ما يناسب واقع الأغلبية، وشرعت نافلة ما، يمكن لجانب القوة من السمو والارتفاع زيادة على حد الوجوب، وهو ما بينه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للسائل، فعن طلحة بن عبيدالله قال: "جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله

(١) سورة الكهف، آية ٧ .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٠ .

عليه وسلم - من أهل نجد شائر الرأس، نسمع دوي(١) صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم واللييلة. فقال: هل علي غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان، فقال: هل علي غيره؟ فقال: لا، إلا أن تطوع، وذكر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح إن صدق". (٢)

وتميزت الوسطية الإسلامية بالواقعية كذلك عندما راعت ضعف الإنسان وصعوبة بعض الظروف التي تمر به، فشرعت له رخص العبادات، وعرضته بصورة تدل على أن الأمر طبيعي يناسب واقع الإنسان، مراعيًا في العرض شفافية المؤمن وواقع صفائه النفسي التي قد تحس بحرج في أخذ الرخصة، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته". (٣)

وتميزت الوسطية الإسلامية بالواقعية في جانب التشريعي عندما حافظت على الإنسان من الأجواء المهيجة للغريزة الجنسية فنهت عن الخوة بالمرأة الأجنبية والدخول عليها مع غير محرم، فقال عليه الصلاة والسلام: "إيّاكم والدخول على

(١) أي: بعده في الهواء، ومعناه: شدة لموت لا يفهم. شرح النووي على صحيح

مسلم ١٦٦/١ .

(٢) صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ١٦٦/١ .

(٣) مسند الإمام أحمد ١٢٥/٨ رقم ٥٨٦٦، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو(١)؟ قال: الحمو: الموت". (٢)

فالواقع أن الإنسان يضعف أمام هيجان الغريزة، وهذا هو المشاهد، وهو ما أخبر عنه تعالى: (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا). (٣)

ضعيفا أمام الشهوة والميل للنساء.. (٤)

وقد تميزت الوسطية الإسلامية بالواقعية، وهي تعالج مشكلات المجتمع الكبرى التي عجزت عنها أقوى الدول، فكانت قمة الواقعية في علاج مشكلة الخمر بالتدرج، لتمكن الخمر من المجتمع وعدم جدوى التحريم الفوري، ويستصح التدرج في حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة: (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) (٥) الآية، قال: فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في النساء، (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكرى) (٦)، فكان منادي رسول الله - صلى الله عليه

(١) أي: أهل الزوج من أخ وعم ... وأن الحذر منهم يجب أن يكون كالحذر من

الموت. انظر: فتح الباري ٣٩٥/١٩ .

(٢) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٣٩٤/١٩ .

(٣) سورة النساء، آية ٢٧، ٢٨ .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٨/٥ طبعة دار الكتب العلمية.

(٥) سورة البقرة، آية ٢١٩ .

(٦) سورة النساء، آية ٤٣ .

وسلم - إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت هذه الآية: (فهل أنتم منتهون) (١) قال عمر: انتهينا". (٢)

هذا التدرج وهذه الواقعية في علاج المشكلة المتمكنة من النفوس هي ما تنسبته إليها أم المؤمنين، السيدة عائشة رضي الله عنها، فعن "يوسف" (٣) بن مارك قال: إنني عند عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خيرا؟ قالت: ويحك، وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: ولم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف (٤)، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما نزل أول (٥) ما نزل منه سورة من المفصل

(١) سورة المائدة، آية ٩١ .

(٢) صحيح سنن أبي داود ٦٩٩/٢، رقم ٣١١٧، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) الفارسي، من موالي أهل مكة، حدث عن حكيم بن حزام، وأبي هريرة، وعبدالله ابن عمرو، وابن عباس، مات سنة عشر ومئة، وقيل: سنة أربع عشرة، وقيل: سنة ثلاث عشرة ومائة. رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء ٦٨/٥ رقم ٢٤ .

(٤) أي: مرتب السور .

للقوقوف على تفصيل الكلام حول هذه الجملة. انظر: فتح الباري ٤٧/١٩ .

(٥) "هذا ظاهره مغاير لما تقدم أن أول شيء نزل: (اقرأ باسم ربك)، وليس فيها ذكر الجنة والنار، فلعل "من" مقدرة، أي: من أول ما نزل، أو المراد سورة المدثر، فإنها أول ما نزل بعد فترة الوحي، وفي آخرها ذكر الجنة والنار، فلعل آخرها نزل قبل نزول بقية سورة "اقرأ"، فإن الذي نزل أولا =

فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا شاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لاتزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد - صلى الله عليه وسلم - وإنِّي لجارية أعب: (بسل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) (١) وما نزلت سورة البقرة والنساء، إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور". (٢)

= من اقرأ كما تقدم خمس آيات فقط". فتح الباري ٤٨/١٩ .

فقد ثبت في الصحيح بخصوص أول ما نزل من الوحي حديث عائشة أم المؤمنين قالت: "أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ: فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم) فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرجف فؤاده ..". صحيح البخاري مع الفتح ٥٢/١ .

(١) سورة القمر، آية ٤٦ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٤٦/١٩ .

وظهرت واقعية الوسطية الإسلامية وهي تحاول أن تسمو بالإنسان وتزكي نفسه، وتحلّيه بمكارم الأخلاق، فهي تسير مع الإنسان ليصل إلى مرتبة يعفو فيها عن ظلمه، ويكظم عنهم غضبه، ويحلم بهم: (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون). (١)

والوسطية الإسلامية تريد من المؤمن أن يصل إلى هذه المرتبة ويظل عندها، ولكن لواقعيّتها لم تغفل عن حق الإنسان في رده على ظالميه، فأقرت رد الظلم والعدوان: (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزوا سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنّه لا يحب الظالمين) (٢)، فهي واقعية في تقرير الحق في رد العدوان، وواقعية في السمو بالإنسان نحو العفو والحلم.

وكانت الوسطية الإسلامية واقعية وهي تصل العبد الضعيف بربه سبحانه العليم القدير، وتدفعه للتوكل على مولاه، فالله تعالى هو مصرف الكون، وهو الرازق، وهذا واقع وحق لا ينكره إلاّ مكابر، فالله تعالى على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الذي تكفل برزق مريم عليها السلام دون تكسّب منها (٣) فقال تعالى بشأنها: (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يُمريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب). (٤)

(١) سورة الشورى، آية ٣٧ .

(٢) سورة الشورى، آية ٣٩، ٤٠ .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٥/١١ دار الكتب العلمية .

(٤) سورة آل عمران، آية ٣٧ .

والواقع أيضا في هذه الدنيا أن التوكل على الله يجب أن يكون مقرونا
بإتخاذ الأسباب، لذلك حثت النصوص على التحرك بحشا على الرزق، لأنه هو الواقع
الأرضي للكسب مع التوكل على الله لأنه سبحانه وتعالى بيده ملكوت السموات
والأرض، فقال عليه الصلاة والسلام: "لو أنكم تتوكلون على الله حق التوكل
لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا". (١)

فالتعامل مع الأسباب مع اعتقاد أن الأسباب والمسببات خلق لله واقع لا مفر
منه في منهج الأمة الوسط.

هذه الواقعية في الحقيقة ميزة صادقة على عدالة الأمة وخيريتها، لأنها
عدلت حيث وضعت الإنسان في مكانه المناسب وفق طبيعته، وكانت خيرة لأنها صعدت
به إلى الآفاق العليا، ولم تستسلم لجوانب الضعف فيه، فهي لم تعتبر الأوضاع
السيئة التي يعيشها الإنسان ممثلة للواقع الحقيقي، نعم هو واقع مشاهد، لكنه
واقع ناقص لا يمثل إلا طرفا من الأطراف، وهو الطرف السلبي الضعيف، وواقع
الإنسان أنه ذو طرفين أو جانبين: (وهديناه للتجدين) (٢)، جانب سلبي ضعيف، وهو
الذي ينزل بالإنسان، وجانب آخر مغفول عنه، وهو الطرف والجانب الإيجابي الذي
يستطيع أن يقاوم الضعف، ويصعد بالإنسان، هذا هو الواقع، وهكذا تعاملت معه
الوسطية الإسلامية، فكان حقا أن الواقعية من أبرز مميزات.

(١) مسند الإمام أحمد ٢٤٢/١ رقم ٢٠٥، وقال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٢) سورة البلد، آية ١٠ .

السبب الثاني

الانحراف عن الوسطية في حياة المسلمين

أسبابه وعلاجه

الفصل الأول : أسباب التفريط .

الفصل الثاني : أسباب الإفراط .

الفصل الثالث : علاج الانحراف .

الفصل التمهيدي

يحسن قبل الشروع في فصول هذا الباب أن نعقد فصلا تمهيديا، نتطرق فيه لبعض النقاط المهمة والضرورية، لتكتمل جوانب الموضوع وترتبط حلقاتها برباط منطقي واضح سليم.

أولا : هل الانحراف أمر طبيعي :

إذا كانت الوسطية الإسلامية بتلك الصورة من الخيرية والعدالة، وما حملت من مميزات راقية، سعدت بها البشرية في دنياها، وضمنت بها سعادة الآخرة، فهل تحيد عنها وتنحرف إلى ما سواها؟ هذا ما قد يستبعد ذهن لأول وهلة، وهو ما كانت تظنه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عندما قالت: "إنَّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: فقلت: يا رسول الله إنِّي كنت أظن حين أنزل الله تبارك وتعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)(١) أن ذلك يكون تاما، فقال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فيتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم".(٢)

إنَّ صراع الحق والباطل سنة كونية مطردة لا تقف عن العمل أبدا، والحق في

(١) سورة التوبة، آية ٣٣ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ٤/٤٤٧، وقال: هذا حديث صحيح

على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وانظر: صحيح مسلم مع شرح النووي ١٨/٣٣ .

ذاته لا يُهزم أمام الباطل أبداً، قال تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً)(١)، فالباطل لا ثبات ولا بقاء له، بل يبطل ويزول عند مقابلة الحق: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون). (٢)

ولكن سنة الابتلاء والفتنة في الدنيا من أجل امتحان الإنسان تقتضي في الإنسان طبيعة مزدوجة، يتمكن بها من السير في طريق الحق، أو السير في طريق الباطل بإرادة مختارة حرة، قال تعالى: (وهديناه النجدين)(٣)، (ونفس وما سولها فالهمها فجوهرها وتقولها . قد افلح من زكها . وقد خاب من دسها). (٤)

فالجولات متتالية، والحرب سجال بين أهل الحق وأهل الباطل من شياطين الإنس والجن، وتكون لشياطين الإنس والجن جولات تعلق فيها وتظهر، فيحصل الانحراف عن الحق.

وحياة الأنبياء والمرسلين مع أممهم وأقوامهم - كما قص علينا القرآن الكريم - تدل دلالة واضحة على أن الانحراف سنة من سنن الحياة، ترجع ولا شك إلى طبيعة الابتلاء والامتحان.

والأمة الإسلامية صاحبة آخر الرسالات السماوية، لاشك أنها لا تخرج عن دائرة الابتلاء، وشأنها شأن سائر الأمم عبر التاريخ، مع سنن الكون والحياة، وليست

(١) سورة الإسراء، آية ٨١ .

(٢) سورة الأنبياء، آية ١٨ .

(٣) سورة البلد، آية ١٠ .

(٤) سورة الشمس، آية ٧-١٠ .

معصومة من الانحراف عن الوسطية التي ربطها المولى عز وجل بمراطه المستقيم، بل النصوص تبين أن الانحراف حاصل، فعن "ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلموه". (١)

ولا شك أن الانحراف لا يبدأ كبيرا، مريحا، واضحا، بل يدخل جند الشيطان إلى الإنسان بالهوينى، وتنحرف به في أعمال بسيطة صغيرة لا تعطى من الأهمية الشيء الكثير، وذلك حتى تتمكن الوسوس تدريجيا، وهو ما بينه - صلى الله عليه وسلم - لأمته في حجة الوداع، حيث قال: "أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الحج الأكبر، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ألا لا يجني جان على ولده، ولا مولود على والده، ألا وإنّ الشيطان قد أيس أن يعبد في بلادكم هذه أبدا، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم فيسرى به". (٢)

ويرحف الانحراف في الأمة، حتى تزيّن شياطين الإنس الفجور، وترغب الناس فيه، وتصف الممتنع بالعجز تقليلا من شأنه، وضغطا عليه لكي يستجيب للانحراف، وقد حذر منه - عليه الصلاة والسلام - بقوله: "يأتي على الناس زمان يخير فيه الرجل بين العجز والفجور، فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على

(١) مستدرك الحاكم ٤/٤٥٥، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح سنن الترمذي ٢/٢٣٠ رقم ١٧٥٣، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

الفجور". (١)

فيمبر من يصبر تمسكا بالحق والصراط المستقيم، ويستجيب من يستجيب للانحراف، وهكذا يزداد خط الانحراف بعدا عن الصراط المستقيم، ويصبح للباطل أنصار يشكّلون ضغطا اجتماعيا، ونفسيا، وماديا على أهل الصراط المستقيم، وتتناوش سهام الباطل أفراد الأمة، حتى يصدق فيهم قوله عليه الصلاة والسلام: "يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر"؛ (٢)

وتعود مبادئ الحق والصراط المستقيم غريبة بين الناس كما كان العهد في أول الأمر، كما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس". (٣)

إنّ الذين يظنون أنه من الممكن إتيان وقت يزول فيه الانحراف، وينتهي من الوجود نهائيا، أو يتوقون لذلك ويتوقعون، يعيشون في وهم وخيال، ولا يعيشون على أرض الواقع المحتم لبقاء الصراع بين الحق والباطل.

فالصراع بين الحق والباطل مستمر، وعند تمكن الحق من النفوس وظهوره على السطح بقوة ينكمش الباطل وينزوي، ويعمل من تحت الستار، فإذا ضعف الحق في

(١) مستدرک الحاكم ٤/٤٣٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح سنن الترمذي ٢/٢٥٦ رقم ١٨٤٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم، وهو ثقة.

مجمع الزوائد ٧/٢٨١ .

النفوس لسبب من الأسباب، بدأ الانحراف يدب في الجسد، وأخذ الباطل في الظهور والاستطالة، وهكذا دواليك.

وكان الباطل في الأمم السابقة يتمكن، وكانت سموم الانحراف تتسرب فيهم وتستشري إمتا بالغلو أو التفريط، إلى درجة تتمكن بها من القضاء النهائي عليهم، والانحراف بهم انحرافا لا رجعة بعده.

أما هذه الأمة الوسطية الخاتمة، وإن كانت تشارك بقية الأمم في سنة الصراع بين الحق والباطل، وإمكانية حدوث الانحراف، المعطل لدورها من إقامة الحجة على البشرية والشهادة عليها، إلا أن الانحراف لا يصل بها درجة الاندثار، بل تبقى مصادر الوسطية محفوظة باقية تستطيع الأمة بالرجوع إليها من معاودة النشاط، وتمثيل وسطيتها مرة أخرى، بل تبقى طائفة من الأمة طوال مراحل الصراع متمسكة بالحق لا يضرها استطالة الباطل، يومئ إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "فتوبى للغرباء". (١)

وأنتهم المصلحون عند فساد الناس، مما يدل على بقاء فئة متمسكة بالحق والمراط المستقيم، رغم غربتها بين الناس.

ويصرح بذلك تسمريحا واضحا قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من

أمّتي منصورين لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة". (٢)

(١) المصدر السابق.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/٢٦١)، رقم ٦١، قال المحقق: إسناده صحيح

على شرط الشيخين، ما عدا صاحبيه قرّة بن إياس رضي الله عنه، فلم يرويا

فالمولى عز وجل كما تكفل بحفظ مصادر الدين وكتابه المبين بقوله سبحانه:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ). (١)

فقد تكفل بحفظ طائفة من هذه الأمة متمسكة بمراط الله المستقيم، لا يضرهم خذلان الناس، بل يستمرون على الخط المستقيم، ممثلين للحق إلى أن يأذن الله، فتتكشف الغمة، ويعم النور أرجاء الكون بدعوتهم وهدايتهم للعالمين، فتعود الأمة لأداء رسالتها والقيام بدورها، ناشرة للخير والعدالة بين الناس، مقيمة الحجة العملية في حياتهم، شاهدة عليهم بالحق، قال عليه الصلاة والسلام:

"لا يزال الله يغرس في هذا الدين بغرس يغرس، يستعملهم في طاعته". (٢)

وإذا كان المولى قد ختم النبوة، فلا نبي بعده صلى الله عليه وسلم، إلا أنه كما تبين قد تكفل بحفظ الدين، وحفظ طائفة من المسلمين ظاهرين بالحق، منصورين، يستعملهم الله في طاعته، لا يضرهم خذلان الناس وانحرافهم، وقد تكفل المولى عز وجل بسبعث وحركة تجديدية تجدد هذا الدين في نفوس الناس كل مئة سنة إحقاقاً للحق، ونصرة للحق المبين، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله يبعثُ إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". (٣)

(١) سورة الحجر، آية ٩ .

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣٢/٢ رقم ٣٢٦، قال المحقق: قال البوصيري في الزوائد: "هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات".

(٣) المستدرک للحاکم ٥٢٢/٤، دون تعليق من الحاکم والذهبي.

وفي فيض القدير شرح الجامع المغير للعلامة المحدث محمد المدعو
بـعبدالرؤف المناوي (٩٥٢-١٠٣١هـ) ٢٨٢/٢، قال المناوي: قال الزين =

وتوالت جولات الصراع بين هذه الأمة منذ بزوغ فجر دعوتها على يدي الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وبين الباطل، وعملت سنة الابتلاء عملها في الأمة صعوداً بها ونزولاً، إلى أن وصلت الجولة في العمر الذي نعيش فيه، وقد أذن المولى عز وجل للطائفة المنصورة، والغرس الذي استعمله في طاعته من البروز والظهور، وهداية الناس ودعوتهم إلى دين الحق، فأنتت بثمار جنية، وتحركت الجموع الغفيرة نحو دينها، ضاربة بالباطل وسبيل الغواية والانحراف عرض الحائط، ودخلت أفواج من غير المسلمين في دين الله راضية به بديلاً عن جميع مبادئ وديانات وجاهليات العصر، وهذا بالتالي كما هو طبيعة الصراع في الدنيا يحرك شياطين الإنس والجن من جنود الباطل للقيام والحركة للصد عن دين الله، ووصمه بالتطرف والغلو، لأن الفطرة البشرية كما أوجدها المولى عز وجل تنفر من الغلو، أما التفريط في دين الله فهو الذي عند شياطين الإنس يمثّل الاعتدال.

والإسلام دين العدل والخير، هذه حقيقتها، وهكذا أراد الله لهذه الأمة أن تكون أمة وسطاً، تمثّل الميزان الذي به يقاس انحراف الأمم والأفراد، وفي ضوء وسطيتها يُحكم على أوجه الانحرافات بالإفراط والغلو، أو بالتفريط والتسيب.

= العراقي وغيره: سنده صحيح، ومن ثم رمز المؤلف لصحته، وقال: ك في الفتن وصححه". دار المعرفة.

وانظر: كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، للعلامة علاء الدين المتقى ابن حسام الدين الهندي البرهان فوري (٩٧٥هـ) ١٢/١٩٣، رقم ٣٤٦٢٣، ضبط: الشيخ بكري حبانى، تصحيح: الشيخ صفوة السقا، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة.

وإذا كانت المسألة بهذه الصورة، فإن أول الطريق في سبيل عودة الأمة لتمثيل وسطيتها كاملة كما أراد المولى عز وجل، والقيام بمهمتها التي من أجلها جعلت أمة وسطاء، وذلك من الشهادة على الناس، هو معرفة الانحرافات الطارئة وأسبابها لتشخيص العلاج، والموضوع في درجة من الأهمية، بحيث يكون من الواجب استرخام كل غال ونفيس في سبيل عودة الأمة إلى وسطيتها، إنقاذاً للأمة نفسها أفراداً وجماعات من غضب الله، بسبب التقاعس عن القيام بواجب الشهادة، وإنقاذاً للبشرية الضالة المنحرفة، إنقاذها في الدنيا من الشقاء الذي وقعت فيه بسبب جهل الإنسان وظلمه، وإنقاذها من نار جهنم - والعياذ بالله - الحتمي لكل من صد عن الحق والصراط المستقيم، وأتى يوم القيامة بغير دين الإسلام.

ثانياً : في ضوء قوله صلى الله عليه وسلم: "ان الإسلام بدأ غريباً، وسيعود

غريباً كما بدأ ..". (١)

في ضوء غربة الإسلام الثانية، ومن خلال ما نعيشه من أوضاع لا تمت إلى الإسلام بصلة، مع محاولة المصلحين إرجاع الأمة إلى وسطيتها الكاملة كما أراد الله تعالى، تظهر في الطريق وجهات نظر متعددة، بسبب الاجتهاد البشري، الذي يعتبر أصل من أصول الإسلام التي تثبت حيويته وقدرته على إيجاد الحلول المناسبة لمشكلات الحياة المتجددة. (٢)

(١) صحيح سنن الترمذي ٢/٣٣١، رقم ٢١٢٠، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٢) انظر: من أجل صحوة راشدة تجدد الدين ... وتنهض بالدنيا، للشيخ الدكتور

يوسف القرضاوي، من ٣٧، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي .

ولكن المحذور الذي قد يترتب على ذلك هو : اعتبار كل فريق ما هو عليه ممثلاً للوسطية الإسلامية، وأن ما عدا ذلك مما عليه الأطراف الأخرى انحرافاً عن الوسط الإسلامي، فينعت ذلك بالغلو، وذاك بالتفريط، حسب ما يراه مقارنة بما هو عليه .

والذي يجب أن ينتبه إليه هو أن الوسطية ليست شوباً كلَّ يفضله حسب مقاسه، ثم يجعل من هذا الشوب معياراً لثياب الخلق، فمن كان حجمه كحجمه ليس الثوب، وتطى بطة الوسطية البراقة، أما من كان أكبر حجماً منه، فالثوب ضيق عليه، وهو محروم من هذه البطة البراقة، وكذا من كان أصغر حجماً منه، فالبطة فضفاضة عليه، ولا يصلح لها، وواقعه التعري من طة الوسط، فتصبح النتيجة أن كلا الفريقين - عداه ومن هم على شاكلته - متعريين من تلك البطة، ومنحرفين إما غلوا وإما تفريطاً .

والحق أن الوسطية ليست كذلك، بل الوسطية كما بينا تمثل عدالة الأمة الإسلامية وخيريتها، وهي منضبطة بضابط الوحي من قرآن كريم وسنة مطهرة في ضوء لغة العرب، وكل ما توصل إليه منضبطاً بهذا الضابط فإنه يسري في قناة الوسطية الإسلامية، فهي تتسع لاجتهادات أهل العلم جميعاً .

"وقد كان المجتهدون في القرون الأولى أكثر من أن يحصروا .. قد تنوعت مشاربهم ومداركهم في استنباط الأحكام، ولكنهم اتفقوا على أن المصدر الأساسي لأحكام الشريعة هو الكتاب والسنة". (١)

وفي الساحة مظاهر عديدة تُعتبر عند بعض الناس انحرافاً، إما غلوا أو تفريطاً، والحق أنها ليست كذلك، فالضابط لكل ما هو مطروح في الساحة للحكم

(١) من أجل صحة راشدة تجدد الدين ... وتنهض بالدنيا من ٣٩ .

عليه واعتباره وسطا، أو غلوا، أو تفريطا، هو ما تم تحديده مسبقا في ضوابط
الوسطية .

ثالثا : أسباب عامة للانحراف :

١ - طول المدّة :

إنّ من سنن الحياة المطردة عبر التاريخ من خلال الأمم المتلاحقة، أن لطول
المدّة والبعد الزماني عن الوحي المنزل على أنبياء الله ورسله أثرا واضحا في
حدوث الانحراف، فالأجيال القريبة والمعاشة لرسول الله - صلوات الله وسلامه
عليهم - والواقعة في دائرة تأثيرهم المباشر من خلال المحادثة والمخالطة وقرب
العهد بهم هي أكثر الأجيال امتثالا وتمثيلا لتلك الدعوات والمبادئ التي كانوا
ينادون بها .

وكانت الأجيال اللاحقة تبتعد قليلا قليلا حتى تصاب بالانحراف تدريجيا إلى أن
يبعث الله تعالى برسول آخر يعيد الناس من جديد إلى صراطه المستقيم .

وقد بين سبحانه هذه الحقيقة، وذكر بأن أهل الكتاب لما طال عليهم الزمن
انحرفوا وبدلوا(١)، فقال تعالى: (الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد
فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون). (٢)

وقد وردت أحاديث عديدة عنه - صلى الله عليه وسلم - تبين هذه الحقيقة،
منها: ما ذكره أنس - رضي الله عنه - قال: "اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٢/١٧ .

(٢) سورة الحديد، الآية ١٦ .

إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم". (١)

ولذلك قال ابن عباس: "ما أتى على الناس عام، إلا أحدثوا فيه بدعة

وأما في سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن". (٢)

وتبياناً للحقيقة نفسها ذكر - صلى الله عليه وسلم - خيرية القرون الأولى،

فقال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين

يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهاداتهم إيمانهم، وإيمانهم

شهاداتهم". (٣)

فالقرن من صحبته الكرام كانوا يخالطونه ويجالسونه ويؤاكلونه صلى الله

عليه وسلم، وكانوا يعيشون المبادئ مطبقة في أروع صورها وأعلى درجاتها ممثلة

فيه عليه الصلاة والسلام، فكانوا به يقتدون، ويتوجهاته يتوجهون، ويتربيته

يتربون وينمقلون، تصحح أخطاؤهم، وتوجه تصرفاتهم، فبذلك كانوا على الجادة

والصراط المستقيم، وكان إذا بدر منهم انحراف ما ردهم - صلى الله عليه وسلم

- ووجههم الوجهة الصحيحة، وهكذا كانوا هم لمن بعدهم، وهكذا إلى أن ابتعدت

الأجيال زمتا أنساها كثيرا من الأمور، وأوقعها بعد القدوة، وقلة من يقتدى بهم

في فهم خاطيء لكثير من الأمور، فكانت درجة الانحراف في انفراج عن الخط الوسط

عبر الأجيال.

إذا اتضحت هذه الحقيقة وبيانت، فإنه كذلك من المهم والضروري الانتباه إلى

ما أشرنا إليه سابقا، من أن الله تعالى - في الأمم السابقة - كان يبعث لهم

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٢٣/٢٧، وانظر: الفتح ص ٢٤ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ١٩٣/١ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٠٩/٥، رقم ٣٥٩٤، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

بعد الإنحراف أنبياء ومرسلين تعيدهم إلى الصراط المستقيم، وتنتشلهم من انحرافهم.

وقد عقب سبحانه وتعالى بعد الآية السابقة الذكر في سورة الحديد آية تدل على أنه سبحانه يحيي القلوب بعد موتها وانحرافها(١)، فقال تعالى: (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيت لعلكم تعقلون). (٢)

وإذا كان الوحي قد انقطع، والرسالات قد ختمت برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل يعني ذلك أن هذه الأمة تستمر في الانحراف إلى ما لا نهاية، كيف يكون ذلك وهي خير الأمم، كما قال صلى الله عليه وسلم: "أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى". (٣)

إنّ هذه الخيرية تستتبع أن يجعل المولى عز وجل في كيان هذه الأمة ما يسعيدها إلى الجادة كلما أصابها انحراف وميل عن الصراط المستقيم، وهو ما تكفل به سبحانه من حفظ طائفة من هذه الأمة منصوره على الحق إلى أن تقوم الساعة، وكذلك بعث من يجدد لها دينها، ويحيي ما اندرس من سننه وقيمه، ويعيد للحق جذوته، وللنور وضائه.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١٦٣ .

(٢) سورة الحديد، آية ١٧ .

(٣) مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبدالله الخطيب التببريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ١٧٧١/٢ رقم ٦٢٨٥، قال الخطيب التببريزي: رواه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال المحقق: قلت: صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وإسناده حسن. الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ -

إنّ هذه الأمة، وإن كانت لا تختلف عن بقية الأمم بالنسبة للانحراف بسبب طول المدّة، إلّا أنّها تختلف في جانب أن الأمم السابقة كان هذا البعد الزمني يوصلها إلى انحراف كامل لا رجعة بعده، والانحراف ينتهي بالنسبة لها بمجيء نبي أو رسول جديد، أما هذه الأمة الخيرة فإنها تمتلك في كيانها وذاتها وجوهر وجودها ما يجدد لها حيويتها ونشاطها ويبعثها في الانطلاق بقوة تقترب من القرون الفاضلة القريبة من دائرة الوحي، وقد وردت روايات عديدة تبين هذه الحقيقة في هذه الأمة المرحومة، قال صلى الله عليه وسلم: "مثل أمّتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره". (١)

وهذا الحديث النبوي البليغ الذي يربط أطراف الأمة ببعضها مشبهة إياها بقطرات المطر، من أبين الدلائل على أن الخير في هذه الأمة مستمر لا ينقطع، وأن المجال للأجيال اللاحقة مفتوح للعمل الجاد النافع الخير للوصول أو الاقتراب من الأجيال السابقة رضوان الله عليهم (٢)، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أبشروا وأبشروا، إنّما مثل أمّتي مثل الغيث، لا يدرى آخره خير أم أوله؟ أو كحديقة أظعم منها فوج عاماء، ثم أظعم منها فوج عاماء، لعل آخرها فوجاً أن يكون

(١) رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح غير الحسن بن قزعة، وعبيد بن سليمان الأغر، وهما شققتان، وفي عبيد خلاف لا يضر. مجمع الزوائد ٧١/١٠ .

(٢) انظر: الكوكب الدرّي على جامع الترمذي، للعلامة المحدث محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (١٣٣٤هـ) ٤٦٠/٣، مطبعة ندوة العلماء - لکنهؤ - الهند . وانظر: عارضة بشرح صحيح الترمذي، للإمام الحافظ ابن العربي المالكي (٤٣٥-٥٤٣هـ) ٣١٧/١٠، مكتبة المعارف - بيروت.

أعرضها عرضاً وأعماقها عمقا، وأحسنها حسنا، كيف تهلك أمة أنا أولها، والمهدي وسطها، والمسيح آخرها؟ ولكن بين ذلك فيج أعوج، ليسوا مني ولا أنا منهم". (١)
وقال عليه الصلاة والسلام: "بشّر هذه الأمة بالسنة (٢)، والدين، والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب". (٣)

بل لقد حملت النصوص النبوية الشريفة البشرية للأجيال اللاحقة التي لم تتعايشه - صلى الله عليه وسلم - ولم تره، مما يدل دلالة واضحة على بقاء الخير والإصلاح في أجيال المسلمين، ولتدفعهم نحو الإصلاح ومعالجة انحرافات الأمة، كما كانت الأجيال السابقة مع أقوامهم، فعن "أبي محيريز قال: قلت لأبي جمعة (٤) رجل

(١) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ١٧٧٠/٣ رقم ٦٢٧٨، (عن جعفر، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. الحديث. رواه رزين. قال الباحث: وهذا الحديث وإن لم يحكم على درجته من حيث الصحة والضعف، ولكن تشهد له الأحاديث السابقة في موضوعه.

(٢) سنت النار، تسنو سناء: علا ضوءها، والسنة: من المجد والشرف، والسنة: من الرفعة. وفي الحديث: بشر أمتي بالسنة، أي: بارتفاع المنزلة والقدر عند الله". لسان العرب ٢٢٥/٢ .

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ الألباني ٥٤٥/١، رقم ٢٨٢٥، وقال: صحيح.

(٤) ويقال الكناني، ويقال القاري - بتشديد الياء - مشهور بكنيته، أرجح الأقوال في اسمه: حبيب، من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر، وكان بالشام ثم

تحول إلى مصر. انظر: الإصابة ٦٦/٧، رقم ٩٦٨٣ .

من الصحابة: حَدَّثَنَا حَيْثَا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ أَحَدُكُمْ حَدِيثًا جَيِّدًا، تَغْدِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَنَا أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا؟ أَسْلَمْنَا وَجَاهَدْنَا مَعَكَ، قَالَ: نَعَمْ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرُونِي". (١)

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات". (٢)

٢ - دوائر الانحراف الكبرى في الأمة :

إنَّ للانحرافات - سواء كانت غلوا أو تفريطا - أسبابا عديدة ومتنوعة، بعضها عام تسبب انحرافات كثيرة ومتنوعة غلوا وتفريطا، وبعضها خاص لانحراف معين، بعضها رئيسية في وجود الانحراف، وبعضها جزئية تكون ضمن أسباب جزئية

(١) مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي ١٧٧١/٣، رقم ٦٢٨٢، وقال: رواه أحمد والدارمي.

قال المحقق عن أحمد: بإسنادين، أحدهما صحيح، والآخر صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

ورواية الدارمي: سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ) معه تخريج الدارمي وتمحيحه وتحقيقه، للسيد عبدالله هاشم يمانى المدني ٢١٧/٢ رقم ٢٧٤٧، قال المحقق: رواه أيضا: أحمد، وأبو يعلى، والطبراني بإسنادين، وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات. دار المحاسن للطباعة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(٢) رواه أحمد والطبراني بإسنادين، ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري، وهو ثقة. مجمع الزوائد ٧٠/١٠ .

أخرى سببا لانحراف ما، بعضها أسباب مباشرة لحدوث الانحراف، وبعضها غير مباشرة، ولكنها تمهد خطوة أو خطوات نحو الانحراف، وبعضها كبيرة في خطورة ما يترتب عليها من درجة الانحراف، وبعضها دون ذلك، وهكذا تتنوع الأسباب في دورها وفي خطورتها، وكذلك الانحرافات المترتبة عليها تختلف في حجمها وخطورتها، وتبقى جميعا تحمل مسمى السبب ومسمى الانحراف، مهما كانت بسيطة أو صغيرة في حجمها ودورها وخطورتها على كيان الأمة والأفراد سواء بسواء.

ومن ضمن الأسباب الأساسية والمباشرة والخطيرة التي احتضنت انحرافات الأمة، وهي في حد ذاتها انحرافات خطيرة ووخيمة العاقبة، ما تمثلت في الدوائر الثلاثة الآتية :

١ - انحراف السلطة ونظام الحكم :

من أجل ما تقوم به السلطة الحاكمة من دور خطير في الأمة، كان - عليه الصلاة والسلام - يتخوف على أمته أكثر ما يتخوف من أئمة الضلال، وقد بينه - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه وبثه إليهم، فقد سأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كعبا - رضي الله عنه - فقال: "إنني أسألك عن أمر فلا تكتمني، قال: والله لا أكتمك شيئا أعلمه، قال: أخوف شيء تخوفه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: أئمة مضلين، قال عمر: صدقت، قد أسر ذلك إليّ، وأعلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم". (١)

بل لقد اعتبر - صلى الله عليه وسلم - فتنة الدجال - الذي ما من نبي إلا حذر أمته منه - أهون من فتنة الأئمة المضلين، "عن أبي ذر - رضي الله عنه -

(١) مسند الإمام أحمد ٢٨٢/١ رقم ٢٩٢، وقال الشيخ أحمد شاکر: إسناده حسن.

قال: كنت مخامر النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً إلى منزله، فسمعتة يقول: "غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال"، فلما خشيت أن يدخل قلت: يا رسول الله أي شيء أخوف على أمتك من الدجال، قال: الأئمة المضلين". (١)

وتكمن خطورة الأئمة المضلين، لأنهم في الحقيقة زعماء الانحراف، يتبنون الانحراف ويدعون إليه ويزينونه للناس، وهذا يعني تلقائياً، أنهم يستقبلون الانحرافات التي قد تحدث في الأمة لأسباب أخرى استقبال، الحفاوة والتأييد، أو التساهل والتسيب في المد عنها، وهذا يدفع إلى اتساع دوائر الانحراف في الأمة، بل ويستخدمون الترهيب والشدة مع من لا يوافقهم فيدفعون الناس إلى الانحراف بقوة القهر والسلطان، فعن "عبدالرحمن" (٢) بن بشير الأنصاري، قال: أتى رجل فنادى ابن مسعود فأكب عليه، فقال: يا أبا عبدالرحمن متى أضل وأنا أعلم، قال: إذا كانت عليك أمراء إذا أطعتهم أدخلوك النار، وإذا عصيتهم قتلوك". (٣)

وقد بين - صلى الله عليه وسلم - أن ما يتخوفه على أمته آت، وأن الانحراف في الحكم حاصل، فقال: "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك". (٤) وقال عليه الصلاة والسلام: "التنتقض عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة". (٥)

(١) الفتح الرباني ٢٦/٢٣، رقم ٥٢، وقال المحقق: إسناده حسن، وله شواهد.

(٢) ويقال: عبدالرحمن بن بشر الأنصاري. انظر: الإصابة ٢٩٠/٤ رقم ٥٠٩٠.

(٣) المستدرک للحاكم ٤/٤٦٢، وقال: هذا موقف صحيح الإسناد ولم يخرجاه،

ووافقہ الذهبي.

(٤) صحيح سنن الترمذي ٢/٢٤٥ رقم ١٨١٣، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٥) رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٧/٢٨٤.

وقد بين ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: "أقد علمت - ورب الكعبة - متى تهلك العرب، إذا ولي أمرهم من لم يصحب الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم يعالج أمر الجاهلية". (١)

وقد بين ذلك الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "إنَّ هلاك أمتي أو فساد أمتي رءوس أمراء أغيلمة سفهاء من قريش". (٢)

وكان يقول: "تعوذوا بالله من رأس السبعين، ومن إمارة المبيان، وقال: لاتذهب الدنيا حتى تصير للكعب بن لقع". (٣)

ولذلك كان - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ بالله من أن ينال شر ولاية السفهاء أصحابه رضوان الله عليهم، فعن "جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لكعب بن عجرة رضي الله عنه: أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكون بعدي لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومن لم يعنهم على ظلمهم

(١) المستدرک للحاکم ٤/٤٢٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) الفتح الرباني ٢٣/٣٤ رقم ١٣، وقال المحقق: إسناده صحيح، وانظر: صحيح البخاري مع الفتح ١١/٢٧ .

(٣) رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير كامل بن العلاء، وهو ثقة. مجمع الزوائد ٧/٢٢٢ .

فأولئك مني وأنا منهم، وسيروا على حوزي". (١)

ويانحرف الحكم ضعفت وذبلت أقوى سلطة كانت تدفع الناس وتحثهم على الاستقامة، وأصبح شاغل السلطة الأول الحفاظ على نفسها وعلى مصالحها ومطامعها وشهواتها، والابتعاد تدريجيا عن وسطية الأمة، وأخذ الأمر تدريجيا في اتساع، حتى صدق قوله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق: "تأتي على الناس سنوات جدعات (٢) يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيهم الرويبضة، قيل: يا رسول الله، وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة". (٣)

وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد فهل يبقى مقياس الحق والباطل مستقيما عندهم، أم الحق يكون ما هم عليه وما يرونه، والباطل عندهم ما يخالف أهواءهم وما هم عليه، وصدق حذيفة - رضي الله عنه - حيث يقول: "لا تزالوا بخير ما لم يكن عليكم أمراء لا يرون لكم حقا إلا إذا شاءوا". (٤)

(١) الفتح الرباني ٢٦/٢٣ رقم ٥٤، وقال المحقق: قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) الجيم والذال والعين أمل واحد، وهو جنس من القطع، يقال: جدع أنفه يجدهه جدعا، وجداع: السنة الشديدة. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٣٢/١.

(٣) المستدرک للحاكم ٤/٤٦٦، وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) المصدر السابق ٤/٤٣٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

فأصبحت السلطة محضاً للانحراف، وملكا باقيا يتوارثه جيل بعد جيل، وإن كان دور السلطة في الانحراف ليس بدرجة واحدة في كل الأجيال، ولكن مع الأخذ في البعد عنه - صلى الله عليه وسلم - أخذ تبني الانحراف يزداد إلى أن انفرد عقد الخلافة.

ب - ندرة القدوات العلمية العملية الصالحة وظهور أنماط العلماء ورؤوس

الجهالة :

إنَّ للقدوات العملية في حياة الأمم شأنًا عظيمًا، ودورا خطيرا، وأما الأفكار والمبادئ المجردة فإنها لاتستطيع التأثير على عموم الناس، فالقدوات العملية ضرورية لاستغناء عنها، ولذلك ذكّر المولى عز وجل صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب عندما نزل بهم الهول والكرب والشدة بقدوتهم - صلى الله عليه وسلم - وكيف كان موقفه موقف الثابت المؤمن المطمئن لكي يقتدوا به، فقال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا). (١)

وكان المسلمون بعده - صلى الله عليه وسلم - يقتدون بصحابته رضوان الله عليهم، لذا كان الصحابة في غاية الحرص على أن لا يظهر منهم أمر خلاف السنة، خشية أن يقتدي الناس به، وهذا يتضح في موقف ابن عباس عندما "دعا أخاه

(١) سورة الأحزاب، آية ٢١ .

وانظر: في ظلال القرآن ٢٨٤١/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٠٢/١٤ .

عبيدالله (١) يوم عرفة إلى طعام، فقال: إنّي صائم، قال: إنكم أئمة يقتدى بكم،
قد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا بطلاب في هذا اليوم فشرب.
وقال يحيى (٢) مرة: أهل بيت يقتدى بكم". (٣)

وكان المسلمون بعد الصحابة يقتدون بالمالحين وبأهل العلم لأنهم ورثة
الأنبياء، وكانوا كشيرين، وكانوا مشاعل النور بين المسلمين، فعن "كثير (٤) بن
قيس قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل، فقال: يا أبا
الدرداء، إنّي جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، لحديث بلغني أنك
تحدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما جئت لحاجة، قال: فإنّي سمعت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من سلك طريقا يطلب فيه علماء سلك
الله به طريقا من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم،
وإنّ العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء،

(١) ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخو عبدالله، ولد في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم، وقيل: له رؤية، وكان أميرا، شريفا، جوادا، ولي
إمارة اليمن لابن عمه علي، وحج بالناس. قال ابن سعد: كان أصغر من
عبدالله بسنة واحدة. مات سنة ثمان وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء
٥١٢/٣، رقم ١٢١ .

(٢) هو الذي يروي عنه الإمام أحمد.

(٣) مسند الإمام أحمد ٨٢/٥، رقم ٣٢٣٩، قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٤) "ويقال: قيس بن كثير، شامي، روى عن أبي الدرداء في فضل العلم". وهو
هذا الحديث. تهذيب التهذيب ٤٢٦/٨، رقم ٧٥٨ .

وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر". (١)

ومع كثرة العلماء العاملين كانت الأمة تعيش بين أنوار النبوة، وترى الوحي والقرآن مطبقاً في الأرض فكانت تقتدي بأهل العلم والملاح، ومع مرور الزمن أخذت طبقة القدوة تقل شيئاً شيئاً، وأصبح العلم في انزواء، كما أخبر صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "يوشك العلم أن يختلس من الناس حتى لا يقدرُوا منه على شيء، فقال زياد(٢) بن لبيد: وكيف يختلس منا العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأناه أبناءنا، فقال: شكلتك أمك يا ابن زياد، هذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى ما يرفعون بها رأساً". (٣)

وما ذلك إلاّ لذهاب القدوات وموت العلماء، وعدم مجيء من يحل محلهم، ويقوم بدورهم، كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "تدرون كيف ينقص الإسلام، قالوا: كما ينقص صبغ الثوب، وكما ينقص سمن الدابة، وكما ينقص الدرهم من طول الخبء، قال: إنّ ذلك لمنه وأكبر من ذلك موت أو ذهاب العلماء". (٤)

(١) صحيح سنن أبي داود ٦٩٤/٢ رقم ٣٠٩٦، وقال الألباني: صحيح .

(٢) زياد بن لبيد بن شعبة بن سنان بن عامر الأنصاري البياضي، ذكر أنه فيمن

شهد العقبة وبدرا، وكان عامل النبي - صلى الله عليه وسلم - على حزموت،

وولاه أبو بكر قتال أهل الردة من كندة. انظر: الإصابة ٥٨٦/٢، رقم ٢٨٦٦.

(٣) رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن. مجمع الزوائد ٢٠٦/١ .

(٤) رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون. مجمع الزوائد ٢٠٧/١ .

ومع ذهاب العلماء والقصدات وراث النبوة، وحصول الفراغ، أخذت رؤوس الجهالة في الظهور والتصدي لأمر الناس، فضلت وأضلت، كما أخبر به - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أُعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يَسْتَفْتُونَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ". (١)

وغلب على طلب العلم الدنيا، فأصبحت الأفواج التي تتلقى العلم إنما تتلقاه للدنيا، وهو ما حذر منه - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: "من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ربحها. (٢)

وأصبح طلب العلم للوجامة وصرف وجوه الناس، وقد حذر منه - صلى الله عليه وسلم - فقال: "من تعلم العلم ليباهي به العلماء، ويجاري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله جهنم". (٣)

فأصبحت هذه الطبقة فتنة للناس، ينظر إليها على أنها طبقة القدوة، فلا يرى منها العمل بالعلم، فالكلام كثير، والخطب طويلة، ولكن العمل قليل لا أثر له، لأن الكلام للوجامة وكسب وجوه الناس ليس إلا، هؤلاء هم الذين توعدهم - صلى الله عليه وسلم - فقال: "أتيت ليلة أسري بي على قوم يقرض شفاهم

(١) صحيح البخاري مع شرح الكرمانى ٥٤/٢٥ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ٤٧/١ رقم ٢٠٤، وقال الشيخ الألبانى: صحيح.

(٣) المصدر السابق ٤٨/١ رقم ٢٠٩، وقال الشيخ الألبانى: حسن .

بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت(١)، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء من

أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون".(٢)

ولا تسمع منهم كلمة الحق إذا كان قولها يؤثر في أرزاقهم - ظنا منهم -

فيكتمون من العلم ما في إظهاره ضرر عليهم، وقد توعدهم صلى الله عليه وسلم،

فقال: "ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى به يوم القيامة ملجما بلجام من

نار".(٣)

ولذلك كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يوصون بأخذ العلم من

العالم العامل فكانوا يقولون: "من قال قولا حسنا، وعمل عملا حسنا، فخذوا عنه،

وإذا قال قولا حسنا وعمل عملا سيئا فلا تأخذوا عنه".(٤)

ومع ذهاب العلماء العاملين وقلبتهم، وظهور رؤوس الجهالة أخذت رؤوس

النفاق تظهر وتجعل لنفسها موضعا بين الموجهين للناس والمعلمين، وأخذت تظهر

بمظهر من يصلح للاقتداء بهم، وقد تخوف الرسول - صلى الله عليه وسلم - على

أمته منهم، فقال: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان".(٥)

وأصبح للنفاق أبواق كثيرة، ولجهنم دعاة، يزينون الباطل للناس، فحرفوا

(١) أي: تمت وطالت. لسان العرب ٩٦٠/٣ .

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٤٠١/٤، رقم ١٦٣٧، قال المحقق: إسناده حسن.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه ٤٩/١ رقم ٢١٠، وقال الألباني: حسن .

(٤) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٤٧٨/٤ رقم ١٧٧٦، قال المحقق: إسناده رجاله

ثقات.

(٥) مسند الإمام أحمد ٢١٧/١ رقم ١٤٣، وقال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

الامة، وأغرقوا الكثيرين في الباطل، وهو مصداق حديث حذيفة الذي يقول فيه:
"كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير، وكنت أسأله
عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إننا كنا في جاهلية وشر،
فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد
ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير
هدى، تعرف منهم وتُنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على
أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال:
هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال:
تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال:
فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على
ذلك". (١)

فأصبحت الأمة بعد أن كانت تعيش وراث النبوة من أهل العلم والملاح
فتقتدي بهم، وتسير على الصراط المستقيم، أصبحت أكثر طبقة القدوة في الأمة من
أهل النفاق والجهالة، فأصبحت للانحرافات أجواء مناسبة وأبواق لا تقف عن
الكلام تزين الباطل ليل نهار.

ج - انحصار فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

من نعم المولى عز وجل على هذه الأمة أن اصطفاها من بين الأمم لحمل الراية
بعد الأنبياء، ومن فضله العظيم أن مكّن الإيمان من قلوبهم، وكرّه إليهم

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٤٠/٢٢ .

العصيان، حيث قال تعالى: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم). (١)

فالمولى عز وجل مكن الإيمان، وحببه لقلوب المخلصين. (٢)

ودعاهم سبحانه وتعالى لكي يكونوا أمة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر دعوة للناس، وحفظا لكيان الأمة من أن تتمكن منها الأمراض والانحرافات، فقال سبحانه: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون). (٣)

وحصر الفلاح فيهم، وذلك أن "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ

الجامعة وسياج الوحدة". (٤)

فبإعلاء منارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تخنس شياطين الإنس والجن، وتتحقق هيبة الإسلام ومبادؤه في القلوب، فلا يتجرأ الناس على الخروج عليه، وإن تمكن الهوى من نفوس البعض فانحرف فإنه لا يقوى ولا يتجرأ على

(١) سورة الحجرات، آية ٨،٧ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٦/١٦ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٤، وانظر: تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان للسعدي ١٩٥/١ .

(٤) تفسير المنار، للشيخ السيد محمد رشيد رضا ٢٦/ ، الطبعة الرابعة ١٣٧٤هـ

إعلان فسقه والتبجح به أمام الناس^{في} المجتمع، فيكون في ذلك حفاظ على كيان المجتمع من الانحراف، وحصره في نطاق الفرد، وذلك مصداق قول عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - حيث يقول: "كان يقال: إن الله تبارك وتعالى لا يعذب العامة بذنوب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم". (١)

وأصبحت هذه المنارة المرفوعة تقوم - إن صح التشبيه - بدور جهاز المناعة في الجسم، لا تدع جرثوما يدخل إلا قضت عليه، فما أمكنته من إصابة الجسم بالمرض، فحافظت على كيان الأمة.

وخير ما يصف هذه المنارة حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي يقول فيه: "مثل القائم على حدود الله والمدمن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في البحر أسفلها يصدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: فإننا ننقبها" (٢) في أسفلها فنستقي، فإن أخذوا علي أيديهم فمنعوم نجوا جميعا، وإن تركوهم غرقوا جميعا". (٣)

ومع الضعف الذي أصاب المسلمين عبر توالي الأزمان، أصاب هذا الجهاز كذلك الضعف، وأخذ في الانحسار، وساهم أيضا الفهم السيء من قِبَل بعضهم لبعض

(١) موطأ الإمام مالك ٩٩١/٢، رقم ٢٣، دار الدعوة - تركيا .

(٢) النَّقْبُ : النَّقْبُ فِي أَي شَيْءٍ كَانَ، نَقَبَهُ يَنْقُبُهُ نَقْبًا. لسان العرب ٦٩٧/٣ .

(٣) صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٢/٢، رقم ١٧٦٥، وقال الألباني: صحيح .

النصوص ابتهامهم عن هذه الفريضة بدعوى الحفاظ على النفس من أهل الباطل،
وأئسنا إذا حافظنا على أنفسنا لم يضرنا انحراف الناس بدلالة قوله تعالى:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). (١)

فاتخذوا هذه الآية ذريعة للتقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
وليس الحق ما توصلوا إليه، بل الحق أن يقال: "لا يضركم من كفر وسلك غير
سبيل الحق، إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم، وأطعتموه فيما أمركم به، وفيما
نهاكم عنه، فحرّمتم حرامه، وحلّتم حلاله" (٢)، فيكون معنى الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ) إذا أمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر فلم يقبل
منكم" (٣)، فإنّ ردهم وعدم قبولهم الحق لا يضركم شيئاً.

و"عن الحسن (٤): أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) سورة المائدة، آية ١٠٥ .

(٢) تفسير الطبري، تحقيق محمود شaker ١٣٨/١١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) هو الحسن البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، كانت أم الحسن مولاة لأم
المؤمنين أم سلمة المخزومية، ويسار أبوه من سبي ميسان - كورة واسعة
كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط - سكن المدينة، وأعتق، وتزوج بها
في خلافة عمر، فولد له الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر، أرضعته أم
المؤمنين أم سلمة، مات في أول رجب سنة عشر ومئة، وعمره ثمان وثمانون
سنة، وكانت جنازته مشهودة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٢/٤ رقم ٢٢٢ .

عليكم أنفسكم لا يضركم من هل إذا اهتديتم) فقال ابن مسعود: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قبلت منكم، فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم". (١)

ولما علم الصديق - رضي الله عنه - أن الناس قد أساءوا فهم الآية واتخذوها ذريعة للتقاعس قال: "يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا امنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من هل إذا اهتديتم) (٢)، وإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه". (٣)

ومع تصحيح المحاسبة للمفهوم الخاطيء إلا أنه وجد من يتمسك به ويتبعه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حفاظا على النفس من الأذى، وانسجاما مع التسيار العام في المجتمع، وهنا يكمن الخطر، ويدفع الفسقة على أن لا يشعروا بحرج في إفشاء انحرافاتهم، وهو ما حصل لبني إسرائيل، وقصه المولى علينا في محكم التنزيل، فعن "عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض" ثم قال: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن

(١) تفسير الطبري، تحقيق محمود شاکر ١٣٨/١١ .

(٢) سورة المائدة، آية ١٠٥ .

(٣) صحيح سنن الترمذي ٢٣٢/٢ رقم ١٧٦١، وقال الألباني: صحيح .

مريم) إلى قوله: (فَلَمَّسُونِ) (١)، ثم قال: "كلاً والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه (٢) على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً". (٣)

وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حصل للأمة ما حصل لبني إسرائيل من قبل، وذلك من تمكُّن الانحراف وانتقاله من الطابع الفردي إلى الطابع الجماعي والعرف المقبول في المجتمع.

"إِنَّ الْعَصِيَّانَ وَالْعِدْوَانَ قَدْ يَقْعَانِ فِي كُلِّ مَجْتَمَعٍ مِنَ الشَّرِيرِينَ الْمَفْسِدِينَ الْمُنْحَرِفِينَ، فَالْأَرْضُ لَا تَطْوِي مِنَ الشَّرِّ؛ وَالْمَجْتَمَعُ لَا يَخْطُو مِنَ الشَّدْوَدِ، وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْمَجْتَمَعِ الْمَالِحِ لَا تَسْمَحُ لِلشَّرِّ وَالْمُنْكَرِ أَنْ يَصْبِحَا عَرَفًا مَصْطَلِحًا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَصْبِحَا سَهْلًا يَجْتَرِءُ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ يَهْمُ بِهِ". (٤)

فإذا حصل أن أصبح المنكر عرفاً في المجتمع مقبولاً من قبل الأفراد، فإنَّ هذا المجتمع يفقد صفة المصالح، ويزداد فيه الانحرافات، وللأسف الشديد "ما زال الشر يزداد والأمر يتفاقم حتى سلبت هذه الأمة أفضل ما لها من مزية في دينها ودنياها بعد الإيمان، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". (٥)

(١) سورة المائدة، آية ٧٨-٨١، أما تكملة الآية ٧٨، ٧٩ : (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).

(٢) معناه: لتردنه عن الجور. معالم السنن للخطابي ٥٠/٤ .

(٣) سنن أبي داود، تعليق عزت عبید الدعاس ٥٠٨/٤ رم ٤٣٣٦ .

(٤) في ظلال القرآن ٩٤٨/٢ .

(٥) تفسير المراغي ٢٩/٤ .

ويضعف معالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رفعت الحصانة عن الأمة، وفتحت عليها أبواب الضمور، لاستعلاء الباطل وضياع الحق، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "كيف يُقَدِّسُ الله أمة لا يأخذُ ضعيفها حقه من قوَّيِّها، وهو غير متعتع؟". (١)

وذلك لتجبر أهل الباطل، وذلك يدل دلالة صادقة على أن هذه الأمة قد فتحت على نفسها أبواب الهلاك، ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم". (٢)

وإذا وصل الأمر إلى أن يصبح المنكر في المجتمع هو الغالب، فالحلاك والضياع يعم الجميع، فعن أم المؤمنين "زينب بنت جحش، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: "خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرعاً، محمراً وجهه، يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم (٣) يأجوج ومأجوج مثل هذه"، وخلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت:

(١) صحيح الجامع الصغير ٤٨٢/٢ رقم ٤٥٩٧، وقال الألباني: صحيح .

(٢) رواه أحمد والبخاري بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد إلا أنه وقع فيه في الأصل غلط، فلماذا لم أذكره. مجمع الزوائد ٢٦٥/٧ .

(٣) الرِّدْمُ: سَدُّكَ بَابَا كَلَّهْ أَوْ ثُلْمَةً أَوْ مَدْحَلًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، يُقَالُ: رَدَّمْتُ الْبَابَ وَالثُّلْمَةَ وَنَحْوَهُمَا يَرْدِمُهُ، بِالْكَسْرِ، رَدَّمًا سَدَّهُ، وَقِيلَ: الرِّدْمُ أَكْثَرُ مِنَ السَّدِّ، لِأَنَّ الرِّدْمَ مَا جَعَلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَالرَّدْمُ وَجْمَعُهُ رَدُومٌ، وَالرِّدْمُ: السَّدُّ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ" لسان العرب ١١٥٤/١ .

يا رسول الله، أنهلك وفينا المالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث". (١)
ويظلو المجتمع من الأمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، كثرت رؤوس
الفساد واستطالت في المجتمع، لا تشعر بأي حرج في بث سمومها، لأنها تسير في
المجتمع دون أن توجد جهة تقف في وجهها وتصدما وتدفعها من حيث أتت، حتى
التبس على الناس كثير من أمور الباطل، ولم يعودوا يشعرون ببطلانها
وإنحرافها.

بل أخذت كثير من وسائل التثقيف العام في عديد من بقع العالم الإسلامي
لاتتورع عن عرض الخنا والفجور والفسق على المسلمين، ولا منكر لذلك ولا ناهي،
حتى بلغ الأمر مبلغا من الخطورة لا يعلم الكثيرون مداها، يقول عبدالله بن
عمرو رضي الله عنهما: "لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لا تدع أحدا في
قلبه مثقال ذرة من تُقى أو نُهى إلا قبضته، ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم،
في الجاهلية، ويبقى عجاج (٢) من الناس لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر،
يبتناكحون في الطرق كما تتناكح البهائم، فإذا كان ذلك اشتد غضب الله على
أهل الأرض فأقام الساعة". (٣)

(١) صحيح ابن حبان ٢٤/٢ رقم ٣٢٧، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) العجاج من الناس: الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه، واحدهم عجاجة. لسان

العرب ٦٨٩/٢ .

(٣) مستدرک الحاكم ٤/٤٥٥، وقال الذهبي: موقوف .

الفصل الأول

أسباب التفريط

- المبحث الأول : الأسباب الداخلية .
- المبحث الثاني : الأسباب الخارجية .

تمهيد :

يقال: فلانٌ مفرطٌ في العمل - بالتشديد - أي: مقصرٌ فيه. (١)
وقوله: (ان يفرط علينا) أي: يتقدم، والتفريط أي: يُقصر في الفِرط، يقال:
ما فرطتُ في كذا، أي: ما قصرت، ومنه قوله تعالى: (ان تقول نفس يا حسرتى على
ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن السخريين) (٢)، وقوله تعالى: (قد خسر الذين
كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا
فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) (٣)، وقوله تعالى:
(وما من دابة في الأرض ولا طير يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في
الكتب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) (٤). (٥)

(١) انظر: النهاية لابن الأثير ٤٣٥/٣ .

(٢) سورة الزمر، آية ٥٦ .

(٣) سورة الأنعام، آية ٣١ .

(٤) سورة الأنعام، آية ٣٨ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٣٧٧ .

المبحث الأول : الأسباب الداخلية

وهي الأسباب التي يكون مصدرها ذات الشخص المنحرف، سواء كان في تكوينه الفكري العقلي، أو تكوينه النفسي، وهذه الأسباب تلازم الشخص في كل الظروف والأحوال، ما لم يعالج المنحرف في ذات نفسه.

وتتلخص فيما يلي :

- ١ - سوء الفهم .
- ٢ - الأخذ ببعض النصوص دون بعضها .
- ٣ - الاعتماد على نصوص موضوعة وغير صحيحة .
- ٤ - تأويل قاعدة عقلية وتأويل النصوص على أساسها .
- ٥ - غلبة النظرة الجزئية .
- ٦ - العلاج من واقع رد الفعل .
- ٧ - الإفراط .
- ٨ - تغليب المصلحة الشخصية على المبدأ .

المطلب الأول : سوء الفهم :

إنَّ قلة الفقه وسوء الفهم من أهم الأسباب التي أدت إلى كثير من الانحرافات، لذلك وجه القرآن الكريم الناس إلى سؤال أهل العلم والفقه حتى لا يقع الخطأ من الجامل، فقال تعالى: (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون). (١)

وبين - صلى الله عليه وسلم - أنه ما كل من سمع فقهه، فقال: "نضير الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه". (٢)

وإذا أردنا أن نوضح فيما يتعلق بالانحراف تفريطاً بسبب سوء الفهم، فإننا نلمس ذلك بوضوح في باب الأسماء والصفات، حيث انحرف فيه قوم فعطلوا أسماء الله تعالى وصفاته، وأصبح الإله عندهم صورة في الذهن لا حقيقة له في الواقع، وكان مصدر هذا التفريط شبه الفكر، وسوء الفهم، حيث فهموا من الأسماء والصفات المتعلقة بذات المولى عز وجل، تشبيهاً بالمخلوق، وذلك أنهم وازنوا في أذهانهم صفات الخالق بصفات المخلوق، فقالوا مثلاً: إن "الرحمة رقة تعتري طبيعة الحيوان، والمحبة ميل النفس لجلب ما ينفعها، والغضب غليان دم القلب طلباً للانتقام، والفرح انبساط دم القلب لورود ما يسره عليه". (٣)

ففراراً مما في هذه الصفات من التشبيه والتجسيم - بزعمهم - هربوا إلى

(١) سورة النحل، آية ٤٣ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ٣٣٧/٢ رقم ٢١٣٩، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) المواقيع المرسله على الجهمية والمعتلة ٢٢٢/١ .

تنزيه المولى بالتفريط فيما أثبتته سبحانه من أسمائه الحسنی ومفاته العلی، فقآدهم سوء فهمهم لهذه الصفات إلى التعطیل(١)، وجعل الإله فكرة مجردة في الذهن، فكانت هذه الأسماء والصفات عندهم، كأنها لا تُعقل معانيها ولا يُعرف المراد منها.

(١) انظر: الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله ٢٣٨/١ .

المطلب الثاني : الأخذ ببعض النصوص :

هذا المنهج في الحقيقة في غاية الخطورة، ونتائجه وخيمة، وهو موجود منذ القدم لدى طائفة من الناس، لذا خاطبهم سبحانه قائلاً: **(المتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض). (١)**

وإذا أردنا أن نضرب مثالا للتفريط بسبب هذا المنهج المنحرف فإننا نجد المثال الصارخ هو ما قام عليه الفكر الإرجائي، فالمرجئة (٢) أخذوا بالنصوص الشرعية المتعلقة بوعد الله الجميل لعباده المؤمنين واكتفوا بها، وبالغوا

(١) سورة البقرة، آية ٨٥ .

(٢) الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير، كما في قوله تعالى: **(قالوا أرجه وأخاه) - الأعراف ١١١ - أي: أمهله وأخره.**

والثاني: إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة الأولى فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد.

وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا، من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار.

وهي فرق متعددة: اليونسية، العبيدية، الغسانية، الشوبانية، التومية، المالحية.

الملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١ .

في "إعطاء الرجاء". (١).

وآيات الوعد والرجاء في رحمة الله في القرآن كثيرة، قال تعالى: (نبيّ عبادي أنبيّ أنا الغفور الرحيم) (٢)، (فأما الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين) (٣)، (إنّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تاكل الأنعام والنار مثوى لهم) (٤) إلى آخر آيات الوعد، وكذلك الأحاديث النبوية، كقوله صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل، فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: يا جبريل! وإن سرق، وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق، وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر". (٥)

وهذه النصوص، وإن كانت صحيحة المعنى - لكنها لا تمثل من الحقيقة إلّا وجهاً واحداً، وبدون الوجه الآخر لا تكتمل الصورة، فالذي ينظر إلى جهة معينة من الغرفة ثم يصف الغرفة بما رأى من تلك الناحية لا شك أن حكمه النهائي خاطيء، وإن كان ما قاله صواباً، فالحق والمواب أن ينظر إلى بقية أطراف الغرفة، وكذلك هنا في موضوعنا يجب أن نستقرىء بقية النصوص، ففي سورة الحجر يقول

(١) الملل والنحل ١/١٢٩ .

(٢) سورة الحجر، آية ٤٩ .

(٣) سورة الجاثية، آية ٣٠ .

(٤) سورة محمد، آية ١٢ .

(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٧٤/١، رقم ٦٦، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

تعالى: (نبيء عبادى انى انا الغفور الرحيم. وان عذابى هو العذاب الاليم). (١)

والنصوص تبين أن المؤمن بارتكابه المعاصي والذنوب يستحق دخول النار يوم القيامة، فعنه - صلى الله عليه وسلم - قال: "يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفح(٢)، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين". (٣)

وهذا يدل على أنه من المؤمنين من يدخل النار جزاء بما كسبت يده. وهذا الانصراف والتفريط الحامل للأخذ بنصوص الوعد فقط دون الوعيد، دفع إلى التفريط في العمل، والتساهل في أداء الشعائر التعبدية، والتسيب من كل واجب، اعتمادا على ما وعدهم المولى عز وجل.

وكذلك في موضوع القدر، كان الاكتفاء بالنصوص التي تبين أن الإنسان مسؤول عن عمله وكل ما يأتية، وأنه حر الإرادة، كقوله تعالى: (ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلم للعبيد)(٤)، (ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون). (٥)

كان الاكتفاء بهذه النصوص سببا للقول بالقدر، وأن الأمر أنف وأن لا قدر، والنظرة الصحيحة أن تجمع النصوص التي تجعل للإنسان حرية وإرادة مع النصوص التي ترجع الأمر كله لله، لتكتمل الصورة وتدخل إرادة الإنسان ضمن دائرة مشيئة

(١) سورة الحجر، آية ٤٩، ٥٠ .

(٢) أي: حرارة النار. شرح الكرمانى على صحيح البخارى ٥٢/٢٣ .

(٣) صحيح البخارى مع شرح الكرمانى ٥٢/٢٣ .

(٤) سورة آل عمران، آية ١٨٢ .

(٥) سورة الأعراف، آية ٤٣ .

الله وقدرته، حيث يقول تعالى: (وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله إنّ الله كان
عليما حكيمًا)(١)، (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)(٢)،
(خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا
يُرِيدُ). (٣)

فالإنسان وإن كان صاحب إرادة حرة مختارة، إلاّ أن هذه الحرية لا تخرج عن
دايرة مشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته المطلقة.
وهذه الصورة الصحيحة إنّما تتكون بمجمل تلك النصوص لا ببعضها.
ويستضح من ذلك الخطأ المنهجي في الأخذ ببعض النصوص والإعراض عن البعض
الآخر.

(١) سورة الإنسان، آية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٢ .

(٣) سورة هود، آية ١٠٧ .

المطلب الثالث : الاعتماد على نصوص غير صريحة :

ان الاعتماد على الأحاديث الموضوعة يؤدي الى مجانبة الصراط المستقيم، وهذه الأحاديث وضع الكثير منها "الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة، وإيقاع الشك فيها في قلوب العوام والتلاعب بالدين"(١)، حتى قال قائلهم لما أمر بضرب عنقه وأيقن أنه مقتول: "والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم".(٢)

ووضع قوم آخرون الأحاديث نصرمة لمذهبهم(٣)، لكي ينتشر بين الناس استنادا على الأحاديث والنصوص النبوية المتقولة.

فمن النصوص الموضوعة في فكر الإرجاء ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه "أن وفد ثقيف جاءوا الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألوه عن الإيمان هل يزيد وينقص؟ فقال: لا، زيادته كفر ونقصه".(٤)

ومنه أيضا أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: "كما لا ينفع مع الشرك شيء

(١) الموضوعات للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ) ٣٧/١، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، المكتبة السلفية.

(٢) المصدر السابق ٣٧/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٨/١ .

(٤) المصدر السابق ١٣١/١ .

كذلك لا يضر مع الإيمان شيء". (١)

إذا كانت هذه الأحاديث يسرت سبل انتشار إنحراف المرجئة، فإن من النصوص الموضوعية ما شرعت للبعض الخلاعة والتعلق بالمردان والنسوان تقولا عليه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "النظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر، والنظر إلى الوجه القبيح يورث الكحلح(٢)". (٣)

وقولهم تقولا على المصطفى صلى الله عليه وسلم: "ثلاث يزدن في قوة البصر: النظر إلى الخضرة، وإلى الماء الجاري، وإلى الوجه الحسن". (٤)
وجملة القول أن النصوص المكذوبة عليه - صلى الله عليه وسلم - وإن كان العلماء لها بالمرماد، إلا أنها انتشرت في أوساط كثير من المسلمين، وأوجدت سندا شرعيا لكثير من الانحرافات وأعطته طابعا إسلاميا، فأنحرف بسبب ذلك جمهور غفير من المسلمين.

(١) الموضوعات ١٣٦/١ .

(٢) الكلوح : تكشر في عبوس؛ قال ابن سيده: الكلوح والكلاح: بدو الأسنان عند العبوس.

وقال أبو إسحاق: الكالغ الذي قلمت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من

رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه. لسان العرب ٢٨٥/٣ .

(٣) الموضوعات لابن الجوزي ١٦٣/١ .

(٤) المصدر السابق .

المطلب الرابع : تأصيل قاعدة عقلية وتأييل النصوص على أساسها :

إنَّ جعل العقل أصلاً والنص فرعاً، بحيث يجعل الميزان هو العقل البشري المتفاوت حسب الناس، وعلى ضوء مقرراته يتم الحكم على النصوص الثابتة المعصومة من الخطأ، لَمِنَ أخطر القواعد المنهجية في البحث عن الحقيقة، ومن أوسع أبواب الانحراف عن الصراط المستقيم.

وكما أنه قاد بعض المسلمين إلى الغلو، فإنه كذلك قاد جمعا غفيرا من المسلمين إلى التفريط، وهو ما وقعت فيه كثير من الفرق، فالقدرية (١) مثلا لما أصّلت "أن الله سبحانه لم يخلق أفعال عباده، ولم يقدرها عليهم، أولوا كل ما خالف أصولهم". (٢)

ففرّطوا في باب القضاء والقدر، واعتبروا الأمر تُتفأ، وأن الإنسان المخلوق هو الخالق والموجد لأفعاله لا المولى عز وجل.

والمرجئة لما أصّلت "أن الإيمان هو المعرفة، وأنها لا تزيد ولا تنقص أولوا

(١) وهم المعتزلة، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، يقولون: إن العبد قادر خالق لأفعاله خيرا وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزّه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا"، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، وهم فرق عديدة: وأصلية، هندية، نظامية، خابطية، حدشية، معمرية، بشرية، جاحظية. انظر: الملل والنحل ٤٣/١ وما بعده.

(٢) الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة ٢٣١/١ .

ما خالف أصولهم". (١)

وكان هذا الفكر المنحرف في الحقيقة بين المسلمين كمخدر الهلوسة وجرعات السكر التي تدفع الإنسان لفعل كل قبيح ومنكر، وكموادّ للجنون الذي يرفع القلم عن صاحبه، فهو لا يحاسب فيما يرتكب، ولا يلام فيما يأتي من خروج عن الجادة والصواب، وكل ذلك بدعوى أنه طالما عرف الله وآمن بقلبه، فأيمانه كامل لا ينقص بالمعاصي والذنوب، فليرتكب ما يشاء من قبائح الأعمال ولا حرج، وكذلك فإنه بتحمّل إيمانه القلبي فإن الأعمال الصالحة لا تزيد من إيمانه فلا حرج في تفريطه في الصالحات من الأعمال، فلم يُبقِ هذا الفكر المنحرف المفرط زماماً ولا قيلاً يمسك الإنسان عن الإقدام على المعاصي والذنوب.

وذلك أن الكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل، والإيمان شيء واحد، وهو العلم (٢)، والقاعدة عندهم أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله فلم يبق منه شيء، وعلى ضوء هذه القاعدة أولوا كل نصوص الوعيد، وما أكثرها في كتاب الله العزيز، وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وقالوا: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق شيء. (٣)

وكذلك "لما أضلت الجهمية (٤) أن الله لا يتكلم ولا يكلم أحداً ولا يرى

(١) الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتزلة ٢٣١/١ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٨٩/٧ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٢٢٢/٧ .

(٤) أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمد، وقتله

مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في =

بالأبصار، ولا هو فوق عرشه بائن لخلقه، ولا له صفة تقوم به، أولوا كل ما خالف ما أصلوه". (١)

وقد ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - التنويه على هذا السبب من أسباب الانحراف، وهو الاحتكام إلى الرأي دون النص، بقوله: "استفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فرقة، قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرمون الحلال ويحللون الحرام". (٢)

ولذلك يقول حنيفة بن اليمان رضي الله عنه: "إنني لأعلم أهل دينين من أمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في النار: قوم يقولون: إن كان أولنا ضلالاً ما بال خمس صلوات في اليوم والليلة، إنما هما صلاتان العصر والفجر، وقوم يقولون: إنما الإيمان كلام، وإن زنى وإن قتل". (٣)

= الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، منها قوله: لا يجوز أن يوصف البياري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفس كونه حيا عالما، وأثبت كونه قادرا، فاعلا، خالقيا، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، والفعل والخلق. الملل والنحل ٨٦/١ .

(١) الصواعق المرسله ٢٣٠/١ .

(٢) مستدرک الحاکم ٤٣٠/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) مستدرک الحاکم ٤١٩/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

المطلب الخامس : غلبة النظرة الجزئية :

إنَّ الله عز وجل بعث رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - هاديا للبشرية ومنقذا لها، وقد أتم الدين وأكمّله قبل أن يتوفاه ويقبضه إليه، حيث قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)..(١).

وهذا الدين الحنيف قد شمل جوانب الحياة كلها، لم يترك جانبا من جوانب الحياة الإنسانية إلاّ وشرع لها ما فيه سعادة البشرية وخيريتها، وحث المسلمين بل أمرهم بطاعة الله تعالى في كل تلك الجوانب، ولكن يحدث أحيانا أن ينحرف بعض المسلمين ويفرطوا في جانب أو جوانب من دينهم بسبب خطأ في النظرة وعدم استقامة في التفكير، فيحدث ما نستطيع أن نسميه النظرة الجزئية، فيتوجه التفكير في التركيز على جانب دون جوانب أخرى، إلى أن يتم حصر الإسلام في جانب معين، وهذا كثيرا ما يحدث في جانب حصر الإسلام في الشعائر التعبدية كما هو الحال عند بعض الزهاد، ويستمر بهم الوضع حتى يروا ما هم عليه هو الدين الحق، وهو الطريق المستقيم، ولا ينتبهون أنهم قد فرطوا في جوانب أخرى لا تقل أهمية عما هم فيه إن لم يكن أحيانا أهم مما هم فيه.

وهذه النظرة الجزئية قد وجد من يمثلها حتى في الجيل الأول، ففي الحديث عن النعمان(٢) بن بشير - رضي الله عنهما - قال: "كنت عند منبر رسول الله -

(١) سورة المائدة، آية ٣ .

(٢) الأمير العالم، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن صاحبه، أبو

عبدالله، ويقال: أبو محمد، الأنصاري الخزرجي، ابن أخت عبدالله بن رواحة=

صلى الله عليه وسلم - فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمار المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) (٢). (٣)

فالنظرة الجزئية، والاهتمام بجانب معين، والاكتفاء به مع إهمال جوانب الإسلام الأخرى، مهما كانت أهمية الجانب المنظور إليه لاشك يؤدي إلى التفريط. وهذا السبب قد أدى إلى انحراف أعداد غفيرة من المسلمين، وخاصة الذين اكتفوا من الإسلام بالجانب العبادي الشعائري.

شهد أبوه بدرًا، وولد النعمان سنة اثنتين، وعد من الصحابة الصبيان باتفاق، كان من أمراء معاوية، فولاه الكوفة مدة، ثم ولي قضاء دمشق، ثم ولي امرة حمص، قيل: إنَّ النعمان لما دعا أهل حمص إلى بيعة ابن الزبير نبهوه، وقيل: قتل بقريية بيزين، قتله خالد بن ظلي بعد وقعة مرج راهط في آخر سنة أربع وستين. انظر: سير أعلام النبلاء ٤١١/٣ رقم ٦٦ .

(٢) سورة التوبة، آية ١٩، وتتمتها: (وجهد في سبيل الله لا يستودن عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٥/١٢ .

المطلب السادس : العلاج من واقع رد الفعل :

إنّ تبني الآراء من منطلق رد فعل لرأي آخر، أو لوضع غالب، منهج خطير فيما يؤدي إليه من نتيجة، وهذا واضح فيما وصل إليه الفكر الإرجائي من نتائج خطيرة ألمات طاقات المسلمين وهممهم عن الإقدام في مواطن الخير، والإقلاع عن مواضع الشر.

والفكر الإرجائي في واقعه رد فعل للقول بالتكفير، الذي تبناه الخوارج، وأول من قال به الحسن(١) بن محمد بن الحنفية، وكان يقصد به إرجاء أمر المتتقاتلين من الصحابة إلى الله عز وجل، يقول ابن سعد في ترجمة الحسن بن محمد بن الحنفية: "وهو أول من تكلم في الإرجاء".(٢)

ويذكر كذلك أن زاذان(٣) وميسرة(٤) دخلا عليه "فلاماه على الكتاب الذي وضع في الإرجاء، فقال لزاذان: يا أبا عمر، لوددت أنني كنت مت ولم أكتبه".(٥)

(١) الإمام أبو محمد الهاشمي، كان من علماء أهل البيت، وناهيك أن عمرو بن دينار يقول: ما رأيت أحدا أعلم بما اختلف فيه الناس من الحسن بن محمد، مات سنة مائة أو في التي قبلها. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣٠/٤ رقم ٣٨ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢٨/٥، دار بيروت، للطباعة والنشر - بيروت.

(٣) أبو عمر الكندي، مولاهم، الكوفي البزاز الضريير، أحد العلماء الكبار، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد خطبة عمر بالجابية، مات سنة اثنتين وثمانين. سير أعلام النبلاء ٢٨٠/٤ رقم ١٠٢ .

(٤) ميسرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوي الكوفي، صاحب راية علي، ذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب ٣٨٧/١٠، رقم ٦٩٢ .

(٥) طبقات ابن سعد ٣٢٨/٥ .

وهذا الكتاب إنما هو في إرجاء أمر المشتركين في الفتنة التي حدثت بعد

خلافة الشيخين - رضي الله عنهما - إلى الله عز وجل. (١)

وإن كان الحديث عن الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان لم يعرج عليه، إلا أنها

كانت البذرة الأولى، وتوسعت بعد ذلك.

ولقد ظهرت خطورة هذا المنهج في البحث عن الحقيقة في كثير من المسائل

والأبواب، لعل أظهرها الانحراف في حكم الجهاد في سبيل الله، والتفريط فيه،

وحصره في القتال الدفاعي، الذي يدفع فيه المرء عن نفسه ووطنه، والله سبحانه

وتعالى قد شرع الدين لتعبيد الناس لله رب العالمين والخضوع تحت سلطان دينه

وشرعه، وتكون لهم بعد ذلك حرية العقيدة، ولكن في إطار الخضوع لدينه وشرعه.

ويتناول الأستاذ سيد قطب هذه القضية في ظلال القرآن، فيقول: "ونقف مرة

أخرى أمام قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَقَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٢)، فنجد أمراً بقتال الذين

يلون المسلمين من الكفار، لا يذكر فيه أن يكونوا معتدين على المسلمين، ولا على

ديارهم.

ونذكر أن هذا هو الأمر الأخير، الذي يجعل "الانطلاق" بهذا الدين هو الأصل

الذي ينبثق منه مبدأ الجهاد، وليس هو مجرد "الدفاع" كما كانت الأحكام

المرطية أول العهد بإقامة الدولة المسلمة في المدينة.

ويريد بعض الذين يتحدثون اليوم عن العلاقات الدولية في الإسلام، وعن

(١) انظر: تهذيب التهذيب ٣٢١/٢ .

(٢) سورة التوبة، آية ١٢٣ .

أحكام الجهاد في الإسلام، وبعض الذين يتعرضون لتفسير آيات الجهاد في القرآن .. أن يتلمسوا لهذا النص النهائي الأخير قيّداً من النصوص المرطية السابقة؛ فيقيّدوه بوقوع الاعتداء أو خوف الاعتداء!" (١).

فهؤلاء تحت ضغط الواقع "يتعاطفهم ويهولهم أن تكون هذه هي أحكام الإسلام! وأن يكون الله - سبحانه - قد أمر الذين آمنوا أن يقاتلوا الذين يلونهم من الكفار، وأن يظلوا يقاتلون من يلونهم من الكفار، كلما وجد هناك من يلونهم من الكفار! .. يتعاطفهم ويهولهم أن يكون الأمر الإلهي هكذا، فيروحون يتلمسون القيود للنصوص المطلقة؛ ويجدون هذه القيود في النصوص المرطية السابقة! إننا نعرف لماذا يهولهم هذا الأمر ويتعاطفهم على هذا النحو..

إنّهم يبنسون أن الجهاد في الإسلام جهاد في "سبيل الله" .. جهاد لتقرير الوهيّة الله في الأرض وطرد الطواغيت المغتصبة لسلطان الله .. جهاد لتحرير "الإنسان" من العبودية لغير الله، ومن فتنته بالقوة عن الدينونة لله وحده، والانطلاق من العبودية للعباد .. (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله). (٢)

"ثم إنّه يهولهم الأمر ويتعاطفهم لأنهم يواجهون هجوماً ملبياً منظمًا لثيما ماكرا ضيئاً، يقول لهم: إنّ العقيدة الإسلامية قد انتشرت بالسيف، وأن الجهاد كان لإكراه الآخرين على العقيدة الإسلامية؛ وانتهاك حرمة حربة العقيدة!" (٣)

"وأخيراً، فإن صورة الانطلاق في الأرض لمواجهة من يلون المسلمين من الكفار

(١) في ظلال القرآن ١٧٢٧/٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ١٧٣٨/٣ .

تهول المهزومين روحيا في هذا الزمان وتتعاظمهم؛ لأنهم يبصرون بالواقع من حولهم، وبتكاليف هذا الانطلاق فيهلهم الأمر..". (١)

ففي خضم الواقع الأليم والهجمات المتتالية على الإسلام وأنه دين السيف وإراقة الدماء، تبين المهزومون روحيا من منطلق واقعهم النفسي المهزوم، وواقع المسلمين المحزن، مع إرادة رفع ما يعتبرونه تهمة لا حقيقة له، قالوا بأن القتال في الإسلام إنما هو للدفاع عن النفس والوطن عند الاعتداء فقط، فأنحرفوا في وجهتهم، وفرطوا في حكم الجهاد في سبيل الله، وغفلوا عن قوله تعالى: (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا واقاموا الصلوة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم). (٢)

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٣٨ .

(٢) سورة التوبة، آية ٥،٤ .

المطلب السابع : الإفراط :

إنَّ الانحراف في الحقيقة يولد بعضه بعضا، ولا يقف عند حد ويكتفي.

وعند إمعان النظر يتضح أنه ما من إنسان قد غلا وانحاز إلى الإفراط في جانب من الجوانب، إلّا على حساب جوانب أخرى قد فرّط فيها، فيكون الغلو بذلك سببا مباشرا للتفريط، وإذا رجعنا إلى بعض الأمثلة التي ضربناها عن الإفراط لتبيين ذلك، ففي قصة سلمان مع أبي الدرداء - رضي الله عنهما - أن سلمان زار أخاه أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل فإنّي صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فنذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان". (١)

فالمصاحبي الجليل أبو الدرداء قد أشغلته عبادته عن حقوق أخرى كثيرة كان مقصّرا ومفرّطا فيها، فقد فرط في حق أهله وزوجه، وقصر في واجبات وحقوق الزوجية، وذلك بسبب إفراطه في الجانب العبادي.

وكذلك في قصة عبدالله بن عمرو العاص نستنتج الاستنتاج نفسه، فهو لانشغاله بعبادته قصر في حق أهله، لذلك لما سأها أبوه عنه قالت: "نعم الرجل

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣٣٨/٢٢ .

من رجل لم يظاً لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفنا مذ أتيناها". (١)

وفي رواية يقول عبدالله بن عمرو: "فوقع بي، وقال: زوجتك امرأة من المسلمين فعزلتها" (٢)، "أي لم تعاملها معاملة الأزواج لنسائهم، ولا تركتها بنفسها لتتزوج وتتصرف في نفسها كما تريد". (٣)

فعبدالله فَرَطَ في جانب الزوجية لإفراطه في الجانب العبادي، لذلك وجّهه - صلى الله عليه وسلم - عندما عرف من حاله في قيامه وصيامه وتركه لأهله، فقال له: "فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا..". (٤)

فالإنسان مطالب بحقوق وواجبات عديدة، يحتاج إلى أن يوزع جهده وطاقته بينها جميعا، وإقباله بكليته على جانب من الجوانب لاشك أنه يكون على حساب الجوانب الأخرى بالتقصير والتفريط.

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١١٤/١٩ .

(٢) صحيح سنن النسائي ٥٠٢/٢، رقم ٢٢٥٤، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٣) جامع الأصول، لابن الأثير ٣٠٣/١ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٥٠/٩ .

المطلب الثامن : تغليب المصلحة الشخصية على المبدأ (ضعف الإيمان):

من الناس من يدور حيث تدور مصلحته، ويكون تبنيه للمبادئ سيرا مع الركب العام، حيث يتحقق له الاندماج مع المجتمع، وإذا حصل تضارب بين مصلحته حسبما يراها، وبين ما تبني من مبدأ، فما أسهل التنازل أو التلاعب والتحايل والتفريط بالمبدأ من أجل الحصول على ما يريد، وهذا في الواقع كان شأن اليهود مع الأوامر الربانية، حيث كانوا يتحايلون عليها ويتعلمون منها، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا عند الركن، قال: فرفع بصره إلى السماء فضحك، فقال: "لعن الله اليهود - ثلاثا - إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها، وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه". (١)

فالدين عندهم تجارة وصفقة، إن لم يدر عليهم بالربح، أو وقف دون حصول الربح فلا خير فيه عندهم، وشهوات الدنيا عديدة ومتنوعة، والإنسان يلهث وراء مفريات الدنيا، ومن الناس من لا يقبلون من الإسلام إلا ما يوافق مطالبهم، أما ما يخالف مطالبهم فيهربون منه، ويصبح الشبه بينهم وبين اليهود في تعاملهم مع الإسلام كصفقة تجارية ينظر فيه إلى مجرد الربح والمكسب العاجل القريب، وقد أنزل المولى عز وجل في محكم تنزيله في هذا المنف قوله: (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر

(١) سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ) ٢/٧٥٨

رقم ٣٤٨٨، دار الدعوة - تركيا .

قال عبدالقادر الأرنبوط محقق جامع الأصول (١/٤٥١) : وإسناده صحيح .

الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين). (١)

فهذه الآية تتناول شريحة من الناس تتكرر على مر الأزمان، "والتعبير القرآني يصوره في عبادته لله (على حرف) غير متمكن من العقيدة، ولا متثبت في العبادة، يصوره في حركة جسدية متأرجحة قابلة للسقوط عند الدفعة الأولى، ومن ثم ينقلب على وجهه عند مس الفتنة، ووقفته المتأرجحة تمهد من قبل لهذا الانقلاب!". (٢)

وقد وجد هذا الصنف حتى في المدر الأول من الإسلام، لذلك يعقب ابن عباس - رضي الله عنهما - على الآية فيقول: "كان الرجل يقدم المدينة (٣)، فإن ولدت امرأته غلاما، ونتجت خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته، ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء". (٤)

فهذا الصنف يظل على الصراط ما دامت مصالحه متحققة، وعند أقل فتنة أو إغراء - وما أكثرها في الدنيا - ينحرف عن الصراط مفرطاً، وسبب ذلك الأساس هو ضعف الإيمان بالجزاء الأخروي الذي يعوض ما يظنه الإنسان خسارة في الدنيا، قال تعالى: (وإِنَّكَ لتدعوهم إلى صراط مستقيم . وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ). (٥)

(١) سورة الحج، آية ١١ .

(٢) في ظلال القرآن ٢٤١٢/٤ .

(٣) في جامع الأصول رقم ٧٢٠ زيادة: (فيسلم).

(٤) صحيح البخاري ٢٤٢/٥ دار الدعوة - تركيا .

(٥) سورة المؤمنون، آية ٧٤،٧٣ .

المبحث الثاني : الأسباب الخارجية

وهي الأسباب التي تأتي من خارج كيان المنحرف وتعمل على انحرافه، إما بتهيئة ظروف منحرفة، تدفعه للانجراف فيها، وأما بالضغط عليه بشتى الصور المادية والمعنوية وتهيئته لتبني مواقف منحرفة، وهذا الانحراف يزول بزوال الأسباب الخارجية.

وتتلخص فيما يلي :

- ١ - اتباع الشهوات .
- ٢ - ضعف التربية .
- ٣ - فساد المنبع .

المطلب الأول : اتباع الشهوات :

إنَّ من أهم أسباب الانحراف والتفريط وأكثرها خطورة وعملا بين غالبية الناس الساحقة هي شهوات الدنيا وملذاتها، وهذا في الواقع تحقيق لأصل الابتلاء والامتحان في الدنيا حيث يقول تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)(١)، (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم). (٢)

لذلك لفت المولى عز وجل الأنظار ونبه المؤمنين حتى لا يتمكن منهم هذا السبب وتزل أقدامهم، ويكونوا من المفرطين، فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَهْلِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ تَذَكُّرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ). (٣)

ولذلك كان - صلى الله عليه وسلم - يتخوف على المسلمين من أن تزل أقدامهم عن الجادة والصراط المستقيم بسبب الدنيا ومتاعها، وكان يقول: "فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما أفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتطهيكم كما أهتهم". (٤)

ويقول عليه الصلاة والسلام: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم

(١) سورة الكهف، آية ٧ .

(٢) سورة الأنفال، آية ٢٨ .

(٣) سورة المنافقون، آية ٩ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٢٠/٢٤ .

فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء". (١)

ويدل دلالة قاطعة أن اتباع الشهوات مدعاة للتفريط قوله تعالى: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتباعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا). (٢)

وتكمن خطورة هذا السبب أنه مغروس في النفس يحتاج إلى مجاهدة ومقاومة حتى لا يطفئ، يقول تعالى: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْإِنْعَامِ وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَثَابِ). (٣)

ويقول عليه الصلاة والسلام: "لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل" (٤)، مما يدل أن هذا السبب للانحراف يظل يرافق الإنسان ويعمل عمله بدفعه إلى الانحراف ما لم يقاوم إلى أن يموت.

والدنيا تراود المؤمن، والناجي من يأخذ منها بقدر ولا ينفخس في متاعها وشهواتها، فإنَّ الانغماس في الدنيا والإكثار منها طريق الهلاك والخسران والانحراف كما بين عليه الصلاة والسلام من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - حيث قال: "إنَّ أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من بركات الأرض،

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٥٥/١٧ .

(٢) سورة مريم، آية ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٤ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ١٦/٢٤ .

قيل: وما بركات الأرض؟ قال: زهرة الدنيا(١)، فقال رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فممت النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى ظننت أنه ينزل عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه، فقال: أين السائل؟ قال: أنا، قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك، قال: لا يأتي الخير إلا بالخير، إن هذا المال خضة حطوة، وإن كل ما أنسبت الربيع يقتل حبطا(٢) أو ييلم(٣) إلا آكلة الخضة، أكلت حتى إذا امتدت خامرتها استقبلت الشمس اجترت وشلطت(٤) وبالت، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال حطوة، من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع".(٥)

فقوله صلى الله عليه وسلم: "وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم" فإنه مثل للمفرط الذي يأخذ الدنيا بغير حقاها، وذلك: أن الربيع ينبت أحرار البقول، فتستكثر المشية منه لاستطابتها إيّاه، حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاحتمال، فتنشق أمعاؤها من ذلك فتهلك، أو تقارب الهلاك، وكذلك الذي يجمع الدنيا من غير حقاها ويمنعها من حقاها، قد تعرض للهلاك في الآخرة، لا بل في الدنيا، وأما مثل المقتصد، فقوله: "إلا آكلة الخضر"، وذلك: أن الخضر

(١) حسنها وبهجتها. جامع الأصول لابن الأثير ٥٠٢/٤ .

(٢) الحبط: انتفاخ البطن من كثرة الأكل، يقال: حبطت الدابة تحبط حبطا، إذا

أصابته مرضى طيبا فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت. فتح الباري ٢٣/٢٤ .

(٣) أي: يقرب من الهلاك. المصدر السابق .

(٤) نط البعير يثلط: إذا ألقى رجيعة سهلا رقيقا. جامع الأصول ٥٠٢/٤ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٢١/٢٤ .

ليس من أحرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم، ولكننه من التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها، حيث لا تجد سواها، وتسميها العرب: الجَنَبَة، فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرثها، ف ضرب آكلة الخضر من المواشي مثلاً لمن يقتصر في أخذ الدنيا وجمعها، ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها، فهو ينجو من وبالها، كما نجت آكلة الخضر". (١)

وكلمما أقبلت الدنيا بزخرفها وزينتها زاد خطورتها، وقد وصلت في بريقها الخادع في زماننا هذا مبلغاً خطيراً، غوى وانحرف بسببها كثير من الناس إلا من رحم الله، فالمادية قد طغت، والقلوب قد قست لانشغالها بالدنيا وتفريطها في حق الله تعالى وعبادته وذكره، وطاعته فيما أمر، والانتهاه عما نهى، فطغى الهوى، وسيطرت الشهوات وأصبح التنافس بين الناس في الدنيا والاستزادة منها لا في طلب الجنة ورضا المولى عز وجل، لذلك "كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه". (٢)

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٥٠٣/٤ .

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد ١٦٦/٢ .

المطلب الثاني : ضعف التربية :

إن دور التربية من أخطر الأدوار في تشكيل الإنسان، وتصل درجة الخطورة إلى حد إمكانية تغيير أكثر الأمور رسوخاً وأصالته في الكون والوجود والإنسان، وهو الإيمان بالله، لذا ينبغي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك فيقول: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". (١)

فإذا كانت التربية تفعل هذا الفعل، فلا شك أن أثرها فيما سوى ذلك أكبر.

ومن الانحرافات الواضحة بسبب الضعف التربوي، الانحراف الخلقي والسلوكي، حيث انطمست أخلاقيات الإسلام الراقية ومثله الرفيعة، ونحرت بين المسلمين، لأنها لم تؤمّل فيهم، وتعمّق بالتربية، بل قامت وسائل التربية والتثقيف العام من تلفاز ومذياع وجرائد ومجلات وكتب تبث سموم الانحراف الخلقي، فذهب الحياء، وانعدم من أوساط الكثيرين، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت". (٢)

وأصبحت العلاقات بين الكثيرين قائمة على الهجوم والتطاول، وأصبح خلق الإسلام من الاحترام المتبادل بين الصغير والكبير قليل اللمس في المجتمع، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا". (٣)

(١) صحيح البخاري مع شرح الكرمانى ٤٠/١٨ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ٤٠٦/٢ رقم ٣٣٧٢، وقال الألبانى : صحيح .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٩/١٢ رقم ٧٠٧٣، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح .

وفشا الكذب والخيانة، فالجيل لم يترب على الخلق الرفيع ونبذ الكذب، بل تربى من خلال وسائل التثقيف العامة على الكذب والخيانة.

وانحصرت كثير من أخلاقيات الإسلام في أضيق الدوائر، بسبب انعدام التربية أو ضعفها، فالأمانة أصبحت محصورة في أضيق نطاق وهو حفظ الودائع وردها إلى أصحابها، وكأن بقية جوانب الحياة لا أمانة فيها، وقد أجاب - صلى الله عليه وسلم - للذي سأل عن الساعة قائلاً: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". (١)

فوضع الشخص في المنصب مع وجود من هو أفضل منه محاباة تضييع للأمانة، وما أكثره في زماننا.

وانمحت من القلوب أمانة المجلس، ولم يتربوا على أن للمجالس حرمان تمان، وأنها أمانة كما قال صلى الله عليه وسلم: "إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة". (٢)

فحمل التفریط في هذه الأمانة، وحل محلها الغيبة والنميمة، هذه الخلطة الذميمة التي قطعت أوصال الأمة، وزرعت بذور الفرقة والتقاطع بين المسلمين، وباعدت بين قلوبهم، وكل ذلك لانعدام التربية.

ومع التفریط في الأمانة والحياء شاعت بين الناس الوقاحة والشرثرة، وفشت أحاديث الفجور في المجالس، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: "إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر

(١) صحيح البخاري ٢١/١، دار الدعوة - تركيا .

(٢) صحيح سنن الترمذي ١٨٦/٢ رقم ١٥٩٧، وقال الألباني: حسن .

سرهما". (١).

ولضعف التربية، وبث وسائل التثقيف الآثار التربوية المنحرفة ضعفت أخلاقيات المجتمع، وخرجت عن الجادة، وحصل التفریط في مهمة كبرى من مهمات الدين الذي بيّنه - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "إنّما بعثت لأتمم صالح الأخلاق". (٢).

وكان من مظاهر هذا التفریط الخلقي تناول البعض على أهل العلم والفضل، وتوجيه الكلام إليهم دون أدب ولا احترام.

فالأخلاق تحتاج إلى تربية وتعميق في النفوس، والحق أن المعرفة بالأخلاق هي المرحلة الأولى لوجودها في الواقع، ولكن المعرفة لا تكفي وحدها ليجاد أمة راقية خلقياً، بل يحتاج معها إلى تربية تؤصل هذه الأخلاق والمعاني في النفوس، حتى يظهر أثرها على السلوك في واقع الحياة، وهذا ما فقدته الأمة أو فقدت جزءاً كبيراً منه في الأجيال المتأخرة.

إنّ مجرد العلم والمعرفة الذهنية لا يحمي الإنسان من التفریط في القيم الخلقية، ولا يحميه من الوقوع في الرذيلة، فهل من الناس من لا يعلم قبح الكذب، رغم ذلك فبعض الناس يكذبون.

وهل من الناس من لا يعلم قبح الخيانة، رغم ذلك فبعض الناس يخونون.

وهكذا، فالمعرفة المجردة لا تعصم من الانحراف، وهذا ما بيّنه تعالى في

قوله: (الفرعيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) (٣)، فالانحراف يحصل مع

(١) صحيح مسلم ١٠٦١/٢ رقم ١٢٤، دار الدعوة - تركيا .

(٢) مسند الإمام أحمد ٧٩/١٧، رقم ٨٩٣٩، وقال المحقق: إسناده صحيح .

(٣) سورة الجاثية، آية ٢٣ .

وجود العلم، والعلم والمعرفة خطوة أولى نحو الاستقامة، ثم تأتي التربية لتغرس هذه المعرفة الذهنية في أعماق الإنسان بحيث لا يتركها أبداً، والأمة قد فقدت العلم في جوانب عديدة، وفقدت التربية السليمة أيضاً.

المطلب الثالث : فساد المنبع :

لاشك أن الذي يشرب من الماء العكر، مُعَرَّضٌ للإصابة بالأمراض، وإذا كان هذا الأمر منطقيًا في الأمور المادية، فإنه كذلك في الأفكار والمبادئ، فإن الفكر الذي استقي من منبع غير صافٍ، مهما أُطلق عليه من عبارات وتسميات إسلامية، فإن التسمية لا تغير من الواقع شيئًا، والماء العكر المورد لو شُرب بعد صبه في إناء نظيف، فإن نظافة الإناء لا تجدي في اعتبار الماء صافيًا نظيفًا، بل يظل الماء رغم إنائه النظيف حاملًا لجراثيم المرض، وكذلك رأينا الانحرافات الفكرية التي حصلت في أوساط المسلمين رغم تبني بعض المسلمين لها إلا أنه عند التتبع يتبين في كثير من الأحيان أن منبع هذا الفكر المنحرف، هو منبع دخيل على الإسلام.

فمثلًا الانحراف في موضوع القدر والتفريط فيه كان ينفيه كلية والقول "إنَّ الأمر أُنْفٌ" (١)، أي: مستأنف "لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه" (٢) من قبل معبد الجهني (٣) بالبصرة.

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٥٦/١ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥٦/١ .

(٣) معبد بن خالد الجهني كان يجالس الحسن البصري، وهو أول من تكلم في البصرة بالقدر، فسلك أهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتهه، قتله الحجاج بن يوسف صبرًا، وقيل: إنه معبد بن عبدالله بن عويمر". شرح النووي على مسلم ١٥٣/١ من كلام السمعاني.

ومنبع مقولة معبد يكشفها الإمام الأوزاعي(١) بقوله: "أول من نطق في القدر: رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، كان نصرانيا فأسلم، ثم تنصّر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان(٢) عن معبد".(٣)

فيتضح أن أصل المقالة والشبهة ألقيت من قبل نصراني.

وكذلك إذا أتينا إلى الانحراف في موضوع الأسماء والمفاتيح، والتفريط في هذا الباب، فإنه يتضح أن "أصل مقالة التعطيل للصفات: والقول أن الله ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى.

(١) إمام الشاميين، أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي الفقيه، روى عن خلق كثير من التابعين، وكان رأسا في العلم والعمل، ولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين، ومات ببيروت، سنة سبع وخمسين ومئة في صفر، فيعد في كبار تابعي التابعين. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ٢٤١/١، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار المسيرة - بيروت .

(٢) غيلان الدمشقي، المقتول في القدر، زال مسكين، وهو غيلان بن مسلم، كان من بلغاء الكتاب.

قال ابن المبارك: كان من أصحاب الحارث الكذاب، وممن آمن بنبوته، فلما قتل الحارث قام غيلان إلى مقامه، قتل في عهد هشام بن عبدالملك. انظر: لسان الميزان، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ٤٩٢/٤ رقم ٤٥، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - دار الفكر.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي ٧٤٩/٤، رقم ١٣٩٨.

ونحو ذلك هو الجعد(١) بن درهم، وأخذها عنه الجهم(٢) بن صفوان؛ وأظهرها

فنسبت مقالة الجهمية إليه".(٣)

"وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن إبان بن سمعان، وأخذها إبان عن طالوت، ابن أخت لبديد بن الأعمم، وأخذها طالوت من لبديد بن الأعمم: اليهودي الساحر، الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم"(٤)، "وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حرّان، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة(٥)،

(١) هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى، وأن ذلك

لايجوز على الله، وهو شيخ الجهم بن صفوان. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥

رقم ١٩٢ .

(٢) أبو محرز الراسبي مولاهم، السمرقندي، رأس الجهمية، كان صاحب نكاه

وجدال، وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وكان يقول: الإيمان عقد

بالقلب، وإن تلفظ الكفر. قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم لإنكاره أن الله

كلم موسى. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦/٦، رقم ٨ .

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢٠/٥ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢٠/٥ .

(٥) مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، وهم يقولون بالمحسوس والمعقول،

والحدود والأحكام، وربما أخذوا أصولها وقوانينها من مؤيد بالوحي، فقد

آمنوا بعازيموس، وهرمس، وهما: شيت وإدريس عليهما السلام، ولم يؤمنوا

بغيرهما من الأنبياء عليهم السلام. انظر: الملل والنحل ٤/٢ .

انظر للاستزادة عنهم: الصابئة المندائيون، تأليف الليدي دراوور،

ترجمة نعيم بدوي، غضبان الرومي، مطبعة الارشاد، بغداد - ١٩٦٩م.

والفلاسفة". (١)

"وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الإمام أحمد وغيره - لما ناظره
"السمنية" بعض فلاسفة الهند الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات، فهذه
أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والمبغين والمشركيين، والفلاسفة الضالين، وهم
إما من الصابغين وإما من المشركين". (٢)

"ثم لما عرّبت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية: زاد
البلاء؛ مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه
أشباههم". (٣)

"ولما كان في حدود المائة الثالثة: انتشرت هذه المقالة التي كان السلف
يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر (٤) بن غياث المرّيسي وطبقته". (٥)

(١) مجموع الفتاوى ٢١/٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أبو عبدالرحمن، بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهاً البغدادي
المرّيسي، من موالى آل زيد بن الخطاب رضي الله عنه، نظر في الكلام فغلب
عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرّد القول بخلق القرآن ودعا إليه،
فمقّته أهل العلم، مات في آخر سنة ثمانى عشرة ومئتين، وقد قارب
الثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٩ رقم ٤٥ .

(٥) مجموع الفتاوى ٢٢/٥ .

إذا كانت معاول الهدم، والسموم القاتلة، تسربت من الكفار إلى من يتبناها من المسلمين في العصور الماضية بصورة تناسب ذلك الزمن فإنه بتقدم العلم، تطور كذلك بث السموم، وأصبح داخلا فيما يعرف الآن بالغزو الفكري الذي يحاول تفريغ المسلم من مكونات شخصيته الإسلامية، وتعبئته بمفاهيم وأفكار أخرى بعيدة عن دينه وعقيده، ثم تهيئة طبقة من أبناء الأمة نفسها، لكي تقوم بالدور، وتواصل المهمة بالسيطرة على وسائل التثقيف من مدارس ومعاهد، ووسائل إعلام، وفي هذا المعرض يقول القسيس "صموئيل زويمر" موجهها كلامه لجنوده من المبشرين(١): "إنه ليس غرض التبشير التنصير فقط، ولكن أقصى ما يجب على المبشر عمله، هو تفريغ القلب المسلم من الإيمان بالله".(٢)

ويقول: "إن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه..".(٣)

ويقول في موضع آخر(٤): "لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر، من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، على جميع برامج التعليم في الممالك

(١) في مؤتمر القاهرة التبشيري، الذي عقد في عام (١٩٠٦م).

(٢) غزو في المميم، للشيخ عبدالرحمن حبنكة الميداني ص٢٧، الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ دار القلم .

(٣) المصدر السابق ص٢٧ .

(٤) في مؤتمر القدس التبشيري الذي انعقد في شهر نيسان سنة (١٩٢٥م) إبان

الاحتلال البريطاني لفلسطين.

الإسلامية". (١).

ثم يقول: "إنكم أعددتكم له بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية، إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد.

إنكم أعددتكم شبابا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوآت، وإذا جمع المال فللشهوآت، وإن تبوأ أسمى المراكز فللشهوآت، ففي سبيل الشهوات يوجد بكل شيء". (٢).

ويقول في موضع آخر: "ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب". (٣)

وبالفعل نشأت طبقة من المسلمين تبث هذه السموم بين المسلمين، وقام كذلك الجناح الآخر من جناح الغزو الفكري الممثل في الاستشراق بدور خطير في تهيئة طبقة من المسلمين ذوي مناصب لها تأثير على الجماهير لتقوم ببث أفكارها بين المسلمين، وكان في مقدمة هؤلاء طه حسين، الذي يصرح بأن سبيل النهضة "واضحة بيينة مستقيمة، ليس فيها عوج ولا التواء، وهي: أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها،

(١) غزو في الصميم ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨ .

طوها ومرها، وما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب". (١)

ويظهر اتجاهه الواضح في بث السموم "في حرصه على نشر الكتيب التي تشير الشبهات، وفي مقدمتها "رسائل إخوان الصفا"، وتجديد طبع "ألف ليلة وليلة" (٢) وعنايته بدراسة سير المجان من الشعراء في كتابه "حديث الأربعاء"، وهو ثلاث مجلدات .. وقد خرج من دراستهم بشبهة مسمومة، فيقول بعد سرد الحديث عن الشعر والغزل في عمر بني أمية: "وربما كان من الخير أن نلاحظ أن الذين ذهبوا مذهب اللذة في هذا الفن كانوا من أهل الحجاز أبناء المهاجرين والأنصار، الذين ورثوا الثروة الطائلة الضخمة عن آبائهم، وحيل بينهم وبين العمل السياسي لأمر ما.

ومن هنا كانت مكة والمدينة - في هذا العصر - أقرب إلى اللهو والمجون

والافتتان في اللذة، وما تستتبعه من لعب وشرب وغناء وغزل". (٣)

فالنتيجة التي يريد أن يبيثها هي: أن عصر التابعين والقرن الثاني من

الهجرة عصر مجون وتشبب وغزل ولهو.

وأخذ هؤلاء المتأثرون بالفكر الغربي في ترجمة كتبهم التي تحمل اسم باسم

العلم، وتربسي المسلمين على الانحلال، وذلك خاصة في الدراسات المتعلقة بعلم

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، للدكتور محمد حسين ٢٢٩/٢،

الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ مؤسسة الرسالة، نقلا عن "مستقبل الثقافة في مصر".

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، للدكتور علي محمد جريشة، محمد شريف

الزبيق، ص٢٣، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، دار الاعتصام.

(٣) حديث الأربعاء، لطف حسين ١٨/٢، الطبعة العاشرة - دار المعارف.

النفس والاجتماع، من ذلك سلسلة عنوانها: (كيف نفهم الأطفال - سلسلة دراسات سيكولوجية). (١)

ويقول المشرف على هذه السلسلة، وهو الدكتور عبدالعزيز القوسي، المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم في مصر: "الكتاب الذي نضعه بين يديك كتاب وضعه أستاذ تخصص في التربية لحياة الأسرة، وكرس جهده وحياته لبحثها والمحاضرة فيها في جامعة أوريجون بالولايات المتحدة، وقد لخص لك خبرته العملية المباشرة وبحوثه العلمية العديدة في هذا الكتيب بطريقة جمعت بين دقة العلم وسلاسة الأسلوب، وسهولة العرض". (٢)

ولا شك أن هذه السلسلة قد انتشرت لدى المسلمين آباء ومدرسين، من أجل فهم الأطفال وتربيتهم.

وانقف على مضمون الكتاب العلمي المرسي للناشئة نقف على الفقرات التالية

(١) سيكولوجي: أي علم النفس. انظر: المورد، قاموس انجليزي - عربي، منير البعلبكي، ص٧٣٦، مادة: PSYCHO ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٤م.

(٢) كيف نفهم الأطفال، سلسلة دراسات سيكولوجية "١٢":

الطفل والأمور الجنسية، تأليف ليترا. كير كندال ص١٠، ترجمة: د. إبراهيم حافظ، مدرس علم النفس بمعهد التربية للمعلمين بالاسكنندرية، اشراف وتقديم: د. عبدالعزيز القوسي، المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم، طبع مكتبة النهضة المصرية.

وانظر: حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين ص٢٩، الطبعة

السابعة ١٤٠٢هـ ، مؤسسة الرسالة .

منه: "إنّ الكثير من الآباء اليوم لا يكثرشون للظهور مجرديين من الثياب أمام أطفالهم المغار، وهذا أمر لم يكن يحدث في الماضي إلا نادرا، كذلك أصبحت أبواب الحمامات وغرف النوم تترك مفتوحة أحيانا فيرى المغار أبويهم وهم يخلعون ملابسهم أو يرتدونها، فإذا كان في وسع الآباء أن يفعلوا ذلك بصورة طبيعية ودون شعور بالحرج أو الاضطراب، فإن ذلك يكون مرانا طيبا، لأنه يعين الطفل على الشعور بأن الجنس ليس أمرا مشينا، كما يساعد على إشباع فضوله فيما يتعلق بأجسام الكبار". (١)

هذه السموم الفكرية لا تربى إلا على الخلاعة والفسق، والتفريط في أدب الإسلام الرفيع، والتوجيه الرباني يخاطب المسلمين في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَكْفُرْ كُمْ الَّذِينَ ءَمَلَتْ ءَيْمُنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ءَلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ مَلُوَّةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهيرةِ وَمِنْ بَعْدِ مَلُوَّةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ الْاَطْفَالُ مِنْكُمْ ءَلْمَ فَلْيَسْتَكْفُرُوا كَمَا اسْتَكْفُرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ). (٢)

ويقول صاحب الكتاب أيضا: "يبدو أن بعض الآباء يرون أن فصل البنين عن البنات في هذه السن المبكرة كفيلا بالقضاء على النتائج المترتبة على اختلاطهم، ولكن هذا الفصل لا يؤدي في الحقيقة إلا إلى خلق جو من الغموض

(١) الطفل والأمور الجنسية، ص٤٦ .

(٢) سورة النور، آية ٥٨، ٥٩ .

والإشارة". (١)

ويقول: "فبدلاً من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معاً في الأعمال الممتعة ومواقف اللعب، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو أفراد الجنس الآخر". (٢)

ويقول: "في كل علاقة تقوم بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفز على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة، والرغبة في الكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعي". (٣)

وتبيث هذه السموم على المسلمين ليل نهار من قبل المسلمين الذين تتلمذوا على أيدي الكفار، فتعمل عملها المدمر في أوساط المسلمين، حتى يقول أحد المسلمين من تلامذة الغرب مدافعاً عن الاختلاط: "إنّ وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة، والتعود على محبة واحد دون غيره، وعدم التشريك في المحبة والالتئام بين الزوجين". (٤)

(١) الطفل والأمور الجنسية، ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ص ٨٧ .

(٤) تخليص الإبريز في تخليص باريز، تأليف: رفاة بدوي رافع الطهطاوي

ص ٣٠٥، اشراف وتحقيق وتعليق: د. مهدي علام، د. أحمد أحمد بدوي، د. أنور

السقا. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

وأن الرقص فن من الفنون لا حرج فيه، "فهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء". (١)

وأنه في باريس "نمط مخصوص لا يشم منه رائحة العهر أبدا، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية، وهكذا، وسواء كان يعرفها أو لا، وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن، ولا يكفيهن واحد ولا اثنان". (٢)

وتتوالى رنين هذه السموم في آذان المؤمنين والمؤمنات، وتزين لهم، وتوضع تحت أسماء ملفقة، فالمجون فن، والخلاعة والفجور علم، والحياء والعفة عقدة ومرض.

وتستشري هذه السموم عندما يحملها أبناء المسلمين ويقومون بدور أساتذتهم في نشرها وبيتها.

وهذه المخططات الخارجية، والمناجع الفاسدة كانت وما زالت من أخطر وأكثر أسباب التفريط والانحراف عملا وأثرا في أوساط المسلمين.

(١) تخليص الإبريز في تخليص باريز، للطهطاوي ص ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ .

وانظر: الإسلام والحضارة الغربية، للدكتور محمد محمد حسين ص ٣٦،

الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرسالة.

الفصل الثاني

أسباب الإفراط

- . المبحث الأول : الأسباب الداخلية .
- . المبحث الثاني : الأسباب الخارجية .

تمهيد :

"يقال: فَرَطٌ يَفْرُطُ، فهو فَارِطٌ وفَرَطٌ، إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم

الماء". (١).

"وفي حديث أم سلمة"قالت لعائشة: إن رسول الله نهاك عن الفُرطة في

الدين" يعني: السبق والتقدم ومجاورة الحد.

الفُرطة بالضم : اسم للخروج والتقدم، وبالفتح المرة الواحدة". (٢).

"ومنه حديث علي: لا يرى الجاهل إلا مُفَرِّطاً أو مُفَرَّطاً" هو بالتخفيف: المسرف

في العمل". (٣).

"وفرس فُرُطٌ يسبق الخيل، والإفراط أن يُسرفَ في التقدم". (٤).

ويعبر كذلك عن الإفراط بالغلو، "وأصل الغلاء : الإرتفاع ومجاورة القدر في

كل شيء، يقال: غاليت الشيء وبالشيء، وغلوت فيه أغلوه، اذا جاوزت الحد". (٥)

والغلو في الدين "أي: التشدد ومجاورة الحد". (٦).

(١) النهاية ٤٣٤/٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ٤٣٥/٣ .

(٤) المفردات ص ٣٧٧ .

(٥) النهاية ٣٨٢/٣ .

(٦) المرجع السابق .

المبحث الأول : الأسباب الداخلية

وهي الأسباب التي يكون مصدرها ذات الشخص المنحرف، سواء كان في تكوينه الفكري العقلي، أو تكوينه النفسي، وهذه الأسباب تلازم الشخص في كل الظروف والأحوال، ما لم يعالج المنحرف في ذات نفسه.

وتتلخص فيما يلي :

- ١ - السطحية في الفهم والأخذ بالظاهر (عدم الفقه).
- ٢ - التعصب للرأي واعتبار ما عداه باطلا .
- ٣ - الأخذ ببعض النصوص دون بعضها .
- ٤ - الاعتماد على نصوص موضوعة وغير صحيحة .
- ٥ - تأصيل قاعدة عقلية وتأييل النصوص على أساسها .
- ٦ - العلاج من واقع رد الفعل .
- ٧ - الجنوح نحو التحريم وربطه بالتقوى .
- ٨ - ميل بعض النفوس إلى الغلو بجبلتها .
- ٩ - غلبة العاطفة على العقل .

المطلب الأول : السطحية في الفهم والاعخذ بالظاهر : (عدم الفقه) :

الإسلام وإن كان دين الفطرة وواضحا غاية الوضوح، إلا أنه مما لاشك فيه أن الناس يتفاوتون في قدراتهم الذهنية، وإن استيعاب العلم الشرعي بحاجة إلى أناس يفقهون ويفهمون، ومن هذا المنطلق وجه المولى عموم الناس إلى العلماء الفقهاء لكي يرشدوهم عند الحاجة، فقال سبحانه: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون). (١)

وتمحيها للفهم السطحي الذي قد يفهمه عامة الناس، فقد حدثت في حياة الصحابة أمثلة متعددة، تصرفوا فيها وفق الفهم البسيط لظاهر النص، ثم جاءت الآيات موضحة المفهوم الصحيح في الأمر، فعن "ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما أنزل الله عز وجل: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن)(٢)، (وإنّ الذين يأكلون أموال اليتيمى ظلما)(٣)، الآية، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيجس له، حتى يأكله، أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل: (ويمءلونك عن اليتيمى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم)(٤)، فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرابهم بشرابه". (٥)

(١) سورة النحل، آية ٤٣ .

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٢ .

(٣) سورة النساء، آية ١٠ .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٠ .

(٥) صحيح سنن أبي داود، للألباني ٥٥٤/٢، رقم ٢٤٩٥، وقال: حسن .

وورد في الميام "عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: لما نزلت: (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (١) قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله، إنني أجعل تحت وسادتي عقاليين (٢)، عقالا أبيض، وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ وسادتك لعريض، إنَّما هو سواد الليل، وبياض النهار". (٣)

وهذا التأويل إنما "فعله وتأوله من لم يكن مخالطاً للنبي - صلى الله عليه وسلم - بل هو من الأعراب، ومن لا فقه عنده، أو لم يكن من لغته استعمال الخيط في الليل والنهار". (٤)

ففي رواية أخرى، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين". (٥)

والعرب تقول: عريض القفا، وتقصد به قلة الفقه والغفلة عن البيان. (٦) والشارع قد صوّب هذا الفهم السطحي البسيط، ونبه أن سبب انحراف فئة من الناس وغلوهم هو قلة الفقه والفهم للدين وإن كانوا من أهل العبادة والتضرع، كما كان الحال مع الخوارج.

(١) سورة البقرة، آية ١٨٧ .

(٢) العقال: بكسر المهملة، أي: حبل. فتح الباري ٢٧١/٨ .

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢٠٠/٧ .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ٢٠١/٧ من كلام القاضي عياض.

(٥) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٥/١٧ .

(٦) انظر: فتح الباري ٢٧٢/٨ .

فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي - قوما يقرؤون القرآن، لا يجاوز طوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرار الخلق والخليقة". (١)

فقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يجاوز طوقهم" أو "لا يجاوز تراقيهم" (٢)
"يعني: لا يتفقهون فيه، بل يأخذونه على الظاهر". (٣)

وقد جاء في وصفهم عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصومه مع صومهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". (٤)
وجاء وصفهم عنه - صلى الله عليه وسلم - في رواية أخرى، قال: "يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية". (٥)

فهم صغار السن والعمر، ضعاف العقول، يقولون القول الحسن، يقرؤون القرآن

(١) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢٤/١) رقم ١٤٠، وقال: صحيح.

(٢) المصدر السابق (٢٣/١) رقم ١٣٨، وقال: صحيح .

(٣) الاعتصام، للعلامة المحقق الأصولي النظاري، الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (٢٢/١)، دار المعرفة - بيروت، توزيع: دار الباز - مكة المكرمة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ الألباني (٢٣/١) رقم ١٣٩، وقال: صحيح .

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ الألباني (٢٣/١) رقم ١٣٨، وقال: صحيح .

ولكن دون فقه وفهم وعلم، فيدفعهم ذلك إلى الغلو لقلّة الفقه والفهم للدين.
فالخوارج لسوء فهمهم وقلّة فقههم اعترضوا على علي - رضي الله عنه - في
التحكيم في الخلاف بينه وبين معاوية، واعتبروا ذلك موافقا لقوله تعالى: (ومن
لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون) (١)، وقوله تعالى: (إن الحكم إلا
لله). (٢)

وعلي رضي الله عنه - بزعمهم - لم يحكم بما أنزل الله، بل حكّم الرجال،
حتى قال أحدهم: "أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز
وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه". (٣)

وفهموا من كلمة "كفر" في كل النصوص الشرعية على ظاهرها، وهو الكفر
المخرج من الملة، وليس كذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو
مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن". (٤)
ولا يقال في هذا كفر الزاني بمعنى خروجه من الملة، وكفر السارق بمعنى
خروجه من الملة لمجرد الزنى والسرقعة، بل "قيل هذا من باب التغليظ، أو معناه
نفي الكمال.

(١) سورة المائدة، آية ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام، آية ٥٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري ٣٨/٥، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ -

١٩٨٥م، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر .

(٤) صحيح البخاري مع عمدة القاري ٢٦٥/٢٣ .

وقال ابن عباس: المراد منه الإنذار بزوال الإيمان إذا اعتاده، فمن حام

حول الحمى أوشك أن يقع فيه". (١)

ويؤيده قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل، فبشرني أنه من

مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال:

وإن زنى، وإن سرق". (٢)

(١) صحيح البخاري مع عمدة القاري ٢٣/٢٦٥، وانظر: شرح الكرمانى على صحيح

البخاري ٢٣/١٨١ .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/٧٤ رقم ٦٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

المطلب الثاني : التعصب للرأي واعتبار ما عداه باطلا :

لقد قاد التعصب للرأي الكثيرين إلى الغلو، وذلك أنهم عندما آمنوا برأي معين في مسألة تحتمل وجوها عدة، لم يدع تعصبهم لرأيهم للآخرين حقا في تبني وجهة نظر أخرى في المسألة ذاتها، وقادهم هذا التعصب إلى اعتبار كل الآراء - عدا ما هم عليه - باطلا من أصله، وهذا بدوره سوغ لهم قذف الآخرين بشتى الاتهامات من تفسيق وتجريح، وطعن في الدين تارة بتهمة التساهل والتفريط، وطعن في العقل تارة أخرى بتهمة الجمود والتحجر.

ولتوضيح الأمر نأخذ موضوع اللباس لنبين كيف أدى التعصب للرأي إلى الغلو في مسألة تحتمل أكثر من وجهة نظر وفق القواعد العلمية المعتبرة في فهم النصوص الشرعية.

ففي إسبيل الثياب دفع التعصب الذين يميلون إلى جواز الإسبال اعتبار المقصرين ذوي عقول متحجرة متخلفة جامدة، وذلك لاعتبارهم قاصري الفهم لمقصد الشارع، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما أراد محاربة الكبر والخيلاء لا محاربة الثوب الطويل، بدليل حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لست ممن يصنعه خيلاء". (١)

وفي الطرف الآخر، دفع التعصب الذين يميلون إلى حرمة الإسبال اعتبار المسبلين فسقة ومنحرفين ومتساهلين في الدين، لارتكابهم المحظور، وهو الإسبال،

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٥/٢٢ .

والإسبال حرام، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار" (١)، وأن إزار المؤمن إلى نصف الساق، لحديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "مررت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي إزاري استرخاء، فقال: يا عبدالله، ارفع إزارك، فرفعته، ثم قال: زد، فزدت، فما زلت أتحراها بعد. فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين". (٢)

وهذا الموقف من كلا الفريقين غلو في الدين. (٣)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٨/٢٢ .

(٢) صحيح مسلم ١٦٥٢/٢ رقم ٤٧، دار الدعوة - تركيا .

(٣) سنتطرق لتفصيل الموضوع في الفصل الثالث .

المطلب الثالث : الأخذ ببعض النصوص دون بعضها :

وهذا أيضا منهج مجانب للصواب، قد أدى إلى أخطاء كثيرة، وإلى غلو في كثير من الأبواب، ومن أبين الغلو نتيجة لهذا المنهج المنحرف هو غلو الذين قالوا بالجبر "واعتبار الإنسان مسيّرًا في جميع أحواله وحركاته وخطواته وسكناته كالريشة في مهب الريح". (١)

وذلك عندما وقفوا فقط على النصوص التي تتحدث عن الجانب الجبري في حياة الإنسان، وعمموها على الإطلاق، فغلوا في النتيجة التي توصلوا إليها، وهي نتيجة منحرفة، لأن المنهج الذي اتبعوه منهج منحرف.

واستدلوا لرأيهم بأمثال قوله سبحانه: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون) (٢)، (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (٣)، (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله). (٤)

فلا شك أن الوقوف على بعض النصوص التي قيلت في الموضوع الواحد، منهج مبتور لا يوصل إلا إلى نتيجة خاطئة، وهو منهج خطير.

وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بالشعر، فقد يتوصل فيه إلى نتيجة مغالية بالقول بحرمة الشعر ومحاربتة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلئ جوف

(١) القضاء والقدر في الإسلام، للدكتور فاروق الدسوقي ٢٠٧/١ .

(٢) سورة القصص، آية ٦٨ .

(٣) سورة يونس، آية ١٠٧ .

(٤) سورة يونس، آية ٤٩ .

أحدكم قيحا حتى يَريه (١) خير له من أن يمتلىء شعرا". (٢)

ولكن بالبحث في موضوع الشعر نجد نموما أخرى، مثل حثه - صلى الله عليه وسلم - حسان بن ثابت أن يدافع عنه الكفار بالشعر، فعن "أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، أنه سمع حسان بن ثابت الأنماري يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة، نشدتك بالله، هل سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم أيده بروح القدس، قال: أبو هريرة: نعم". (٣)

حوادث عديدة تبين قول الصحابة للشعر في معية الرسول - صلى الله عليه وسلم - دون إنكار، بل أحيانا كان يشاركونهم.

وباستعراض جملة ما قيل في الأمر نصل إلى النتيجة الصحيحة في الأمر، وهو أن "الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه، وما حبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل، حتى يفضلوا أجنب الناس على عنتره، وأشجعهم على حاتم، وأن يببتهوا البريء، ويفسقوا التقي، وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء". (٤)

أو أن يكون الشعر غالبا مستوليا على الإنسان، "بحيث يشغله عن القرآن

(١) من الوري، وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحا يأكل جوفه ويفسده. شرح

النووي لمصحيح مسلم ١٤/١٥ .

(٢) صحيح البخاري مع شرح العيني ١٨٩/٢٢، انظره لتقف على ما قيل في هذا الحديث.

(٣) المرجع السابق ١٨٧/٢٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٢ .

وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى". (١)
وأما "إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب
عليه فلا يضر" (٢)، "وقال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه،
قالوا: وهو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح". (٣)

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

المطلب الرابع : الاعتماد على نصوص موضوعة وغير صحيحة :

ومن الأسباب الواضحة التي دفعت قطاعا كبيرا من الأمة إلى الغلو والانحراف عن منهج الإسلام الوسط ببناء التصور والعمل على نصوص اعتبرت تشريعا صادرا منه صلى الله عليه وسلم، والرسول - عليه الصلاة والسلام - منها براء، وهي نصوص مكذوبة ما أنزل الله بها من سلطان.

وهذا الانحراف في غاية الوضوح في الجانب العبادي، من خلال نصوص موضوعة رتببت على بعض النوافل من الأجر ما لا يكون على الفرائض، ونصوص أخرى رتببت على أعمال يعتبرها الشارع من الصغائر عذابا عظيما يستوجب الخلود في النار. وشمرة هذه النصوص المكذوبة عليه - صلى الله عليه وسلم - لاشك هو الغلو والبعد عن وسطية الإسلام.

ولتوضيح الأمر نذكر بعض الأمثلة على ما ذكرنا:

"من داوم على صلاة الضحى ولم يقطعها إلا من علة كنت أنا وهو في الجنة، في

زورق من نور، في بحر من نور الله، حتى يرون رب العالمين". (١)

"من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة

شنتي عشرة سنة". (٢)

"المشي إلى الجمعة كفارة لما بينهما، والغسل يوم الجمعة كفارة، والمشي

(١) العلل المتنامية في الأحاديث الواهية، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن

الجوزي (٥١٠-٥٩٧) ٤٧٢/١ رقم ٨٠٤، تحقيق: أ. ارشاد الحق الأثري، الطبعة

الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار نشر الكتب الإسلامية - لاهو - باكستان.

(٢) المرجع السابق ٤٥٦/١، رقم ٧٧٥ .

إلى الجمعة كفارة عشرين سنة، فإذا فرغ من الجمعة أُجيز بعمل مائتي سنة". (١)

"من صلى علي يوم الجمعة مئتين، غفر الله له ذنوب ثمانين عاماً، فقليل له: كيف الملاة عليك؟ قال: يقول: اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأُمي، ويعقد واحدة". (٢)

وبالمقابل رتبت على بعض الذنوب والآثام من العقوبة والجزاء ما لم يشرعه المولى عز وجل، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، منه الكذيت الموضوع: "خمس يفترن المائم، وينقضن الوضوء: الكذب، والنميمة، والغيبة، والنظر لشهوة، واليمين الكاذبة". (٣)

وهذا لاشك أنه غلو، فهذه الذنوب وإن كانت تؤثم صاحبها، إلا أن في إبطالها للموم بحيث يعاد، وللوضوء بحيث يجدد، أمر لم يأت في الشرع، وهو غلو وإفراط.

(١) العلل المتنامية ٤٦٤/١ رقم ٧٨٧ .

(٢) المصدر السابق ٤٦٨/١ رقم ٧٩٦ .

(٣) الموضوعات لابن الجوزي ١٩٥/٢ .

المطلب الخامس : تأصيل قاعدة عقلية وتأويل النصوص على أسامها :

إنّ الله سبحانه وتعالى منح الإنسان طاقة عقلية تعينه على السير الحكيم في الحياة الدنيا، يتفكر بها في ملكوت الخالق جل في علاه، وهذه المعرفة التي يتوصل إليها بالعقل في الحقيقة مجالها عالم الشهادة، العالم الذي تسود فيه القوانين والنظم والنظريات التي يمكن للعقل البشري التوصل إليها، وهو مع ذلك، مهما اكتشف وتعرف على قوانين الكون وأسراره، فإنه يظل قاصرا في معرفته، يقول تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا). (١)

إذا كان الأمر كذلك فيما يخص الكون، فما بالك بعالم الغيب الذي وإن كانت حقائقه لاتخالف العقل السليم، إلا أن معرفتها مفصلة ليس في مقدور العقل، ومن هنا "كان الاعتماد على العقل المجرد دون الاسترشاد بالنصوص هو الذي فتح باب الانحراف في كثير من القضايا" (٢)، فغلت طائفة، وانحرفت "بتجسيم المولى - تعالى سبحانه علوا كبيرا عما يقولون - بدليل أنه تعالى فاعل، وهذا لا يصح إلا من جسم". (٣)

وأخذت الطوائف المنحرفة تؤمل قواعد ذهنية، ثم إذا جاءت نصوص شرعية تناقض قاعدتهم أولوها بتعسف وتنطع حتى توافق قاعدتهم وتسير معها، وعلى ضوء هذا المنهج المنحرف، غلت كثير من الطوائف، وكان منه أنه "لما أملت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد، وأن من دخل النار لم يخرج منها أبدا أولوا كل ما خالف

(١) سورة الإسراء، آية ٨٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/٥ .

(٣) الفصل لابن حزم ٢٧٧/٢ .

أصولهم". (١).

وأصلوا كذلك أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله، فلم يبق منه شيء، وأن الإيمان هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، فإذا ذهب منه شيء لم يبق منه شيء فيخذ في النار. (٢)

وأولوا على ضوء قاعدتهم هذه جميع النصوص التي تبين خروج عمارة المؤمنين من النار يوم القيامة، ودخولهم الجنة، وكذلك شفاعته - صلى الله عليه وسلم - الثابتة لأصحاب الكبائر من أمته، فضيقوا واسعا، وغلوا بقذف من أتى معصية في النار خالدا فيها، وهل في الناس من لا يقع في المعصية؟!

"ولما أصلت الجبرية (٣) أن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل بوجه من الوجوه، وأن حركات العباد بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار، أولوا كل ما جاء بخلاف ذلك". (٤)

(١) الصواعق المرسلّة، لابن القيم ٢٣١/١ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٢٢٣/٧ .

(٣) الجبرية : الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى.

والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا. فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل، وسمى ذلك كسبا فليس بجبري. الملل والنحل للشهرستاني ٨٥/١ .

ومن فرق الجبرية: الجهمية، النجارية، الضرارية.

(٤) الصواعق المرسلّة ٢٣٢/١ .

وهذا الفكر الجبري المنحرف سهل على المسلمين ارتكاب الذنوب والمعاصي، وأخرج من قلوبهم الخوف من الإقدام على الذنوب، وفتح الباب أمامهم على مصراعيه، فكثر الفساد، وانتشرت الذنوب بدعوى أنها مكتوبة عليهم، وكذلك دفعهم إلى الخنوع والكسل والتواكل وترك الأخذ بالأسباب، فطغى الطغاة، ومرح الفجار، وانتشر الباطل، وارتفعت ألوية الكفر، عندما خلت المساحة من المجاهدين المتوكلين على الله، المتخذين للأسباب، المستشعرين بعظم المسؤولية أمام الواحد الديان.

وهذا المسلك الخطير في الاعتماد على العقل ومعارضته للنصوص المريحة الدلالة، الصحيحة الثبوت، المعصومة عن الخطأ، أوقع الكثيرين في الغلو والتنطع في مجالات الحياة الإنسانية العقيدية والخلقية والعبادية، التي جاءت النصوص الشرعية فيها بالرحمة والعدالة والإنصاف والحق المبين.

ومنهج التعامل مع النصوص الشرعية بمقررات ذهنية سابقة أو فروض محكوم عليها مسبقاً، ثم البحث في النصوص لتصيّد ما يوافق الحكم أو القاعدة السابقة، أو تأويل النصوص عند معارضتها، منهج في غاية الخطورة، وتؤدي في النهاية إلى نتيجة غير موضوعية وغير علمية ومجانبة للحقيقة". (١)

(١) انظر: القضاء والقدر في الإسلام، لفاروق الدسوقي ٦٣/١-٧٠ .

المطلب السادس : العلاج من واقع رد الفعل :

وهو في الحقيقة خطأ منهجي خطير يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، إن لم تكن في كثير من الأحيان أخطر من الانحراف الأول فليست بأقل منه.

ففي موضوع الأسماء والصفات، لما وقع انحراف المعطلة والمؤولة الذين عطلوا صفات المولى عز وجل، وأولوها وصرفوها عن ظاهرها كما جاءت النصوص، وقف في وجههم علماء المسلمين مفتدين انحرافهم، وبسبب ردة الفعل "بالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه" (١)، وإن كان جمهورهم في الواقع "من الغالية من الرافضة" (٢) ومن جهال أهل الحديث" (٣).

ولكن هذا المسلك كمنهج في الرد على الانحرافات، وذلك من واقع ردة الفعل

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٩٢/١ .

وانظر: تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) ١٦٠/١، الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن.

(٢) كان مذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب جواز إمامة المفضل مع قيام الأفضل، فكان يقول: علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين الفتنة، وتطبيب قلوب العامة.. فلما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين - أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - رفضوه حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة. انظر: الملل والنحل ١٥٥/١ .

(٣) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥١/٦ .

منهج خطير في نتائجه، والذين قالوا بالتجسيم - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وجدوا من الآيات ما ظنوها تقوي رأيهم، كقوله تعالى: (لما خلقت بيدي)(١)، وقوله تعالى: (أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنفعا)(٢)، وقوله تعالى: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)(٣)، وقوله تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)(٤).

وفي زحمة الانطلاق من واقع الرد على انحراف بسبب رد الفعل غير الحكيم تبينوا إثبات هذه المفات إلى درجة التشبيه والتجسيم المنافيين لعقيدة التوحيد الخالصة النقية، وغفلوا عن قوله تعالى: (ليس كمثله شيء)(٥)، وقوله تعالى: (هل تعلم له سميا)(٦).. إلى آخر الآيات التي تنزه المولى عز وجل عن المشابهة بخلقه، فأوقعهم هذا المنهج المبتور في أخذ النصوص في نتيجة خاطئة منحرفة عن الصواب.

(١) سورة ص، آية ٧٥ .

(٢) سورة يس، آية ٧١ .

(٣) سورة الرحمن، آية ٢٧ .

(٤) سورة الطور، آية ٤٨ .

(٥) سورة الشورى، آية ١١ .

(٦) سورة مريم، آية ٦٥ .

المطلب السابع : الجنوح نحو التحريم وربطه بالتقوى :

إنَّ الجنوح نحو التحريم والتشديد لمن المظاهر المتكررة عبر التاريخ لدى فئات من المسلمين، ويأتي ذلك بسبب قلة العلم، وربط ذلك بالتقوى والإيمان، حتى يكون الدين عندهم قائما على التحريم والتضييق، وهذا وإن كان أساسه حسنا، وهو إرادة التقرب إلى الله تعالى لكنه انحراف تأباه الشريعة، وعلته قلة العلم، ومثاله الواضح ما ذكره أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه "جاء شلثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا تقلَّوها (١)، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني". (٢)

فليست التقوى والخشية بالتحريم كما فهموا، وفي حادثة أخرى يرويها ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "إن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، إنِّي إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء، وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم، فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْمَعُوا إِنَّا اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا

(١) أي : رأى كل منهم أنها قليلة. فتح الباري ١٢٦/١٩ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١٢٥/١٩ .

طيباً) (١) ". (٢)

"والتشديد: تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات" (٣)، وكل ذلك مرفوض شرعاً، وانحراف كانحراف النصارى في الرهبنة، قال تعالى: (ثم قفينا على آثرهم برسُلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وءاتيناهُ الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورعمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فئاتينا الذين ءامنوا منهم اجرهم وكثير منهم فأسقون). (٤)

واعتبر المولى عز وجل التحريم بغير دليل من الإفتاء فقال عز من قائل:
(قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءآله أذن لكم أم على الله تفترون . وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة إنَّ الله لخبو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون). (٥)

(١) سورة المائدة، الآية ٨٧، ٨٨ .

(٢) صحيح سنن الترمذي للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٤٦/٢ رقم ٢٤٤١، وقال: صحيح.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) من ١٠٢، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة - بيروت، توزيع دار الباز - مكة المكرمة.

وانظر: في ظلال القرآن ٩٧٢/٢ .

(٤) سورة الحديد، آية ٢٧ .

(٥) سورة يونس، آية ٥٩، ٦٠ .

المطلب الثامن : ميل بعض النفوس إلى الغلو بجبلتها :

إنَّ النفوس البشرية كما خلقها المولى عز وجل، متنوعة المشارب، ومتعددة المواصفات، وبعض الناس نفوسهم أقرب إلى القوة والإقدام، وسبيل الشيطان مع هذا الصنف "أنه يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغته وزيادة" (١)، حتى يخرجه عن الجادة، ويضعه في دائرة الغلو والإفراط، وقد ظهرت نماذج متعددة من هذا الصنف في أيامه صلى الله عليه وسلم، فعن "ابن عباس، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر برجل بمكة، وهو قائم في الشمس، فقال: ما هذا؟ قالوا: نذر أن يصوم ولا يستظل إلى الليل، ولا يتكلم، ولا يزال قائما. قال: ليتكلم، وليستظل، وليجلس، وليتم صومه". (٢)

و"عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أدرك شيئا يمشي بين ابنيه يتوكأ عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما شأن هذا؟ قال ابنه: يا رسول الله كان عليه نذر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اركب أيها الشيخ، فإن الله غني عنك وعن نذرك". (٣)

و"عن ابن عباس أن أخت عقبة بن عامر: نذرت أن تحج ماشية، وأنها لا تطيق ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله لغني عن مشي أختك، فلتركب، ولتهد بدنة". (٤)

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية ١١٦/١.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ الألباني ٢٦٥/١ رقم ١٧٣٧، وقال: صحيح .

(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي ١٠٣/١١ .

(٤) صحيح سنن أبي داود، للشيخ الألباني ٦٣٥/٢ رقم ٢٨٢٥، وقال: صحيح.

وفي رواية أخرى "عن عقبة (١) بن عامر أنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلى

بيت الله حافية". (٢)

وتمثل طبيعة الغلو لدى البعض مبلغا غريبا، لا يمكن تصوّره، فعن "ابن عباس

- رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر وهو يطوف بالكعبة

بإنسان يقول إنسانا بخزامة في أنفه، فقطعها النبي - صلى الله عليه وسلم -

بيده، ثم أمره أن يقوده بيده". (٣)

"والخزامة - بكسر المعجمة وتخفيف الزاي -: طقة من شعر أو وبر تجعل في

الماجز الذي بين منخري البعير، يشد فيها الزمام ليسهل انقياده إذا كان

صعبا" (٤)، وفي هذا الفعل زيادة إذلال وتحقير للنفس.

وقد "كان أهل الجاهلية يتقربون إلى الله بمثل هذا الفعل". (٥)

وقد نهى عنه - صلى الله عليه وسلم - بقطعه للخزامة، وفي رواية أنه -

(١) الإمام المسقري، أبو عبيس المصري، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، كان

عالما مقربا فرزيا شاعرا، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، شهد فتح مصر،

واختط بها، وولي الجند بمصر لمعاوية، ثم عزله بعد ثلاث سنين، وأغراه

البحر، قبره بالمقطم، مات سنة ثمان وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء

٤٦٧/٢ رقم ٩٠ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٠٣/١١ .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ٨٩/٢٥ .

(٤) فتح الباري ٩٠/٢٥ .

(٥) فتح الباري ٢٧٨/٧ .

صلى الله عليه وسلم - قال: "إِنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ". (١)

بل يتعدى الغلو ذلك، ويبلغ مبلغاً لا يمكن تصوره، بل يكون يقينا نوعاً من أنواع المسخ للإنسانية في أصل طبيعتها وفطرتها، فقد "أُتت امرأة إلى عبد الله ابن عباس، فقالت: إنِّي نذرت أن أنحر ابني، فقال ابن عباس: لا تنحري ابنك، وكفّري عن يمينك. فقال شيخ عند ابن عباس: وكيف يكون في هذا كفارة؟ فقال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: (الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ) (٢)، ثم جعل فيه من الكفارة ما قد رأيت". (٣)

(١) فتح الباري ٢٧٨/٧ .

(٢) سورة المجادلة، آية ٢ .

(٣) موطأ الإمام مالك، ٤٧٦/٢ رقم ٧، دار الدعوة - تركيا .

المطلب التاسع : غلبة العاطفة على العقل :

وعند النظر إلى الأسباب التي دفعت البعض إلى الغلو والإفراط، فإننا نقف على سبب جوهري، وهو اندفاع الإنسان بدافع العاطفة، لا بالعقل، وهذا كثيرا ما يحصل من قبل أفراد وأشخاص معادتهم طيبة وأصيلة، وعواطفهم جياشة، فتقودهم عواطفهم من منطلق الخير إلى الزيادة في الخير إلى درجة الغلو، دون أن يتبصروا الطريق بعقولهم المنتشرة بالوحي المعصوم.

وهذا واضح تمام الوضوح في قصة عبدالله بن عمرو، ومبالغته الشديدة في العبادة، فعن "عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: **إِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِمَّا أُرْسِلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: أَلَمْ أُخَبِرَ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَلَمْ أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: فَإِنْ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَِّّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنْ لَزُوجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا. قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا صَوْمَ دَاوُدَ؟ قَالَ: كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا. قَالَ: وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ. قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَِّّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَِّّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ. قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَِّّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ لَزُوجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا. قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عَمْرٌ. قَالَ: فَصَرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَبُرْتُ وَدَدْتُ**

أني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم". (١)

ويتبين من قصة عبدالله بن عمرو أنه أراد لو كان أخذ بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبره بمنظرته الشاقبة - صلى الله عليه وسلم - أنه لعله يطول به العمر فلا يستطيع الوفاء بما عاهده على نفسه، ولكن عاطفة عبدالله سبقت تفكيره، ورجحت الأخذ بالتشديد، وشعر في آخر عمره بخطأ ما رتبته على نفسه من تشديد في العبادة.

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٤٤/٨ .

المبحث الثاني : الأسباب الخارجية

وهي الأسباب التي تأتي من خارج كيان المنحرف، وتعمل على انحرافه، إما بتهيئة ظروف منحرفة، تدفعه للانجراف فيها، وإما بالضغط عليه بشتى الصور المادية والمعنوية وتهيئته لتبني مواقف منحرفة، وهذا الانحراف يزول بزوال الأسباب الخارجية:

وتتلخص فيما يلي :

- ١ - انحراف شخص ذو تأثير جماهيري .
- ٢ - تخطيط وسط معادي لنشر الفكر المغالي .
- ٣ - انعدام الحرية .
- ٤ - التعذيب .

المطلب الأول : انحراف شخص ذي تأثير جماهيري :

إنَّ أسباب الانحراف تظل تعمل عملها في نصرمة الباطل، وانتشار الويسته بين الناس، ويظل جنود الحق يكشفون الباطل، وينورون الحقيقة أمام الناس، ومن المعروف في حياة البشرية أن "كل صاحب مخالفة، فمن شأنه أن يدعو غيره إليها، ويحض سواه عليها، إذ التأسى في الأفعال والمذاهب موضوع طلبه في الجبلة، وبسببه تقع من المخالف المخالفة، وتحصل من الموافق المؤالفة". (١)

فإذا حصل ووقع في دائرة الانحراف إنسان مقبول الكلمة عند طائفة من الناس ومتبع فيما يذهب إليه من رأي، فإنه يتسبب تلقائياً في انحراف من يميلون إليه دون تمحيص لما هو عليه، أحق أم باطل؟ وفي الواقع لو نظرنا في الفرق عموماً لرأينا أنها بدأت من انحرافات شخصية ثم توسعت حتى أصبحت على شكل جماعات منحرفة تسير خلف كبيرها وزعيمها في ذلك الانحراف دون أن تعي ما هي عليه من انحراف، بل اعتباره هو الحق.

ولنضرب لذلك مثالا بالمعتزلة، فالسبب في ظهور هذه الفرقة بما حملت من انحرافات أنه "دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج؛ وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة .. فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن

(١) الاعتماد للشاطبي ٢٢/١، وعبارته: "ويحض سؤاله بل سواه عليها".

يجيب قال واصل(١) بن عطاء: أنا لا أقول: إنَّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه المعتزلة".(٢)

وكذلك في أصل إنحراف الخوارج وشبههم بين - صلى الله عليه وسلم - أن أصلهم ذلك المنحرف الذي دفعته جلافته في التطاول عليه صلى الله عليه وسلم، فعن "جابر ابن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجِعْرَانَةِ(٣) وهو يقسم التَّبرِّ والغنائم، وهو في حجر بلال، فقال رجل: اعدل يا محمد! فإنَّك لم تعدل. فقال: ويلك! ومن يعدل بعدي إذا لم أعدل؟ فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ هذا في أصحاب، أو أصحاب له، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم

(١) أبو حنيفة المخزومي مولاهم، البصري الغزال، وقيل: ولاؤه لبني ضبة. ولد سنة ثمانين بالمدينة، وكان يلشغ بالراء غينا، فلاقتداره على اللغة وتوسعه يتجنب الوقوع في لفظة فيها راء، وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال، طرده الحسن من مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فانضم إليه عمرو، واعتزلا طقة الحسن، فسموا المعتزلة، مات سنة احدى وثلاثين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥ رقم ٢١٠ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٥٢/١ .

(٣) موضع قريب من مكة، اعتمر منه النبي صلى الله عليه وسلم، يخفف ويثقل.

جامع الأصول لابن الأثير ١٥٨/٢ .

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". (١)

وكذلك عموم الفرق والانحرافات في الحقيقة إنّما تبدأ في ذهن ونفس شخص أو أشخاص معدودين، ثم بفعل دعوتهم وتأثيرهم على الجماهير، تنتقل عدواهم وانحرافاتهم، وتستشري بين الناس دون تمحيص منهم وسبر لأصل المقالة ومدى قربها أو بعدها عن الحق والمواب.

(١) صحيح سنن ابن ماجه ٣٤/١ رقم ١٤٢، وقال الشيخ الألباني : صحيح .

المطلب الثاني : تخطيط وسط معادي لنشر الفكر المغالي :

وإذا أردنا أن نوضح ذلك بنموذج صارخ، فإننا بالضرورة نقف على مكائد اليهود، ونمثل له بما قام به عبدالله بن سبأ، اليهودي الأصل، الذي أسلم زمن عثمان - رضي الله عنه - ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم(١)، فكان "أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي - رضي الله عنه - ومنه انشعبت أصناف الغلاة".(٢)

وقبلت طائفة من المسلمين ما كان ينشره من سموم الغلو والانحراف حتى تطور الأمر، وقال لهم: "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل: (إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)(٣)، فمحمدا أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة(٤)"(٥).

وأخذ الانحراف في الزيادة، وولدت الانحرافات انحرافات جديدة، كلها في الغلو، يقول ابن حزم بخصوص سلوك الكفار مسلك الدس وإظهار الإسلام: "فأروا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستشناع ظلم علي

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤/٤٨٠ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٧٤ .

(٣) سورة القصص، آية ٨٥ .

(٤) وهي رجعة أئمتهم الذين يعتقدون بعصمتهم، فلا يجوز أن يموت أحدهم حتى

يرجع إلى الدنيا. انظر: الملل والنحل ١/١٤٧ .

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٨٠ .

رضي الله عنه، ثم سلخوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام". (١)
فابن سبأ "كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم
بتأويلاته" (٢) الفاسدة، ويزرع بينهم بذور الغلو، لكي ينحرف المسلمون عن
دينهم الحق بهذه الأساليب الخبيثة بعد أن عجزوا عن مجابته، لعدالته ووضوحه
وحجته القوية المقنعة.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ١١٥/٢ .

(٢) الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الإسفرائيني،

التميمي (ت ٤٢٩هـ) ص ٢٣٥ . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار

المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

المطلب الثالث : انعدام الحرية :

لاشك أن الكبت وإن أسكت الأفواه فترة إلا أنه بالضرورة يوجب النار ويقربها من الفتيل، وَيُنَمِّي كوامن السخط لدى الجماهير، ونتيجته الحتمية هي الانفجار، والتعبير عن السخط، وعدم الرضا بصورة عنيفة قوية .

ففي بيئات كتمت أفواه الشباب المنادي بدينه الحق، وعلى أرضه وأرض أجداده الإسلامية، ومنع من حرية الكلمة والجهر بما يدين به لمولاه ويعتبره دينه الإسلام عبادة يجب أن تعلن على الملأ وتنتشر في الآفاق، ويتوافق هذا السلب للحرية في مجرد الكلمة والإعلان، مع السماح وتوفير مطلق الحرية لكل من سواه من الناعقين الملحدين والمخنثين والمنحطين والمأجورين، وأصحاب كل مبدأ باطل، حتى يتجرأ أحدهم أن يكتب على أرض إسلامية وبين شعوب مسلمة أن السلف الصالح رجعيون، ومن يدعو إلى العودة لحكم السلف الصالح ومناهجهم إنما يدعو إلى الرجعية وعودة عقارب الساعة إلى الوراء، ويعلن آخر - وبكل جرأة - أن زعيم الصين (ماوتسي تونج) يجب أن يكون ضمن العشرة المبشرين بالجنة . وآخر يقول: إن اليهود في الجنة بحكم القرآن. (١)

فحين يسمح لهذه المقالات وغيرها بالصدور، بل وبالصدرة في النشر، ولا يجد أصحاب الحق الشرعي من المسلمين سبيلا للدفاع ومقابلة الكلمة بالكلمة إلا في مجالات محدودة الانتشار، وعلاوة على ذلك تدفع مواخير الفساد من وسائل الإعلام ليلا ونهارا، صباحا ومساء، جرعات متتالية لا تعرف التوقف من شتى ألوان الفساد

(١) انظر: الحكم وقضية تكفير المسلم، للمستشار سالم البهنساوي ص٢٧٥،

المزخرف، والانحلال والفجور المزين، تمكيننا للباطل والانحلال الفكري والخلقي،
بدرجة لا يستطيع المرء أن يتحاشاها، فهي تغزوه في عقر داره، ومحل عمله
ودراسته، فترهق الأعصاب، وتتعب الأجساد، وتجعل القلب في ضيق واضطراب.

كل ذلك، والوحيد الذي حرم من حرية التعبير والكلام: المسلم، صاحب الأرض
والدار، ونتيجة ذلك ولا شك الانفجار والتعبير عن عدم الرضا، وعن السخط بقوة
تساوي قوة الباطل الممكن والمحمي، وهذا التعبير القوي لا شك كذلك أنه في
كثير من أحيانه لا يملك توازنه، ويكون إلى التطرف والغلو أقرب ما يكون.

المطلب الرابع : التعذيب :

إنّ الوسائل الوحشية التي اتبعتها بعض السلطات تجاه أصحاب الفكر الإسلامي من أهم عوامل ظهور فكر التكفير(١) في العصر الحاضر، حيث تفننت هذه السلطات في الظلم والاضطهاد والتعذيب وهتك الأعراس، وعمليات غسل المخ، والحرب النفسية، ونفذت من مختلف أنواع التعذيب والقتل البطيء ما يعجز عن حصره وتعمداده القلم، ونوضح ذلك بمثال للبيان والإيضاح على لسان أحد الذين نالهم قسط من ذلك العذاب، يقول:

"دخلت السجن الحربي، وفوجئت بمايسترو(٢) التعذيب (صفوت الروبي) ممسكا بكرباج، وحوله ثلاثة أشبه بعمالقة القرون الوسطي، كل منهم ممسك بكرباج، وأحاطوا بي، وفي شبه دائرة.. وبدأوا ينهالون علي بالكرابيج(٣) حتى سقطت من شدة الإعياء .. وأسعفتني العقيد طبيب حاليما ماجد حمادة، ثم حملوني إلى زنزانة مظلمة تماما .. وألقوني في داخلها .. ورفعت عيني إلى سقف الزنزانة ومرخت "يا رب"، وفوجئت بالسياط تنهال علي، وصوت أحد الجنود يردد : "أنت تقول: يا

(١) انظر: الحكم وقضية تكفير المسلم، للمستشار سالم البهنساوي ص٢١ .

وانظر: الأصولية في العالم العربي، تأليف: ريتشارد هربر كمجيان، ترجمة وتعليق: عبدالوارث سعيد ص٦١، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، حيث يقول:

"يأتي الاتجاه التأمري كنتيجة لقمع الدولة للجماعات والمنظمات الإسلامية".

اهـ.

(٢) كلمة أجنبية، تعني قائد الفرقة.

(٣) كلمة مصرية، تعني العمي .

ربّ؟! هنا ما فيش ربنا، وإن جه حنطه جنبك في الزنزانة". (١) كبرت كلمة
قالها هذا المجرم الأثيم .

إن كان قائل تلك العبارة قد كفر بقوله، إلّا أن الأمر تطور بعد ذلك عندما
أخذ المعتبون بدراسة سبب ما يلاقونه من عذاب، ولا جرم لهم إلّا الدعوة إلى دين
الإسلام، ومع سكوت الناس على هذا الظلم النازل بهم، أخذوا في هذا الجو
المضطرب يدرسون الوضع، ويمدرون الأحكام على الناس بالتكفير، فسقطوا في هذا
الإنحراف، وغلوا في نظرتهم إلى الناس وحكمهم عليهم، وكان مبعثه ما لاقوه من
أذى وتنكيل، فكان فكر التكفير الذي مثلته "جماعة المسلمين" الذين عرفوا
إعلامياً بـ "جماعة التكفير والهجرة" نتاجاً لذلك التعذيب والاضطهاد البدني
والنفسى، الواقع بالمسجونين ظلماً وعدواناً. (٢)

وهذا الاضطهاد والظلم هو الذي أوجج كذلك نار الغلو في التشيع، عند مقتل

الحسين بن علي رضي الله عنهما. (٣)

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر: الحكم وقضية تكفير المسلم، ص ٢٦٠ وما بعدها.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ٢٠٢/٥ .

* للزيادة انظر:

- مصر والارهاب، لمصطفى الحريري، مركز الدراسات الإسلامية - بريطانيا.

- أيام من حياتي، لزينب الغزالي.

الفصل الثالث

علاج الانحراف

تمهيد :-

سنتناول في هذا الفصل - باذن الله - الخطوات العملية التي يرى الباحث في اتباعها إحياء لوسطية الأمة الإسلامية، وعلاجا للانحراف الذي أصاب قطاعات عديدة من أفراد الأمة فأبعدهم عن المنهج الوسط، وأخرجهم عن الجادة والمراط المستقيم، إلى السبل المعوجة غلوا وإفراطا حيناً، وتفريطاً وتسبياً حيناً آخر.

وهي قواعد عامة تحدد المنهج في إعداد الأمة الوسط، المنهج الذي بينه المولى عز وجل في كتابه الكريم، أو أرساه نبي الرحمن - صلى الله عليه وسلم - وربى أصحابه عليه، وتركه منهاجاً راسخاً للأجيال اللاحقة إذا أرادت أن تلحق بذلك الركب المبارك الذي مَثَّلَ الوسطية الإسلامية خير تمثيل، فسعد وأسعد البشرية معه، وانحرفت الأمة عنه حيناً فشقيت، وشقيت معها البشرية.

أولاً : الحكم بما أنزل الله تعالى :

إنّ أساس الداء ومحضن الانحراف، والتريبة الخصبه للانحرافات المتنوعة عن منهج الإسلام الوسط، إنما هو الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وإنّ العلاج لجميع الانحرافات إذا أريد أن يكون علاجاً جذرياً شاملاً أميلاً، كان من الواجب بذل قصارى الجهد، والغالي والنفيس لهداية المسلمين، وتحكيم شرع الله، فما الانحرافات في مجملها إلاّ ثمرات مرّة نبتت من أصل تلك الشجرة الخبيثة.

إنّ الحكم يمثّل الرأس من الجسد، ويمثّل الربان في السفينة، ولا شك أن السفينة يتحكم في وجهتها الربان، وأن الجسد يتلقى الأوامر من الرأس، فالحاكم بيده دفة سفينة الأمة، فمتى ما كان مستقيماً ممثلاً تمثيلاً حقيقياً للدين الحنيف ومنهج الإسلام الوسط، فإنه بطبيعة الحال يسير بالأمة نحو وسطيتها، ويهيئها للقيام بدور الشهادة على العالمين، وهذه حقيقة لا يمكن أن يماري فيها إنسان، فإنّ في استقامة الحاكم استقامة الأمة، وجهاز الحكم أخطر جهاز في الدولة لما يستترتب عليه من إصلاح أو إفساد في حالتي الاستقامة والاعوجاج، وهي الحقيقة التي أشار إليها المديق - رضي الله عنه - لصية (١) بنت أبي حية، حيث "قالت: دخل علي رجل بالظهيرة، قلت: يا عبدالله ما حاجتك؟ قال: أقبلت وصاحب لي في بغاء إبيل لنا، فدخلت أستظل بالظل وأشرب من الشراب، فقممت إلى ضيحة (٢)

(١) حية بنت أبي حية: صحابية، ليس لها ذكر في كتب تراجم الصحابة إلاّ قمتمها هذه مع المديق رضي الله عنه. انظر: الإصابة ٥٩٤/٧، رقم (١١٠٧١)، أسد الغابة ٤٣٣/٥.

(٢) الضيَّاح والضيَّح بالفتح: اللبن الخائثر، يُصَبُّ فيه الماء ثم يُخَلط. النهاية ١٠٧/٣.

حامضة، ولبيّنة(١) حامضة فسقيته، وقلت: يا عبدالله من أنت؟ قال: أنا أبو بكر صاحب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي سمعت به. قالت: فذكرت خشعما، وغزو بعضنا بعضا في الجاهلية، وما جاء الله من الألفة وأطناب الفساطيط هكذا، وشبك بين أصابعه، قالت: فقلت: يا عبدالله، حتى متى أمر الناس هكذا؟ قال: ما استقامت الأئمة. قالت: قلت: وما الأئمة؟ قال: ألم تري إلى الحوى(٢) يكون فيه السيد يتبعونه ويطيعونه ما استقام أولئك"(٣).

واستقامة الحاكم استقامة للأمة، وهذا من جانبين:

الأول : أنه يسير في استقامة فتسير الأمة خلفه، فلا يشرع لها سبل الانحراف، بل يهديها إلى سبيل الرشاد، ويحببها في الخير والصلاح، فتسير الأمة وتقتدي بأمرائها وقادتها، وهذا ما بينه الصديق رضي الله عنه.

والثاني: أن الحاكم المستقيم يقف في وجه الانحراف إذا حصل في الأمة، ويقاوم بشتى السبل لإبطال الباطل وإظهار الحق، مهما تنوعت الانحرافات، ومهما تعددت في خطورتها، وهذا واضح جلي في موقف الحاكم المستقيم المتمثل في الصديق رضي الله عنه، وفي الانحراف الذي وجد سبيله في الأمة متمثلا في المرتدين ومانعي الزكاة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبو بكر - رضي الله عنه - بعده، وكفر من كفر

(١) اللَّبِّيَّة: الطائفة القليلة من اللبن، واللَّبِيَّة: تصغيرها. النهاية ٢٢٨/٤ .

(٢) الحواء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء. النهاية ٤٦٥/١ .

(٣) المستدرك للحاكم ٤/٤٥٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه

من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟" قال أبو بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة من حق المال، ووالله لو منعوني عناقاً (١) كانوا يؤدونه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال عرفت أنه الحق". (٢)

فسدّ المديق بوقفته تلك باباً واسعاً للانحراف في الأمة، وكان من الطبيعي أن ذلك الانحراف لو تمكن من الأمة لانفتحت بسببه أبواب لا عداد لها.

فعلى علماء الأمة ومفكريها وأصحاب الرأي فيها أن يولوا أمر الحكم بما أنزل الله كل ما يستحق من طاقة، ومن بذل وعطاء، ومن عمل دائم متواصل، وألا يبتخلوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس من المال والجهد والفكر والوقت، وأن يبذلوا بذلاً سخياً متواصلاً لأجل الوصول إلى الهدف وإنقاذ البشرية مما وقعت فيه من درك الشقاء. (٣)

(١) هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. النهاية ٣/٣١١ .

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٤٤٩/١، رقم ٢١٦، قال المحقق: إسناده

صحيح. وانظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٢٤٦، رقم ١٨١٧ .

(٣) انظر: كلمة الحق، بقلم العلامة أحمد محمد شاكر (١٢٠٩-١٣٧٧هـ) ص ٥٠،

تقديم عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - دار الكتب السلفية.

ثانياً : إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة :

إنَّ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمطت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلاَّ يوم التناد". (١)

وقد حصر المولى عز وجل الفلاح فيمن اتصف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عز من قائل: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون). (٢)

بل قيّد المولى - عز وجل - خيرية هذه الأمة بقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال سبحانه: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). (٣)

"فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء والمدح

(١) إحياء علوم الدين ٣٠٦/٢ .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٤ .

وللوقوف على حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل هو فرض عين أم فرض كفاية، انظر: تفسير ابن كثير ٧٥/٢، زاد المسير لابن الجوزي ٤٣٤/١، روح المعاني للألوسي ٢١/٤، التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧٧/٨، تفسير

المنار لرشيد رضا ٢٦/٤ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٠ .

لهم". (١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "شرط في الخيرية، وهذا المعنى مروى عن

عمر بن الخطاب". (٢).

فقوله تعالى: (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) "كلام مستأنف، والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول: زيد كريم يطعم الناس ويكسومهم ويقوم بما يصلحهم، وتحقيق الكلام أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف، فهنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطاعات، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات". (٣).

فالمسلمون "خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك، ولهذا قال مجاهد: إنهم خير أمة على الشرائط المذكورة في الآية، وهذا يقتضي أن يكون "تأمرون" وما بعده في محل نصب على الحال، أي: كنتم خير أمة حال كونكم آمرين ناهين مؤمنين بالله بما يجب عليكم الإيمان به من كتابه ورسوله وما شرعه". (٤).

"إنّ صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنّ صلاح المعاش

(١) تفسير ابن كثير ٨٦/٢ .

(٢) زاد المسير ٤٤٠/١ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٩١/٨ .

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣٧١/١، وانظر: تفسير المراغي ٢٦/٤ .

والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". (١)

ولا بد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من "العلم، والرفق، والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده". (٢)

"وليعلم أن الأمر بهذه الخصال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يوجب صعوبة على كثير من النفوس، فيظن أنه بذلك يسقط عنه، فيدعه؛ وذلك مما يضره أكثر مما يضره الأمر بدون هذه الخصال أو أقل؛ فإن ترك الأمر الواجب معصية، فالمنتقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنار". (٣)

إن بقاء الخير والشر في إحساس المؤمن واضحا دون لبس أمر في غاية الأهمية والخطورة، لذا يقول صلى الله عليه وسلم: " . . من سرتَه حسنته وسأته سيئته فذلك المؤمن". (٤)

وهذا "كلام فصيح صحيح بليغ، وذلك أن من لم ير الحسنه فائده، ولا المعصية آفة، فذلك يكون من غفلة، فهو إيمان ناقص، أو من استهانة بالحاليين وذلك

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٠٦/٢٨ .

(٢) المرجع السابق ١٢٧/٢٨ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سنن الترمذي مع شرحه عارضة الأهودي ٩/٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن

صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد

روي هذا الحديث من غير وجه، عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أعظم، فإنه يسهون عظيماء، ويغفل عما لا يغفل الله عنه، فالمؤمن يرى ذنبه كالجبل العظيم عليه، والكافر يراه كذباب مر على أنفه فدفعه". (١)

وإنّ تغيير الحال وعدم اعتبار المعروف معروفا والمنكر منكرا لدليل على خراب الدنيا وقرب الساعة، كما بين - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: "لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله عز وجل شريطته" (٢) من أهل الأرض، فيبقى عجاج لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا". (٣)

لذلك نسي - صلى الله عليه وسلم - دخول "المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره" (٤)، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما، فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه". (٥)

فالسكوت عن الانحراف تقرير ضمنى للانحراف، وإماتة للحق في النفوس، وكل ذلك يهيء الجو لتمكن الباطل والانحراف في المجتمعات، ويسوغ للنفوس الضعيفة

(١) عارضة الأهودي ١٢/٩ .

(٢) يعني أهل الخير والدين، والأشراط من الأضداد، يقع على الأشراف والأردال، قال الأزهري: أظنه شرطته: أي الخيار. النهاية في غريب الحديث ٤٦٠/٢.

(٣) المستدرک للحاکم ٤٣٥/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ان كان الحسن سمعه من عبدالله بن عمر. ووافقه الذهبي.

(٤) إحياء علوم الدين ٣٠٩/٢ .

(٥) المغنبي عن حمل الأسفار في الأسفار ٣٠٩/٢، وقال العراقي: أخرجه الطبراني بسند ضعيف، والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن.

تقبل الانحراف وعدم الاستنكار، وتسقط مهابة الأختيار من أعين الأشرار فلا يخافونهم. (١)

أما عند الإنكار - وإن لحق الضرر بالمنكر - فالحق أنه في هذا إحياء للأمر في نفوس المسلمين، وتنبيه للغافلين، وفتح للأعين.

وإن كانت أقوال أهل العلم قد تباينت في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين قائل بفرض العين، وقائل بفرض الكفاية، فإنه قولاً واحداً لا يجوز النزول عن درجة إنكار القلب، فهي أضعف الإيمان، يقول عليه الصلاة والسلام: "من رأى منكراً فغيره بيده فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء، وذلك أضعف الإيمان". (٢)

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا، وكرامته لهذا: موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكرامته الشرعيين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته؛ فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد قال: (فاتقوا الله ما استطعتم) (٣) فأما حب القلب وبغضه، وإرادته وكرامته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة؛ لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان". (٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم: " "وذلك أضعف الإيمان" يحتتمل أن يشار إلى

(١) إحياء علوم الدين ٣٠٨/٢ .

(٢) صحيح سنن النسائي ١٠٣٠/٢، رقم ٤٦٣٦، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) سورة التغابن، آية ١٦ .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣١/٢٨ .

الرجل القائم به، ويكون بياناً للرجل نفسه، والمعنى على هذا: أن هذا الذي اكتفى بإنكار القلب أضعف الإيمان، ويحتمل أن يشار إلى هذا الإنكار القلبي، والمعنى أن هذا الذي فعله من إنكار القلب أضعف مراتب الإيمان". (١)

"وإنكار القلب: هو الإيمان بأن هذا منكر، وكرامته لذلك، فإذا حصل هذا كان في القلب إيمان، وإذا فقد القلب معرفة هذا المعروف، وإنكار هذا المنكر، ارتفع هذا الإيمان من القلب، وأيضا فقد يستغفر الرجل من الذنب مع إصراره عليه، أو يأتي بحسنات تمحوه، أو تمحو بعضه، وقد تقلل منه، وقد تضعف همته في طلبه إذا علم أنه منكر". (٢)

فالامر خطير، فالمؤمن إن عجز عن الإنكار باليد واللسان، فإنه لا يعذر بأي حال من إنكار القلب، ويغض وكرامية المنكر، ومتى ما خلا القلب من كرامة المنكر فإنه حكم على نفسه بنقص الإيمان، فعلى المسلمين أن ينتبهوا لما يحيطهم من المنكرات التي عمت وطمت، وألا يجعلوا للغفلة سيلا، ولا لدوام النظر إليها بابا شيطانيا لقلوبهم، تسوغ لهم السكوت باليد واللسان، بل تنزع من قلوبهم كراهيتها والضييق عند رؤيتها، فإن المولى عز وجل عندما ذكر لعن بني إسرائيل على لسان أنبيائها ذكر أن سبب ذلك تركهم للنهي عن المنكر، فقال تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون). (٣)

(١) الكوكب الدري على جامع الترمذي، للكاندهلوي ١٢٤/٣ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٥ .

(٣) سورة المائدة، آية ٧٨، ٧٩ .

وعندما تحدث سبحانه عن المنافقين بين صفتهم التي بها يتميزون، فقال تعالى: (المنفقون والمنفقت بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إِنَّّ المنافقين هم الفسقون). (١)

فدل ذلك على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مريح الإيمان، وأن خلافه وضده أخو الكفر والنفاق، ولذلك قال سبحانه عن المؤمنين: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إِنَّّ الله عزيز حكيم). (٢)

وهي الصفة الأولى التي وردت في الكتب السابقة في تعريف الرسول صلى الله عليه وسلم: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهئهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إمرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون). (٣)

إنّ هذه الفريضة يجب أن تعود في الأمة إذا أرادت علاج الانحرافات والرجوع إلى وسطيتها، على علماء الأمة أن يحيوا هذه الفريضة، ويبينوا معالمها للمسلمين، ويبينوا لهم منزلتها من الدين، وخطورة التفريط فيها، وعلى الأمة أن تعلم أن خيريتها مرهونة بهذه الفريضة، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط لتحقيق خيرية الأمة.

(١) سورة التوبة، آية ٦٧ .

(٢) سورة التوبة، آية ٧١ .

(٣) سورة الأعراف، آية ١٥٧ .

ثالثاً : مخالطة أهل العلم للناس ومعايشتهم وتعليمهم :

إنّ للعلماء في أمة الإسلام شأننا عظيماء، وقد بين - صلى الله عليه وسلم - ذلك بقوله: "إنّهُ ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر". (١)

وقال: "من علّم علماً فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل". (٢)
وبين صلى الله عليه وسلم أن نشر العلم من العمل الباقي المأجور عليه حتى بعد الموت، فقال: "إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علّمه ونشروه..". (٣)

وإذا كان في المال حق وهو الزكاة، فإن في العلم كذلك حق، وهو نشره وبذله وتعليم الناس، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه، إلّا أتى به يوم القيامة ملجماً بلجام من النار". (٤)

فعلى علماء المسلمين وطلبة العلم أن ينزلوا فيخالطوا المسلمين ويعلموهم أمر دينهم مما تعلموه، عليهم أن يشغلوا مكان التوجيه والإرشاد، وأن يسحبوا البساط من تحت أقدام الجهلاء والمنافقين الذين زينوا الباطل للناس بمكرهم، وفتنوا الناس في دينهم، عليهم أن يبينوا الحق للناس، ويكشفوا الباطل ويعرّوه أمام الناس، حتى تكون جموع المسلمين على بيّنة من أمرها، وعلى معرفة

(١) صحيح سنن ابن ماجه ٤٦/١ رقم ١٩٥، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) المصدر السابق ٤٦/١، رقم ١٩٦، وقال الشيخ الألباني: حسن .

(٣) المصدر السابق ٤٦/١، رقم ١٩٨، وقال الشيخ الألباني: حسن .

(٤) المصدر السابق ٤٩/١، رقم ٢١٠، وقال الشيخ الألباني: حسن.

بمقايقة واقعها، يجب أن تنشر طق العلم، وتيسر المعرفة الشرعية لعامة المسلمين.

إنّ عدو العلم كتسمانه، ولا يموت العلم ويظهر الجهل إلّا حين يكون العلم سراً، محكورا على فئة قليلة تتدارسه من أهل العلم، متى مات أحدهم ارتفع معه علمه كما أخبر صلى الله عليه وسلم، وإن بركة العلم وإحيائه في نشره وتعليمه من لا يعلمه، ومدق عمر بن عبدالعزيز عندما كتب إلى أبي بكر (١) بن حزم قائلًا: "انظر ما كان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاكتبه، فإنني خشيت دروس (٢) العلم وذهاب العلماء، ولا يقبل إلّا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وليفشوا العلم، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإنّ العلم لا يهلك حتى يكون سراً". (٣)

وإنّما يرتفع الجهل ويحل العلم بالتعلم، لذا كان ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: "فعلّكم بهذا القرآن فإنّه مأدبة الله، فمن استطاع منكم أن يأخذ

(١) هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنماري، نسب إلى جد أبيه، ولجده عمرو صبة، ولأبيه محمد رؤية، وأبو بكر تابعي فقيه استعمله عمر بن عبدالعزيز على إمرة المدينة وقضاها. فتح الباري ٢٩٧/١ .

(٢) الدال والراء والسين: أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء. فالدرس:

الطريق الخفي. يقال: درس المنزل: عفا. معجم مقاييس اللغة ٢٦٧/٢ .

فدروس العلم: خفاؤه وعفاؤه وذمابه.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٢٩٧/١ .

من مأدبة الله فليفعل، فإنما العلم بالتعلم". (١)

إنَّ بسذل العلم وتعليمه واجب على العلماء، وهي وظيفة الأنبياء، ويجب أن تتوجه العناية إلى جميع قطاعات المجتمع، هكذا كان - صلى الله عليه وسلم - يعلم الصغير والكبير، ويرشد الرجال والنساء، بل عقد - صلى الله عليه وسلم - حلقة للنساء عندما طلبن منه ذلك، فعن "أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار. فقالت امرأة: واشنين؟ فقال: واشنين". (٢)

ورحم الله ربيعة (٣) حيث يقول: "لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه". (٤)

و"مراده الحث على نشر العلم في أهله لئلا يموت العالم قبل ذلك فيؤدي إلى رفع العلم، أو مراده أن يشهر العالم نفسه، ويتمدى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه". (٥)

(١) رواه البزار في حديث طويل، ورجاله موثقون. مجمع الزوائد ١٣٣/١ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢٩٩/١ .

(٣) هو ابن أبي عبدالرحمن، الفقيه المدني، المعروف بريبعة الرأي، بإسكان

الهمزة، قيل له ذلك لكثرة اشتغاله بالاجتهاد. فتح الباري ٢٧٦/١ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٢٧٦/١ .

(٥) فتح الباري ٢٧٧/١ .

إنّ الحقيقة التي يجب ألا تغيب عن الأذهان هي أن أبواق الباطل وشياطين الإنس والجن قد نشروا باطلهم، وأخذوا يزاحمون المسلمين في مواقع التوجيه والإرشاد، وسامم معهم الجهلاء الذين يفتون بغير علم فيضلون ويضلون، وما لم تنزل علماء الأمة ودعاتها المخلصون إلى ميدان الحياة، ومخالطة المسلمين، وأخذ زمام التوجيه والإرشاد إلى المراد المستقيم والنهج القويم، وقيادة الأمة نحو وسطيتها الربانية، فإنّ أبواق الشر وما تبثه من سحوم تنحرف بالمسلمين عن الجادة، ولا مفر من المسؤولية أمام الله تعالى، فإنّ أهل العلم هم وراث النبوة، ومن المحتم عليهم استلام راية الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

رابعاً : عناصر الجانب العلمي التي يجب أن يعتنى بها :

- ١ - صفاء المنبع .
- ٢ - تنقية السنة النبوية .
- ٣ - الأصالة في العلاج .
- ٤ - مخاطبة الناس بما تفهم .
- ٥ - اعطاء القضية من الاهتمام بقدر أهميتها في الشرع .
- ٦ - وضع العقل عند حده الطبيعي .
- ٧ - الأخذ بجميع النصوص الواردة في القضية الواحدة .
- ٨ - تقبل الخلاف .
- ٩ - مراعاة الأحكام الخمسة .
- ١٠ - ربط العلم بالعمل .
- ١١ - التركيز على الباطن .
- ١٢ - رفض الاسلام للغلو .
- ١٣ - التيسير ورفع الحرج .

١ - صفاء المنبع :

لقد سبق أن ذكرنا أن ضابط الوسطية هو كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ونعود نقول في هذا المقام أن الذي يريد أن يصل إلى الحكم الوسط في أي قضية أو أمر، أو أراد أن يعالج أمرا يحسبه انحرافا عن الوسط، - سواء كان هذا الانحراف غلوا وإفراطا، أو كان تفريطا وتسيبا - فإنه من الواجب أن يمضي المنبع الذي يستقي منه حكمه وتصوره، ويقمره على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في ضوء كلام أهل العلم من أئمة الإسلام.

والحق أنه لم يحدث اللبس لدى المسلمين في التصورات والمفاهيم، ووصف المنهج الوسط أحيانا بالغلو، ووصف التفريط تارة بالوسط والاعتدال إلا بعد أن اختلطت الينابيع، وتكررت الروافد، وزاحمت كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - "فلسفة الإغريق ومنطقهم، وأساطير الفرس وتصوراتهم، وإسرائيليات اليهود، ولاهوت النصارى، وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات" (١) الغربية والرأسمالية، وما تحمل من بهرج العلم، ودسائس الاستعمار والاستشراق، أو الشرقية الإلحادية، فعلى الدعاة والمصلحين والأجيال التي تريد أن تنهج النهج الوسط أن تصفي المنبع من جديد، وتتبع توجيهات المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في تحذيره من إقحام مبادئ أخرى مع القرآن والسنة في التلقي، فعن "جابر، أن عمر بن الخطاب أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي صلى الله عليه

(١) معالم في الطريق، سيد قطب، ص ١٧ .

وسلم، قال: فغضب وقال: "أَتَتَهَوَّكُونَ(١) فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده
لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو
بباطل فتمدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن
يتبعني". (٢)

(١) التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية.

المتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير. النهاية ٢٨٢/٥ .

(٢) قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ) ٢٦٨/١،

وقال: إسناده صحيح، تحقيق الدكتور/ مصطفى عبدالواحد، مكتبة الطالب

الجامعي - مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٨٧/٣ مع اختلاف بسيط، وانظر: تفسير

ابن كثير ٢٩٦/٤، مقدمة سورة يوسف لتقف على روايات أخرى في الموضوع.

٢ - تنقيح السنة :

لاشك أن النصوص الشرعية هي الأساس الذي يبني عليه التصور. ومتى كانت هذه النصوص غير صادقة الثبوت عن الشارع، فإن ما يبني عليها بالتالي لا يكون موافقا لمراد الشارع، بل يكون مخالفا له ومنحرفا عن مراده. وإذا كانت آيات الكتاب الحكيم قد أصبحت بمنأى عن عبث العابثين، وتواترت عنه صلى الله عليه وسلم، فإن أيدي العابثين قد امتدت إلى سنته صلى الله عليه وسلم، وذلك لأهداف وأسباب مختلفة، ليس هنا مجال التفصيل فيها، بل يكفي إثبات أن الوضع في الحديث أمر قد حدث وتحقق، ويدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم". (١) وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يحذر من الكذب عليه، ويبين أن ذلك سبب لدخول النار، ولذلك كان المحابة - رضوان الله عليهم - يتحرون في الرواية، ويتثبتون قبل نسبة القول والحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن عبدالله بن الزبير، قال: "قلت للزبير: إنني لا أسمعك تحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما يحدث فلان وفلان، قال: أما إنني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار". (٢) وبناء على ذلك فإنه "يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعا، أو غلب على ظنه وضعه" (٣)، فمن روى حديثا علم أو ظن وضعه ولم يبين

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٧٨/١ .

(٢) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٣٠٥/١ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٧١/١ .

حال روايته ووضعه فهو داخل في الوعيد الذي صرح به - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "من حدث عني حديثا وهو يرى أنه كذب هو أحد الكاذبين". (١)

وبما أنه من المسلّمات بين أهل العلم أن الأحاديث المنسوبة للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - منها ما ليس بصحيح، بل ضعيفا أو مكذوبا، فقد أصبح لزاما على العلماء العاملين والدعاة المصلحين أن يبذلوا الجهد في تنقية السنة المطهرة مما داخلها من أحاديث مكذوبة على المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو ضعيفة النسبة إليه.

ويجب نشر الأحاديث الصحيحة والحسنة التي توافرت فيها الشروط التي اعتمدها أئمة الحديث لقبول الحديث والعمل به، والحفاظ على فكر المسلمين وثقافتهم، وعدم حشوها بما لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم، "ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية حديث أو ذكره أن ينظر، فإن كان صحيحا أو حسنا، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، أو فعله، أو نحو ذلك من صيغ الجزم، وإن كان ضعيفا فلا يقل: قال، أو فعل، أو أمر، أو نهى، وشبه ذلك من صيغ الجزم، بل يقول: روي عنه كذا، أو جاء عنه كذا، أو يُروى أو يُذكر، أو يُحكى، أو يقال، أو بلغنا، وما أشبهه" (٢) من الصيغ التي تدل على التضعيف.

ومع ذلك يجب توعية المسلمين وإرشادهم إلى خطورة الأخذ بالروايات التي لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم، لأنه يجعل الإنسان بهذا العمل أحد الأطراف الكاذبة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن رغبتهم يجب أن تنصرف إلى ما

(١) صحيح سنن ابن ماجه ١٢/١ رقم ٣٦، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٢) شرح مسلم للنووي ٧١/١ .

ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - فقط، دون ما لم يثبت، فعن "أبي قتادة قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول على هذا المنبر: إِيَّاكُمْ وكثرة الحديث عني، فمن قال علي فليقل حقا أو صدقا، ومن تَقَوَّلَ عليَّ ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار". (١)

وإذا كانت نصوص السنة قد توافر لخدمتها في زماننا نخبة من أهل العلم، جرى الله مسعاهم كل خير وبسارك في جهودهم، إلا أن الميدان ما زال بحاجة إلى فرسان أولي عزم وهممة، حتى تتضاعف الجهود، وتتكاتف الطاقات، وتتعاون العقول لحفظ السنة، وتنقيتها من عبث الجهال والمخرفين، ذودا عن دين الله، ونشرا لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وحفاظا على أجيال المسلمين من أن تنزل بهم قدم، أو تزيغ بهم فكرة، بسبب الاعتماد على ما لم يصح عنه صلى الله عليه وسلم، إما جهلا بدرجة الحديث، أو جهلا بخطورة الأمر، وجسامة ما يترتب عليه.

(١) صحيح سنن ابن ماجه ١٢/١، رقم ٣٢، وقال الشيخ الألباني: حسن .

٢ - الإمالة في العلاج :

لقد تبين بوضوح عند تناول أسباب الانحراف، أن من الأسباب: العلاج أو تبني الرأي من واقع ردة فعل لطرف آخر.
وبيّننا أن هذا المنهج خطير فيما يؤدي إليه من نتائج، تخالف الواقع، وتجانب الصواب.

وعلى ضوء ذلك فإنه من المحتوم على الذين يريدون علاج أمر من الأمور التي يظنونها انحرافا عن الوسط سواء بالغلو أو التفريط، أن يتوجهوا إلى الكتاب والسنة، بغية الوصول إلى تصور واضح تمليه النصوص حول تلك القضية، وذلك بتجرد كامل، وألا يكون البحث من منطلق تتبع النصوص التي تفند ذلك الرأي، بل تتبع النصوص التي تتناول الموضوع، وتكوين تصور متكامل، قد لا يلتقي مع ما كان في الاعتبار انحرافا، أو قد يلتقي معه في جزئية معينة، فالصواب أخذ هذه الجزئية واعتبارها من التصور الوسط.

فالعلاج يجب أن يكون أميلا متوافقا لما توجيه النصوص الشرعية، ولا تكون نتيجة لانحراف مقابل بسبب ردة الفعل، فإن ردة الفعل منهج غير حكيم، ويتوقف في نتيجته غالبا على درجة الانحراف المقابل.

وهكذا كان منهج السلف - رضوان الله تعالى عليهم - في ردهم على أهل

البدع يلتزمون نصوص الكتاب والسنة، ولا يردون على الانحراف بانحراف. (١)

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٢٩/٥ .

٤ - مخاطبة الناس بما يفهمون :

إنَّ مخاطبة الناس بما يفهمونه ويستوعبونه أمر في غاية الأهمية، ولأهميته
بَوَّب له الإمام البخاري في صحيحه بابا حيث قال: "باب من خص بالعلم قوما دون
قوم كراهية أن لا يفهموا.

وقال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتصون أن يكذب الله ورسوله". (١)
وأضاف ابن حجر في رواية أخرى: "ودعوا ما ينكرون" أي ما يشتهبه عليهم
فهمه". (٢)

"وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة". (٣)
وقال ابن مسعود: "ما أنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان
لبعضهم فتنة". (٤)

إنَّ مراعاة المخاطبين وعدم اشغالهم ذهنيا بما لا يفهمونه، وبما قد تنزل به
أقدامهم أمر خطير يجب ألا يُغفل، فكم من غلو وانحراف حصل بسبب عدم الفهم،
وخاصة فيما يتعلق بمسائل الكلام، وما أثارته الفلاسفة والمتكلمون من الأمور
التي لم توجد في عهده صلى الله عليه وسلم، كمسألة خلق القرآن، إنَّ علماء
المسلمين اضطروا اضطرابا للوضوح في هذه المسألة بعد أن أثارها الفرق
الأخرى، حفاظا على عقيدة المسلمين، أما وقد ولَّى الزمان، والمسلمون في شغل
عنها، فليس من الحكمة إثارتها بينهم وبلبلتهم بها.

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٣٣٧/١ .

(٢،٢) فتح الباري ٣٣٨/١ .

(٤) فتح الباري ٣٣٨/١، وقال الحافظ: رواه مسلم .

إنَّ المسائل العلمية الكلامية وما دار حولها منذ العصور السالفة، إذا اعتبرنا في دراستها وأن عرضها بين أهل العلم مسألة لا غبار عليها، بل مطلوب لمعرفة الحق والصواب فيها، فإن في إشارتها بين عامة المسلمين فتنة وبليلة، تنزل بها الأقدام، وتنحرف بالبعض غلوا دون علم ومعرفة صحيحة، إنَّ الحكمة تملي على أهل العلم المحافظة على عقول المسلمين مما لا يقدر ولا يؤخر، فكيف بما قد يتسبب في انحراف عن الصراط السوي، فالأولى شغل للمسلمين بما يدور في ساحتهم وميدانهم، لصرف طاقاتهم فيما ينفع الإسلام والمسلمين.

٥ - إعطاء القضية من الاهتمام بقدر أهميتها في الشرع :

إنّ من الجوانب العلمية الفكرية البالغة الأهمية لعلاج الانحراف أو الحفاظ على الشخصية المسلمة من الوقوع في الانحراف - غلوا أو تفريطا - إعطاء العقل المسلم جرعات من المعرفة تشمل جميع الجوانب التي اهتم بها الشارع، سواء فيما يتعلق بالجانب العقدي، أو الاجتماعي، أو الروحي، أو الأخلاقي، أو الوعي الفكري السياسي، وما يتعلق بواقع المسلمين حاضرم وماضيهم ومستقبلهم، بحيث تتشكل عقلية متوازنة، تميز بين المهم والأهم، والواجب والأوجب، فتولي الثاني من الاهتمام أكثر من الأول، ولكن دون اهمال لجانب من الجوانب.

إنّ الذي يتتبع آيات القرآن يجد أن المولى عز وجل قد أعطى الجانب العقدي الإيمان، وما يتعلق بالإيمان به سبحانه واليوم الآخر من الاهتمام والعناية أكثر من الجوانب الأخرى.

وكذلك لو نظرنا في آيات الكتاب الحكيم لوجدنا المولى عز وجل قد تناول الوضوء والطهارة في آيات معدودة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الطُّورَةَ وَانْتُمْ سَكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) (١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الطُّورَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فاطهروا وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ

(١) سورة النساء، الآية ٤٣ .

النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا غيظاً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون). (١)

ثم لو أتيننا لنجمع ما قاله المولى عز وجل عن الجهاد وما يتعلق به لوجدنا آيات كثيرة منتشرة في القرآن، بل سور بأكملها تتحدث عن الجهاد، كسورة الأنفال، والتوبة، وسورة القتال (سورة محمد)، والفتح، ورغم ذلك وجد في المسلمين من إذا سمع عن الطهارة اشتد انتباهه واعتبره أمراً من صلب الدين وحري بالاهتمام، وإذا سمع عن الجهاد ولّى ظهره واعتبره أمراً لا يستحق الاهتمام لأنه ليس من الدين، بل من أمور الناس الدنيوية، وهذا خطأ جسيم، وانحراف في الفكر، وتفريط وإهمال لأمر قد اهتم المولى به في كتابه العزيز.

ولو قرأت الآيات القرآنية التي تتحدث عن العلم والفكر، وتحث المسلمين على التعلم والتدبير والتفكير لوجدتها آيات كثيرة متنوعة، ومع ذلك فالمسلمون واقع حالهم يقول بأن العلم ليس من الدين لأنهم في الواقع في مؤخرة الركب في ميدان العلم.

إنّ الذي يركز اهتمامه على غصن في شجرة، ولا يبالي بأصل الشجرة لا شك أنه مطعون في فكره، وإنّ الذي تعلو همته وتتجمع قواه لإنقاذ فرع أو فرعين من شجرة من أيدي العابثين، ثم لا تتحرك فيه شعرة واحدة في مقابل من يريد أن يجنت أصل الشجرة لاشك أنه كذلك مطعون في فكره.

إن تشكيل الفكر المسلم والعقلية المسلمة بحيث تعطي كل قضية قدر مايناسبها من الاهتمام دون زيادة ولا نقصان أمر في غاية الأهمية، حتى لا تتحول

(١) سورة المائدة، آية ٦ .

في شعوره قضايا ومسائل إسلامية فرعية إلى مصيرية، وتستحوذ على طاقاته فيغلو فيها على حساب مسائل أخرى قد أولاهها الشارع من الأهمية الشيء الكثير.

إنّ اتصاف العقلية المسلمة بهذا الاتزان يحفظها من الغلو ويحفظها من التفريط، وهذا من واجبات أهل العلم في عرض المسائل العلمية، فكل مسألة علمية تعرض على طلبه العلم يجب ألا يبالغ فيها ولا يُنقص من قدرها، بل يجب أن يتم عرض المسائل العلمية بموضوعية وأمانة علمية كما بيّنها المولى عز وجل، ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

٦ - وضع العقل عند حده الطبيعي :

إنّ وضع العقل في ميدانه المناسب، وإعماله وإشغاله، وكذلك عدم السماح له باقتحام الميادين التي ليست من اختصاصاته من أهم القضايا الفكرية التي يجب أن يعتنى بها.

فعالم الغيب ليس مجال العقل، ولا يستطيع العقل مهما كان ناضجا أن يفصل فيه، والمسلم طالما آمن بكتاب الله العزيز، وسنة نبيه الكريم، فإنّه من مقتضى هذا الإيمان التصديق بما أخبر.

إنّ الإيمان بالغيب جانب مهم في شخصية المسلم، لذلك بين المولى سبحانه أن القرآن الكريم هدى لمنصف من الناس من موافقاتهم: إيمان بالغيب، واليقين بالآخرة، وأنهم هم المفلحون، فقال: (الْم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَازِبٌ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (١)

فلا مجال للعقل في الخوض فيما يتعلق بذات الله وأسمائه ومفاته، وكل ما يدخل في الغيب، إنّما عليه التلقي من الشارع، والقبول والإذعان والإيمان، والتيقن أن ذلك هو الحق الصّراح لأن مصدره علّام الغيوب. وكذلك لا مجال للعقل في الأمور التي تتعلق بالحياة الدنيا وعالم الشهادة، إذا ورد فيها نص صحيح الثبوت، مريح الدلالة، كآية قرآنية، أو حديث صحيح لا يحتمل إلا معنى واحدا، فما على العقل إلا التسليم والتنفيذ.

(١) سورة البقرة، الآيات ١-٥ .

فمثلا حدد الشارع القدر الواجب إخراجه في زكاة المال، ففي الحديث : "وفي

الرقة (١) رُبْعُ العشر". (٢)

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - حدد الواجب إخراجه بـ ٢,٥٪ ، فما على المسلم إلاّ تنفيذ ذلك، ولا يجوز للعقل أن يخوض في ذلك بحثا عن المصلحة، وأن يقرر مثلا أن المصلحة في بلد قليل الأغنياء كثير الفقراء، زيادة النسبة إلى أكثر من ٢,٥ ٪، وفي بلد كثير الأغنياء قليل الفقراء نقص النسبة إلى أقل من ٢,٥ ٪، ليس هذا مجالا للعقل، على العقل هنا أن يفهم ما معنى "في الرقة ربع

العشر"، وتنفيذه فقط. (٣)

ويبقى للعقل مجال رحب يستطيع أن يصول ويجول فيه، بل يجب عليه ذلك، وذلك الميدان هو فيما يتعلق بأمور الدنيا التي لم يرد فيها نص، بل القرآن الكريم قد وجه العقول إلى التفكير في ملكوته في السموات والأرض، وإلى اكتشاف الخبايا في آفاق السماء وبطن الأرض، يقول تعالى: (قل هل يستوى الأعمى

(١) وهي: الفضة والدرهم المضروبة بها، وأصل اللفظة الورق، وهي الدرهم

المضروبة خاصة، فحذفت الواو وعوض منها الهاء. النهاية ٢/٢٥٤ .

(٢) صحيح سنن أبي داود ٢٩٣/١، رقم ١٣٨٥، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) انظر: فقه الزكاة، للدكتور الشيخ يوسف القرضاوي ١/٢٤٤، الطبعة الأولى،

١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، دار الارشاد - بيروت.

وقد ذهب الدكتور / فضل الرحمن الذي شغل منصب رئيس لجنة البحوث

الإسلامية في باكستان سابقا (في عهد أيوب خان) إلى وجوب زيادة مقدار

الزكاة في هذا العصر. انظر: المرجع نفسه.

والبصير أفلا تتفكرون(١)، (إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لاية لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في
خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا بطلا سبحانك فقنا عذاب النار)(٢)،
(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك
أنه على كل شيء شهيد). (٣)

إنّ الآيات القرآنية التي تتحدث عن السموات والأرض، وتحض العقل المسلم
على خوضها وإعمال الفكر فيها كثيرة جدا.
إنّ العقل عندما يترك ميدانه الحقيقي ويقم نفسه فيما لم يخلق له، يرتكب
عدة أخطاء:

أولا : اقتحامه في مجال ليس من مجاله يؤدي إلى ضياع الجهد، وهو عبث.
وثانيا: يكون معرضا للانحراف والخطأ، لأنه لا يملك ما يعينه على الوصول
إلى الحقيقة.
وثالثا: تعطيل ميدانه الحقيقي الذي يجب أن يصرّف جهده فيه، فيؤدي إلى
تأخره.
رابعا: يكون عالة على الذين صرفوا طاقتهم الفكرية في الميدان الصحيح
فوملوا إلى نتائج صحيحة أعانتهم على الرقي والتقدم الحضاري والسبق في ميدان
الحياة.

(١) سورة الأنعام، آية ٥٠ .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩٠، ١٩١ .

(٣) سورة فصلت، آية ٥٢ .

٧ - الأخذ بجميع النصوص في المسألة الواحدة :

إنّ النصوص الشرعية بمصدريها - الكتاب والسنة - كما قررنا هي النصوص التي يبني وفق توجيهاتها التصور الذي يوافق النهج الوسط، إلا أن الذي نريد أن نوضحه في هذا المقام هو أن المسألة الواحدة قد ترد فيها نصوص عديدة من قرآن وسنة، فهل نستطيع الوصول إلى التصور السليم الموافق للنهج الوسط بالأخذ ببعض تلك النصوص؟

الحق أن ذلك منهج مبتور، وحيثيات لاتستطيع إعطاء صورة متكاملة للموضوع، فالنصوص كما هو معلوم في الأصول منها الناسخ والمنسوخ، ومنها المطلق والمقيد، ومنها العام والخاص، فاجتزاء بعض النصوص دون البعض لايمكن أن يعطي حكماً مائلاً، ولعلنا نستطيع أن نطلق على هذا المنهج بمنهج البتر، ونتيجته خطيرة يصدق عليه النتيجة التي يصل إليها من قرأ قوله تعالى: (فويل للمصلين) (١) ويكتفي، والحق أن هذا النص يوضحه نص آخر، وهي الآية الثانية (الذين هم عن صلاتهم ساهون). (٢)

فالمنهج الصحيح أن يتم الحكم في أمر من الأمور وفق ما يتم التوصل إليه من مجمل النصوص الواردة في الموضوع سواء من القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وعدم الاكتفاء ببعض الآيات أو بعض الأحاديث.

(١) سورة الماعون، آية ٤ .

(٢) سورة الماعون، آية ٥ .

٨ - تربية الأمة على تقبل الآراء المتعددة في المسائل الخلافية :

من المتحقق شرعا وعقلا أن توحيد الآراء ووجهات النظر في كل ما يطرأ بين البشر، من الأمور التي تقف دونها مسلمات كثيرة ليس هنا موضع حصرها، وقد بيّنت النصوص حدوث تنوع الآراء والأقوال في المسألة الواحدة بعد بذل الجهد والفكر من أصحابها، دون أن يعتبر الشارع ذلك أمرا مؤاخذا عليه، بل يفهم من ذكره دون تعليق، إقرارا لهذه الحقيقة واعترافا بها.

ففي قصة داود وسليمان عليهم السلام يقول تعالى: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شُهدين . ففهمنا سليمان وكلا ءاتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين). (١)

"وفضل حكم سليمان حكم أبيه في أنه أحرز أن يبقى كل واحد منهما على متاعه، وتبقى نفسه طيبة بذلك، وذلك أن داود عليه السلام رأى أن يدفع الغنم إلى صاحب الحرث". (٢)

والجمهور على أن "حكمهما كان باجتهاد" (٣)، والمولى عز وجل أشنى على حكم سليمان - عليه السلام - ولم يعب حكم داود عليه السلام، بل قال سبحانه: (وكلا ءاتينا حكما وعلما).

وفي السنة أيضا ما يدل على المنهج نفسه، فعن "عامر (٣) بن ربيعة قال:

(١) سورة الأنبياء، آية ٧٨، ٧٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٢٠٢/١١ .

(٣) المرجع السابق ٢٠٤/١١ .

(٤) ابن كعب بن مالك، أبو عبدالله العنزي، من حلفاء آل عمر بن الخطاب؛ =

كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة، فولى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت: (فاينما تولوا فثم وجه الله) (١). (٢)

فالقرآن الكريم أقر صلاة الجميع، ولم يبطل صلاة أحد منهم، رغم أنه يقينا لم يتوجه الكل نحو القبلة، لكنه أقر صلاة الجميع لاجتهادهم.

ومن أوضح الأمثلة على أصالة هذا المنهج، والذي ينبغي أن يتخذ قاعدة في هذا الباب ما حصل يوم الأحزاب، حيث يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "قال النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب: لا يصليَنَّ أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يعنف واحدا منهم". (٣)

وبغض النظر عن الأخذ بالرأي القائل بأن كلا الفريقين مصيب، بدليل حديث ابن عمر رضي الله عنهما، حيث إنه لو "كان أحد الفريقين مخطئا لعينه النبي

= العدوي، من السابقين الأولين، أسلم قبل عمر، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراء، وكان الخطاب قد تبناه، وكان معه لواء عمر لما قدم الجابية، توفي سنة خمس وثلاثين، قبل مقتل عثمان بيسير. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٣، رقم

. ٦٧

(١) سورة البقرة، آية ١١٥ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ٣/٢١، رقم ٢٢٥٧، وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٥/٢٩٤ .

صلى الله عليه وسلم" (١)، وهذا لم يحدث، أو الأخذ بالرأي القائل إن المصيب أحد الفريقين والآخر مخطئ، وذلك لأن القول "بأن كل مجتهد مصيب يؤدي إلى كون الشيء حلالاً حراماً، وواجباً ندباً" (٢)، وهذا مما لا يعقل، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر". (٣)

وهذا الحديث مع دلالاته على أنه ليس كل مجتهد موافق للمصواب، إلا أنه أيضاً يوضح أمراً هاماً، وهو أن المجتهد الذي لم يوافق المصواب له أجر اجتهاده.

وعلى الأخذ بقول أن المصيب في الأمر واحد، فإن في حادثة بني قريظة - مع تركه صلى الله عليه وسلم تعنيف من بذل وسعه واجتهد، وإن لم يكن وافق المصواب - ما يستفاد منه عدم تأثيمه. (٤)

ويستفاد منه أيضاً: "أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية" (٥)، حيث أُخِّروا الصلاة إلى أن خرج وقتها، ولا من أخذ بفقه النمس، حيث "صَلَّتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَفْرُبَ الشَّمْسُ، وَقَالُوا: لَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِخْرَاجَ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٦/١١ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح مسلم ١٣٤٢/٢، رقم ١٥، دار الدعوة - تركيا .

(٤) انظر: فتح الباري ٢٩٥/١٥ .

(٥) الروض الأنف، لأبي القاسم عبدالرحمن بن أحمد بن أبي الحسن الخشعمي

السهيلى (٥٠٨-٥٥٨هـ) ضبط وتعليق: طه عبدالرؤوف سعد، دار المعرفة للنشر

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

الصلاة عن وقتها، وإنما أراد الحث والإعجال، فما عنف أحدا من الفريقين". (١)
قال ابن القيم ما حاصله: "كل من الفريقين مأجور بقصده، إلا أن من صلى
حاز الفضيلتين: امتثال الأمر في الإسراع، وامتثال الأمر في المحافظة على الوقت
ولا سيما ما في هذه الصلاة بعينها من الحث على المحافظة عليها، وأن من فاتته
حبط عمله، وإنما لم يعنف الذين أخرها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر،
ولأنهم اجتهدوا فأخروا لامتثالهم الأمر، لكنهم لم يملوا إلى أن يكون اجتهدهم
أصوب من اجتهاد الطائفة الأخرى". (٢)

ومن المناسب أن نورد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المقام بخصوص ما
يتعلق بالاختلاف الذي لا يذم فيه أحد الفريقين، يقول:

"واختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين
حقا مشروعاً، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - عن الاختلاف، وقال: "كلاكما محسن". (٣)

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة
الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما شرع جميعه، وإن
كان قد يقال: إنَّ بعض أنواعه أفضل.

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف: ما أوجب اقتتال طوائف منهم،
كاختلافهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك، وهذا عين المحرم.

(١) الروض الأنف، للسهيلى ٢٨١/٣ .

(٢) فتح الباري ٢٩٦/١٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٧٣/٥، رقم ٣٧٢٤، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ومن لم يبلغ هذا المبلغ: فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر، أو النهي عنه: ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع: في معنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود والتعريفات، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك، ثم الجهل أو الظلم هو الذي يحمل على حمد إحدى المقالتين، وذم الأخرى.

ومنه ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وذاك قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدا، ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، لكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلامهما حسن في الدين، ثم الجهل أو الظلم: يحمل على ذم أحدهما، أو تفضيله بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية". (١)

ومن جملة ما سبق يتبين أن من منهج الإسلام الوسط المرونة في مسائل الاجتهاد الخلافية القائمة على أدلتها المشروعة، وأن التعصب للرأي في مسائل الخلاف، واعتبار الآراء الأخرى ضربا من الهوس والباطل، أمر لا يقدره الإسلام في منهجه.

ولكي نوضح ذلك بمثال، نبين أقوال الأئمة في مسألة فقهية، تعددت فيها الأقوال، ووسعت النصوص الثابتة ذلك التعدد والاختلاف، وهي مسألة الإسيال.

نستطيع أن نصنف أقوال أئمة الدين في هذه المسألة إلى الآتي:

(١) اقتضاء المراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٧ .

١ - تحريم الإسبال مطلقا : لظاهر النهي عن الإسبال.

ومن هذا الفريق :

١ - شيخ الإسلام ابن حجر، قال: "وحامله أن الإسبال يستلزم جر الثوب، وجر الثوب يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء، ويؤيده ما أخرجه أحمد بن منيع - من وجه آخر - عن ابن عمر في أثناء حديث رفعه: "وأياك وجر الإزار فإن جر الإزار من المظية".

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة: "بينما نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ لحقنا عمرو(١) بن زرارة الأنصاري في طة إزار ورداء قد أسبل، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأخذ بناحية ثوبه ويتواضع لله، ويقول: عبدك وابن عبدك وأمتك، حتى سمعها عمرو، فقال: يا رسول الله، إنني حمش(٢) الساقين، فقال: يا عمرو، إن الله قد أحسن كل شيء خلقه، يا عمرو، إن الله لا يحب المسبل" الحديث".(٣)

"وأخرجه الطبراني - أيضا - فقال: عن عمرو بن زرارة، وفيه: "وضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأربع أصابع تحت ركبة عمرو، فقال: يا عمرو،

(١) والده زرارة بن قيس بن عمرو النخعي، صحابي، وفد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم، وكتب له كتابا ودعا له. انظر: الإصابة ٥٦٢/٢، رقم ٢٨٠١ .

أما عمرو بن زرارة فصحته محتملة. انظر: الإصابة ٦٣٠/٤، رقم ٥٨٢٧ .

(٢) يقال: رجل حمش الساقين، وأحمش الساقين، أي: دقيقهما. النهاية لابن

الأثير ٤٤٠/١ .

(٣) فتح الباري ١٦/٢٢ .

هذا موضع الإزار، ثم ضرب بأربع أصابع تحت الأربع، فقال: هذا موضع الإزار".
الحديث ورجاله شقات، وظاهره أن عمرا المذكور لم يقصد بإسباله الخيلاء، وقد
منعه من ذلك لكونه مظنة". (١)

٢ - الإمام ابن العربي المالكي: قال: "جر الإزار وإسباله حرام متوعد عليه
بالنار". (٢)

وقال: "لا يجوز لرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول: لا أتكبر فيه، لأن النهي
قد تناوله لفظا، وتناول عنته، ولا يجوز أن يتناول اللفظ حكما فيقال: إنِّي لست
ممن يمتثله لأن تلك العلة ليست في، فإنّه مخالفة للشريعة ودعوى لا تسلم له، بل
من تكبره يطيل ثوبه وإزاره". (٣)

٣ - الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا: حيث يقول في تعليقه على حديث للإمام
أحمد: "والمعنى أنه يجوز جعل الإزار إلى عضلة الساق تحت الركبة، ثم إلى أسفل
منه، بحيث لا يجاوز الكعبين، فما جاوز الكعبين فهو في النار". (٤)

ب - التحريم إذا وجدت المخيلة، وإلا فالكراهة :

لأن الإطالة مظنة الخيلاء، ومنفذ يجر إلى الكبر والبطر، ومن هذا الفريق:

١ - الإمام الشافعي، فعنه أن "الإسبال يكون في الإزار والقميمص والعمامة،
وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء، فإن كان لغيرها فهو مكروه،

(١) فتح الباري ١٦/٢٢ .

(٢) شرح الإمام ابن العربي المالكي لسنن الترمذي (المعروف بعارضة الأهودي)
٢٢٢٧/٧، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

(٣) المصدر السابق ٢٣٨/٧ .

(٤) بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ٢٢٥/١٧ .

وظواهر الأحاديث في تسقييدها بالجر خيلاء، تدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء". (١)

٢ - الإمام النووي، يقول: "فالمستحب نصف الساقين، والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم، وإلا فممنوع تنزيه.

وأما الأحاديث المطلقة بأن ما تحت الكعبين في النار، فالمراد بها ما كان للخيلاء، لأنه مطلق فوجب حمله على المقيد". (٢)

ج- التحريم إذا اقترن بالخيلاء :

وذلك للجمع بين النصوص، والأخذ بعلة التحريم وهي الخيلاء، لأن العلة متعلق الحكم ومناطه. (٣)

ومن هذا الفريق:

١ - الإمام البخاري، قال: "(كتاب اللباس)، وقوله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) (٤)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلوا

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ٦٤/١٤ .

(٢) المرجع السابق ٦٢/١٤ .

وانظر: فتاوى الإمام النووي المسمى: المسائل المنثورة، ترتيب تلميذه الشيخ علاء الدين ابن العطار، ص٤٢، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، للإمام سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي ٢٧٩/٣، مؤسسة الطبلي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة.

(٤) سورة الأعراف، آية ٣٢ .

واشربوا، والبسوا، وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة"، وقال ابن عباس: كل ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة". (١)

"عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال: "لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء". (٢)

وقال: "باب من جر إزاره من غير خيلاء" (٣):

"عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

- قال: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقال أبو بكر: يا

رسول الله، إنَّ أحدَ شِقِّي إزاري يسترخي إلَّا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي صلى

الله عليه وسلم: "لست ممن يصنعه خيلاء". (٤)

والإمام البخاري في تبويبه بهذه العناوين إنما يقصد إبراز مذهبه الفقهي

في هذه المسائل، ففقه البخاري في تراجمه.

٢ - الإمام الكرمانى: يعلق على حديث ابن عمر، فيقول: "وفيه أن الجر

المحرّم ما كان للخيلاء، وأما ما لم يكن لها فلا بأس به". (٥)

٣ - أبو الوليد الباجي، يقول: "وقوله صلى الله عليه وسلم: "يجر ثوبه

خيلاء" يقتضي تعلق هذا الحكم بمن جره خيلاء، أما من جره لطول ثوبه لا يجد

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٢/٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ٥/٢٢ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) شرح الكرمانى على صحيح البخاري ٥٢/٢١ .

غيره، أو عذر من الأعذار فإنّه لا يتناولُه الوعيد". (١)

٤ - شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول: "وكذلك اللباس: فمن ترك جميل الثياب، بخلا بالمال، لم يكن له أجر، ومن تركه متعبدا بتحريم المباحات كان آثما، ومن لبس جميل الثياب إظهارا لنعمة الله، واستعانة على طاعة الله، كان مأجورا، ومن لبسه فخرا وخيلاء كان آثما، فإنّ الله لا يحب كل مختال فخور، ولهذا حرم إطالة الثوب بهذه النية، كما في الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله يوم القيامة إليه"، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنّ طرف إزاري يسترخي إلّا أنّ أتعاهد ذلك منه، فقال: "يا أبا بكر إنك لست ممن يفعله خيلاء".

وفي الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "بينما رجل يجر إزاره خيلاء، إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل (٢) فيها إلى يوم القيامة". (٣)

٥ - الإمام الشوكاني، يقول: "وقد عرفت ما في حديث الباب من قوله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر: "إنك لست ممن يفعل ذلك خيلاء"، وهو تصريح بأن مناط التحريم الخيلاء، وأن الإسبال قد يكون للخيلاء وقد يكون لغيره، فلا بد من حمل قوله: "فإنّها من المخيّلة" في حديث جابر بن سليم على أنه خرج مخرج الغالب، فيكون الوعيد المنكور في حديث الباب متوجها إلى من فعل ذلك اختيالا.

(١) المنتقى شرح الموطأ للإمام الباجي ٢٢٦/٧ .

(٢) أي: يفتوس في الأرض حين يخسف به، والجلطة: حركة مع صوت. النهاية

٢٨٣/١ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٣٨/٢٢ .

والقول بأن كل إسبال من المخيلة أخذاً بظاهر حديث جابر ترده الضرورة، فإن كل أحد يعلم أن من الناس من يسبل إزاره مع عدم خطور الخيلاء بباله، ويرده ما تقدم من قوله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر لما عرفت، وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث، وعدم إهدار قيد الخيلاء المصرح به في الصحيحين". (١)

"وأما حديث أبي أمامة فغاية ما فيه التصريح بأن الله لا يحب المسبل، وحديث الباب مقيد بالخيلاء، وحمل المطلق على المقيد واجب". (٢)

قد تبين مما سبق اختلاف أقوال أئمة المسلمين في هذه المسألة، ولا يستطيع إنسان أن يطعن في أحد منهم، لا في عقولهم، فهم ذوو عقول راجحة أهلنتهم أن يجتهدوا في فهم النصوص، ولا يستطيع كذلك أحد أن يطعن في دينهم، فهم أهل الملاح والاستقامة، وقد قبلتهم الأمة أئمة يهتدى بهم، ويسترشد بتوجيهاتهم.

ولا يبقى على المؤمن إلا أن يتشرب روح السماحة، ويتحلى بقبول الاختلاف القائم على الأصول والضوابط الشرعية الصحيحة من كتاب وسنة. (٣)

(١) نيل الأوطار ١٢٧/١ .

(٢) المصدر السابق ١٢٨/١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٥٦/٦، الفقرة الثانية الى ص٦١، لتقف على كلام نفيس في موضوع الخلاف.

٩ - مراعاة الأحكام التكليفية الخمسة :

إنّ الأحكام التكليفية - كما هو معلوم في أصول الفقه - خمسة: الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والمحظور.

١ - الواجب، وهو: "ما أمر به أمرا جازما، وضابطه أن فاعله موعود بالثواب، وتاركه متوعّد بالعقاب، كالصلاة والزكاة والصوم". (١)

٢ - المندوب، وهو: "ما أمر به أمرا غير جازم" (٢)، وضابطه أن فاعله ثوابا، وليس في تركه عقاب.

٣ - المباح، وهو: "ما أذن الله في فعله وتركه غير مقترن بنم فاعله وتاركه، ولا مدحه". (٣)

٤ - المكروه، وهو: "ما تركه خير من فعله، وقد يطلق ذلك على المحظور، وعلى ما نهى عنه نهى تنزيه فلا يتعلق بفعله عقاب". (٤)

٥ - الحرام، هو: "ما نهى عنه نهيا جازما" (٥)، وكان "في تركه الثواب، وفي فعله العقاب". (٦)

(١) مذكرة أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي من ١٠، نشر:

المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

(٢) المرجع السابق من ١٦ .

(٣) المرجع السابق من ١٧ .

(٤) المرجع السابق من ٢٠ .

(٥) المرجع السابق من ٢٢ .

(٦) المرجع السابق من ٢٢ .

إنّ هذه الأحكام الخمسة يجب أن تتضح في ذهن المسلم، حتى يعي ما يدع وما يأتي، وحتى يحكم على الأمور في ضوئها، وحتى يتوجه الامتعام بالمسائل الشرعية حسب موقعها من هذه الأحكام الخمسة، وتنصب الطاقة والجهد بالدرجة الأولى على إتيان الواجب، واجتناب الحرام، ولا يتم صرف الجهد حول المندوبات إتياناً والمكروهات تركاً، ونسيان بعض الواجبات والتفريط فيها، والغفلة عن الابتعاد عن بعض المحرمات، أو التركيز في الدعوة إلى ترك المكروهات وإتيان المندوب، دون الدعوة إلى فعل الواجب وترك الحرام.

وتأتي ضرورة وضوح هذه الأحكام أيضاً من حيث موقعها الشرعي، حتى لا يختلط الواجب بالمندوب في حس المسلم، ولا يفرق بينهما فعلاً، وكذا بين الحرام والمكروه تركاً، وذلك أنه يحدث أحياناً الشطط والغلو في الالتزام بالمندوبات، والابتعاد عن المكروهات مع تضييع الواجبات وارتكاب المحرمات.

إنّ وضوح هذه الأحكام في ذهن المسلم وإحساسه أمر في غاية الأهمية، تجعله يتفاعل مع كل أمر بحسب منزلتها الشرعية، فلا يفرط عند الواجبات ولا يشط عند المندوبات، ويوزن كل أمر بميزان الشرع الدقيق.

١٠ - ربط العلم بالعمل :

"كل مسألة لا ينبغي عليّها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على

استحسانه دليل شرعي؛ وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح". (١)

وفي الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - "أن رجلاً سأل النبي صلى

الله عليه وسلم: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟". (٢)

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أعرض عن صريح السؤال إلى ما يتعلق

بالعمل.

إنّ ما لا ينبغي عليه عمل في الواقع غير مستحسن من عدة أوجه:

"منها: أنه شغل عما يعنى من أمر التكليف الذي طوّقه المكلف بما لا يعنى،

إذ لا ينبغي على ذلك فائدة لا في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الآخرة فإنّه يُسأل

عما أمر به أو نُهي عنه، وأما في الدنيا فإنّ علمه بما علم من ذلك لا يزيد في

تدبير رزقه ولا ينقّمه؛ وأما اللذة الحاملة عنه في الحال فلا تفي مشقة

اكتسابها وتعب طلبها بلذة حصولها، وإن فرض أن فيه فائدة في الدنيا، فمن

شرط كونها فائدة شهادة الشرع لها بذلك، وكم من لذة وفائدة يعدها الإنسان

كذلك وليست في أحكام الشرع إلّا على الضد، كالزنى، وشرب الخمر، وسائر وجوه

الفسق والمعاصي التي يتعلق بها غرض عاجل، فإذا قطع الزمان فيما لا يجنى

ثمرة في الدارين مع تعطيل ما يجنى ثمرة من فعل ما لا ينبغي.

ومنها أن الشرع قد جاء ببيان ما تلح به أحوال العبد في الدنيا والآخرة

(١) الموافقات للشاطبي ٤٦/١ .

(٢) صحيح البخاري ١١٣/٧، دار الدعوة - تركيا .

على أتم الوجوه وأكملها؛ فما خرج عن ذلك قد يظن أنه على خلاف ذلك، وهو مشاهد في التجربة العادية، فإنّ عامة المشتغلين بالعلوم التي لا تتعلق بها ثمرة تكليفية، تدخل عليهم فيها الفتنة والخروج عن الصراط المستقيم، ويثور بينهم الخلاف والنزاع المؤدي إلى التقاطع والتدابير والتعصب، حتى تفرقوا شيعا، وإذا فعلوا ذلك خرجوا عن السنة، ولم يكن أمل التفرق إلاّ بهذا السبب، حيث تركوا الاقتصار من العلم على ما يعنى، وخرجوا إلى ما لا يعنى، فذلك فتنة على المتعلم والعالم.

وإعراض الشارع - مع حصول السؤال - عن الجواب من أوضح الأدلة على أن اتباع مثله من العلم فتنة أو تعطيل للزمان في غير تحصيل.

ومنها أن تتبع النظر في كل شيء، وتطلب علمه من شأن الفلاسفة الذين يتبرأ المسلمون منهم، ولم يكونوا كذلك إلاّ بتعلقهم بما يخالف السنة، فاتباعهم في نطة هذا شأنها خطأ عظيم، وانحراف عن الجادة". (١)

ولقد جاءت من النصوص الشرعية ما دلت "على أن روح العلم هو العمل، وإلاّ فالعلم عارية وغير منتفع به" (٢)، قال تعالى: (أمن هو قننت ۚ اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب). (٣)

فالآية ذكرت من العبادة والعمل أولا - في معرض الثناء على العلم - إياها

(١) الموافقات ٥٠/١ .

(٢) الموافقات ٦٢/١ .

(٣) سورة الزمر، آية ٩ .

بأن العلم الممدوح هو الذي أدى إلى ذلك العمل، وفيه تقرير أن "الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم، ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم". (١)

وقال تعالى في معرض الحديث عن يعقوب - عليه السلام - في سورة يوسف:

"وإِنَّهُ لَخَوْعٌ لِمَا عَلَّمَهُ" (٢)، قال قتادة: "إِنَّهُ لِعَامِلٌ بِمَا عَلَّمَهُ". (٣)

وقال سفيان: "من لا يعمل لا يكون عالماً". (٤)

فالعلم الذي يجب أن يعتنى به هو العلم الذي يثمر عملاً صالحاً، هو العلم الذي يولد في القلب تقوى الله تعالى، أما المسائل التي لا تعدو أن تكون من ترف الفكر، والجدال العقيم، التي لا تثمر عملاً بديناً صالحاً، ولا تقوى في القلب، فإنما هي وبال على الإنسان ومفتاح للخضومة واللجاجة والانحراف. وأيضا فإن المعرفة الذهنية إذا ارتفعت دون أن يترجم صاحبها ذلك إلى عمل، فإنها مع الزمن، تولد اضطراباً في التكوين، وتصرف المعرفة إلى جانب آخر غير العمل، هو الترف الفكري والجدال الذي ما حل في أمة إلا فتحت عليها أبواب الخضومة والانحراف والضياع.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٦/١٥ .

(٢) سورة يوسف، آية ٦٨ .

(٣) تفسير الطبري ١٦٨/١٦ .

(٤) المرجع السابق .

١١ - التركيز على الباطن :

إنّ الإسلام بمنهجه الوسط إنّما تتوجه عنايته إلى المضمون، إلى تغيير الإنسان وإصلاح الإنسان من جوهره وأصله، لذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". (١)

فكان الإسلام في منهجه العقدي "يخاطب فطرة الإنسان" بما في وجوده هو وبما في الوجود حوله من دلائل وإيحاءات ... كان يستنقذ فطرته من الركام، ويخلص أجهزة الاستقبال الفطرية مما ران عليها وعطل وظائفها، ويفتح منافذ الفطرة، لتتلقى الموحيات المؤثرة وتستجيب لها". (٢)

كان يعمل على تغيير القلب وإصلاح الباطن.

وكان في عباداته يركز على المضمون، وعلى إصلاح القلب، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). (٣)

ويبين - صلى الله عليه وسلم - بأن التقوى في القلب لا في المظهر، بقوله:

"التقوى ههنا"، وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرات". (٤)

(١) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٢٠٨/١ .

(٢) معالم في الطريق ص ٤٢ .

(٣) سورة البقرة، آية ١٨٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد ١٥٥/١٤، رقم ٧٧١٣، وقال الشيخ أحمد شاكِر: إسناده صحيح.

ويقول سبحانه: (قد افلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون). (١)

فالله سبحانه وتعالى لا تملئه المظاهر والشكليات إنّما تملئه التقوى، يملئه المضمون، يملئه ما وقر في القلب، يقول تعالى: (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكسبوا الله على ما هدتكم وبشر المحسنين). (٢)

ويقول عليه الصلاة والسلام "إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنّما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم". (٣)

لذلك بين تعالى أنه إنّما يؤاخذ الإنسان بما كسبت قلبه، لا بما صدر منه ظاهراً دون أن يكون له رصيد في القلب، فقال سبحانه: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم). (٤)

إنّ التركيز على المظهر مع الغفلة عن المضمون إنّما هو مسلك السذج الجاهلين، وقد صوبه تعالى لهم، وبين لهم أن العبرة بالمضمون، بالتقوى، فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: "كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكانه عيّر بذلك، فنزلت: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها

(١) سورة المؤمنون، آية ١، ٢ .

(٢) سورة الحج، آية ٣٧ .

(٣) صحيح سنن النسائي ٤٠٠/٢، رقم ٣٣٤٢، وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٥ .

ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها(١)"(٢)، وإنما كانت هذه العادة من عادات الجاهلية. (٣)

ويقول سبحانه: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلوة وأتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون). (٤)

إنّ منهج الإسلام الوسط الذي بينته النصوص الشرعية من آيات قرآنية محكمة واضحة الدلالة، وأحاديث نبوية شريفة، وأرست للأجيال قواعد المنهج النبوي، إنّما هو التركيز على التقوى، على الخشوع، التركيز على عمل القلب، على إصلاح الإنسان من جذوره وباطنه.

أما تحويل العقيدة الإسلامية التي خاطبت الفطرة، وأصلحت الإنسانية إلى جدل كلامي، ومنطق فلسفي، ومعرفة ذهنية، لا تتغلغل فى أعماق القلوب، إنّما هو تفريط فى أمل الموضوع، وانحراف عن منهج الإسلام، وكذلك التركيز فى عبادات الإسلام على

(١) سورة البقرة، آية ١٨٩، وتامامها: (يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون).

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٠٥، دار الدعوة - تركيا .

(٣) انظر: جامع الأصول ٢/٣٠ .

(٤) سورة البقرة، آية ١٧٧ .

مجرد المظاهر، والغفلة عن المضمون، التركيز على الحركات الخارجية، ومرف
الجهد والطاقة فيها، والتفريط بالتقوى والخشوع، إنَّما هو تقصير وانحراف عن
منهج الإسلام الوسط.

فالملاة مثلا، الأمل فيها "ثلاثة أشياء: أن يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله
وعظمته، ويعبر اللسان عن تلك العظمة، وذلك الخشوع أفصح عبارة، وأن يؤدب
الجوارح حسب ذلك الخشوع"^(١)، فإذا انعدم ذلك الخشوع القلبي، بسبب مبالغة
الاهتمام بحركات الجوارح، ومرف الذهن إليها، كان اهتماما بالفرع على حساب
الأصل.

(١) حجة الله البالغة ١/ ٧٢ .

١٢ - رفض الإسلام الغلو في كل شيء :

إنّ الإسلام بمنهجه الوسط يرفض الغلو، ويعتبره انحرافاً عن منهجه، لذلك توجه المولى عز وجل إلى الأمم المنحرفة من أهل الكتاب، وأمرهم بترك الغلو لأنه سبب الانحراف والخروج عن الجادة السوية، يقول تعالى في محكم التنزيل مخاطباً أهل الكتاب: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقُلُوبُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (١)، (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل). (٢)

والمولى عز وجل كما توجه إلى أهل الكتاب أمراً بإيهم بترك الغلو، كذلك الشأن بالنسبة لهذه الأمة، فعلى أئمة الدين وعلماء المسلمين تربية المسلمين على رفض الغلو، وتعليمهم أن الإسلام يرفض الغلو، وأنه خروج عن منهج الله، ومنهجه - صلى الله عليه وسلم - واضح وضوح البدر في الليلة الظلماء، ووضوح الشمس في قارعة النهار، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غداة جميع (٣): هَلَمْ، الْقَطُّ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ

(١) سورة النساء، آية ١٧١ .

(٢) سورة المائدة، آية ٧٧ .

(٣) في رواية أخرى عند الإمام أحمد: غداة العقبة. المسند ٨٥/٥، بتحقيق أحمد

حصيات من حصى الخُفِّ، فلما وضعهن في يده قال: نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين". (١)

"وعن بريدة (٢) الأسلمي - رضي الله عنه - قال: خرجت ذات يوم لحاجة، وإذا أنا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - يمشي بين يدي فأخذ بيدي، فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن بين أيدينا برجل يصلي، يكثر الركوع والسجود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتراه يرأى، فقلت: الله ورسوله أعلم. فترك يده من يدي، ثم جمع يديه فجعل يصوبهما ويرفعهما، ويقول: عليكم هدياً قاصداً، عليكم هدياً قاصداً، عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يشاد هذا الدين يغلِبُه". (٣)

ومع توجيهه - صلى الله عليه وسلم - المسلمين إلى ترك الغلو، فقد كان عليه الصلاة والسلام - ينهج أحياناً الأسلوب العملي مع أصحابه لتربيتهم على ترك الغلو والتعمق في الدين، كما كان في قصة الوصال في الصيام، فعن "أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي في رمضان، فجثت

(١) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ٢٥٧/٣، وقال: إسناده صحيح .

(٢) بريدة بن الحبيب الأسلمي، أسلم حين مر به النبي - صلى الله عليه وسلم - مهاجراً بالغميم، وأقام موضعه حتى مضت بدر وأحد، ثم قدم بعد ذلك، وقيل: أسلم بعد منصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - من بدر، وسكن البصرة لما فتحت، غزا خراسان في زمن عثمان، ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية. انظر: الإصابة ٢٨٦/١، رقم ٦٣٢ .

(٣) رواه أحمد، ورجاله موثقون. مجمع الزوائد ٦٧/١ .

فقمتم إلى جنبه، وجاء رجل آخر فقام أيضا حتى كنا رهطا (١)، فلما حس النبي - صلى الله عليه وسلم - أننا خلفه، جعل يتجوز في الصلاة، ثم دخل رطبه، فملى صلاة لايمليها عندنا، قال: قلنا له حين أصبحنا: أفطنت لنا الليلة؟ قال: فقال: نعم، ذلك الذي حملني على الذي صنعت، قال: فأخذ يواصل (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي، أما والله لو تماد (٣) لي الشهر لواملت وصلا يدع المتعمقون تعمقهم". (٤)

والمتعمقون: هم المغالون "المشدون في الأمور، المجاوزون الحدود في قول أو فعل". (٥)

وهل هناك دليل أبليغ على رفض الإسلام للغلو من قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا هلك المتنطعون" ثلاث مرار (٦)، و"هم المتعمقون المغالون في الكلام،

(١) الرهط من الرجال: ما دون العشرة. وقيل إلى الأربعين، ولا تكون فيهم امرأة. النهاية ٢٨٣/٢ .

(٢) الوصال هو: صوم يوم فصاعدا من غير أكل أو شرب بينهما. شرح النووي على صحيح مسلم ٢١١/٧ .

(٣) بمعنى: مد. شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٤/٧، أي: مد في الشهر فلم ينته.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٤/٧ .

(٥) شرح النووي لمسلم ٢١٤/٧ .

(٦) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ٢٣٩/٥، رقم ٣٦٥٥، قال: إسناده صحيح.

المتكلمون بأقصى طوقهم، مأخوذ من التَّطَع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم
استعمل في كل تعمق قولاً وفعلًا". (١)

فطبيعة الإسلام منافية للتشدد والتَّسَطُّع والغلو، وهو غريب عليه، وسمة الإسلام
الكبرى: الوضوح والبساطة، وعدم التكلف، لا في الكلام، ولا في المعاش، ولا في
العبادة، وإته - صلى الله عليه وسلم - حذر المسلمين من المغالاة لأنها مهلكة.

(١) النهاية لابن الأثير ٧٤/٥ .

١٢ - التيسير ورفع الحرج :

من الخطوط الواضحة في منهج الإسلام الوسط: اليسر ورفع الحرج عن الأمة، وقد جاءت نصوص عديدة صريحة الدلالة في ذلك، مما يجب أن يستوعبه المسلمون، وعلى علماء الأمة تأميلها في شقافة المسلم، يقول تعالى في محكم التنزيل: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكلموا بالعدّة ولتكبروا الله على ما هدنكم ولعلكم تشكرون). (١)

ولأجل ترسيخ هذه القاعدة يقول عليه الصلاة والسلام: "إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحدٌ إلّا غلبه ..". (٢)

فالحديث يصرح أن طبيعة هذا الدين إنّما هو اليسر، وأنه "لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلّا عجز وانقطع فيغلب". (٣)

وأحب الدين إلى الله تعالى يسره، فعن "ابن عباس قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة". (٤)

فما كان من الدين سمحا، أي: سهلا فهو أحب إلى الله. (٥)

(١) سورة البقرة، آية ١٨٥ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ١/١٦٥ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/١٦٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ٢/٢٥٥، رقم ٢١٠٧، وقال: إسناده صحيح.

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/١٦٤ .

ويقوي ذلك ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ

خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ". (١)

ولذلك ثبتت عن أم المؤمنين السيدة عائشة أنها قالت: "ما خَيْرَ رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - في أمرين قط، إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان

إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

لنفسه، إلاّ أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها". (٢)

وإظهاراً لليسر في منهج الإسلام الوسط رفع المولى عز وجل الحرج عن الأمة،

فقال تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الْمَلُوءِ فَاغْسَلُوا وُجُوهَكُمْ

وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا

فَلَطِّعُوا أَرْبَابَكُمْ وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ

النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ). (٣)

والذي يتتبع تفاصيل الدين الحنيف وتشريعاته، وما سنه الإسلام من تيسيرات

ورخص رفعاً للحرج عن الأمة، ليتيقن من أصالة ذلك في منهج الإسلام الوسط.

لذلك نص أئمة الدين في قواعدهم الفقهية على قاعدة: "المشقة تجلب

(١) أورده ابن حجر في الفتح، ونسبه إلى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح من

حديث أعرابي ١٦٤/١. مسند الإمام أحمد ٤٧٩/٣ .

(٢) موطأ الإمام مالك ٩٠٢/٢، رقم ٢، دار الدعوة - تركيا .

(٣) سورة المائدة، آية ٦ .

التيسير" (١)، التي استنبطوها من جملة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، و"القاعدة الفقهية تعتبر دليلاً يحتج به إذا كان لها أصل من الكتاب أو السنة". (٢)

وإنّ هذه المعاني والمفاهيم من الضرورة بمكان للفكر المسلم المستنير لكي ينهج النهج الوسط، ويعلم علماً يقيناً أنّ المولى عز وجل يحب من الدين ما كان سهلاً سمحاً رقيقاً، وإن كان الدين كله محبوباً لدى المولى عز وجل، إلّا أنّه في تخصيص الصنيفة السمة بالذكر، بيان وإيضاح لأفضلية ما اتسم بالسماحة والرفق.

ومن تيسير المولى عز وجل أنّه لا يكلف هذه الأمة فوق طاقتها، يقول تعالى:
(لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو اخطانا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين). (٣)

(١) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، لجلال الدين عبدالرحمن بن

أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) ص ١٦٠، تحقيق محمد المعتم بالله البغدادي -
دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) القواعد، تأليف أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ (ت ٧٥٨هـ)

تحقيق ودراسة: أحمد بن عبدالله بن حميد، ١١٦/١، من كلام المحقق، مطبوعات
جامعة أم القرى - مركز احياء التراث الاسلامي - مكة المكرمة.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٨٦، وانظر: الأعراف، آية ١٥٧ .

خامسا : الإيجابية والرفق في العلاج :

إنَّ المستتبع لسيرته - صلى الله عليه وسلم - بغية الوقوف على منهجه - عليه الصلاة والسلام - في التعامل مع الانحرافات عن المنهج الوسط التي تحصل عند بعض المسلمين، ليصل إلى نتيجة يقينية، وإلى منهج واضح في هذا الأمر، وهو منهج ذو شقين:

أولا : الإيجابية في العلاج، فهو - صلى الله عليه وسلم - لا يقابل الانحرافات بسلبية ولا مبالاة اعتمادا على الزمن فقط كعلاج للانحراف، بل نراه - صلى الله عليه وسلم - يتوجه إلى جهة الانحراف بالتوجيه والإرشاد، أحيانا إن لزم بالتوجيه المباشر، وغالبا بالتعميم والتوجيه غير المباشر، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "صنع النبي - صلى الله عليه وسلم - شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب، فحمد الله، ثم قال: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إنني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية". (١)

ومواقفه - صلى الله عليه وسلم - السابقة الذكر مع عبدالله بن عمرو، وعثمان بن مظعون، وأخت عقبة بن عامر، والشيخ الذي نذر أن يمضي إلى مكة على قدميه، وغيرهم كثير، لتدل دلالة واضحة على الإيجابية في العلاج ومجابهة الانحراف.

فالإيجابية في علاج الانحراف بمواجهته وعدم تركه، ومحاولة القضاء عليه بالسلاح الفعال، كدحض الشبه الفكرية ومحاولة إبراز وجه الحق، منهج ناجح دلت

(١) صحيح البخاري ٩٦/٧، دار الدعوة - تركيا .

عليه سيرته صلى الله عليه وسلم، وانتهجه علي بن أبي طالب مع الخوارج، فاستطاع إرجاع الكثيرين منهم إلى دائرة الحق والصواب. (١)

ثانياً: والشق الثاني من منهجه - صلى الله عليه وسلم - في العلاج هو الرفق، والرفق من أكد أطلاق المصلح، متى نزع منه تعطل إصلاحه، لذا يقول عليه الصلاة والسلام: "إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زانه، ولا ينزع من شيء إلاَّ شانه". (٢)

ومواقفه - صلى الله عليه وسلم - التي يتمثل فيها الرفق كثيرة لا تعد ولا تحصى، منها موقفه من أم المؤمنين زينب، وإفراطها في العبادة، لم يزد على أن قال عندما رأى جبل الذي تلمسك به عندما تفتت: "طوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليقعد". (٣)

وكذلك موقفه - صلى الله عليه وسلم - من عبدالله بن عمرو في قصته الطويلة في إفراطه في العبادة وتقصيره في حقوق أهله، أرشده - صلى الله عليه وسلم - إلى الطريق الأرشد الذي لا يضيع فيه الحقوق، لكنه - صلى الله عليه وسلم - مع إصرار عبدالله بن عمرو، ورغبته في العبادة، سمح له - عليه الصلاة والسلام - بإكثار العبادة إلى حد معين، ثم لم يزد على أن قال له: "إنَّك لا تدري لعلك يطول بك عمر". (٤)

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٥/٥ .

(٢) صحيح مسلم ٢/٣٠٤، دار الدعوة - تركيا.

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ٧٢/٦ .

(٤) المرجع السابق ٤٣/٨ .

وكذلك موقفه - صلى الله عليه وسلم - من الشاب الذي جاء إليه طالباً الرخصة في الزنا، فعن أبي أمامة قال: "إنّ فتى شاباً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: "ادنه"، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، فقال: أتحبه لأملك، قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبيه، وطهر قلبه، وحسن فرجه". فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^١.

وفي قصة معاوية (٢) بن الحكم السلمي خير دليل على رفقته - صلى الله عليه

(١) مسند الإمام أحمد ٢٥٦/٥، دار الدعوة - تركيا.

قال الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا في بلوغ الأمان شرح الفتح الرباني

٧١/١٦: سنده عند الإمام أحمد جيد.

وقال صاحب المنار في تفسيره ٣٤/٤: قال الشارح: قال العراقي: رواه

أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أبو عمر: كان يسكن بني سليم، ونزل المدينة، قال البخاري: له

صحة، يعد في أهل الحجاز. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٨/٦، رقم

وسلم - في العلاج، فعنه - رضي الله عنه - قال: "بيننا أنا أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم(١)، فقلت: واشكل أمياه(٢)، ما شأنكم تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتونني(٣) لكني سكت، فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبأي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله! ما كهرني(٤)، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنّما هو التسييح والتكبير وقراءة القرآن"، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٥)

فعلى المصلحين والدعاة والذين يبحثون عن أحكم الطرق في علاج الانحراف - سواء كان تفريطا أو إفراطا - أن ينهجوا نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم،

(١) أي: نظروا الي حديدا كما يرمى بالسهم، زجرا بالبر من غير كلام.

حاشية صحيح مسلم ٣٨١/١، دار الدعوة - تركيا، من كلام محمد فؤاد

عبدالباقي.

(٢) الشكل: بضم الشاء واسكان الكاف ويفتحهما جميعا، لغتان كالبخل والبخل،

كاهما الجوهرى وغيره، وهو فقدان المرأة ولدها، وامرأة شكلى وشاكل،

• وثكلته أمه بكسر الكاف. شرح النووي لصحيح مسلم ٢٠/٥ .

(٣) أي: يسكتونني، غضبت وتغيرت. من كلام محمد فؤاد عبدالباقي، حاشية صحيح

مسلم ٣٨١/١ .

(٤) أي: ما انتهرني. شرح النووي لصحيح مسلم ٢٠/٥ .

(٥) صحيح مسلم مع شرح الإمام النووي ٢٠/٥ .

ويستحلوا بالإيجابية في العلاج، والنزول إلى الناس، والاحتكاك المباشر بهم،
لمداواة جروحهم وأخطائهم وانحرافاتهم، وأن يتحلوا بأخلاق الأنبياء والرسل،
وأن يكونوا أطباء للجروح، رفقاء في لمسهم وعلاجهم، وألا يكونوا جزارين يقطعون
من الجسم ما يرونه فاسدا دون حساب أو اعتبار لالتئام الجرح بعد ذلك.

سادسا : إيجاد المحاضن الصالحة :

يقول تعالى وقوله الحق: (والعصر . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ). (١)

بين سبحانه في هذه السورة أن الذين يستثنون من الخسران هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، الذين يتواصون بالحق، ويصبرون أنفسهم عليه، فيشد بعضهم أزر بعض حتى لا يضعف الحق في نفوسهم بسبب تأثير الانحرافات المحيطة، والتي قد تفسد الإنسان وتجرفه وتنحرف به عن الجادة، ولا شك أن التواصي بين أي مجموعة من الناس يحتاج إلى زمان ومكان.

إن المتتبع لسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للوصول إلى منهجه وطريقته - عليه الصلاة والسلام - في إرساء دعائم منهج الإسلام الوسط بين الأفراد ومن ثم تكوين الأمة الوسط، ليقف على حقيقة في غاية الوضوح، وطريقة من أحكم الطرق، هي إيجاد محاضن صالحة تنمو فيها الوسطية بين الأفراد، وتتعمق في نفوسهم، وتحفظهم من التأثر بالانحرافات المنتشرة في المجتمع.

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - في العهد المكي ما كان يبليغ دعوته ويلقي

التعليمات ويترك الناس، بل كان يجمعهم في محض صغير في دار الأرقم (٢) بن

(١) سورة العصر.

(٢) ابن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي، من السابقين

الأولين، اسم أبيه عبد مناف، شهد بدرًا، وقد استخفى النبي - صلى الله

عليه وسلم - في داره، وهي عند الصفا، كان من عقلاء قريش، عاش إلى دولة

معاوية، استعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصدقة، توفي سنة =

أبي الأرقم، يتواصون بالحق، ويصبرون أنفسهم عليه، ويشد بعضهم أزر بعض، إلى أن جاء العهد المدني، فتمثل المحض في دولة الإسلام ومؤسساتها، وكان من هذه المؤسسات بيوت الله، فقد كان من أوائل أعماله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة بناء المسجد كملتقى للمسلمين، سواء في قباء (١)، أم في داخل المدينة المنورة (٢)، ومن ثم المؤاخاة (٣) وتجميع القلوب للمؤازرة، وبالتالي أصبح المحض الذي يتلقى فيه المسلمون منهجهم الوسط إنما يتمثل في دولة الإسلام، من خلال الرجال المؤمنين الصادقين من رعية الدولة.

أما الزمان قد دار، والوضع قد تغير، وأصبحت دول الإسلام وديار المسلمين تعج بأنواع الانحراف والفساد، وأصبحت مؤسسات تلك الدول في عمومها إما تنمي الانحراف غلوا وتفريظا، أو تغض الطرف عنه، فنظريا مهما نادي المصلحون ونشروا منهج الإسلام الوسط، فإن عدم وجود المحاضن الصالحة التي تتولى البذرة، وتنمي الفرس، يعرض الأفراد أثناء تواجدهم في المحاضن غير الصالحة المنحرفة المنتشرة في أرجاء الدول، للتأثير المعاكس والانحراف، ومن هنا كان لزاما

= ثلاث وخمسين، وله ثلاث وثمانون سنة، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص بوصيته له. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٧٩/٢، رقم ٩٦ .

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (ت ٧٧٤ هـ)، ١٩٤/٣، تدقيق وتحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب عطوي، أ. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. علي عبدالساتر. دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢١٢/٣ .

(٣) انظر: المرجع السابق ٢٢٤/٣ .

لنمو الوسطية الإسلامية من محاضن صالحة، قد تتنوع صورها ولكن يتحد هدفها، وهو رعاية منهج الإسلام الوسط لإنشاء وإقامة الأمة الوسط، وقد تتمثل هذه المحاضن في المساجد، أو المدارس النقية الصافية الخالية من تأثير التيارات المنحرفة، أو وسائل التثقيف العام، أو أي صورة يمكن أن تقوم بدور المحضن الصالح.

فعلى الدعاة والمصلحين أن يبذلوا قصارى جهدهم لإيجاد هذه المحاضن، واستيعاب الأفراد الذين ينهجون نهج الإسلام الوسط، وتربيتهم التربية الصالحة، والمحافظة عليهم من التيارات المنحرفة، المفرطة منها والغالية، سواء بسواء.

محاضن ترسخ الإيمان، وتهذب الأطلاق، وتسمو بالإنسان نحو آفاق الإيمان الرحبية، تعلي من شأن الحق، وترسخ دعائم العدل، وتحفظ الإنسان من إغواءات الشيطان الملققة ببريق الشهوات الزائف، وشبهات الفكر المنحرف عن الصراط المستقيم.

سابعاً : ربط الأمة بدورها القيادي :

قد اختار المولى - عز وجل - هذه الأمة لإتمام مسيرة الأنبياء لإنقاذ البشرية وتبليغ الرسالة، والشهادة على العالمين، فإذا كان الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يبعثون للشهادة على أقوامهم مصداقاً لقوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) (١)، فإنَّ الأمة المسلمة يجب أن تعي أن دورها بعد انقطاع الرسالات هو مواصلة الطريق، واستلام القيادة لتسويجه البشرية، والشهادة على العالمين، إحقاقاً للحق الذي وجههم المولى عز وجل نحوه، حيث قال - وقوله الحق - : (وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (٢)، وقال سبحانه: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ). (٣)

فالأمة مطالبة بالعمل الجاد، وبذل الجهد المستمر، والجهاد المتواصل لنشر راية الحق، إحقاقاً للحق، وإزهاقاً للباطل، وشهادة على العالمين.

يجب على الأمة أن تعي دورها القيادي بين البشرية، يجب أن تفهم بأن المولى - عز وجل - وضعها في موضع الأستاذية، ويعبر عن هذا الفهم الواضح

(١) سورة المزمل، آية ١٥ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

(٣) سورة الحج، آية ٧٨ .

السليم مقولة ربعي(١) بن عامر لرستم قائد الفرس، عندما سأله عن سبب مجيئهم، فقال: "الله ابستعشنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي".(٢)

يجب أن تتأمل تلك المعاني، ويزول الترف من حياة الأمة، الترف بكل صوره، سواء الترف المادي، الذي يقتل الطاقات، ويضعف العزائم، ويهبط بالهمم، أو الترف الفكري، الذي ما حل بين الأمة إلا بعد ضعف كثير من المعاني الأصيلة فيها، فجرفها نحو سبل ما أنزل الله بها من سلطان، وخاصة فيما يتعلق بالانحراف العقدي غلوا وتفريطا.

فإنّ الترف أساس البلاء، ومرتع الزيف والانحراف، لذا يقول تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا). (٣)

(١) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، كان من أشرف العرب، كان عمر قد أمد به المثنى بن حارثة، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان، وكانوا لايؤمرون الا الصحابة. انظر: الإصابة ٤٥٤/٢ رقم ٢٥٧٤ .

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي ٤٠/٧ .

(٣) سورة الاسراء، آية ١٦ .

يجب أن تعتاد الأمة على الجدية في أمرها كله، يجب أن تتمسك بروح الجهاد، وتستحضر قوله صلى الله عليه وسلم: "الئن تركتم الجهاد، وأخذتم بأذناب البقر(١) وتبايعتم بالعينة(٢)، ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم، لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه".(٣)

مذلة بتمكن الأعداء من رقابهم، ومن ثم صرفهم عن دينهم، وتزيين الباطل لهم، ومذلة بالركون إلى الدنيا وحضوض النفس الأماراة بالسوء، التي تزداد في الإصلاح عند ظو النفس من معاني الجهاد، فيدب بسببه القيل والقال وكثرة السؤال، والفرقة والخلاف، والانحراف عن منهج الأمة الوسط العدل الخيار.

-
- (١) هو كناية عن اشتغالهم بالزرع، واهمالهم أمر الجهاد في سبيل الله". بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الرباني ٢٦/١٤ .
- (٢) بيع العينة: أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه الى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر". بلوغ الأمانى ٢٦/١٤، من كلام الرافعي.
- (٣) مسند الإمام أحمد ١٠٤/٧، رقم ٥٠٠٧، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ثامنيا : كشف سبل المجرمين :

إنّ سنة الابتلاء تجعل من الصراع بين الحق والباطل عملية متواصلة لا تقف عن الحركة، والمجرمون من أهل الباطل يسعون سعيا حثيثا لنشر باطلهم بين الأمم للسيطرة عليها، ونهب خيراتها.

ولذلك ينبه سبحانه أن الأمم الأخرى لا يمكن أن ترضى عن أهل الإسلام، فيقول

تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم). (١)

ولا تعارض بين هذه الآية وبين اختيار أفراد من تلك الأمم، لإسلام ديننا، والامتداء بهدى الإسلام، فالأفراد كقطاع صغير في الأمم قد نُبِحت عن الحق، ولكن الأمم في تكتلاتها ومجموعها لا تقيم علاقاتها مع الأمم الأخرى من باب البحث عن الحق والصواب والتمسك به، بل من باب الكسب والمصلحة والاحتواء وفرض النفس.

فالأمم الكافرة لأجل السيطرة على أمة الإسلام وديار المسلمين، تتخذ سبلا متنوعة، وكلما ذهب مفعول أسلوب وسبيل من تلك السبل وانكشف أمره أبدلته بسبيل آخر، فهي لا تقف عن العمل من أجل السيطرة وصب الأمة في قالبها حتى تضمن عدم العصيان نهائيا.

وقد بين سبحانه أنه جعل لكل نبي عدوا من المجرمين، هذا العداء يتوجه إلى ذات النبي وشخصه ومبادئه في حياته، ويتوجه إلى دينه ومبادئه بعد موت النبي، يقول تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا). (٢)

(١) سورة البقرة، آية ١٢٠ .

(٢) سورة الفرقان، آية ٣١ .

لذلك بين سبحانه وتعالى أن طاعة الكفار هو طريق الانحراف، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتَوْا الْكُتُبَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ). (١)

من هذا المنطلق كان من الضروري كشف الباطل وأهله، وسبل أهل الضلال والإجرام، ومن يقف في صفهم من أهل النفاق؛ لأنهم المِعْوَلُ الهدام في الأمة، وقد اتضح ذلك بجلاء عبر القرون، وما زلنا نرى ذلك بوضوح.

وكشف هذه السبل المنحرفة هو من ملب المنهج الرباني الذي أَرَادَهُ سبحانه من عباده المؤمنين لكي لا يُخَدَعُوا وَيُلَبَّسَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ، حيث يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ نَفَعَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ). (٢)

"إِنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ لَا يَعْنى بِبَيَانِ الْحَقِّ وَإِظْهَارِهِ حَتَّى تَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فَحَسْبُ، إِنَّمَا يَعْنى كَذَلِكَ بِبَيَانِ الْبَاطِلِ وَكَشْفِهِ حَتَّى تَسْتَبِينَ سَبِيلَ الضَّالِّينَ الْمُجْرِمِينَ أَيضًا .. إِنَّ اسْتِبَانَةَ سَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ ضَرْبٌ لَّاسْتِبَانَةِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ كَالْخَطِّ الْفَاعِلِ يَرْسُمُ عِنْدَ مَفْرَقِ الطَّرِيقِ!". (٣)

"إِنَّ سَفُورَ الْكُفْرِ وَالشَّرِّ وَالْإِجْرَامِ ضَرْبٌ لِّوَضُوحِ الْإِيمَانِ وَالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ.

وَاسْتِبَانَةُ سَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ هَدَفٌ مِّنْ أَهْدَافِ التَّفْصِيلِ الرَّبَّانِيِّ لِلآيَاتِ، ذَلِكَ أَنَّ أَيَّ غِبْشٍ أَوْ شَهْبَةِ فِي مَوْقِفِ الْمُجْرِمِينَ وَفِي سَبِيلِهِمْ تَرْتَدُّ غِبْشًا وَشَهْبَةً فِي مَوْقِفِ الْمُؤْمِنِينَ وَفِي سَبِيلِهِمْ، فَهَمَا صَفْحَتَانِ مِتْقَابِلَتَانِ، وَطَرِيقَانِ مِفْتَرِقَتَانِ .. وَلَا بَدَّ مِنْ

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٠ .

(٢) سورة الأنعام، آية ٥٥ .

(٣) في ظلال القرآن ١١٠٥/٢ .

وضوح الألوان والخطوط..". (١).

وهذه السبل الإجرامية تتنوع وتتعدد، وهي في غالبيتها لا تسير في طريق سافرة مرئية للعيان، بل تتلون وتتلبس بلباس القوم حتى لا تكون قطعة غريبة في الجسم فترفض.

ولعل في كثير مما بدل في هذا الميدان من جهد لكشف المؤامرات الاستشراقية والتبشيرية والماسونية، والأعياب المنافقين في وسط الأمة ما يقوم بدور في هذا الميدان، وإن كان العمل المتواصل في هذا الميدان في غاية الأهمية لأجل ما قررناه من عدم سكوت الباطل وتغييره لشكله وطرده كلما عرف وفضح أمره.

ومن أكثر الفئات التي يجب أن تسلط عليها الأضواء ويكشف أمرها: أهل النفاق، وقد حذرنا المولى سبحانه منهم، وأفصح عن عداثهم، إذ يقول تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً (٢) فَمَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعَجَّبْتَ أَجْسَامَهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خَشَبٌ مَسْنُودٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قُلْتُمْ اللَّهُ أُنْتَى يُؤْفَكُونَ). (٣)

(١) في ظلال القرآن ١١٠٥/٢ .

(٢) الجنة: أي الوقاية. النهاية ٣٠٨/١ .

فالمعنى: أي استتروا بالطف، كلما ظهر النبي على شيء منهم يوجب

معاقتهم طفوا كاذبين. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٦٧ .

(٣) سورة "المنافقون" آية ٤-١ .

"وتكمن خطورة هذه الفئة وخطورة دورها في انحراف الأمة إفراطا وتفريطا، في كونهم لا يختلفون عن المسلمين ظاهريا في شيء، فهم منهم كما جاء في حديث حذيفة، حيث قال: ". قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا". (١)

"ومن هنا يجب أن تبدأ كل حركة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، يجب أن تبدأ من تعريف سبيل المؤمنين وتعريف سبيل المجرمين؛ ووضع العنوان المميز للمؤمنين، والعنوان المميز للمجرمين، في عالم الواقع لا في عالم النظريات، فيعرف أصحاب الدعوة الإسلامية والحركة الإسلامية من هم المؤمنون ممن حولهم، ومن هم المجرمون، بعد تحديد سبيل المؤمنين، ومنهجهم وعلامتهم، وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلامتهم، بحيث لا يختلط السبيلان، ولا يتشابه العنوانان، ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين". (٢)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٤٠/٢٧ .

(٢) في ظلال القرآن ١١٠٦/٢ .

الخاتمة

- أهم نتائج البحث :

- ١ - الوسطية لا توجد إلا في الإسلام، وإن وجد مظهر من مظاهر الوسطية في أي مذهب أو دين آخر، فإنه يقينا مطابق لما في الإسلام، فكثير من أمور الحياة متفق عليها بين سائر الأديان والمذاهب.
- ٢ - ليست الوسطية خصيصة من خصائص الإسلام، بل كل خصائص الإسلام إنما هي صور وجوانب من الوسطية التي هي نتاج منهج الإسلام.
- ٣ - إذا كان الإسلام = الوسطية (العدالة والخيرية)، فإنه يجب أن نعي يقينا بأن لا وسطية بدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- فالإسلام = الوسطية، والوسطية = الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). (١)
- ٤ - الوسطية تحتاج لتمكينها في المجتمع إلى تعهدا وحرصا في النفوس ومتابعة النفوس والأفراد وتربيتها عليها لكي تنمو، ولا يمكن أن توجد بدون ذلك.
- ٥ - لا يمكن إرجاع الأمة إلى وسطيتها إلا تحت مظلة نظام حكم إسلامي راشد.
- ٦ - لا تتحقق الشهادة على العالمين إلا بتمثل الوسطية في تجمع حركي، يرى الناس فيه بأعينهم الخيرية والعدالة، ويلمسوا آثارها في واقع الحياة.
- ٧ - ما لم ترجع الأمة إلى وسطيتها، فإنها تفقد شخصيتها، وتكون هملا في الوجود، أو تبعا وذيلا للآخرين.

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠ .

٨ - لا يُرفع الشقاء عن البشرية ما لم ترجع الأمة إلى وسطيتها.

٩ - مظاهر الانحراف عن الوسطية تفريطا أكثر بكثير من مظاهر الانحراف غلوا

في عمرنا الحاضر، وهي بحاجة إلى علاج فوري.

- المقترحات والتوصيات :

يرى الباحث أن موضوع الوسطية ما زال بحاجة للبحث، لا من حيث المفهوم،

فالمفهوم قد حدّد، ولكن من جوانب أخرى، وهذه مقترحاته وتوصياته في ذلك:

١ - يقترح الباحث أن تقوم دراسة ميدانية حول موضوع الوسطية، يكون

التركيز فيها حول أسباب الانحراف عن الوسطية وسبل علاج ذلك الانحراف، أي أسباب

الغلو والتفريط، وعلاج ذلك.

٢ - قيام دراسة حول النظريات التي تطرقت لمفهوم الوسط والتوسط في الأمم

والحضارات الأخرى، وأثرها في فرض مفهوم خاص للموضوع على أفكار المسلمين.

٣ - يرى الباحث أيضا أن مظاهر الوسطية ما زالت بحاجة إلى توضيح، وذلك

لاتساع المظاهر التي تشمل جوانب الحياة جميعا، فالباحث قد أخذ شرائح من كل

جانب، وبيّن وسطية الإسلام فيها، وما زالت هناك شرائح أخرى بحاجة إلى نفس

التناول والدراسة.

وختاما ..

يجب أن تعي الأمة الإسلامية أن المهمة عظيمة، وأنها القيام بدور الشهادة

على العالمين، وهي مسؤولية الأمة، ولعظمتها هيّا المولى عز وجل للذين كُلفوا

بهذه المهمة صفة تؤهلهم لذلك، وتسهّل عليهم مهمّتهم، وهي بأن جعلهم بما بيّن

لهم من الشرائع والشعائر والعقائد (أمة وسطا) عدولا أحيارا، وسيسألون عن هذه

الشهادة يوم القيامة لا محالة، (ويكون الرسول عليكم شهيدا). (١)

وهو - صلى الله عليه وسلم - حتما قائم بهذه الشهادة، ولعظمها بكى عليه الصلاة والسلام عندما سمع قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا). (٢)

فالمسؤولية لا ترفع، وأدوات الأهلية موجودة، إمّا أن تتصف بها الأمة فتقوم بواجبها خير قيام، وإمّا أن تهمل هذه الأدوات فتكون في موقف لا يؤهلها لهذه الوظيفة، حتى لو أرادت أن تنصب نفسها لها.

إنّنا إذا لم نتقّ الله في أنفسنا وفي الناس، وملتزم بوسطيتنا، وبمراد الله منا، وننطلق لقضيتنا بوعي عميق، ومدق راسخ، وإرادة راسخة، وجهاد عنيد، ونضع خطواتنا على أرض الواقع بثقة عالية في الله، وثبات وطيد، نكون قد عطّنا خلافتنا في الأرض، وحنّا الأمانة، وهدرنا جدارتنا، وأهنا أنفسنا بأن وضعناهما في نيل القافلة ومؤخرة الركب، بعد أن أراد الله بنا ولنا الرئاسة والريادة والسيادة.

وهذا ما يسعى إليه أعداء الله ليلا ونهارا، (ويمكرون ويمكر الله والله خير المَكْرِين) (٣)، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون). (٤)

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٢) سورة النساء، آية ٤١ .

(١) سورة البقرة، آية ١٤٣ .

(٤) سورة الصف، آية ٨ .

(٣) سورة الأنفال، آية ٣٠ .

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات .
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الأديان والفرق والمذاهب .
- ٥ - فهرس الأبيات الشعرية .
- ٦ - فهرس المراجع .
- ٧ - فهرس الموضوعات .

فهرس الأيات

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
١	الفاتحة	٦٦	بسم الله الرحمن الرحيم
٧	الفاتحة	٢٤	صراط الذين أنعمت عليهم
٧	الفاتحة	٢٥	غير المغضوب عليهم ولا الضالين
٥-١	البقرة	٤٩٥	الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه
٢٠	البقرة	٧٥	ان الله على كل شيء قدير
٢١	البقرة	٨٣	يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
٣٠	البقرة	٢٤٦	واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة
٣٠-٣٣	البقرة	٧٧	واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة
٣٩	البقرة	١٢١	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار
٨٥	البقرة	١٦	ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا ..
٨٥	البقرة	٣٩١	أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
١٠٥	البقرة	١١٨	ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ..
١١٠	البقرة	٧٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ..
١١٥	البقرة	٥٠٠	فأينما تولوا فثم وجه الله
١١٧	البقرة	٨٢	بديع السموات والأرض ..
١١٩	البقرة	٣٤٢	انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
١٢٠	البقرة	٥٣٧	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
١٣٨	البقرة	٣٠٣	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة
١٤٠	البقرة	٦١	أنتم أعلم أم الله
١٤٢، ١٤٣	البقرة	٢١	سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
١٤٣	البقرة	١٣، ١٤، ٢٠،	وكذلك جعلناكم أمة وسطا
١٥١	البقرة	٤٥	كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا
١٥٨	البقرة	٥٠	ان الصفا والمروة من شعائر الله
١٦٤	البقرة	٨٩، ٥٨	ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
١٧٤	البقرة	١٦	ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب
١٧٦	البقرة	٣٤١	ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق
١٧٧	البقرة	٥١٧	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
١٧٩	البقرة	١٦٢	الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج
١٨٣	البقرة	١٣٣، ١٥٣، ١١٥،	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
١٨٥	البقرة	١٨١، ٣٢٨، ٥٢٣،	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
١٨٩	البقرة	٥١٦	وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها
١٩٦	البقرة	١٨٧	وأتموا الحج والعمرة لله
٢٠٠	البقرة	٤٩	فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله
٢٠١	البقرة	١٠٧، ٣٢٠،	ومنهم من يقول ربنا آتتنا في الدنيا حسنة
٢١٢	البقرة	٣٤٢، ١٧	كان الناس أمة واحدة
٢١٦	البقرة	٥٥	كتب عليكم القتال وهو كره لكم
٢١٧	البقرة	١٢٠	ومن يرتدد منكم عن دينه
٢١٨	البقرة	٣٠٧	ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا
٢١٩	البقرة	٢١٣	يسألونك عن الخمر والميسر

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٢١٩	البقرة	٢٧٦	ويسألونك ماذا ينفقون
٢٢٠	البقرة	٤٣٣	ويسألونك عن اليتامى
٢٢٥	البقرة	٥١٦، ٣٢٤	لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
٢٢٧	البقرة	٢٣٥	وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم
٢٢٨	البقرة	٢٣٧	ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
٢٢٩	البقرة	٢٤٠، ٢٣٥	الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان
٢٣١	البقرة	٤٦	واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم ..
٢٣٧	البقرة	٢٧٦	ولا تنسوا الفضل بينكم
٢٣٨	البقرة	١٣٢	حافظوا على الصلوات والملاة الوسطى
٢٥٤	البقرة	١٤٧	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم
٢٥٦	البقرة	٣٣٤	لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي
٢٦١	البقرة	١٤٧	مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
٢٦٥	البقرة	١٤٧، ٧٣	ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء ..
٢٧٧	البقرة	٣٠٧	ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٢٨٦	البقرة	٥٢٥، ١٦٧، ٨١	لايكلف الله نفسا الا وسعها
١٤	آل عمران	٤١٢	زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
١٩	آل عمران	١١٦	ان الدين عند الله الاسلام
٢٦	آل عمران	٧٨	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
٢٩	آل عمران	٧٧	قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله
٣٢	آل عمران	٤١	قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا ..
٣٥	آل عمران	٧٢	اذ قالت امرأت عمران رب ان نذرت لك ..

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٣٧	آل عمران	٣٥١،٧٢	فتقبلها ربها بقبول حسن
٣٩،٣٨	آل عمران	٧٢	هنالك دعا زكريا ربه
٤٠	آل عمران	٩٤	قال رب أنى يكون لى غلام
٤٧	آل عمران	٩٤	قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر
٦٤	آل عمران	٣٣٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
٨٥	آل عمران	٣٠٦،١١٧	ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه
٩٧	آل عمران	١٣٣	ولله على الناس حج البيت
١٠٠	آل عمران	٥٣٨	يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا
١٠٣،١٠٢	آل عمران	٣٣١،٣٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
١٠٤	آل عمران	٤٧٢،٣٧٩	ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
١٠٥	آل عمران	٣٣٣	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
١١٠	آل عمران	٢٧،٢٠،١٣	كنتم خير أمة أخرجت للناس
١٢٢	آل عمران	٤٧٢،٣٠٧،٣٠	اذ هممت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما
١٢٦	آل عمران	٩٠	وما جعله الله الا بشرى لكم
١٣٤	آل عمران	٢٨١	الذين ينفقون في السراء والضراء
١٣٩	آل عمران	٩٦	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون
١٤٥	آل عمران	٩٩	وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله
١٥٩	آل عمران	٣٤٠	فيما رحمة من الله لنت لهم
١٦٤	آل عمران	٤٥	لقد من الله على المؤمنين

رقمها السورة	رقم الصفحة	الآية
١٧٣، ١٧٤ آل عمران	١٠٠	الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
١٧٤ آل عمران	٣٢٢	فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
١٨٠ آل عمران	٢٩٧، ٢٠٠	ولا يحسبن الذين يبظنون بما آتاهم الله ..
١٨١ آل عمران	٧٣	لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ..
١٨٢ آل عمران	٣٩٤	ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد
١٨٥ آل عمران	١٠٧	كل نفس ذائقة الموت
١٩٠ آل عمران	٥٨	ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
١٩١، ١٩٠ آل عمران	٤٩٧	ان في خلق السموات والأرض
النساء	٣، ٣٢١، ٣٢٤	وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى
النساء	١٠، ٤٣٣	ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما
النساء	١٤، ٤٤	ومن يعص الله ورسوله ويتعدّد حدوده
النساء	١٧، ١٨، ١٠٨	من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
النساء	١٩، ٢٣٧	وعاشروهم بالمعروف
النساء	٢٧، ٢٨، ٣٤٨	والله يريد أن يتوب عليكم
النساء	٢٨، ٣٤٥، ٣٢٨	يريد الله أن يخفف عنكم
النساء	٢٩، ١٨٣	ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيمًا
النساء	٣٦، ٢٩٤	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا
النساء	٣٦، ٢٩٣	والجار ذي القربى والجار الجنب
النساء	٤٣، ٤٩٢، ٢١٣، ١٥٥	يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى
النساء	٤٨، ١٢٠	ان الله لا يغفر أن يشرك به

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٥٨	النساء	٢٧٥، ٧١	ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها
٥٩	النساء	٤٣	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
٦٥	النساء	٤٣	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
٦٩	النساء	٢٥	ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين ..
٨٠	النساء	٤١	من يطع الرسول فقد أطاع الله
٨٢	النساء	٤٦، ٣٩	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا
١٠٥	النساء	١٨	انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
١٢٩	النساء	٢٣٧	ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء
١٣٥	النساء	٨٣	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
١٤٠	النساء	١١٨	ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم
١٤٢	النساء	١١٨	ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
١٤٥	النساء	١١٨	ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار
١٧١	النساء	٥١٩، ٢٦	يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
٣	المائدة	٣٤٣	اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
٣	المائدة	٤٠٠، ١٦	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
٦	المائدة	٥٢٤، ٤٩٢	يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة
٩	المائدة	٣٠٨	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
١١	المائدة	٩٠	يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
١٦، ١٥	المائدة	٣٧	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
١٧	المائدة	١١٧	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
١٧	المائدة	٨٢	قل فمن يملك من الله شيئًا

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٢٠٣	المائدة	٢٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
٤٣٦، ١٢٥	المائدة	٤٤	ومن لم يحكم بما أنزل الله
١٩	المائدة	٤٨-٥٠	وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
٢٦	المائدة	٦٠	من لعنه الله و غضب عليه
١٥	المائدة	٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك
١١٧	المائدة	٧٣	لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
٥١٩	المائدة	٧٧	قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
٤٧٧	المائدة	٧٩، ٧٨	لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
٣٨٢	المائدة	٧٨-٨١	لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ..
٤٥٠	المائدة	٨٨، ٨٧	يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ..
٢٠٩	المائدة	٩٠	يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
٢١٤	المائدة	٩٠، ٩١	يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
٢١١، ٢١٠	المائدة	٩١	انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
٤١	المائدة	٩٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا
٢٨١	المائدة	١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
١١٤	الأنعام	٢٩	وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ..
٢٨٧	الأنعام	٣١	قد خسر الذين كذبوا بقاء الله
٢٨٧	الأنعام	٣٨	وما من دابة في الأرض ولا طائر
٤٩٦	الأنعام	٥٠	قل هل يستوي الأعمى والبصير
٥٢٨	الأنعام	٥٥	وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٥٧	الأنعام	٤٣٦	ان الحكم الا لله
٨٢	الأنعام	٣٢٠	الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
١٢٢	الأنعام	٣٨	أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا
١٤٨	الأنعام	٨٥	.. لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا
١٥١	الأنعام	٢٢٥	قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم
١٥٢	الأنعام	٤٣٣	ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن
١٥٣	الأنعام	٢٤،٢٢	وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
١٥٩	الأنعام	٣٣٣	ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
٢٠٢	الأعراف	٣٩،١٦	كتب أنزلناه اليك فلا يكن في صدرك حرج منه
٣٢١،٣٢	الأعراف	٣٢١	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
٣٢	الأعراف	٥٠٦	قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
٣٤	الأعراف	٩٩	ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون
٤٢	الأعراف	٣٢٧	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
٤٣	الأعراف	٣٩٣	ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها
٥٦،٥٥	الأعراف	٦٧	ادعوا ربكم تضرعا وخفية
١٥٦	الأعراف	١٠٧	واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة
١٥٧	الأعراف	٤٧٨،٣٢٧	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
١٥٨	الأعراف	٣٣٣،٤٩	قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
١٦٠	الأعراف	٨١	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
١٧٢	الأعراف	٥٨	واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
١٨٠	الأعراف	٦٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
١٩٩	الأعراف	٢٧٦	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
٢٠٠	الأعراف	٧٣	وأما بينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله
٢٣	الأنفال	٧٧	ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم
٢٨	الأنفال	٤١١	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة
٥١	الأنفال	٨٠	ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد
٦٠	الأنفال	٩٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
٥٤	التوبة	٤٠٥	إلا الذين عاهدتم من المشركين
١٧	التوبة	١١٧	ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله
٣٣	التوبة	٣٥٤، ٣١٠	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
٣٥، ٣٤	التوبة	١٣٦	يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار
٤٠	التوبة	١١٧، ٦٩	إلا تنصروه فقد نصره الله
٥٢	التوبة	٩٦	قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين
٦٤	التوبة	١١٨	يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة
٦٧	التوبة	٤٧٨	المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
٧١	التوبة	٤٧٨	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
١٠٣	التوبة	١٣٦	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
١٠٥	التوبة	١٠٧، ٨٣	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
١٢٣	التوبة	٤٠٣	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم ..
١٢٨	التوبة	٣٣٩	لقد جاءكم رسول من أنفسكم

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٤٩	يونس	٤٤٠	قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا
٦٠،٥٩	يونس	٤٥١	قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق
١٠٧	يونس	٤٤٠	وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
٧٥	هود	٣٠٠	ان ابراهيم لحليم أواه منيب
٨٨	هود	٤٣	وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه
١٠٧	هود	٣٩٤	خالدين فيها ما دامت السموات والأرض
١٠٨	هود	٣٢٢	وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها
٢	يوسف	٤٨	انا أنزلنا قرآنا عربيا
٦٨	يوسف	٥١٤	وانه لذو علم لما علمناه
٨٧	يوسف	١٠٢	يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه
١٠	الرعد	٧٤	سواء منكم من أسر القول ومن جهر به
١١	الرعد	٩٣	له معقبات من بين يديه ومن خلفه
١١	الرعد	٢٦٨	ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
١٧	الرعد	٣٢٦	أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
٢٢	الرعد	٢٩٧	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة
٢٦	الرعد	٩٩	الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
٢٨	الرعد	٣٢٠	الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله
١	ابراهيم	٣٧،١٩	الر كتاب أنزلنا اليك لتخرج الناس
٤	ابراهيم	٤٨	وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه
٢٦-٢٤	ابراهيم	٣٢٦	ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٩	الحجر	٣٥٩، ٣٤٣، ٣٧	انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
٤٩	الحجر	٣٩٢	نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم
٥٠، ٤٩	الحجر	٣٩٣	نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم. وأن عذابي..
٥٦	الحجر	١٠٢	قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
١٨	النحل	٦٧	وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
٣٢	النحل	١٦٤	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
٤٣	النحل	٤٣٣، ٤٤	وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم
٤٣	النحل	٣٨٩	فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعملون
٤٧	النحل	٥٢	أو يأخذهم على تخوف
٦٧	النحل	٢١٢	ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا
٨١	النحل	٨٩	والله جعل لكم مما خلق ظللالا
٩٧	النحل	١١١	من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
١٠٣	النحل	٤٨	لسان الذي يلحدون اليه أعجمي
١٦	الاسراء	٥٣٥	واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
١٨	الاسراء	٧٩	من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
٢٤، ٢٣	الاسراء	٢٩١	وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه
٢٩	الاسراء	٢٩٨، ٣٤	ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
٣٢	الاسراء	٢٢٤	ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة
٣٧	الاسراء	٢٧٨	ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض
٧٤	الاسراء	١٥	ولولا أن شبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
٨١	الاسراء	٢٥٥	وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٨٥	الاسراء	٣١١	ويسألونك عن الروح
٨٥	الاسراء	٤٤٥	وما أوتيتم من العلم الا قليلا
٧	الكهف	٤١١، ٣٤٦، ٢٩٩	انا جعلنا ما على الأرض زينة لها
١٠	الكهف	٦٩	اذ أوى الفتية الى الكهف
١٦	الكهف	٦٩	واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
٢٩	الكهف	٨٣، ١٦	وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن
٥٠	الكهف	٨٤	واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
١١٠	الكهف	١١٠	قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي
١١٠	الكهف	١٠٣	فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
٥٩	مريم	٤١٢	فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
٦٥	مريم	٤٤٩	هل تعلم له سميا
٧	طه	٧٤	وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى
٨	طه	٦٠	الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنی
١٤	طه	١٥٢	انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني
١١٠	طه	٦٢	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم
١٢٤	طه	٣١٨	ومن أعرض عن ذكرى فانه له معيشة ضنكا
١٣١	طه	١٩٨	ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم
١٨	الأنبياء	٣٥٥	بل نقذف بالحق على الباطل
٢٣	الأنبياء	٧٩	لا يسئل عما يفعل وهم يسألون
٦٩، ٦٨	الأنبياء	٦٧	قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم
٦٨-٧٠	الأنبياء	٩٤	قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٧٩،٧٨	الأنبياء	٤٩٩	وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرت
٨٤،٨٣	الأنبياء	٦٨	وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر
٩٢	الأنبياء	٣٣١	ان هذه أمتكم أمة واحدة
١١	الحج	٤٠٨	ومن الناس من يعبد الله على حرف
٢٧	الحج	٣٠٨	وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا
٣٢	الحج	١٥٣	ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب
٣٧	الحج	٥١٦،١٥٣	لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
٧٠	الحج	٧٨	ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض
٧٨	الحج	٥٣٤،٣١٠	وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
٢،١	المؤمنون	٥١٦،١٥٩	قد أفلح المؤمنون ...
١٢-١٤	المؤمنون	٥٩	ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ..
٥٢	المؤمنون	٣٣١	وان هذه أمتكم أمة واحدة
٦٢	المؤمنون	٣٢٧	ولا تكلف نفسا الا وسعها
٧١	المؤمنون	١٩	ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض
٢	النور	٢٤١	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
٣	النور	٢٢٥	الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة
٤	النور	٢٢٩	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
١٣	النور	٢٤٥	لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء
١٩	النور	٢٢٩	ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا
٢٢	النور	٢٧٨	ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة
٢٣	النور	٢٣٠	ان الذين يرمون المحصنت

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٣٠	النور	٢٧٥، ٢٢٣	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
٣١	النور	٢٣٦، ٢٣٢	وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن
٣٢	النور	٢٣١	وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم
٥٤	النور	٤١	قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
٥٩، ٥٨	النور	٤٢٧	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين
٢	الفرقان	٨٠	الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا
٣١	الفرقان	٥٣٧	وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
٦٣	الفرقان	٢٧٦	وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا
٦٧	الفرقان	٢٩٨، ٣٤	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
٦٨	الفرقان	٢٢٥	والذين لا يدعون مع الله الها آخر
٦٩	الفرقان	٢٢٥	يضاعف له العذاب يوم القيامة
٦٨-٦١	الفرقان	٦٨	فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى
١١٦-١٢٢	الشعراء	٦٨	قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
١٦٧-١٧٥	الشعراء	٦٨	قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
١٩٥	الشعراء	٤٨	بلسان عربي مبين
٦٨	القصص	٤٤٠	وربك يخلق ما يشاء ويختار
٧٧	القصص	١١٣	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة
٨٢	القصص	٩٩	وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس
٨٥	القصص	٤٦١	ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد
٤٥	العنكبوت	١٥٩، ١٥٢	اتل ما أوحى اليك من الكتب
٥١	العنكبوت	٣٩	أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٦٤	العنكبوت	١٠٨	وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب
٤-١	الروم	٧	ألم غلبت الروم في أدنى الأرض
٢١	الروم	٢٣٨	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
٣٣-٢٩	الروم	٣١٤	بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم
٣٠	الروم	٣٤٣، ٣١٤	فطرة الله التي فطر الناس عليها
٤٧	الروم	٩٦	ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
٥٠-٤٨	الروم	٦٧	الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
١٣	لقمان	٥٨	واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه
١٥، ١٤	لقمان	٢٩١	ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا
١٩، ١٨	لقمان	٢٧٨	ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا
١١	السجدة	٩٣	قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
١٧	السجدة	١٠٩	فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
٢١	الأحزاب	٣٧٣	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
٣٢	الأحزاب	٢٣٢	يا نساء النبي لستن كأحد من النساء
٣٤	الأحزاب	٤٤	واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
٤٣	الأحزاب	٦٦	وكان بالمؤمنين رحيما
٢	فاطر	٦٩	ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
٤٣	فاطر	٨٩	فلن تجد لسنة الله تبديلا
١٢	يس	٧٨	انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا
٥٦، ٥٥	يس	٢٢٨	ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
٧١	يس	٤٤٩	أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٨٢	يس	٨٢	انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون
٢٩	ص	٢٩	كتب أنزلناه اليك مبارك ليديرها آياته
٤٤٩	ص	٧٥	لما خلقت بيدي
٨٤	الزمر	٧	ان تكفروا فان الله غني عنكم
٥١٣،٧٠	الزمر	٩	أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
١١٣	الزمر	١٠	قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم
٧٩	الزمر	٣٨	قل أفرايتم ما تدعون من دون الله
١٩	الزمر	٤١	انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق
٧١	الزمر	٥٣	قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا
٣٨٧	الزمر	٥٦	أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت
٨٠	الزمر	٦٢	الله خالق كل شيء
١٢٠	الزمر	٦٥	ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك
٨٤	الزمر	٧٠	ووفيت كل نفس ما عملت
٧٥	فصلت	١٢	فقضاهن سبع سماوات في يومين
٧٣	فصلت	٤٠	ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا
٣٤١	فصلت	٤٢،٤١	ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم
٤٨	فصلت	٤٤	ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت
٤٩٧،٥٩	فصلت	٥٣	سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
٣٨	الشورى	١٠	وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله
٤٤٩،٦١	الشورى	١١	ليس كمثل شيء وهو السميع البصير
٩٩	الشورى	١٢	له مقاليد السموات والأرض

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
١٣	الشورى	٣١٠	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
١٧،١٦	الشورى	١٧	والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له
٢٨	الشورى	٦٧	وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
٣٧	الشورى	٣٥١،٢٨١	والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
٤٠،٣٩	الشورى	٣٥١	والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون
٥٢	الشورى	٢٧	وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا
٥٤-٥١	الشورى	٢٢٧	ان المتقين في مقام أمين
٢٣	الجاثية	٤١٧	أفرايت من اتخذ الهه هواه
٣٠	الجاثية	٣٩٢	فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات
١٥	محمد	٢١٦	مثل الجنة التي وعد المتقون
٨،٧	الحجرات	٣٧٩	واعلموا أن فيكم رسول الله
٩	الحجرات	١٢٢	وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
١١	الحجرات	٢٨٠	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم
١٢	الحجرات	٢٧٩	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
٣٠	ق	١٠٩	يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد
٣٥-٣١	ق	١٠٨	وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد
٢١،٢٠	الذاريات	٥٩	وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم
٥٦	الذاريات	٢١٠،١٣٠	وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
٥٨	الذاريات	٩٩	ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
٤٨	الطور	٤٤٩	وامير لحكم ربك فانك بأعيننا

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
٥-١	النجم	٣٤٢	والنجم اذا هوى ..
٤،٣	النجم	٦٢	وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى
٤	النجم	٤٦	ان هو الا وحي يوحى
٣٠-٢٧	النجم	٣١٨	ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
٣٠	النجم	١١٤	ذلك مبلغهم من العلم
٤٦	القمر	٣٥٠	بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر
٤٩	القمر	٨٠	انا كل شيء خلقناه بقدر
٢٧	الرحمن	٤٤٩	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
٥٦-٤١	الواقعة	١٠٩	وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال
٦٠	الواقعة	٩٩	نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين
٩	الحديد	٣٧	هو الذي ينزل على عبده آيات بينات
١٦	الحديد	٣٦٣	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
١٧	الحديد	٣٦٥	اعلموا أن الله يجزي الأرض بعد موتها
٢٥	الحديد	١٧	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
٢٧	الحديد	٤٥١، ١٦٧	ثم قفينا على آثارهم برسلنا
٢٧	الحديد	١٦٦، ٢٦	ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
١	المجادلة	٧٢	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
٢	الحشر	١١٧	هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب
٧	الحشر	٤٢	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
٩	الحشر	٢٠١، ٣٥	والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
١	المتحنة	٧٤	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
١٢	المتحنة	١٩٧، ١٩٦	يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبایعنك
٣، ٢	الصف	٣٠٧	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
٢	الجمعة	٤٩	هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم
٩	الجمعة	١٣٢	يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة
٤-١	المنافقون	٥٣٩	اذا جاءك المنافقون
٩	المنافقون	٤١١	يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم
١١	المنافقون	٩٩	ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها
١٦	التغابن	٤٧٦	فاتقوا الله ما استطعتم
٧	الطلاق	٢٣٥	لينفق ذو سعة من سعته
٦	التحريم	٨٥	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا
٢	الملك	٢٩٩	الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم
٤-١	القلم	٢٨٩	ن والقلم وما يسطرون
٤	القلم	٣٠١	وانك لعلى خلق عظيم
٩، ٨	القلم	١٥	فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون
٢٨	القلم	٢٠	قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون
٢١-١٩	المعارج	١٠١	ان الانسان خلق هلوعا
٢٥-١٩	المعارج	١٦٠	ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا
٢٣، ٢٢	المعارج	١٠١	الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون
١٥	المزمل	٥٣٤	انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم
٢٠	المزمل	١٨٢	ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل

رقمها	السورة	رقم الصفحة	الآية
١٠٨	الانسان	٢٢-١١	فوقاهم الله شر ذلك اليوم
٧٨	الانسان	٣١-٢٨	نحن خلقناهم وشددنا أسرهم
٣٩٤،٩٦	الانسان	٣٠	وما تشاءون الا ان يشاء الله
٢٧١	النازعات	٤١،٤٠	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
٥١	عبس	٢١	وفاكهة وأبا
٩٣	الطارق	٤	ان كل نفس لما عليها حافظ
٥٩	الطارق	٧-٥	فلينظر الانسان مم خلق
٣١٩	الغاشية	٤،٣	عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية
٣٥٥،٣٥٢،٢٩٩	البلد	١٠	ومديناه النجدين
٣٥٥،٢٦٨	الشمس	١٠-٧	ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها
٣٤٥،٢٦٩	الشمس	٩	قد أفلح من زكاهما
١٠٤	الليل	١٠-٥	فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى
١٣٢	البينة	٥	وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
١١٢	الزلزلة	٨-٦	يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم
٩٧،٨٤	الزلزلة	٨،٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
٥	العاديات	٥	فوسطن به جمعا
٥٢١	العصر	٣-١	والعصر . ان الانسان لفي خسر
٤٩٨	الماعون	٤	فويل للمصلين
٤٩٨	الماعون	٥	الذين هم عن صلاتهم ساهون
٢١٣	الكافرون	٢-١	قل يا أيها الكافرون ..
٦٠	الإخلاص	٣-١	قل هو الله أحد . الله الصمد
٦٠	الإخلاص	٤-٣	لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

فہرس الاعادیث والآثار

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٨	أبشروا، فان هذا القرآن
١٨	أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا اله الا الله
٣٦٧	أبشروا وأبشروا، انما مثل أمتي مثل الغيث
٢٨٨	أبغض الرجال الى الله
٤٠	ابن أخي، ان الله عز وجل بعث الينا
٤٣٧	أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك
٣٩٢	أتاني جبريل فقال: بشر أمتك
٤٨٤	أنتهكون فيها يا ابن الخطاب؟
٢٨٠	أتدرون ما هذه؟
١١٢	أتدرون من المفلس؟
١٥٢	أتدري يا معاذ ما حق الله على عباده؟
٥٢٠	أتراه يرائي؟
٢٤٣	أتعلمون بعقله بأسا ؟
٣٧٦	أتيت ليلة أسري بي على قوم
٣٤١	أحب حبيبك هونا ما
٢٨٧	أحسنهم أخلاقا
١٩٩	ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله
١٥٧	ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة
١٨٦	ادن أحدثك عن الصوم أو الصيام
٥٢٨، ٢٢٦	فقال: ادنه، فدنا منه قريبا

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الاثر
١٧٣	أدومها وان قل
١٥٤	إذا اشتد الحر فأبردوا
٢٣١	إذا جاءكم من ترضون دينه وظقه فأنكحوه
٤١٦، ٢٧٦	إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة
٥٠١	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب
٢٣٤	إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه
٨٧	إذا ذكر القدر فأمسكوا
٣٨٤	إذا رأيت أمّتي تهاب الظالم
١٥٣	إذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة
١٨٥	إذا عجل عليه السفر يؤخر
٣٧٠	إذا كانت عليك أمراء
١٥٦	إذا نعس أحدكم في الصلاة
١٥٥	إذا وضع عشاء أحدكم
٧٢	أربعوا على أنفسكم
١٢٦	أربيت النار فاذا أكثر أهلها النساء
٣٦٣	اصبروا فانه لا يأتي عليكم زمان
٣٧١	أعاذك الله من امارة السفهاء
١٠٩	أعددت لعبادي الصالحين
١٧٩	أفتان أنت ؟ أفتان أنت؟
٢٤١	اقبل الحديقة وطلقها تطليقة

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الاثر
٣٢٨	اكلفوا من العمل ما تطيقون
٢٨٣	أكمل المؤمنين ايماننا أحسنهم خلقا
٢٨٤	ألا أخبركم بالمؤمن؟
١٨٤	ألا صلوا في الرحال
٢٣٠	ألا لا يظنون رجل بامرأة
٣٤٨	ألا لا يقربن الصلاة سكران
٥٢١	ألا هلك المتنطعون
٥١٥	ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت
١٢٥	الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة
٥١٥	التقوى ههنا
٢٦٦	الطلال بين والحرام بين
٧٢	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات
٥٢٣	الحنيفية السمحة
٢٨٣	الحياء من الايمان
٣٧٠	الخلافة في أمتي ثلاثون سنة
٢١٢	الخمير من هاتين الشجرتين
٢٢٩	الدائم
١٨١	ألست تقرأ : يا أيها المزمل
٢٧٤	الصدق طمأنينة
١٥٧	الصلاة مثنى مثنى، تشهد

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الاثر
٧٠	الصدق: الذي "لم يلد ولم يولد"
١٦١	الصيام جنة، فاذا كان أحدكم
١٥١	العمرة الى العمرة كفارة
١٨	القرآن مشفع، وما حل مصدق
٤٥	الكتاب : القرآن
٥٢٥	الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد
٢٤٨	اللهم بين لنا في الخمر
٢٨٩	اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي
٤٥٥	ألم أخير أنك تصوم الدهر
٤٢٧	المراد منه الانذار بزوال الايمان
٤٤٣	المشي الى الجمعة كفارة
٩٧	المؤمن القوي خير وأحب الى الله
٢٨٤	المؤمن غر كريم
١٣٩	ألم يكن يملي ؟
٣٩٦	النظر الى الوجه الحسن يجلو البصر
٢٢٨	النكاح من سنتي
٤٣٦	أما والله يا علي لئن تدع تحكيم الرجال
١٢٥، ١١٨	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
٢١	أما بعد، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله
٢٨٦	أنا زعيم ببيت في ربض الجنة

رقم الصفحة	طسرف الحديث أو الأثر
٢٠٠	أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين
٤٥٠	أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟
٢٦٥	أنتم تتمون سبعين أمة
٢٢٣	انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما
٤٨٠	انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	أنكحني أبي امرأة ذات حسب
٢٠٩	ان آدم - صلى الله عليه وسلم - لما أهبطه الله
٣٧٧	ان أخوف ما أخاف على أمتي
٤١٢	ان أكثر ما أخاف عليكم
٣٦١	ان الاسلام بدأ غريبا
٤١٩	ان الأمر أنف
٤١١	ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها
٥٢٣، ١٨١	ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد
٢٩٢	ان الرحم شجنة
٥٢٧، ٣٣٥	ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه
٢٨٧	ان العبد ليبلغ من سوء خلقه
٣٣٥	ان الله رفيق يحب الرفق
١٧٠	ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغني
٢٩٥	ان الله كتب الاحسان
٣٧٦	ان الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الاثر
٥١٦، ٢٦٧	ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم
٤٥٢	ان الله لغني عن مشي أختك
٢٥٩	ان الله يبعث الى هذه الأمة
٢٤٧، ١٨٨	ان الله يحب أن تؤتى رخصه
٢٩٢	ان الله يوصيكم بأمهاتكم
٢٨٥	ان المسلم المسدد ليدرك
٦٠	ان المشركين قالوا
١٥٦	ان المصلي ينجي ربه عز وجل
٢٨٢	ان الناس اذا رأوا الظالم
٤٥٢	أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر وهو يطوف
١٢٨	ان أول ما يحاسب به العبد
٤٣٥	ان بعدي من أمتي
٥٢٤	ان خير دينكم أيسره
٢١١	ان ذلك ليس بشفاء ، ولكنه داء
١٩٨	ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد الي
٢٠٨	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا طاف
١٨٤	ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يأمر
٤٣١	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهاك عن الفرطة في الدين
١٥٠	ان في الجنة بابا يقال له الريان
٣٠٠	ان فيك خصلتين يحبهما الله

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الاثر
١٠٥	ان قلوب بني آدم كلها بين
٥٢٧، ١٧٣	انك لا تدري لعلك يطول بك عمر
٤٣٤	انك لعريض القفا ان أبصرت الخيطين
٣٧٤	انكم أئمة يقتدى بكم
٦٣	ان لله تسعة وتسعين اسما
٤١٧، ٢٨٨	انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق
٧٦	انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم
٣١٠	ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي
٤١٥	ان مما أدرك الناس من كلام النبوة
٤٧٩	ان مما يلحق المؤمن من عمله
٢٨٦	ان من أحبكم الي وأقربكم
٤١٦	ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة
٢١٩	أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - جلد في الخمر بالجريد
٣١٩	ان هذا الدين متين
٤٥٤	ان هذا من فعل الشيطان
٥٢٩	ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس
٩١	انها من قدر الله تبارك وتعالى
٣٧١	ان هلاك أمتي أو فساد أمتي
٥١٤	انه لعامل بما علم
٤٧٩	انه ليستغفر للعالم من في السموات

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٤٣٤	ان وسادتك لعريض
٣٦٩	اني أسألك عن أمر فلا تكتمني
٤٥	اني أوتيت الكتاب وما يعدله
٤٢	اني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن النامضة
٣٩٩	اني لأعلم أهل دينين
٤٥٤	اني نذرت أن أنحر ابني
١٥٠	ان يوم الاثنين والخميس
٣٩٤	أهديتم لجارنا اليهودي ؟
١٤٤	أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن
١٤٣	أول شيء يحاسب به العبد يوم القيامة
٣٤٧	اياكم والدخول على النساء
٤٨٨	اياكم وكثرة الحديث عني
١١٢	اياكم ومحقرات الأعمال
٣٤٩	أي الكفن خير؟
٣١	أي عرى الاسلام أوسط؟
٢٣٣	أيما امرأة استعطرت
٢٣٣	أيما امرأة أصابت بخورا
٣٣٢	أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة
٣٣٠	أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون
٣٥٦	أي يوم هذا؟

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
٥٠	بئس ما قلت يا ابن أخي
١٤٦	بال الشيطان في أذنه
٣٥٧	بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً
٣٦٧	بشر هذه الأمة بالسنة
١٠٣	بل لعمل قد فرغ منه
١٣٣	بني الإسلام على خمس
٢١٥	بيننا أنا قائم على الحي وأنا أصغرهم
٥٠٨	بينما رجل يجر أزاره خيلاء
١٥١	تابعوا بين الحج والعمرة
٣٧٢	تأتي على الناس سنوات جدمات
٣٧٥	تدرون كيف ينقم الإسلام
٣٣١	تري المؤمنين في تراحمهم
٢٧٦	تعفو عنه كل يوم سبعين مرة
٣٧١	تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن أمانة الصبيان
٢٨٥	تقوى الله وحسن الخلق
١٤٣	تلك ضرورة الإسلام وشرته
٢٣١	تنكح المرأة لأربع
٢١٧	ثلاثة لا تقربهم الملائكة
٢١٦	ثلاثة لا يدخلون الجنة
٨	ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمان

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
١٤٦	ثلاث يحبهم الله ويضحك اليهم
٣٩٦	ثلاث يزدن في قوة البصر
٢٠،١٣	ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٤	جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أيام
٤٩٠	حدثوا الناس بما يعرفون
٢٤٥	حد يعمل به في الأرض خير
٢١٨	حرمت التجارة في الخمر
٣٦٥	حرم على النار كل هين لين سهل
٥٢٧،١٧٢	طوه، ليصل أحدكم نشاطه
٢٨٨	خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين
٨٠	خلق الله كل مانع ومنعته
٣٤٦	خمس صلوات في اليوم واللييلة
٤٤٤	خمس يفظرن المائم وينقضن الوضوء
٣٦٤	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
٢٣٠	خير صفوف الرجال أولها
٤٦٩	دخل علي رجل بالظهيرة
٢٨٧	دب اليكم داء الأمم قبلكم
١٨٣	دعهما، فاني أدخلتهما طاهرتين
٥٢	دعونا من هذا آمنا به كل من عند ربنا
١٧٠	رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع

رقم الصفحة	طسرف الءءءء أو الأءر
١٤٥	رءم الله رءلا قام من اللئل فءلى
٣٢١،٣٢٨	رد رسول الله - صلى الله ءله وسلم - ءلى ءثمان بن مظعون التءئل
٣٣٩	سءفءرق أمءل ءلى بضع وسبعئل فرقة
١٤٧	سل
٣٧٣	سلوا الله العافئة
١٧٨	سءعت بكاء صبل فظننء أن أمه معنا
١٥٩	سئلهاه ما بقول
١٦٠	شر ما فل الءسان شء هالء
٤٠٦،١٧٦	سءق سلمان
١٨٥	صلى رسول الله - صلى الله ءله وسلم - الظهر والعصر جمئعا
١٤٤	صلىء مع النبئل صلى الله ءله وسلم
٢١٣	صنع لنا ءبءالرحمن بن ءوف طءاما
١٥٠	صلام بوم ءاشوراء
٢٣	ضرب الله مءلا صراطا مسءقئما
٣٦٨	طوبئ لمن رآئل وآمن بل؁ وطوبئ
١٨٧	طوفئل من وراء الناس وأنء راكبة
٥٠٤	ءبءك وابن ءبءك وأمءك
١٠٢	ءجبب من قضاء الله سبءانه للمؤمن
٢٩١	ءبر ءلئنا ابن أبئل كبشة
٣٦٩	ءبر الءءال آءوف ءلى أمءل من الءءال

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٤١١	فأبشروا وأملوا ما يسركم
٣١٦	فأبواه يهودانه أو ينصرانه
٤١٦	فاذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة
٢٤٢	فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجم
٢٤٠	فتردين عليه حديقته؟
١٧٦	فجعلت لا ألتفت الى قوله
٢٣٦	فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم
٢٣٦	فرد نكاحها
١٠٠	فرغ الله الى كل عبد من خمس
٣٥٨	فطوبى للغرباء
٤٨٠	فعليكم بهذا القرآن فانه مأدبة الله
٤٠٧	فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم
٢٩٥	فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٧	فوقع بي، وقال: زوجتك
٢٩٥	في الكبد الحارة أجر
٨١	قالت بنو اسرائيل
٣٧١	قد علمت ورب الكعبة من تهلك العرب
١٤٠	قم ان أدري لعله خير منك
١٧٢	كان أحب العمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٩	كان الرجل يقدم المدينة فيسلم

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
٤٩	كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم
٢٨٢	كان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل
٥١٦	كانت الأثمار اذا حجوا فجاءوا
٤٦	كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم
٢٨٠	كان يقال: ان الله
٢٠٤	كان يقطع في ربع دينار
٢٨	كتاب الله هو جبل الله الممدود
٥٠٢	كلاكما محسن
٢٧٣	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
٧٧	كل ميسر لما خلق له
٥٠٧	كل ما شئت والبس ما شئت
٥٠٦	كلوا واشربوا والبسوا
٢٩٥	كما لا ينفع مع الشرك شيء
٤٠٠	كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣١٣،٤٩	كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض
٤٩٩	كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر
٣٨٤	كيف يقدر الله أمة لا يأخذ ضعيفا حقه
٣٨٤	لا اله الا الله، ويل للعرب
١٣٧	لا، بل مرة، فمن زاد فتطوع
٢٥٨	لا تزال طائفة من أمتي منصورين
٢٧٢	لا تزالوا بخير ما لم يكن عليكم أمراء

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الاثر
٢٣٦	لا تزرموه دعوه
١٦٦	لا تشددوا على أنفسكم
٢٢٤	لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد الا باذنه
١٨٦	لا تعب على من صام ولا على من أفطر
٣٠٠	لا تغضب
١٢٠	لا تقتله، فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله
٤٧٥	لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما
٤٧٥	لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله عز وجل
٢٨٥	لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا
١٧١	لا تنام الليل؟! خذوا من العمل ما تطيقون
٢٢٦	لا تنكح الأيم حتى تستأمر
١٨٢	لا حرج
٢٩٥	لا زيادته كفر ونقمه
١٠٤	لا عليكم أن لاتعجبوا بأحد
١٧٢	لا كان عمله ديمة
٥٣٦	لعن تركتم الجهاد، وأخذتم بأذناب البقر
١٢٤	لعن صدق ليدظن الجنة
٤٤٠	لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه
٧٩	لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان
٤٢٥	لا يجاوز تراقيهم

رقم الصفحة	طرف الحديث او الاثر
١٥٥	لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر
٢٣٠	لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم
٢٥٤	لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات
٤٢١	لا يرى الجاهل الا مفرطا أو مفرطا
٢٥٩	لا يزال الله يفرس في هذا الدين
٤١٢	لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين
٤٣٦	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
٥٠٠	لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة
٤٨١	لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم
٥٠٧	لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء
٧٦	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره
٢٥٦	لتركبن سنن من كان قبلكم
٢٧٠	لتنتمن عرى الاسلام عروة عروة
٢١٨	لعن الله الخمر
٤٠٨	لعن الله اليهود
١٠٢	لكل شيء حقيقة، وما بلغ العبد حقيقة الايمان حقا
٤٣٣	لما أنزل الله عز وجل: (ولا تقربوا مال اليتيم)
٤٧٠	لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٨	لما خلق الله القلم قال له: اكتب
٧	لما نزلت (الم . غلبت الروم)

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
١٦٤	لن ينجي أحدا منكم عمله
٢٥٢،٩٠	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله
٨٧	لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم
٢٤٥	لو كنت راجما بغير بينة
١٦٨	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء
١٦٨	لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك
١٦٩	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء
٢٨٤	ليس المؤمن بطعان ولا بلعان
١٢٥	ليس بالكفر الذي يذهبون اليه
١٦٩	ليس من البر أن تصوم في السفر
٢٨١	ليس هذا بزمانها
١٨٥	ليصل من شاء منكم في رحله
١٢٢	لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات
٤٠١	ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام
٢٦٤	ما أتى على الناس عام الا أحدثوا فيه بدعة
٤٢٩	ما أسفل من الكعبين من الأزار في النار
٥١٢	ما أعددت لها؟
٤٩٠	ما أنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم
٥٢٦	ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعده
١٥٤	ما بال أقوام يرفعون أبصارهم

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
٥٢١	ما بال رجال يواصلون؟
٥٢٤	ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمرين قط
١٩٨	ما ذنبان ضاريان جائعان
٣٣٧	ماذا عندك يا شامة؟
٣٢٤، ٣٩٣، ٣٠١	ما زال جبريل يوصيني بالجار
٤٥٢	ما شأن هذا؟
٢٨٥	ما شيء أثقل في ميزان المؤمن
١٧٨	ما صليت وراء امام قط أخف صلاة
٢٢٥	ما ظهر الغلول في قوم قط
٢٢٦	ما ظهر في قوم الربا والزنا
١٨٨	ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا
٤٧٩، ٣٧٧	ما من رجل يحفظ علما فيكتمه
١٢١	ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات
١٠٤	ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة
٤٨١	ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها
١١١	ما من مسلم غرس غرسا
٤١٥، ٣١٣	ما من مولود الا يولد على الفطرة
٢٧٧	ما نقصت صدقة من مال
١٦٩	ما هذا؟ فقالوا: صائم
٤٥٢	ما هذا؟ قالوا: نذر أن يصوم

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٣٨٠	مثل القائم على حدود الله والمدمن فيها
٣٠٠	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
٣٦٦	مثل أمتي مثل المطر لا يدرى
٤٧	مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل
١٩٩	من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته
٢٨٠	من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم
٣٠٣	من أريد ماله بغير حق
١٦١	من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر
٣٠١	من أشد الناس عذابا
٢٨٠	من أكل لحم أخيه في الدنيا
٢١٠	من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة
١٤٨	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
٣٧٦	من تعلم العلم ليباهي به العلماء
٣٧٦	من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله
١٢٥	من جحد ما أنزل الله فقد كفر
٥٠٨.٥٠٧.٤٢٨	من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه
١٤٠	من حافظ عليها كانت له نورا
١٢٨	من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق
٤٨٧	من حدث عني حديثا وهو يرى
٤٤٣	من داوم على صلاة الضحى ولم يقطعها

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٤٧٦	من رأى منكم منكرا فغير بيده فقد برىء
٤٧٤	من سرته حسنته وسأته سيئته
٨٨	من سعادة ابن آدم استخارته الله
٣٧٤	من سلك طريقا يطلب فيه علما
٢١٥	من شرب الخمر شربة لم تقبل توبته
٢١٦	من شرب الخمر في الدنيا
٢١٧	من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا
١٤٩	من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال
١٤٩	من صام يوم عرفة
٤٤٣	من صلى بعد المغرب ست ركعات
٤٤٤	من صلى علي يوم الجمعة معتين
١٣٥	من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب
٤٧٩	من علم علما فله أجر من عمل به
٣٧٧	من قال قولا حسنا وعمل عملا حسنا
١٠٦	من قال لا اله الا الله ابتغاء وجه الله
٣٢٣، ٢٨٣	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
٤٨٦	من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار
٢٩٤	من لا يرحم الناس
٥١٤	من لا يعمل لا يكون عالما
١٥٩	من لم تأمره صلاته بالمعروف

رقم الصفحة	طرف الحديث او الاثر
١٦٢	من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل
٤١٥	من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا
١٨٨	من لم يقبل رخصة الله كان عليه
١١١	من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا
٣٠٩	من نفس عن مؤمن كربة
٣٣٥	من يحرم الرفق يحرم الخير
٤٥٣	نذرت أختي أن تمشي الى بيت الله حافية
٣٣٣	نزلت هذه الآية في هذه الأمة
٣٨٩	نضر الله امرأ سمع منا
٤٠٦	نعم الرجل من رجل لم يبطأ لنا فراشا
٥٤٠	نعم، دعاة على أبواب جهنم
٥٢١	نعم، ذاك الذي حملني على الذي صنعت
٣٦٨	نعم، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي
٣٧٨	نعم، وفيه دخن
١٥٨	نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ثلاث
٥٢	نهينا عن التكلف
٢٢	هذا سبيل الله
١٣٧	هل تجد رقبة؟
١٩٧	هل تسمع الذي أسمع؟
٥١٩	هلم القط لي

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الاثر
٢٥	هم اليهود
١٢٥	هي به كفر
١٦٣	هي في النار
٢٤٣	واغد يا أنيس على امرأة هذا
٢٨٤	والله لا يؤمن، والله لا يؤمن
١٥	وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون
٣٢٥	وان لولدك عليك حقا
٣١٥	واني خلقت عبادي حنفاء
٥٠٤	واياك وجر الازار
٢٨	وجبت ... هذا أثنتيم عليه خيرا فوجبت له الجنة
٢٨٩	وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض
٥٠٤	وضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأربع أصابع
٤٩٦	وفي الرقة ربع العشر
٩٢	وكل الله بالرحم ملكا
٢٥٤	ولا فشا الزنا في قوم قط
٣٤٩	ويحك، وما يضرك ؟
٤٥٩	ويلك ! ومن يعدل بعدي اذا لم أعدل؟!!
١٢٦	يا أبا ذر أعيرته بأمه؟
٤٠٢	يا أبا عمر ، لو ددت أني كنت مت ولم أكتبه
١٤٨	يا ابن آدم انك أن تبذل الفضل خير لك

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الاثر
١١٩	يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله؟
١١٦	يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد
٣٠٢	يا أيها الناس ان منكم منفرين
٣٥٧	يأتي على الناس زمان الصابر فيهم
٣٥٦	يأتي على الناس زمان يخير فيه الرجل
٤٤١	يا حسان، أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٥٠	يا رسول الله اني اذا أصبت اللحم
١٤٥	يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
٨٠	يا عبادي اني حرمت الظلم
٤٣٩	يا عبدالله ارفع ازارك
٣٣٤، ١٧٧	يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار
١٧٣	يا عبدالله لا تكن بمثل فلان
٣٣٤	يا عثمان أرغبت عن سنتي
١٨٠	يا عثمان تجاوز في الصلاة واقدر الناس
١٨٣	يا عمرو، طليت بأصحابك وأنت جنب؟
١٠٠	يا غلام اني معلمك كلمات
٢٢٧	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
٢٧	يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له
٢٧٩	يحشر المتكبرون يوم القيامة
٤٣٥	يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٤٢٥	يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان
٣٩٣	يخرج قوم من النار بعد ما مسهم
١٢١	يخرج من النار من قال لا اله الا الله
٤٨٦	يكون في آخر الزمان دجالون كذابون
٣٧٥	يوشك العلم أن يختلس

فهرس الاعلام

رقم الصفحة	العلم
٢٠٩	آدم عليه الصلاة والسلام
٢٣	أبان
٤٢١	ابان بن سمعان
٣١٠،٣٠٠،٦٧،٢١	ابراهيم عليه السلام
١٤٠	أبي بن خلف
٨٧،٦٠	أبي بن كعب
٥٠٨،٥٠٢	ابن تيمية (تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية)
٥٠٥،٤٢٢	أحمد بن حنبل
٥٠٥	أحمد عبدالرحمن البنا
٥٠٤،٤٩٠،١٤	ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد)
٥٠٤	أحمد بن منيع
٥٣١	الأرقم بن أبي الأرقم
٢٥٣	أزوالد شوارز (الدكتور)
١١٩	أسامة بن زيد
٢٦	ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن كثير)
٣٠٠	الأشج العمري
١٣٧	الأقرع بن حابس
٤٠	أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد
١٤٣	أنس بن حكيم الضبي

رقم الصفحة	العالم
١٧٨، ١٧٢، ١٦٩، ١٦٦، ١٥٤، ١٣٣، ١٢١، ١٠٤، ٩٢، ٥١، ٢٨، ٢٧	أنس بن مالك
٥٢٠، ٥١٢، ٤٥٠، ٣٦٣، ٣٣٦، ٢٨٨، ٢١٩، ٢١٥، ١٩٨، ١٨٥، ١٧٩	أنس بن مالك (رجل من بني عبدالله بن كعب)
١٨٦	أنيس
٢٤٣	أوس بن الصامت
٧١	أيوب عليه السلام
٦٨	البراء بن عازب
٥١٦، ٣١	بريدة الأسلمي
٥٢٠	بشر بن غياث المريسي
٤٢٢	بيتريم ساروكين
٢٦٠	بيري جيلموت
٢٥٣	ثابت بن قيس
٢٤١، ٢٤٠	شامة بن أثال
٣٣٧	جابر بن سليم
٥٠٨	جابر بن عبدالله
٤٨٤، ٤٥٩، ٣٧١، ٢٨٠، ٢٤٢، ١٨٥، ٧٦، ٢٢	الجعد بن درهم
٤٢١	الجهم بن صفوان
٤٢٢، ٤٢١	حبيبة بنت سهل (امرأة ثابت بن قيس)
٢٤٠	حنيفة بن اليمان
٥٤٠، ٣٩٩، ٣٧٨، ٣٧٢، ١٠٦، ٨٧، ٨٠	حرام بن ملحان
١٧٩	

رقم الصفحة	العالم
٨٧	زيد بن ثابت
٥٢٧، ٢٨٤	زينب بنت جحس (أم المؤمنين)
٢٠٦	ستيفن
١٠٣	سراقة بن مالك بن جعشم
٣٢١، ٢٢٨، ١٣٩، ١٠٢، ٨٨	سعد بن أبي وقاص
١٨٦، ٨١	سعيد بن جبير
٥١٤، ٩١	سفيان الثوري
٤٠٦، ١٩٨، ١٧٦، ١٧٤	سلمان الفارسي
٥٠٤	أبو القاسم سليمان بن أيوب الطبراني
٥٠٧	سليمان بن خلف، أبو الوليد الباجي
٤٩٩	سليمان عليه السلام
١٦٦	سهل بن أبي أمامة
١٥٠	سهل بن حنيف
٤٢٠	سوسن
٤٠٣	سيد قطب
١٨٤	شريح بن هانئ
٤٢	شعيب عليه السلام
٢٥٧	شيشرون
٤٦٥	صفوت الروبي
٤٢٣	صموئيل زويمر

رقم الصفحة	العالم
١٧٢، ١٦١	علقمة بن قيس
٥٢٧، ٤٩٠، ٤٦١، ٤٣٦، ٤٣١، ٢١٣، ١٨٤، ١٢٣، ١٠٤	علي بن أبي طالب
٤٦١	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم
٧٧	عمران بن حصين
٤٠١، ٣٧١، ٣٦٩، ٣٤٩، ٣٤٨، ٢١٩، ٩٠، ٥٢، ٥١، ٢٨	عمر بن الخطاب
٤٨٥، ٤٨٤، ٤٧٣، ٤٧١، ٤٥٩، ٤٠٣	
٤٨٠، ٣٨٠، ١٦٦	عمر بن عبدالعزيز
٥٠٥، ٥٠٤	عمرو بن زرارة
١٨٣، ٧٦	عمرو بن العاص
١٧٥	عون بن أبي جحيفة
٤٦١	عيسى عليه السلام
٤٢٠	غيلان الدمشقي
١٤٠	فرعون
١٤٠	قارون
٥١٤	قتادة بن دعامة
١٨١، ١٤٩	قتادة بن النعمان
٣٧٤	كثير بن قيس
٣٧١، ١٨٨	كعب بن عجرة
٣٦٩	كعب بن مالك
٢٦٠	كندي
٤٢١	لبيد بن الأعمم

رقم الصفحة	العالم
٦٨	لوط عليه السلام
٤٦٥	ماجد حمادة
٢٠٩	ماروت
٢٤٣	ماعز بن مالك الأسلمي
٤٦٣	ماوتسي تونج
٢٠١	مجاهد بن جبر
٥٠٢	محمد بن أبي بكر، أبو عبدالله (ابن القيم)
٢٣	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الخزرجي القرطبي
٥٠٦	محمد بن ادريش الشافعي
٥٠٧، ٥٠٦، ٤٩٠، ١٦٩، ٢٠، ١٣	محمد بن اسماعيل (أبو عبدالله البخاري)
٢٣	محمد بن ثور
٢٣، ١٤	محمد بن جرير الطبري
٤٠٢	محمد بن سعد بن منيع البصري (ابن سعد)
٢٣	محمد بن عبدالأعلى المنعاني
٥٠٥	محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي (ابن العربي المالكي)
٥٠٨	محمد بن علي الشوكاني
٢٠	محمد بن عمر بن الحسين الرازي
٦	محمد بن عيسى بن سورة (أبو عيسى)
١٨٦	محمد بن مسلم (أبو الزبير)
٣٥١، ٩٢	مريم عليها السلام
٣٢٩	مسروق

رقم الصفحة	العلم
١٨٧	هند بنت أبي أمية (أم سلمة رضي الله عنها)
٢٥٠	هيلين باكنجهام
٤٥٩	واصل بن عطاء
١٧٥	وهب بن عبدالله (أبو جحيفة السوائي)
٥٠٦	أبو زكريا يحيى بن شرف النووي
٤٣١	هند بنت أبي سلمة (أم سلمة)
٥١٤	يعقوب عليه السلام
٢٤٩	يوسف بن ماهك
٥١٤	يوسف عليه السلام
الكنى والألقاب والمعجمات	
٥٢٨،٥٠٩،٥٠٤،٣٣٦،١٦٦	أبو أمامة بن سهل
١٤٩	أبو أيوب الأنصاري
٢١٥	أبو بكر بن أنس
٤٨٠	أبو بكر بن حزم
٤٣٨،٤٠٣،٣٨٢،٢٧٨،٢١٩،٦٩،٣١،٨،٧	أبو بكر الصديق
٥٠٩،٥٠٨،٥٠٧،٤٧١،٤٧٠،٤٦٩	
٣٦٧	أبو جمعة
٩١	أبو خزاعة
٤٠٦،٣٧٤،١٧٥،١٤٦،١٠٢،١٠٠	أبو الدرداء
٤٣٥،٣٦٩،١٢٦،١٢١	أبو ذر الغفاري

رقم الصفحة	العالم
١٩٧	أبو رافع القبطي
٤٨١، ٤١٣، ٤١٢، ١٤٩، ٢٧، ٢٠، ١٣	أبو سعيد الخدري
٤٤١، ٣٣٠، ١٤٥	أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف
٢٤٣	أبو عبدالله الأسلمي
٣٦٨	أبو عبيدة بن الجراح
٤٨٨، ١٥٠	أبو قتادة (الحارث بن ربيعي)
٣٦٧	أبو محيريز
٣٠٢	أبو مسعود رضي الله عنه
٧٣، ٧٢، ٤٧	أبو موسى الأشعري (عبدالله بن قيس)
١٥٠، ١٤٨، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٥، ١١٨، ١١٢، ٩٧، ٦٣	أبو هريرة
، ٢٩١، ١٩٨، ١٨١، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٢، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣	
٤٧٠، ٤٥٢، ٤٤١، ٣٩٥، ٣٧١، ٣٣٧، ٣٣٣، ٣٢٣، ٣١٣، ٣١٠، ٣٠٠	
٢٤٤	المرأة الغامدية
٥٠٧	الامام الكرمانني
٥٢٦، ٤٥٢	أخت عقبة بن عامر

فهرس الأديان والفرق والمذاهب

فهرس الاديان والفرق والمذاهب

٥٣٩.٤٨٤.٤٢٤	الاستشراق
٣٢٣.٩٢٥	تبشير
٤٦٦.٤٦١	التشيع
٤٤٧.٤٤٦.٤٤٠.٩٧.٨٥	الجبرية
٤٢٢.٤٢١.٣٩٨	الجهمية
٥٢٧.٤٥٩.٤٥٨.٤٣٦.٤٣٤.٤٠٢.١٢٣	الخوارج
٤٤٨	الرافضة
٤٢٢	السمنية
٤٢٢.٤٢١	الصابئة
٤٢٤	العلمانية
٤١٣.٤٩٠.٤٨٤.٤٢٢.٦٤.٦٠	الفلاسفة (فلسفي)
٤٥٩.٤٥٨.٨٦٧.٨٦	القدرية
٥٣٩	الماسونية
٤٤٩.٤٤٥.٦٥	المجسمة
٤٥٨.٤٤٥.٤٠٣.٤٠٢.٣٩٧.٣٦٦.٣٩٥.٣٩١	المرجئة
٤٤٨.٦٤	المعطلة
٤٤٨	المؤولة
٤٨٤.٤٥١.٤٢٤.٤٢٠.٣٧٥.٣٠٢.١٦٧.١٢٧.١١٧.١١٤.٢٦.٢٥	النماری (المسيحية)
٤٨٤.٤٦٣.٤٦٢.٤٦١.٤٢٢.٤٢١.٤٠٨.٣٧٥.١٢٧.١٢٤.١١٧.٢٦.٢٥.١٦	اليهود

فهرس الأبيسات الشعريسة

فهرس الأبيات الشعرية

رقم الصفحة	البيت
٥	اذا رحلت فاجعلوني وسطا اني كبير لا أطيق العندا
٥٢	تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
١٢	هم وسط يرى الأنام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم
٦	وقد وسطت مالكا وحنظلا

المصادر والمراجع

- ١ - الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تأليف الامام أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٢٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م مؤسسة الرسالة.
- ٢ - الاحكام في أصول الأحكام، للامام سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي، مؤسسة الطبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة.
- ٣ - أحكام القرآن للجصاص، تحقيق محمد الصادق القمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ.
- ٤ - احياء علوم الدين للامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، نشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٥ - الأخلاق الاسلامية وأسسها، للشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار القلم - بيروت ، دمشق .
- ٦ - أدب الديننا والدين، للامام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (٤٥٠هـ) تعليق: محمد كريم راجح، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار اقرأ - بيروت، لبنان.
- ٧ - الأدب المفرد، للامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر المكتبة الأثرية - باكستان.
- ٨ - ارشاد الساري شرح صحيح البخاري، للامام أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، الطبعة السادسة بالمطبعة الكبرى الأميرية - مصر - ١٣٠٤هـ.
- ٩ - ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، للامام القاضي محمد بن علي ابن محمد الشوكاني (١٢٥٥هـ) الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ - مطبعة السعادة - مصر.

- ١٠ - ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (المشهور بتفسير أبي السعود) لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد القماوي (ت ٩٥١هـ) دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ١١ - أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م.
- ١٢ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. علي محمد جريشة، محمد شريف الزبيق، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - دار الاعتصام.
- ١٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، تحقيق: علي محمد الجاوي، نشر مطبعة نهضة مصر - القاهرة.
- ١٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (٥٥٥-٦٣٠هـ)، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، وطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٥ - الاسلام والحضارة الغربية، للدكتور محمد محمد حسين، الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرسالة.
- ١٦ - الاسلام ومشكلات الحضارة، لسيد قطب، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الشروق.
- ١٧ - الأسماء والمفاتيح، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ١٨ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، لجلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد المعتمم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- ١٩ - الإصابة في تمييز الصحابة، لشيخ الاسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني، المعروف بابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ)، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة دار صادر.
- ٢٠ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، (ت ١٢٩٢هـ)، والتتمة هي الجزء التاسع والثاني من عمل تلميذه: عطية محمد سالم، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد ابن عبدالعزيز ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٢١ - الاعتصام، للعلامة المحقق الأصولي النظار الامام أبي اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (٧٩٠هـ) دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، توزيع عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.
- ٢٢ - الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب أصحاب الحديث، للامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى.
- ٢٣ - اغاثة اللفان من مفايد الشيطان، للامام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، الشهرير بابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، توزيع دار الباز - مكة المكرمة.
- ٢٤ - الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين (٣٥٦هـ)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، مصور عن مطبعة دار الكتب، دار احياء التراث العربي.
- ٢٥ - الأمراض الجنسية، د. نبيل صبحي الطويل، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة.

- ٢٦ - الأم، للامام محمد بن ادريس الشافعي، تعليق: محمد زهدي النجار.
- ٢٧ - الانجيل، للقديس لوقا، لجنة الترجمة، رئاسة: نيافة الأنباغر يغوريوس، عضوية: الأستاذ الدكتور: زكي شنودة، الأستاذ الدكتور/ مراد كامل، الأستاذ الدكتور/ باهور لبيب، الأستاذ/ طمي مراد. دار المعارف - القاهرة.
- ٢٨ - الانسان ذلك المجهول، تأليف الكسيس كاريل، ترجمة: عادل شفيق .
- ٢٩ - الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام المبجل أحمد بن حنبل، للشيخ علاء الدين المرداوي الصنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ.
- ٣٠ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للعلامة الفقيه علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الصنفي (ت ٥٨٧هـ)، نشر زكريا علي يوسف، مطبعة الامام، ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة - القاهرة.
- ٣١ - البداية والنهاية، للامام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق وتحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب عطوى، أ. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. علي عبدالساتر، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٢ - بطل المجهود في حل سنن أبي داود، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٢٤٦هـ) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٣ - بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، للشيخ أحمد عبدالرحمن الساعاتي، دار الشهاب - القاهرة.
- ٣٤ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي.
- ٣٥ - تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر الطبري، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

- ٣٦ - تجريد أسماء الصحابة للحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٦٣-٧٤٨هـ)، نشر دار المعرفة - بيروت، توزيع: دار الباز للنشر، مكة المكرمة.
- ٣٧ - تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى، لأبى على محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى (ت ١٢٥٣هـ)، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٣٨ - تخليص الابريز فى تخليص باريز، تأليف: رفاعه بدوى رافع الطهطاوى، اشراف وتحقيق وتعليق: د. مهدي علام، د. أحمد أحمد بدوى، د. أنور السقا. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الطبى وأولاده بمصر.
- ٣٩ - التدابير الواقية من الزنا فى الفقه الإسلامى، للدكتور: فضل الهى، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٠ - تذكرة الحفاظ لأبى عبدالله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند.
- ٤١ - تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، د. عبدالناصر توفيق العطار، طبعة مؤسسة الرسالة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، دار الشروق.
- ٤٢ - تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر.
- ٤٣ - تفسير غريب القرآن، لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ) تحقيق السيد أحمد مقر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

- ٤٤ - تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ)،
تحقيق السيد أحمد مقر، دار احياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.
- ٤٥ - تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٧٠٠-٧٧٤هـ) طبعة دار احياء
التراث العربي ١٣٨٨ - ١٩٦٩م.
- * تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٧٠٠-٧٧٤هـ) تحقيق محمد أحمد
عاشور وآخرين، طبعة دار الشعب - القاهرة.
- ٤٦ - التفسير الكبير، للفخر الرازي، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، المطبعة
المصرية، محمد محمد عبداللطيف.
- ٤٧ - تفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثالثة ١٣٨٢هـ -
١٩٦٢م، مطبعة البابي الحلبي بمصر، طبعة دار احياء التراث العربي.
- ٤٨ - تفسير المنار، للشيخ السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الرابعة ١٣٧٤هـ -
دار المنار.
- ٤٩ - تفصيل آيات القرآن الكريم، تأليف: جول لابوم، ويليه المستدرك، تأليف:
ادوار مونتيه ، نقلها الى العربية : محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر دار
الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٥٠ - تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)،
الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار المعرفة.
- ٥١ - تهذيب الأسماء واللغات، للامام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (ت
٦٧٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٥٢ - تهذيب التهذيب لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر
العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى - دار صادر.

- ٥٣ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني (٦٥٤-٧٤٢هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.
- ٥٤ - تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢-٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبدالعليم البردوني، مراجعة الأستاذ/ علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٥٥ - التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل، للإمام أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة (٢٢٣-٣١١هـ)، تحقيق: د. عبدالعزيز بن ابراهيم الشهوان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الرشد - الرياض.
- ٥٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن نامر السعدي، المطبعة السلفية ١٣٧٥هـ.
- ٥٧ - ثورة الجنس في عالمنا المعاصر، نظرات طبيب مسلم، د. حسان حتوت، ضمن كتاب: الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، نشر: الندوة العالمية للشباب الاسلامي، الرياض ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٨ - جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد، ابن الأثير الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ)، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع: مكتبة الطواني - حسين ناظم الطواني، مطبعة الملاح - عبدالله الملاح، مكتبة دار البيان - بشير عون، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٥٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، مطبعة البابي الحلبي.

- ٦٠ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، تخريج أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر.
- ٦١ - الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، وطبعة الجمهورية العربية - وزارة الثقافة، نشر دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ودار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٦٢ - الجامع لشعب الايمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٢٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، نشر الدار السلفية - بومباي - الهند.
- ٦٣ - جمهرة اللغة، لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١هـ)، الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بصيدر آباد الدكن.
- ٦٤ - الحجاب، لأبي الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٥ - حجة الله البالغة للشيخ أحمد، المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٦٦ - حديث الأربعاء، لطف حسين، الطبعة العاشرة، دار المعارف.
- ٦٧ - حركة تحديد النسل، للإمام أبي الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٦٨ - حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- ٦٩ - الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د. توفيق يوسف الواعي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الوفاء للطباعة والنشر.
- ٧٠ - الحكم وقضية تكفير المسلم، تأليف: سالم البهنساوي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار البحوث العلمية - الكويت، دار البشير - عمان.
- ٧١ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، للشهيد سيد قطب، الطبعة الشرعية السادسة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، طبعة دار الشروق.
- ٧٢ - خصائص الشريعة الإسلامية، للدكتور عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح - الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٧٣ - الخصائص العامة للإسلام، للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة.
- ٧٤ - الخمر بين الطب والفقہ، للدكتور محمد علي البار، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الدار السعودية للنشر.
- ٧٥ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الطبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق: د. أحمد محمد الخراط. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار القلم - دمشق.
- ٧٦ - دستور الأخلاق في القرآن، تأليف الدكتور محمد عبدالله دراز، تعريب الدكتور عبدالصبور شاهين، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية.
- ٧٧ - دستور الأسرة في ظلال القرآن، لأحمد فائز، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة.
- ٧٨ - دعوة الفطرة، تأليف الدكتور يوسف محيي الدين أبو هلال، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دار العاصمة - الرياض.

- ٧٩ - رفع الحرج في الشريعة الاسلامية ضوابطه وتطبيقاته، د. صالح بن عبدالله ابن حميد، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - طبع جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي.
- ٨٠ - تفسير روح المعاني للالوسي - دار التراث.
- ٨١ - الروض الأنف، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (٥٠٨-٥٨١هـ)، ضبط وتعليق: طه عبدالرؤف سعد، دار المعرفة للنشر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، توزيع: دار الباز - مكة المكرمة.
- ٨٢ - روضة الطالبين، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ - ٦٧٦هـ)، الطبعة الثانية، المكتب الاسلامي - بيروت.
- ٨٣ - زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨-٥٩٧هـ)، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، المكتب الاسلامي.
- ٨٤ - الزهد والرقائق، للإمام عبدالله بن المبارك (١١٨-١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - توزيع دار الباز - مكة المكرمة.
- ٨٥ - سنن الامام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني: ابن ماجه (٢٠٧-٢٧٥هـ) تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٨٦ - سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ) اعداد وتعليق: عزت عبید الدعاس، وعادل السيد، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، نشر محمد علي السيد - حمص.
- ٨٧ - سنن الامام أبي داود السجستاني، طبعة دار الدعوة - تركيا.

- ٨٨ - سنن الامام الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٢٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- * - سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: ابراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، مطبعة البابي الطبي وأولاده بمصر.
- ٨٩ - سنن الامام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، طبعة دار الدعوة - تركيا.
- * - سنن الدارمي للامام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ) معه تخريج الدارمي وتصحيحه وتحقيقه: للسيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٩٠ - السنن الكبرى للامام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، دائرة المعارف العثمانية - الهند.
- ٩١ - سير أعلام النبلاء، للامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة.
- ٩٢ - شبهات حول الاسلام، لمحمد قطب، الطبعة الخامسة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الشروق.
- ٩٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبدالحى ابن العماد الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار المسيرة - بيروت.

- ٩٤ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت ٤١٨هـ) تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة للطباعة والنشر.
- ٩٥ - شرح السنة، للامام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ) تحقيق وتعليق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، المكتب الاسلامي.
- ٩٦ - شرح العقيدة الطحاوية للامام صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٣١-٧٩٢هـ) تحقيق جماعة من العلماء، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي - الطبعة الرابعة.
- ٩٧ - الشريعة الاسلامية وأثرها في الظاهرة الاجرامية، تأليف حمود بن ضاوي القشامي، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الدار السعودية للنشر.
- ٩٨ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن الشيخ أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس الطبري، الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ مكتبة الرياض الحديثة.
- ٩٩ - المابئة المنذائون، تأليف الليدي دراوور، ترجمة: نعيم بدوي، غضبان رومي، منشورات مكتبة الأندلس، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٦٩م.
- ١٠٠ - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري (٣٢٢-٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار .
- ١٠١ - صحيح أبي عبدالله البخاري بشرح الكرمانلي، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- ١٠٢ - صحيح الامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري (١٩٤) -
٢٥٦هـ)، طبعة دار الدعوة - تركيا.
- ١٠٣ - صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة
الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، طبعة المكتب الاسلامي.
- ١٠٤ - صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، نشر: مكتب التربية لدول الخليج.
- ١٠٥ - صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، نشر: مكتب التربية لدول الخليج.
- ١٠٦ - صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- ١٠٧ - صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مكتب التربية لدول الخليج.
- ١٠٨ - صحيح الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (٢٦١هـ)،
طبعة دار الدعوة - تركيا.
- ١٠٩ - المواعق المرسله على الجهمية والمعطله، للامام شمس الدين أبي عبدالله
محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر أيوب بن سعد، الشهير بابن قيم الجوزية،
تحقيق وتخريج: د. علي بن محمد الدخيل الله، النشرة الأولى ١٤٠٨هـ - دار
العاصمة - الرياض.
- ١١٠ - ضعيف سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م، المكتب الاسلامي، نشر مكتب التربية لدول الخليج.
- ١١١ - الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت.

- ١١٢ - عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، للإمام الحافظ ابن العربى المالكى (٤٣٥-٥٤٣هـ)، مكتبة المعارف - بيروت، دار الكتاب العربى - بيروت.
- ١١٣ - العبادة فى الإسلام، تأليف الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى، الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة.
- ١١٤ - العبودية، لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن عبدالطيم ابن تيمية الحرانى الدمشقى (٧٢٨هـ)، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.
- ١١٥ - العدالة الاجتماعىة فى الإسلام، للأستاذ سيد قطب، طبعة دار الشروق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١١٦ - العقيدة الواسطىة، لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزىع ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١١٧ - العلل المتنامىة فى الأحادىث الوامىة، لأبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى (٥١٠-٥٩٧هـ) تحقيق: أ. ارشاد الحق الأثرى، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار نشر الكتب الإسلامىة، لاهور - باكستان.
- ١١٨ - العمدة فى غرىب القرآن، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القىسى (٣٥٥-٤٣٧هـ) تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلى، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة.
- ١١٩ - عمدة القارى شرح صحىح البخارى، للإمام العىنى (ت ٨٥٥هـ) .
- ١٢٠ - كتاب العىن، لأبى عبدالرحمن الخلىل بن أحمد الفراهىدى (١٠٠-١٧٥هـ) تحقيق: د. مهدى مخزومى، د. ابراهىم السامراىى.
- ١٢١ - غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، للشيخ الإمام محمد السفارىنى الحنبلى (١١١٤-١١٨٨هـ)، دار الأتحاد العربى للطباعة، نشر: مكتبة الرىاض الحدىثة - الرىاض.

- ١٢٢ - غزو في المميم، للشيخ عبدالرحمن حسن حينكة الميداني، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - دار القلم.
- ١٢٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لشيخ الاسلام أبي الفضل شهاب الدين أحمد ابن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ)، راجعه: طه عبدالرؤوف سعد، مطبى محمد الهواري، السيد محمد عبدالمعطي، طبعة: مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر - القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ١٢٤ - الفتح الرباني ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد عبدالرحمن الساعاتي، دار الشهاب - القاهرة.
- ١٢٥ - فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للقاضي الحافظ محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني المنعاني (ت ١٢٥٠هـ)، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ - مطبعة مصطفى البابي الطبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.
- ١٢٦ - الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ١٢٧ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، للامام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد ابراهيم نصر، د. عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار عكاظ للنشر.
- ١٢٨ - الفضائل الخلقية في الاسلام، د. أحمد عبدالرحمن ابراهيم، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار العلوم للطباعة والنشر.

- ١٢٩ - فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، للامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، تأليف فضل الله الجيلاني، تخريج محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة، المكتبة السلفية - القاهرة.
- ١٣٠ - فقه الزكاة، للدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى ١٢٨٩هـ - ١٩٦٩م دار الارشاد - بيروت.
- ١٣١ - فهرس أحاديث مسند الامام أحمد بن حنبل، اعداد أبي هاجر، محمد السعيد ابن بسيوني زغول، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- ١٣٢ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المحدث محمد، المدعو بعبد الرؤوف المناوي (٩٥٢-١٠٣١هـ)، دار المعرفة.
- ١٣٣ - في ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب، الطبعة الشرعية التاسعة، طبعة دار الشروق.
- ١٣٤ - القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، الطبعة الثالثة ١٣٥٢هـ - ١٩٢٣م.
- ١٣٥ - قمص الأنبياء، للامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ)، تحقيق د. مصطفى عبدالواحد، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة.
- ١٣٦ - القضاء والقدر في الاسلام، تأليف د. فاروق أحمد الدسوقي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المكتب الاسلامي - بيروت، مكتبة الخاني - الرياض.
- ١٣٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٢٨هـ)، انتهارات آفتاب - تهران.

- ١٣٨ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) الطبعة الأولى ١٣٥٤م - مطبعة مصطفى محمد - مصر.
- ١٣٩ - كلمة الحق، للعلامة أحمد محمد شاکر (١٣٠٩-١٣٧٧هـ)، تقديم عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى ١٤٠٧م - دار الكتب السلفية.
- ١٤٠ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (٩٧٥هـ)، ضبط الشيخ بكري حبانى، تصحيح: الشيخ صفوة السقا، الطبعة الخامسة ١٤٠٥م - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة.
- ١٤١ - الكوكب الدرى على جامع الترمذى، للعلامة المحدث محمد يحيى بن محمد اسماعيل الكاندهلوى (١٣٣٤هـ)، مطبعة ندوة العلماء، لكهنؤ - الهند.
- ١٤٢ - كيف نفهم الأطفال؟ (سلسلة دراسات سيكولوجية "١٢") الطفل والأمور الجنسية، تأليف: لينزا كيركندال، ترجمة: د. ابراهيم حافظ، اشراف وتقديم: د. عبدالعزیز القومى، المستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم، طبع مكتبة النهضة المصرية.
- ١٤٣ - لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، اعداد وتصنيف: يوسف خياط، وندیم مرعشلى، دار لسان العرب - بيروت.
- ١٤٤ - لسان الميزان، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٧م - ١٩٨٧م، دار الفكر.
- ١٤٥ - لماذا يرفض الانسان شريعة الله؟ (١) الجنس بين الاسلام والعلمانية، لحافظ يوسف موسى، طبع شركة مرامر للطباعة الالكترونية - الرياض.

- ١٤٦ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للشيخ أبي الحسن الندوي، الطبعة
السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٤٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر
الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، منشورات مؤسسة المعارف - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٤٨ - المجموع شرح المذهب، للامام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي
(٦٣١-٦٧٦هـ) - معه التكملة الأولى للسبكي، والتكملة الثانية للأستاذ
محمد نجيب المطيعي، نشر المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ١٤٩ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن
قاسم، بمساعدة ابنه محمد، طبع مكتبة المعارف، الرباط - المغرب.
- ١٥٠ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن
ابن باز، اشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م.
- ١٥١ - محاسن التأويل (المعروف بتفسير القاسمي) للعلامة الشيخ محمد جمال
الدين القاسمي (١٢٨٣-١٣٣٢هـ)، تصحيح وتخريج وتعليق: محمد فؤاد
عبدالباقي. الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، دار احياء الكتب العربية،
عيسى البابي الطيبي وأولاده.
- ١٥٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (المعروف بتفسير ابن عطية)
للإمام أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (٤٨١-٥٤١هـ)، الطبعة الأولى
١٤٠١هـ - ١٩٨١م، قطر - مؤسسة دار العلم.
- ١٥٣ - المطى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق لجنة
احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق
الجديدة، بيروت - لبنان.

- ١٥٤ - مختصر "الشماثل المحمدية"، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٢٩هـ)، اختصار وتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - المكتبة الإسلامية - عمان.
- ١٥٥ - المخدرات الخطر الداهم (١) الأفيون ومشتقاته، للدكتور: محمد علي البار، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار القلم.
- ١٥٦ - مذكرة أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، نشر: المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ١٥٧ - المرأة بين الفقه والقانون، للشيخ الدكتور مصطفى السباعي، الطبعة الخامسة - المكتب الإسلامي.
- ١٥٨ - فتاوى الإمام النووي، المسمى: المسائل المنثورة، ترتيب تلميذه: الشيخ علاء الدين ابن العطار، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- ١٥٩ - المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، محمد أمين دمج، - بيروت - لبنان.
- ١٦٠ - مستقبل الحضارة، تأليف يوسف كمال، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - دار الوفاء - مصر.
- ١٦١ - مسند أبي يعلى الموملي، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (٢١٠-٣٠٧هـ)، تحقيق وتخريج: حسين أسلم أسد، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار المأمون.
- ١٦٢ - مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، دار المعارف للطباعة والنشر بمصر.

- * - مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني، نشر: دار الدعوة - تركيا.
- ١٦٣ - مسند الشهاب، للقاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق وتخريج : حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة.
- ١٦٤ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة - دار التراث.
- ١٦٥ - مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتب الاسلامي.
- ١٦٦ - مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الاسلامية، تأليف عبدالرحمن واصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكتبة وهبة.
- ١٦٧ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠هـ).
- ١٦٨ - معالم السنن شرح سنن أبي داود، للامام الخطابي (٣١٩-٣٨٨هـ)، تعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، نشر: محمد علي السيد.
- ١٦٩ - معالم في الطريق، لسيد قطب، الطبعة الشرعية التاسعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م دار الشروق.
- ١٧٠ - المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (٣٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٧١ - معجم البلدان، للشيخ الامام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر - بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

- ١٧٢ - معجم متن اللغة، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا.
- ١٧٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
- ١٧٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا.
- ١٧٥ - معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ - القاهرة، دار احياء الكتب العربية.
- ١٧٦ - المغني للشيخ موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٦٢٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٧٧ - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، تخريج ما في الاحياء من الأخبار، للامام العلامة زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، مطبوع بذيل الاحياء، طبعة دار المعرفة - بيروت.
- ١٧٨ - مفتاح كنوز السنة.
- ١٧٩ - المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.
- ١٨٠ - مقومات التصور الاسلامي، لسيد قطب، الطبعة الأولى، دار الشروق.
- ١٨١ - الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- ١٨٢ - من أجل صحة راشدة تجدد الدين .. وتنهض بالدنيا، للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الاسلامي.
- ١٨٣ - المنتقى شرح موطأ الامام مالك، للامام أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب بن وارث الباجي (٤٠٣-٤٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
- ١٨٤ - المنهاج في شرح صحيح الامام مسلم بن الحجاج، للامام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ١٨٥ - منهج التربية الاسلامية، لمحمد قطب، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الشروق.
- ١٨٦ - منهج المعرفة في القرآن الكريم، تأليف يوسف كمال، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - دار الوفاء.
- ١٨٧ - موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة، دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان.
- ١٨٨ - الموافقات في أصول الشريعة، لأبي اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى اللخمي الفرناطي المالكي (ت ٧٩٠هـ)، تعليق وتخرير الشيخ/ عبدالله دراز، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- ١٨٩ - المورد، قاموس انجليزي - عربي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٤م.
- ١٩٠ - الموضوعات، للامام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ)، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، المكتبة السلفية.

- ١٩١ - الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الدعوة - تركيا، وطبعة دار النفائس - بيروت.
- ١٩٢ - نظرات في الاسلام، للدكتور محمد عبدالله دراز، تحقيق: محمد موفق أبو اليسر البيانوني، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، مكتبة الهدى - حلب.
- ١٩٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، (٥٤٤-٦٠٦هـ) تحقيق محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر.
- ١٩٤ - نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للشيخ الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٢-١٢٥٠هـ)، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.
- ١٩٥ - وسطية الاسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري، لعمر بهاء الدين الأميري، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الثقافة - قطر.
- ١٩٦ - اليوم الآخر في ظلال القرآن، أحمد فائز، الطبعة الرابعة، ١٩٧٨م.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
	الباب الأول:
(٣٥٢-١)	الوسطية: مفهومها وضوابطها ومظاهرها ومميزاتها
(٥٢-٢)	الفصل الأول: مفهوم الوسطية وضوابطها
٣	- تمهيد
(٣٥-٤)	المبحث الأول: مفهوم الوسطية
(١٢-٥)	- المطلب الأول: الدلالة اللغوية
٥	- أصل المعنى اللغوي
١٠	- مفهوم الوسط عند العرب
(٣٥-١٣)	- المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي
٢٠	أولاً: الوسطية تعني العدالة والخيرية
٢١	ثانياً: الوسطية مرتبطة بالصراف المستقيم
٢٧	ثالثاً: الوسطية تتعلق بالشهادة على الناس
٢٨	رابعاً: الوسطية صفة للأمة
٣٠	- توضيحات هامة
(٥٢-٣٦)	المبحث الثاني: ضوابط الوسطية
٣٧	- الضابط الأول: القرآن الكريم
٤٠	- الضابط الثاني: السنة المطهرة
٤٨	- الضابط الثالث: اللغة العربية

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني: مظاهر الوسطية	(٣٠٣-٥٤)
تمهيد	٥٥
المبحث الأول: الجانب العقدي	(١٢٨-٥٧)
المطلب الأول: الأسماء والصفات	(٧٤-٥٨)
- منهج الاسلام في الأسماء والصفات	٦٠
- بعض صور الانحراف في الموضوع	٦٤
- أمثلة للتوضيح :	
أولا : الرحمة	٦٦
ثانيا: السمع والبصر	٧١
المطلب الثاني: القضاء والقدر	(١٠٦-٧٥)
- تعريف لغوي	٧٥
أولا: ما يتعلق بالجبر والاختيار	(٨٨-٨٢)
١ - الأمر الكوني القدري الجبري	٨٢
٢ - الأمر الديني الشرعي الابتلائي	٨٣
- بعض صور الانحراف في الموضوع	٨٥
ثانيا: ما يتعلق بقانون السببية والمشئمة المطلقة	(٩٥-٨٩)
- بعض صور الانحراف في الموضوع	٩٥
- النتائج الايجابية للوسطية الاسلامية في القضاء والقدر:	
١ - الشعور بمعية اله قادر	٩٦
٢ - تكوين شخصية انسانية مسؤولة	٩٧

رقم الصفحة	الموضوع
٩٧	٢ - تربية القوة والجدد والاصرار على الحق
٩٨	٤ - ينزع من الانسان الخوف على الرزق والحياة
١٠١	٥ - يولد الرضا والطمأنينة
١٠٣	٦ - يدفع الى استمرارية العمل الصالح
(١١٥-١٠٧)	المطلب الثالث : الدنيا والآخرة
	- النتائج الايجابية لوسطية الاسلام في نظرتنا للدنيا والآخرة:
١١٠	١ - يدفع الانسان للعمل الصالح
١١٢	٢ - يحفظ الانسان من الشرور والمعاصي
١١٣	٣ - يسكب في قلب المؤمن الرضا بنصيبه في الدنيا
١١٣	- بعض صور الانحراف في الموضوع
(١٢٨-١١٦)	المطلب الرابع: الكفر والايمان
	- تقسيمات الناس في نظر الاسلام:
١١٧	١ - كفار
١١٧	أ - كفار ظاهرا وباطنا
١١٨	ب - كفار باطنا، مسلمون ظاهرا
١١٨	٢ - مسلمون
١٢٠	- الأمور التي تكفر المسلم
١٢٣	- بعض صور الانحراف في الموضوع
(١٩١-١٢٩)	المبحث الثاني: الجانب العبادي
١٣٠	تمهيد

رقم الصفحة	الموضوع
١٣٢	المطلب الأول: الفرائض هي الأصول
١٤٣	المطلب الثاني: الحث على نوافل العبادات
١٤٤	١ - نوافل الصلاة
١٤٧	٢ - الانفاق من المال
١٤٩	٣ - نوافل الصوم
١٥١	٤ - العمرة
١٥٢	المطلب الثالث: انما العبادات لاقامة ذكر الله تعالى
	- تدابير تحقيق الخشوع:
١٥٣	أولاً: حفظ الجوارح
١٥٥	ثانياً: حفظ الذهن والعقل
١٥٦	ثالثاً: حضور القلب
١٥٩	المطلب الرابع: للعبادة في الاسلام ثمار سلوكية
١٦٤	المطلب الخامس: رحمة الله هي المنجية
١٦٦	المطلب السادس: رفض الغلو والتشدد
	- أسباب رفض الغلو :
١٦٧	أولاً : لأن المشقة غير مطلوبة لذاتها
١٧١	ثانياً: خشية السامة والملل
١٧٢	ثالثاً: أحب الدين الى الله أدومه وان قل
١٧٤	رابعاً: اعطاء كل ذي حق حقه
١٧٨	المطلب السابع: تخفيف الصلاة بالمؤمنين

رقم الصفحة	الموضوع
١٨١	المطلب الثامن: التيسير ومشروعية الرخص في العبادات
	- بعض رخص الشرع :
١٨٢	١ - تيمم الجنب خشية البرد
١٨٣	٢ - المسح على الخفين
١٨٤	٣ - التخلص عن الجماعة للبرد والمطر والريح
١٨٥	٤ - الجمع بين الصلوات
١٨٥	أ - في السفر
١٨٥	ب - في الحضر
١٨٦	٥ - الفطر في السفر
١٨٦	٦ - افطار المريض
١٨٧	٧ - طواف المريض راكبا
١٨٧	٨ - طلق الرأس لمن به أذى
١٩٠	- بعض صور الانحراف في الباب
(١٩٢-٢٦٢)	المبحث الثالث : في الجانب التشريعي
١٩٣	تمهيد
(١٩٦-٢٠٨)	المطلب الأول : السرقة
١٩٦	أولا : الأسباب الوقائية
١٩٦	١ - تشنيع السرقة
١٩٧	٢ - تربية الأفراد على العفاف الزم
١٩٩	٣ - وجوب الزكاة

الموضوع	رقم الصفحة
٤ - الحث على البذل والتصدق	٢٠٠
٥ - اشتراط الحرز	٢٠١
ثانيا: حد السرقة	٢٠٣
ثالثا: شروط القطع في السرقة	٢٠٤
رابعا: كيفية ثبوت السرقة	٢٠٤
خامسا: نتيجة الانحراف عن الوسطية الاسلامية في حكم السرقة	٢٠٦
المطلب الثاني: شرب الخمر	(٢٢٣-٢٠٩)
أولا : نظرة الاسلام للخمر	٢٠٩
١ - رأس الخبائث	٢٠٩
٢ - يصد عن ذكر الله وعن الصلاة	٢١٠
٣ - يوقع الناس في العداوة	٢١١
٤ - الخمر داء	٢١١
ثانيا: علاج الاسلام لمشكلة انتشار الخمر في مجتمعه	٢١٢
الأول	٢١٢
ثالثا: الأسباب الواقية للمؤمن من الاقدام على شرب الخمر	٢١٥
١ - الايمان وأثره في المحافظة على المسلم:	٢١٥
أ - شارب الخمر يسقى من صديد أهل النار	٢١٥
ب - التوعد الشديد لمدمن الخمر	٢١٦

الموضوع	رقم الصفحة
ج - من شرب في الدنيا حرمها في الآخرة	٢١٦
د - شارب الخمر لا تقبل صلاته ولا تقربه	
الملائكة	٢١٧
هـ- المؤمن صاحب اهتمامات عليا	٢١٨
٢ - تحريم ومنع تداوله في المجتمع	٢١٨
رابعاً: حد الخمر	٢١٩
خامساً: كيفية الثبوت	٢١٩
سادساً: أثر الانحراف في حكم الشرب على الفرد والمجتمع	٢٢٠
المطلب الثالث: الزنا	(٢٢٤-٢٦٢)
أولاً: نظرة الاسلام الى الزنا	٢٢٤
أ - الزنا عمل شديد القبح	٢٢٤
ب - قرين الشرك	٢٢٥
ج - الزنا قتل	٢٢٥
ثانياً: الأسباب الواقية من الزنا:	٢٢٧
١ - ما يتعلق بالمجتمع عامة	٢٢٧
أ - الاعتراف بالغريزة الجنسية وعدم استفذارها	٢٢٧
ب - النهي عن التبتل والترهبين	٢٢٨
ج - توفير الجو الطاهر في المجتمع	٢٢٩
د - تيسير سبل الزواج	٢٣١
٢ - ما يتعلق بالرجل خاصة:	٢٣١
أ - وجوب ستر المرأة	٢٣١

الموضوع	رقم الصفحة
ب - تربية الرجال على العفة وغيض البصر	٢٣٣
ج - من حق الرجل النظر الى مخطوبته	٢٣٣
د - وجوب تلبية الزوجة رغبة الزوج	٢٣٤
هـ- مشروعية تعدد الزوجات	٢٣٤
٣ - ما يتعلق بالمرأة خاصة :	٢٣٥
أ - ضمن الشرع لها الكفالة المادية	٢٣٥
ب - رباها الشرع على العفة وغيض البصر	٢٣٦
ج - حرية المرأة في أمر زواجها	٢٣٦
د - وجوب تلبية رغبتها الجسدية على الزوج	٢٣٧
هـ- مشروعية تعدد الزوجات	٢٣٨
و - مشروعية الخلع	٢٣٩
ثالثا: حد الزنا	٢٤١
وينقسم الى :	
١ - حد الزنا للبكر	٢٤١
٢ - حد الزنا للمحصن	٢٤٢
رابعا: كيفية ثبوت الزنا	٢٤٢
١ - الاعتراف	٢٤٢
٢ - بشهادة أربعة شهود	٢٤٥
خامسا: نظرة منحرفة للزنا	٢٤٦
سادسا: نتائج النظرة المنحرفة للزنا :	٢٥١

رقم الصفحة	الموضوع
٢٥١	١ - الاجهاض
٢٥٢	٢ - أولاد الزنا
٢٥٤	٣ - الأمراض الجنسية
٢٥٥	٤ - اصابة المرض لغير الزناة
٢٥٦	٥ - الاغتصاب
٢٥٧	٦ - سقوط الأمم والحضارات:
٢٥٧	أ - هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية
٢٦٠	ب - الولايات المتحدة الأمريكية
(٣٠٣-٢٦٣)	المبحث الرابع : الجانب الأخلاقي
٢٦٤	تمهيد
٢٦٦	المطلب الأول: اتمام الاسلام بالأمل وهو تركية النفس:
٢٧٢	المطلب الثاني: عناية الاسلام بالسلوك مع تركيته للنفس:
٢٧٤	أولا : الدعوة الى مكارم الأخلاق
٢٧٨	ثانيا: النهي عن مساوىء الأخلاق وتبغيضها للنفس
٢٨٣	المطلب الثالث: الأخلاق في الاسلام رسالة وعبادة:
٢٨٣	١ - صلة الأخلاق بالايمان
٢٨٥	ب - بالأخلاق الحسنة ينال المؤمن أعلى الدرجات
٢٨٧	ج - بالأخلاق السيئة ينحدر المرء الى أدنى الدرجات
٢٨٨	د - اتمام مكارم الأخلاق رسالة الاسلام

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الرابع: تعدي أثر الأخلاق الإسلامية الى جميع الناس:	٢٩١
١ - الوالدين	٢٩١
٢ - الأقارب وذوي الرحم	٢٩٢
٣ - الجار	٢٩٣
٤ - سائر الناس	٢٩٤
٥ - القوم المحاربين	٢٩٥
٦ - الحيوانات	٢٩٥
المطلب الخامس: الاعتدال في الأخلاق	٢٩٧
المطلب السادس: تهذيب السلوك	٢٩٩
الفصل الثالث: مميزات الوسطية	(٣٥٢-٣٠٤)
تمهيد :	٣٠٥
أولا : الحركية	٣٠٦
ثانيا: الأصالة في المصدر والبناء	٣١٠
ثالثا: موافقتها لأصل الفطرة	٣١٣
رابعا: تحقق سعادة الدارين: الدنيا والآخرة	٣١٨
خامسا: تحقيق التوازن	٣٢٣
سادسا: الثبات والاستمرار	٣٢٦
سابعا: مركز الالتقاء والتجمع	٣٣١
ثامنا: الواقعية	٣٤٥

رقم الصفحة	الموضوع
	الباب الثاني: الانحراف عن الوسطية في حياة المسلمين
(٥٤٠-٣٥٣)	أسبابه وعلاجه
(٣٨٥-٣٥٤)	- الفصل التمهيدي :
٣٥٤	أولا : هل الانحراف أمر طبيعي؟
٣٦١	ثانيا: في ضوء قوله صلى الله عليه وسلم: ان الاسلام بدأ غريبا
	ثالثا: أسباب عامة للانحراف :
٣٦٣	١ - طول المدة
٣٦٨	٢ - دوائر الانحراف الكبرى في الأمة :
٣٦٩	أ - انحراف السلطة ونظام الحكم
	ب - ندرة القدرات العلمية العملية الصالحة وظهور
٣٧٣	أنصاف العلماء ورؤوس الجهالة
٣٧٨	ج - انحسار فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
(٤٢٩-٣٨٦)	- الفصل الأول : أسباب التفريط
٣٨٧	تمهيد
(٤٠٩-٣٨٨)	المبحث الأول : الأسباب الداخلية
٣٨٩	المطلب الأول: سوء الفهم
٣٩١	المطلب الثاني: الأخذ ببعض النصوص
٣٩٥	المطلب الثالث: الاعتماد على نصوص غير صحيحة
	المطلب الرابع: تأصيل قاعدة عقلية وتأويل النصوص على
٣٩٧	أساسها

رقم الصفحة	الموضوع
٤٠٠	المطلب الخامس: غلبة النظرة الجزئية
٤٠٢	المطلب السادس: العلاج من واقع رد الفعل
٤٠٦	المطلب السابع : الافراط
٤٠٨	المطلب الثامن : تغليب المصلحة الشخصية على المبدأ
(٤٢٩-٤١٠)	المبحث الثاني: الأسباب الخارجية
٤١١	المطلب الأول: اتباع الشهوات
٤١٥	المطلب الثاني: ضعف التربية
٤١٩	المطلب الثالث: فساد المنبع
(٤٦٦-٤٣٠)	الفصل الثاني: أسباب الافراط
٤٣١	تمهيد
(٤٥٦-٤٣٢)	المبحث الأول: الأسباب الداخلية
٤٣٣	المطلب الأول: السطحية في الفهم
٤٣٨	المطلب الثاني: التعصب للرأي
٤٤٠	المطلب الثالث: الأخذ ببعض النصوص دون بعضها
٤٤٣	المطلب الرابع: الاعتماد على نصوص موضوعة وغير صحيحة
	المطلب الخامس: تأصيل قاعدة عقلية وتأويل النصوص على
٤٤٥	أساسها
٤٤٨	المطلب السادس: العلاج من واقع رد الفعل
٤٥٠	المطلب السابع : الجنوح نحو التحريم وربطه بالتقوى
٤٥٢	المطلب الثامن : ميل بعض النفوس الى الغلو بجعلتها
٤٥٥	المطلب التاسع : غلبة العاطفة على العقل

رقم الصفحة	الموضوع
٥١٠	٩ - مراعاة الأحكام التكليفية الخمسة
٥١٢	١٠ - ربط العلم بالعمل
٥١٥	١١ - التركيز على الباطن
٥١٩	١٢ - رفض الاسلام الغلو في كل شيء
٥٢٣	١٣ - التيسير ورفع الحرج
٥٢٦	خامسا: الايجابية والرفق في العلاج
٥٣١	سادسا: ايجاد المحاضن الصالحة
٥٣٤	سابعا: ربط الأمة بدورها القيادي
٥٣٧	ثامنا: كشف سبل المجرمين
٥٤١	الخاتمة
٥٤٤	الفهارس
٥٤٥	- فهرس الآيات
٥٦٦	- فهرس الأحاديث والآثار
٥٩٠	- فهرس الأعلام
٦٠٢	- فهرس الأديان والفرق والمذاهب
٦٠٤	- فهرس الأبيات الشعرية
٦٠٦	- ثبت المصادر والمراجع
٦٣٠	- فهرس الموضوعات

استدراكات

الآية

<u>الصفحة</u>	<u>السورة</u>	<u>رقمها</u>
٣٩٤	البقرة	٢٥٣
٤٠٩	المؤمنون	٧٤-٧٣
٣٩٢	محمد	١٢

ولو شاء الله ما اقتتلوا ..
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ..
ان الله يبدل الذين آمنوا وعملوا ..

الحديث

الصفحة

٢٠

٣٧٤

قال : عدلا
قد رآيت رسول الله صلى الله عليه وسلم